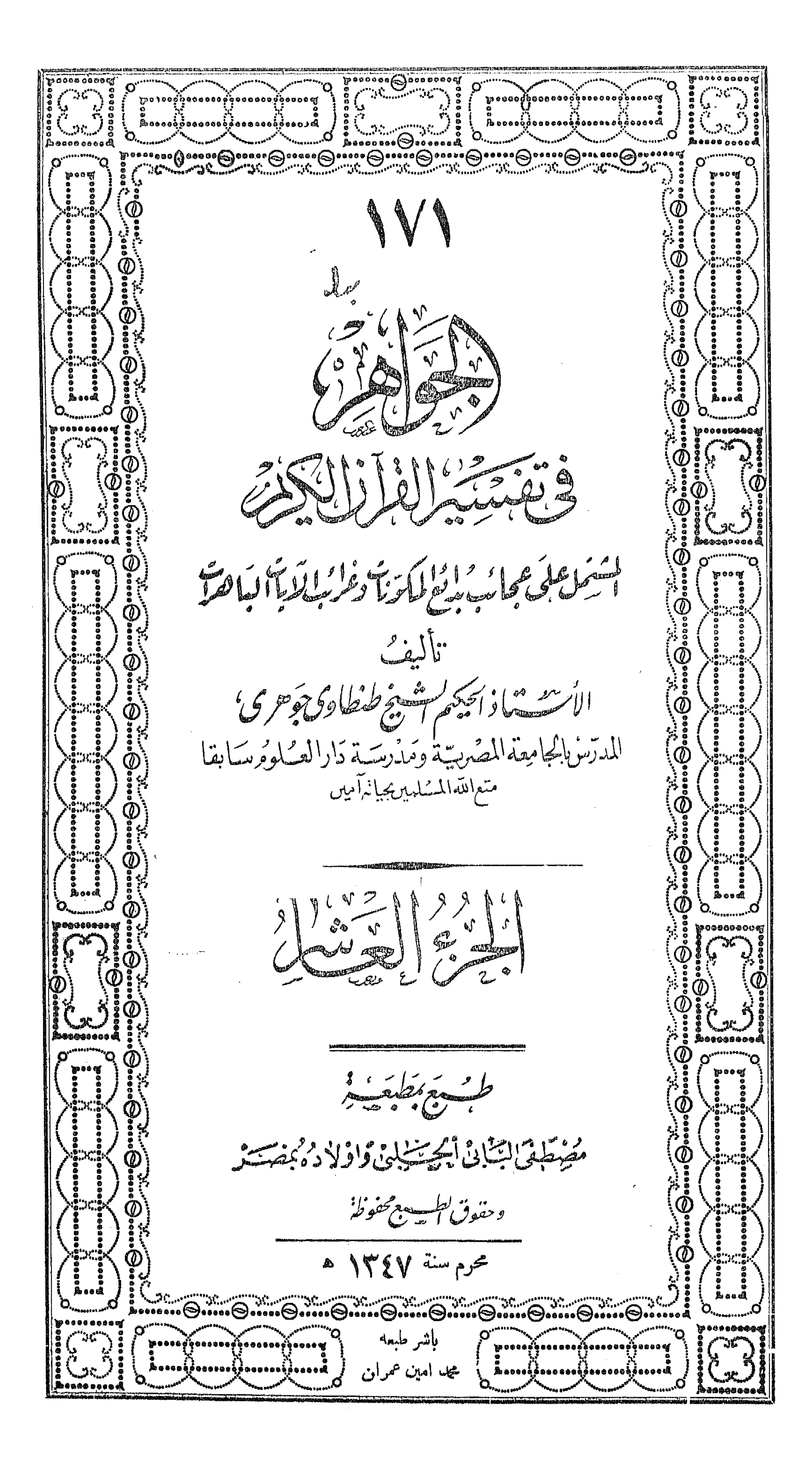


١٧١

الجواهر

في تفسير القرآن الكريم

المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا

متع الله المسلمين بحياته آمين

الجزء العاشر

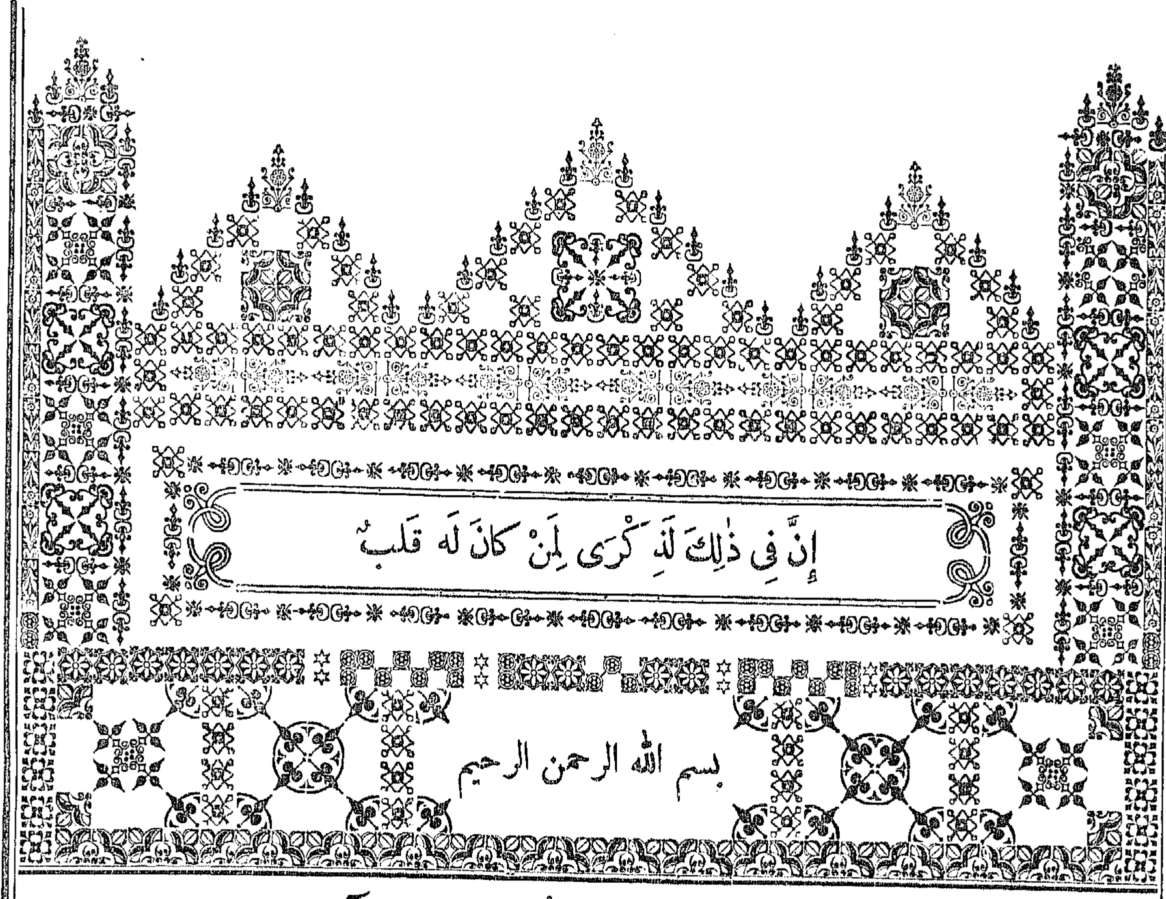
طبع بمطبعة

مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

محرم سنة ١٣٤٧ هـ

باشر طبعه

محمد أمين عمران



سورة مريم مكية وهي ثمان وتسعون آية

(وهي قسمان)

﴿ القسم الأوّل ﴾ في قصص زكريا ويحيى وعيسى وابراهيم وموسى واسماعيل وادريس عليهم الصلاة والسلام ومايتبع ذلك من فضائلهم وجهالات بعض تابعيهم من أوّل السورة الى قوله ـ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ـ

﴿ القسم الثاني ﴾ نتيجة إجابة دعواتهم من الجنة والنار من قوله تعالى ـ تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا ـ الى آخر السورة

(القِسْمُ الأَوَّلُ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا *

قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا * قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي
آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ
إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا *
وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ
يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا * وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ
أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا
سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ
لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ
فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا
وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي
إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ
مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا
تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا
كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي
عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ
وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ *
مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَإِنَّ اللَّهَ
رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ * أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ
الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

* إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ * وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا * وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا * وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا * وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا * فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا * جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا *

﴿ التفسير اللفظى ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(كهيعص) تقدّم الكلام على مثل هذا بايضاح فى أوّل ﴿آل عمران﴾ فارجع اليه إن شئت . هذا الذى أتلوه عليك (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) بدل من عبده الذى هو مفعول رحمة (إذ نادى ربه نداء خفيا) دعاه دعاء سرا فانّ الله يعلم السرّ والنجوى وحينئذ يقال ماذا قال فأجاب الله (قال ربّ إنى وهن العظم منى) أى رقّ وضعف من الكبر وسقطت الأسنان وقد بلغ خمسا وسبعين أو ثمانين سنة (واشتعل

الرأس شيبا) كأن الشيب نارا اشتعل بها الشعر الذى كأنه الحطب ولشدتها وقوتها جعلت كأنها أحرقت نفس الرأس وقوله — رأسا — تمييز محول عن الفاعل (ولم أكن بدعائك رب شقيا) أى دعائى إياك . يقول زكريا يارب إنك عودتنى اجابة الدعاء فيما مضى والكريم اذا عود عادة لم يقطع رجاء من اعتادها كما ﴿ يحكى ﴾ أن أعرابيا قال لعظيم من عظماء العرب أنا فى ذمامك ولى عهد فى رقبتك بحمايتى قال له لا أذكر ذلك فقال له انى يوما طلبت الماء فأدليت دلوى فى البئر فكان الحبل الذى فيه الدلو قصيرا فأطلته وأكملته من عندك قال ذلك الرئيس نعم حقك واجب على (وانى خفت الموالى من ورائى) أى خفت فعل بنى عمى وكانوا أشرار بنى اسرائيل من بعد موتى أن لا يحسنوا خلافتى على أمتى و يحصل الخلاف والشقاق والجهالة والكفر فى بنى اسرائيل (وكانت امرأتى عاقرا) لاتلد (فهب لى من لدنك) من عندك (وليا) يلى أمر قومى بعدى فان هذا الولى لا يطلب إلا من عندك فان العادة تمنعه من شيخ مثلى امرأته عاقر فكيف يرجى إلا منك . ثم وصف الولى بصفتين فقال (يرثنى ويرث من آل يعقوب) فتجمع يا الله له بين كونه حبرا مثلى و بين ملك آل يعقوب (واجعله رب رضيا) برا تقيا . فأجابه الله قائلا (يازكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى) أجاب دعاءه وتولى تسمية الولد بنفسه (لم نجعل له من قبل سميا) أى لم يسم أحد بهذا الاسم قبله أولم يشبهه أحد * قيل ذلك لأنه لم يعص الله ولم يهم بمعصية قط وكان حصورا لا يأتى النساء وقد ولد بين شيخ وعجوز فهذه الصفات لم تكن لأحد قبله . فلما أجاب الله دعاءه وعلم ذلك من الملائكة (قال رب أنى) كيف (يكون لى غلام) يريد بذلك استكشاف الطريق التى بها يلدان . أيحولان شابين . أم كيف الحال (وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) حولا فى المفاصل و يبسا فى العظام كالعود اليابس من أجل الكبر وأصل عتى عتو فنقل فقلبت الضمة كسرة والواو المشددة ياء (قال) الملك المبشر له الأمر (كذلك قال ربك هو على هين) يسير (وقد خلقتك من قبل) من قبل يحيى (ولم تك شيأ) ولما كان هذا القول من باب الايمان والنفس الانسانية لا تطمئن ولا يكون عندها يقين إلا ببراهين تقنع العقل وتقوى الايمان كما كان من ابراهيم عليه السلام إذ قال — بلى ولكن ليطمئن قلبى — (قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) آية وقوع ذلك أنك لا تطيق التكلم ثلاثة أيام بلياليهن وأنت سوى الخلق مابك من خرس ولا بكم وانما قلنا ثلاثة أيام للتصريح بها فى سورة آل عمران ففى هذه الأيام الثلاثة ولياليها الخير والذكر والشكر ولم يستطع أن يكلم الناس فكان ذلك ﴿ لأمرين * الأول ﴾ أن يكون علامة له ﴿ والثانى ﴾ أن تتجه نفسه لله بالعبادة (فخرج على قومه من المحراب) أى من الموضع الذى كان يصلى فيه وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب فيدخلون و يصلون إذ خرج اليهم زكريا متغير اللون وأنكروا ذلك عليه وقالوا له مالك (فأوحى) فأومأ (اليهم) أوكتب لهم على الأرض (أن سبحوا) صلوا (بكرة وعشيا) طرفى النهار أى بأن سبحوا أى بالتسبيح الخ . فلما ولد يحيى وصار ابن ثلاث سنين أعطاه الله فطنة وعقلا به يقدر على فهم التوراة فقال الله له (يايحيى خذ الكتاب) التوراة (بقوة) بجد واجتهاد (وآتيناه الحكم صبيا) أى آتيناه النبوة وهو ابن ثلاث سنين (وحنانا من لدنا) أى رحمة وتعطفا فى قلبه على أبويه وغيرهما (وزكاة) وطهارة من الذنوب (وكان تقيا) يفعل الطاعات و يتجنب المعاصى (وبرا بوالديه) وبارا بهما (ولم يكن جبارا عصيا) متكبرا عاصيا (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) أى له الأمان من الله يوم ولد فلا يناله الشيطان كما ينال سائر بنى آدم وأمان له يوم يموت من عذاب القبر و يوم يبعث حيا من عذاب جهنم والخزى وأشد المواطن على الناس هذه الثلاثة . يخرج الطفل فيرى حالا لم يعهدها و يموت فيرى عالما غريبا فيبعث فيرى مشهدا غريبا . فهذه هى الوحشة العظيمة فالله أمن يحيى عليه السلام فى هذه المواطن الثلاثة . وههنا لطائف

(١) فى قوله — إذ نادى ربه نداء خفيا — الى — ولم أكن بدعائك رب شقيا * وانى خفت الموالى من ورائى —

الى آخره (٢) وفى قوله ــ قال آيتك ألا تكلم الناس ــ الخ (٣) وفى قوله ــ وسلام علىّ يوم ولدت ــ الخ (٤) وفى الملائكة

﴿ اللطيفة الأولى ــ إذ نادى ربه نداء خفيا ــ الخ ﴾

هذا الدعاء فيه ذكرانه قدكان مجاب الدعوة وعادة الله ألا يخيب من عوّده الكرم وفيه انه دعاء للامور العامّة أى انه يدعوالله أن يرزقه بولد يكون نافعا لبنى اسرائيل ففيه ﴿ أمران ﴾ نشر العلم وحب الانسانية ولقد أذن الله أن يجيب دعاء من حبب اليه خدمة الانسانية والله حقيق أن يجيبه • وفحوى هذه الآية أن العبد اذا كانت وجهته النفع العام كان الله له • فهكذا يكون من ألهمهم الله الخير من علماء هذه الأمّة وتضرّعوا الى الله أن يكون هدى الأمة على يديهم وأن يجمعوا شملهم وهو يلهمهم الخير ويساعدهم وذلك مجرّب وقد قال تعالى ــ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ــ فأكد انه مع المحسنين فحقيق بمن قرأ هذا التفسير أن يجرّب ماجرّبت أنا بنفسى أن من وجد فى قلبه شوقا الى خدمة هذه الأمّة ورقيها ولمّ شعثها وكان عنده استعداد فانّ الله يساعده وقد خلق خلقا لذلك وهو يساعدهم فان وجدت فى نفسك ميلا فالمساعدة محققة وانما قلت وفيه استعداد لذلك أخذا من قوله ــ ولم أكن بدعائك ربّ شقيا ــ فالرجل الموفق الذى استعدّ لاسعاف الناس يحسّ من نفسه بمعاونة الله فى كل ضيق وذلك هو الذى كثيرا مايستجاب دعاؤه

﴿ جوهرة ﴾

جاء فى علم الأرواح كما هو فى كتاب ﴿ الأرواح ﴾ الذى ألفته ماملخصه ﴿ ان روحا سئلت • أى الناس أحظى عندكم بعد الموت • فقالت إنّ الله وملائكته يعاونون الرجل المتصف ﴿ بصفتين * الأولى ﴾ حبّ العلم بحيث يرى فى نفسه شوقا اليه ويجدّ فى طلبه ﴿ الثانى ﴾ أن يكون محبا للانسانية مغرما بمساعدة الناس جميعا فتى وجد امرؤ بهذه الصفة توجه الله اليه بالعناية وكلأه بالحماية وجعله من خواصه وترادفت عليه العلوم فدخل أوديتها وشاهد محاسنها وليس لها آخر ولاتنفد ﴾ انتهى

﴿ اللطيفة الثانية ــ قال آيتك ألاتكلم الناس ثلاث ليال سويا ــ ﴾

اعلم أن أصعب عضو يمكن المرء حفظه هو اللسان • ولقد اطلعت على كتاب قد ترجم من اللغة الافرنجية الى العربية فى علم النفس يبين كيف يكون الكلام سببا فى قلة الرزق وضعف الحال وان امساك الأفكار فى القلب تكون أشبه بامساك الماء فى البحر والطعام فى المخزن وأن القوّة الكهربائية فينا تحفظ بالسكوت وتذهب بالكلام • ومما جاء فى هذا الكتاب أيضا مايأتى

﴿ انظر فى حياتك الماضية تجد انك و (٩٩) من الناس ينتهزون الفرص لاخبار اخوانهم بما فعلوا لتظهر نباهتهم وهذا تيار من المغناطيسية النفسية تضيع بلافائدة و بتكرارها تضعف كهربائية نفوسنا فلاتجذب من حولنا لأن نفوسنا فارغة فالسكوت يحفظ تلك القوى فلا تحقق رغبة الاطراء وسترى نتيجة ظاهرة فى زمن قريب ﴿ أمرين اثنين * الأمر الأوّل ﴾ أنك بالسكوت عن الكلام إلا للضرورة ودوامك على ذلك تشعر فى نفسك باحترام لنفسك وثقة بها وتعلو هيبتك ووقارك ﴿ الثانى ﴾ انك ترى اخوانك قد تغيروا تغيرا كليا فازدادوا رغبة فيك لأن قوّتك الباطنة جذبتهم لك وهم لايشعرون ﴾

ثم أخذ يكرّر القول انه اذا طرأ على قلبك طارئ أزعجك للكلام فكن أنت خيرا منه فاحبسه فى نفسك وهكذا من النصائح الى أن قال ﴿ وثمرة هذا السكوت والصبر عن الكلام تظهر فى ٥ أيام أو ٦ ولكن فوائدها الكبرى تظهر بالتدريج فتجد القلوب أحبتك وحوائجك تقضى ﴾

وبالجملة هذه الخصلة ألف عليها وحدها هذا الكتاب كله • فعجب كيف ظهر علم فى العالم على هذه الآية

وحدها

وحدها مع انهم فى بلادهم (أمريكا) لايعرفون الآية كما ان المسلمين لايعلمون هذا العلم . انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة — والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت — الخ ﴾

إن المسلم يقول ﴿ السلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ فاذا كان يحيي قال السلام علىّ يوم أموت . السلام علىّ يوم أبعث حيا . فالمسلم يسلم على نفسه وعلى نبيه وعلى جميع الصالحين . المسلم يقول فى الصلاة إنى سعيد ولاسعادة لى إلا بسعادة المجموع فنبي فى أمان والمؤمنون فى أمان وأنا فى أمان . المسلم يذكر ذلك كله فى كل صلاة وهذا يورث اطمئنان النفس بالتكرار فاذا كان الناس كلهم فى أمان وهو فى أمان وقد ثبت فى نفسه هذا واطمأنت وثبتت على ذلك فان الله يوم القيامة يسلم عليه وهذا قوله تعالى فى سورة أخرى — سلام قولا من رب رحيم —

المسلم يقول ﴿ التحيات لله والمباركات الخ ﴾ ثم يسلم على نفسه وعلى نبيه وعلى الأمم كلها اذا كانوا صالحين . فسلام يحيي وسلام المؤمن سيان . وليس يتمّ هذا المعنى حقّ التمام إلا بمعرفة — الحمد لله ربّ العالمين — ولامعرفة لله إلا بمعرفة تربية العالمين تربية روحية وجسمية وهذا يستدعى جميع العلوم ومتى درس نظام هذه الدنيا أدرك حقيقة رحمة الله وأيقن أنه به رحيم لما يشاهد من رحمات فى أقل الحشرات ومافوقها الى الانسان . انتهت اللطيفة الثالثة

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

لعلك تقول أيها الذكى ان العلوم اليوم ملأت الكرة الأرضية والكتب السماوية تذكر لنا ملائكة فاذا قال العلم الحديث فى ذلك . ان الناس فى الأرض طبيعيون والطبيعة لاملائكة فيها . فأين هؤلاء الملائكة ونحن لم نرهم وكيف جاؤا لزكريا وكيف بشروه . أقول إقرأ كلام الامام الغزالى يخبرك أن الأرواح العالية وغيرالعالية تحيط بنا من كل جانب كما يحيط بنا الهواء ولكن أجسامنا هذه تحجبهم عنا فاذا متنا أصبحنامعهم ورأيناهم وحشرنا فى درجاتنا التى تناسبنا فإما مع الشياطين واما مع الملائكة . وان أبيت إلا سماع علماء الطبيعة فهاك ما كتبته فى كتاب ﴿ الأرواح ﴾ وهو خطبة للسر (أوليفرلودج) أكبر علماء الطبيعة ذكرت فى مجلة المجلات الانجليزية وبمطالعتك لها تعرف انها معجزة للقرآن إذ قال الله تعالى — سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق — وعالم الملائكة أصبح اليوم هو وعالم الأرواح معروفا كما عرفت الطبيعة وهذه الخطبة سبقت فى سورة (آل عمران) وملخصها أن الانسان ليس أرفع الكائنات وله أعوان يساعدونه حوله وهو لايراهم وهناك أراض غير أرضنا وهناك عوالم لانراها والأجرام الفلكية لايعرف أكثرها وهذا العالم وراءه عالم وهكذا عالم وراء عالم لاندرى منتهاها وعمر الأرض قليل فيما مضى بالنسبة للكون والجوهر الفرد له نظام كالنظام الشمسى ونسبتنا الى العوالم التى هى أعلى منا كنسبة النمل الينا ونحن لسنا أجساما فقط ورجال الدين والقديسون صادقون فى أنهم ناجوا أرواحا عالية وأنا كذلك ناجيتها . ومن الجهل أن نقول اننا نضمحل اذا اضمحل الجسد . أنا لا أشكّ فى أن الموتى يناجوننا وان أردت استيعابها فاقرأها فى سورة (آل عمران) وهى هناك قد كتبت مجزأة جزأين فى محلين مختلفين . انتهت اللطيفة الرابعة وبها انتهى القول فى قصص زكريا عليه السلام

﴿ قصص مريم وعيسى عليهما السلام ﴾

قال تعالى (واذكر فى الكتاب) فى القرآن (مريم) قصتها (إذ انتبذت) اعتزلت وهو بدل اشتمال من مريم (من أهلها) من قومها لتغتسل من الحيض (مكانا شرقيا) مكانا فى الدار مما يلى الشرق . ولهذا المعنى اتخذ النصارى المشرق قبلة (فاتخذت) فضربت (من دونهم حجابا) سترا وبينما هى تغتسل وقد تجرّدت إذ عرض لها جبريل فى صورة شاب أمرد وضيء الوجه سوى الخلقة وهذا قوله تعالى (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل

لها بشرا سويا) فلما رأته (قالت إني أعوذ بالرحمن منك) وذلك لشدّة عفافها (إن كنت تقيا) تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة فانك تتعظ بتعويذي فلاتتعرّض لي (قال إنما أنا رسول ربك) الذي استعذت به (لأهب لك غلاما) أي لأكون سببا في هبته بالنفخ في قميصك (زكيا) طاهرا من الذنوب كما انك أنت طاهرة أوناميا في الطهارة كلما زادت سنة (قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر) ولم يقربني زوج (ولم أك بغيا) فاجرة فالولد إما أن يكون من سفاح أو نكاح وأنا بعيدة عنهما (قال) جبريل هكذا قال ربك (كذلك قال ربك هو علىّ هين) أي خلق ولد بلا أب (و) نفعل ذلك (لنجعله آية للناس) أي علامة لهم ودلالة على قدرتنا (ورحمة منا) ونعمة لمن تبعه على دينه حتى ينسخ (وكان أمرا مقضيا) محكوما مفروغا منه لايردّ ولا يبدل (فحملته) فلما حملته (انتبذت به مكانا قصيا) بعيدا عن أهلها أي أقصى الوادي وهو بيت لحم لتفرّ من أهلها وقومها (فأجاءها المخاض) فألجأها المخاض وهو وجع الولادة (الى جذع النخلة) لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة * والجذع مابين العرق والغصن وكانت نخلة لارأس لها يابسة (قالت ياليتني مت قبل هذا) فتمنت الموت استحياء من الناس وخوفا من الفضيحة (وكنت نسيا منسيا) أي شيأ حقيرا متروكا لم يذكر أوتمنت انها لم تخلق (فناداها من تحتها) عيسى (أن لاتحزني) أي لاتحزني (قد جعل ربك تحتك سريا) سيدا وهو ابنك عيسى أوجدولا يجرى فيه الماء (وهزّى اليك بجذع النخلة) أي وأميليه اليك (تساقط عليك رطبا جنيا) وهو مابلغ الغاية وجاء أوان اجتنائه (فكلى) من الرطب (واشربى) من النهر (وقرّى عينا) بولدك عيسى * يقال أقرّ الله عينك أي صادف فؤادك مايرضيك فتقرّ عينك عن النظر الى غيره أي فتسكن (فاما ترين من البشر أحدا) أي فان ترى آدميا يسألك عن ولدك (فقولى إنى نذرت للرحمن صوما) صمتا كما صمت يحيى في الأيام الثلاثة (فلن أكلم اليوم انسيا) بعد أن أخبرتكم بنذري ولست أكلم إلا الملائكة ولا أناجي إلا ربي (فأتت به قومها تحمله) أي أقبلت بعيسى بعد ماطهرت من النفاس حاملة إياه فلما رأوه معها (قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا) بديعا عجيبا مأخوذ من الفرى وهو القطع لأنه قطع العادة أوعظيما منكرا (يا أخت هرون) ياشبيهة هرون وكان رجلا صالحا في بنى اسرائيل شبهت به في صلاحها وعفافها كما جاء في مسلم عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت من خراسان سألوني فقالوا لي إنكم تقرؤن ـ يا أخت هرون ـ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين فيهم . انتهى الحديث

ويقال ان هرون المذكور الذي شبهوها به في زمانها لما مات شيع جنازته أربعون ألفا من بني اسرائيل كلهم يسمى هرون سوى سائر الناس . وهذا وان كان مبالغة دال على شبه الحقيقة (ماكان أبوك امرأ سوء وماكانت أمّك بغيا) أي ماكان أبوك زانيا ولا أمّك زانية . فمن أين لك هذه الخصلة الفاحشة ومن أين لك هذه الفاحشة وهى ليست في أبويك حتى أتيت بهذا الولد (فأشارت اليه) أي الى عيسى أن كلموه ليجيبكم (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) ولم نعهد صبيا في المهد يكلمه الناس فلما سمع عيسى كلامهم أقبل عليهم وترك الرضاع واتكأ على يساره وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه (قال إني عبد الله) والابتداء بهذه الجملة لقطع ألسنة الذين قالوا بربوبيته (آتانى الكتاب وجعلنى نبيا * وجعلنى مباركا أينما كنت) أي سيؤتيني الانجيل ويجعلني نبيا ويجعلني معلما للخير نفاعا للناس حيثما كنت . ولما كان هذا محققا عبر عنه بالماضي الذي هو أمر تمّ وانقضى وانتفاع الناس به في كل مكان حلّ فيه أشبه بالشمس أينما أشرقت عمّ نورها وهذا شأن العلم والعلماء يضيؤن على الناس بقدر ما أعطاهم الله من العلم (وأوصانى بالصلوة والزكوة) زكاة المال ان ملكته أوتطهير النفس من الرذائل (مادمت حيا * وبرّا بوالدتى) وبارا بها وهذا عطف على مباركا (ولم يجعلنى جبارا شقيا) عاصيا لربى متكبرا على الخلق فأنا خاضع متواضع * ويقال الشقى هو

الذى يذنب ولايتوب (والسلام علىّ يوم ولدت) أى السلامة علىّ عند ولادتى من طعن الشيطان (ويوم أموت) أى عند الموت من عذاب القبر (ويوم أبعث حيا) من أهوال يوم القيامة فلما كلمهم عيسى بذلك علموا براءة مريم ثم سكت عيسى ولم يتكلم حتى بلغ المدّة التى يتكلم فيها الأطفال (ذلك عيسى ابن مريم) أى الذى تقدّم وصفه هوعيسى ابن مريم لا ماتصفه النصارى الذين وصفوه بأوصاف لاتتفق مع الحق هو (قول الحق) الذى لاشك فيه (الذى فيه يمترون) أى يشكون فيه ويختلفون • فمن قائل هوابن الله ومن قائل هو الله ومن قائل هوثالث ثلاثة ثم نزّه الله نفسه عن الولد الذى أفادته هذه القصة فقال (ما كان لله أن يتخذ من ولد) أى ما كان من صفاته ولامما ينبغى له اتخاذ الولد (سبحانه اذا قضى أمرا) أى اذا أراد أن يحدث أمرا (فانما يقول له كن فيكون) هذا تبكيت لهم ﴿ لأمرين * الأوّل ﴾ انه لو أراد الولد فعلا لخلقه بقول - كن - فلاحمل ولا ولادة ﴿ وثانيا ﴾ ان الولد ليكون حافظا لأبيه يعوله وهو حى وليكون ذكرا له بعد موته • ومعلوم أن الله لايحتاج لشئ من ذلك فان العالم خاضع له لايحتاج الى ولد ينفعه وهوحى لايموت أبدا (وانّ الله ربى وربكم فاعبدوه) هذا من كلام عيسى • ولقدمرّ الكلام عليها فى سورة ﴿ آل عمران ﴾ فارجع اليه هناك • ولقد تبين فيها أن هذه نفسها معجزة علمية لأنها جمعت ماجاء به المرسلون و بينا هناك ديانات مختلفة عجيبة تسرّ الناظرين مصداقا لهذه الجملة فتقرأ شذرات من دين ﴿ البوذيين ﴾ ودين قدماء المصريين وغيرهم • فهذه الجملة رمز لجميع الديانات (هذا صراط مستقيم) الذى أخبرتكم به أن الله أمرنى به هوالصراط المستقيم الذى يوصل الى النعيم المقيم ولقاء الله تعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم) أى اختلفت أحزاب النصارى فيه حين رفع الى السماء الى ﴿ ثلاثة فرق ﴾ يعقوبية يتبعون عالما نصرانيا يسمى يعقوب قال لهم هوالله هبط الى الأرض ثم صعد الى السماء • ونسطورية اتبعوا رجلا يسمى نسطورا عالما منهم قال لهم كان ابن الله أظهره ماشاء أن يظهره ثم رفعه اليه • والحزب الثالث قال انه كان عبدالله مخلوقا وهؤلاء هم الملكانية (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) أى من شهود يوم عظيم لشدّة هوله وحسابه وعقابه وهو يوم القيامة فان الأيدى والأرجل والألسنة تشهد على أصحابها (أسمع بهم وأبصر) تعجب أى ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لاينفعهم سمع ولابصر (يوم يأتوننا) يوم القيامة (لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) أى لكن هؤلاء الظالمون فى هذه الدنيا فى خطأ بين استدراك على أنهم يسمعون و يبصرون يوم القيامة ويقفون على الحقيقة وهى لاتنفعهم فربما يتوهم انهم عارفون فى الدنيا فاستدرك (وأنذرهم) أى خوّف يامحمد الناس ومنهم أهل مكة (يوم الحسرة) يوم يتحسر الناس فالمسىء على إساءته والمحسن على أنه لماذا لم يزد فى احسانه وهو يوم القيامة (إذ قضى الأمر) إذ فرغ من الحساب وقوله - إذ - هو بدل من اليوم وقوله (وهم فى غفلة وهم لايؤمنون) جملتان حاليتان من فاعل أنذرهم أى أنذرهم حال كونهم غافلين غير مؤمنين (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها) أى نميت سكان الأرض فى الشرق والغرب جميعا ولايبقى إلا نحن (والينا يرجعون) فنجزيهم بأعمالهم

﴿ أسئلة وردت على المؤلف وأجوبتها فيها أمور جميلة وأسرار تسرّ المفكرين وأزهار وثمار تشرح صدور الناظرين ﴾

لما وصلت الى هذا المقام حضر أحد المتعلمين تعلما عاليا وأتمّ علومه فى أوروبا فلما قرأ هذا قال • الأمم اليوم كلها قد ارتقت وكيف يبقى المسلمون فى هذه الأحاديث التى تنافى الطبيعة ولاتستقر معها بحال وفى ظنى أن مثلك حين يكتب هذا يحصل له شكّ فيه وكيف تعاد وتكرّر تلك الأحوال القديمة على مدى الزمان وما فائدتها والناس اليوم اخترعوا المدافع والطيارات وأظهروا أعاجيب ونحن نرجع الى الوراء فان كان عندك علم فقله والا فالأمر مبهم ملتبس والمتعلمون جميعا فى حيرة من أمرهم لامرشد لهم ولا أمين • فقلت له ماذا

الذى انبهم عليك . لعلك شككت فى ظهور جبريل لمريم وانه كلمها وشككت فى أن عيسى ولد من غير أب ولم تدرك هذه فائدة تذكر فى الديانات ورابك ذكر هذه الامور الخارقة للعادة وانه لافائدة منها للناس بل انها ضارة لما تعوّد الناس أن يصدّقوا كل ماخالف العقل وعليه تصبح العقول مملوءة بما لاحقيقة له وتصدّق كل مايخالف المعقول . قال حقا كل ذلك فى نفسى . فقلت أما ظهور الملائكة فأمر أصبح سهلا لأنه اذا ثبت ظهور الأرواح الشريرة والفاضلة لقوم ليسوا أنبياء فظهور الملائكة من باب أولى فلأنقل لك بعض ما كتبته فى كتاب ﴿ الأرواح ﴾ وهاهوذا

﴿ المجلس السابع فى مناجاة الأرواح وانتقامها بالوسوسة وعطفها على الباكين عليها وماشابه ذلك من الحكم والعجائب ﴾

قال شير محمد . حدّثنى من هذا . قلت قال فى الكتاب المذكور صفحة ٨٣ مايأتى

قد يحسن بنا أن نذكر ههنا شرح الأرواح للوساطة البصرية تعريبا عن كتاب ﴿ الوسطاء ﴾ للعلم (ألان كاردك)

(س) أمن الممكن أن تتراءى الأرواح لأحد

(ج) نعم وخاصة وقت النوم والبعض يرونها وقت اليقظة وهذا نادر

(س) هل الأرواح التى تتراءى تختص بطبقة واحدة

(ج) كلا . بل يمكن للروح من أية طبقة كان أن يتراءى للعيان بشرط أن يشاء ذلك ويؤذن له فيه

(س) ماغاية الروح من ظهوره

(ج) تكون هذه الغاية جيدة أورديئة وفقا لطبيعة الروح المتجلى

(س) ماذا يقصد الروح الشرير بظهوره لأحد

(ج) يقصد ازعاجه أوالانتقام منه

(س) وماذا يقصد الروح الصالح بتجليه

(ج) يقصد تعزية من يبكى على فقده واثبات وجوده وبذل النصيحة لمن يحبه أوطلب الاسعاف لنفسه

(س) لم لاتكون رؤية الأرواح عامة مستمرّة . ألاتكون هذه أقوى وسيلة لاقناع المنكرين

(ج) اذا كانت الأرواح تحيط بالانسان من كل جهة فرؤيتها تكون باعثا لتشويش أفكاره وعرقلته فى أعماله وعائقا لحرّيته . وأما المنكرون فلديهم دلائل أخرى واضحة تقنعهم اذا أرادوا ونزعوا عنهم الكبرياء لستم تجهلون أن كثيرا من هؤلاء رأوا بأعينهم ولم يصدّقوا بل نسبوا كل ذلك الى الوهم فلاتقلقوا لهم سوف يذعنون للحقيقة آجلا أوعاجلا

(س) هل رؤية الأرواح فى العالم العلوى أكثر وقوعا منها هنا

(ج) كلما ارتقى الانسان فى الحياة الروحية ازداد سهولة فى مناجاة الأرواح . وأما فى عالمكم السفلى فكثافة الجسد هى العائق الأكبر الذى يحول دون معاينة سكان عالم الغيب

(س) هل من الصواب أن يرتاع الانسان من ظهور الروح له

(ج) على العاقل أن يلاحظ أن الروح أيا كان أقلّ خطرا من الحىّ وانه اذا قصد أذية أحد لايحتاج الى الظهور له بل يكتفى بما يلقى الى فكره من الالهامات الرديئة ليجعله يحيد عن الخير ويتبع الشر

(س) هل يمكن لمن تراءى له روح أن يطارحه الحديث

(ج) نعم بل هذا يجب عمله أى انه يسأله من هو . وماذا يريد . وكيف تمكن مساعدته . فان كان الروح تعبا متألما يرتاح ببوادى هذه المحبة وان كان صالحا يأتى بنصائح مفيدة

(س) كيف يمكن للروح أن يجيب

(ج) يجيب سائله إما بالطريقة اللفظية كالحيّ وإما بطريقة الانتقال الفكرى

(س) هل للأرواح التى تتراءى بالأجنحة أجنحة حقيقية أم هذه صورة رمزية

(ج) ليس للأرواح أجنحة تفتقر اليها لأنها تستطيع الانتقال أينما أرادت . فقط تظهر بالزى الذى يؤثر بالأكثر فى الشخص المتجلية هى له فيظهر بعضها بزيها الاعتيادى وغيرها بالحلل البيضاء والأخرى بالأجنحة كرمز عن الطبقة الروحية المنتمين هم اليها

(س) هل الأرواح التى تتراءى لنا فى الحلم هى أرواح الأشخاص أنفسهم المتجلية هى بهيئتهم

(ج) كثيرا ما يكونون هم أنفسهم

(س) ان الفكر نوع من الاستحضار به تجتذب الأرواح الينا فكيف أن من نفكر فيهم بالأكثر ونتلهف الى لقياهم لايتراؤن لنا فى الحلم فى حين أن أناسا لانفكر فيهم يتراؤن لنا كثيرا

(ج) ليس للأرواح امكان مطلق للظهور لمن تشاء حتى ولافى الحلم فان موانع عديدة غيرمنوطة بارادتها تحول دون ذلك . وأما الأرواح التى تتراءى فى الحلم وأنتم غير مفكرين فيها فلايبعد أن يكون لها بعض التعلق بكم فضلا عن أنه ليس لكم أقلّ إلمام بعلاقات عالم الغيب ولا بكل الأحياء والمعارف الذين لافكر لكم فيهم وقت اليقظة

(س) لماذا تحدث الرؤى غالبا وقت المرض

(ج) لأن العقد المادّية الرابطة النفس بالجسد تتراخى وقت المرض فتزداد حرية الروح بضعف الجسد ويسهل عليها إذ ذاك مناجاة الأرواح

(س) لماذا تحدث الرؤى غالبا وقت الليل

(ج) للسبب ذاته الذى من أجله ترون وقت الليل من النجوم مالاترونه وقت النهار أى ان قوّة النور تمحو الظهورالخفيف ولكن لاتتوهموا أن لليل تأثيرا فى الرؤى . اسألوا الوسطاء الناظرين يخبروكم عما رأوا وقت النهار

(س) أيرى الوسيط الروح وهو فى حالته الطبيعية أم فى حال الانخطاف

(ج) كثيرا مايراه وهو على حالته الطبيعية إلا انه يراه غالبا وهو فى حالة قريبة من الانخطاف تدعى بالنظر الروحى

(س) كيف يجعل الروح نفسه منظورا

(ج) بما يأتيه من التغيرات فى جسمه الروحانى فيظهرعلى أثرها بالهيئة البشرية فى الحلم أوفى اليقظة فى النور أوفى الظلمة

(س) هل يصح القول بأن الروح يجعل نفسه منظورا بتكثيفه جسمه الروحانى

(ج) ليس للتكثيف دخل ههنا بل يقال ذلك بوجه التشبيه فان الروح بقوّة السائل الحيوى الذى يتشربه من الوسيط يجعل جسمه الروحانى على حالة تمكن الناظر من رؤيته

(س) هل لكل الناس قدرة على رؤية الأرواح

(ج) فى الحلم نعم ولكن ليس فى اليقظة

(س) بماذا تقوم خاصية الوساطة البصرية

(ج) تقوم بما للوسيط من السهولة لمزج سوائله بسوائل الروح فلا يكفى للروح أن يرغب فى الظهور حتى يظهر بل يفتقر الى أن يجد فى الشخص المتجلى هو له القابلية لذلك . أما الوساطة البصرية المستمرّة فهى

حالة استثنائية لا يملكها إلا من ندر

(س) هل يمكن للروح أن تتجلى بهيئة مخالفة للهيئة البشرية

(ج) الهيئة البشرية هى الهيئة الأصلية فيستطيع أن يغير ظواهرها ولكن القالب لا يتغير

(س) ألا تظهر الأرواح أحيانا بهيئة شهب

(ج) انها تنشئ شهبا وأنوارا لا ثبات وجودها ولكن ليست الأنوار والشهب هى الأرواح بل لعلع أو صدور من الجسم الروحانى الذى لا يظهر بكماله إلا فى الرؤى البصرية

(س) ماقولك فى النيران الغازية المتصاعدة من المقابر والأماكن المنتنة . هل هى دليل على حضور أنفس الأموات

(ج) اعزاؤها الى أنفس الأموات ضرب من الجهل والغباوة وعلتها الطبيعية أصبحت اليوم أشهر من نار على علم

(س) هل يمكن للأرواح أن تتراءى بهيئة حيوانية

(ج) قد يمكن حدوث ذلك ولا يأتى هذا العمل إلا الأرواح السفلية فيكون ظهورها بهذه الهيئة مؤقتا لأنه ليس من المعقول أن الروح تريد أن تحبس فى جسم حيوانى

ولما أتممت هذا المقال، قال شيرمحمد . ما أوفق هذا لما نص عليه أكابر علماء أمتنا فانهم يقولون إنها لا ترى إلا اذا تشكلت فأما هى على حالها فلا تظهر . والحق أن هذا العلم الحديث شرح للدين الاسلامى . ثم قلت

﴿ الحديث السابع من كتاب المذهب الروحانى ﴾

روت الجمعية العلمية الانكليزية الملقبة (بشركة المباحث الروحية) فى كتابها ﴿أشباح الأحياء﴾ الحادثة الآتية وهاهى ذه

ان كاهنا حدث السن له من العمر تسع عشرة سنة إذ كان مقيما (بأنفركاكسد) من جزائر زيلنده الجديدة اتفق يوما مع أصحاب له على الذهاب الى جزيرة (روابوك) والمكث بها يوما أو يومين قصدا للصيد والقنص . وأجمعوا رأيهم على أن ينهضوا الساعة الرابعة صباحا ليغتنموا فرصة مدّ البحر و يقطعوا الصخرة ووعدوا الكاهن أن يأتوا لايقاظه فى الساعة المعينة فذهب هذا الى الرقاد وهو مصمم النية على مرافقتهم . و بينما هو يصعد فى سلم غرفته سمع صوتا يقول له ﴿لا تذهبن غدا مع هؤلاء﴾ فبهت الكاهن من هذا التنبيه إذ لم يكن حوله أحد . وسأل المتكلم السرى . لماذا . أجابه الصوت وكان كأنه صادر من داخل غرفته ﴿لا ينبغى أن تذهب معهم﴾ واذ كرر عليه السؤال مرة ثانية أتاه الجواب ذاته . فقال الكاهن كيف أتخلص من لجاجتهم وقتما يأتون لايقاظى . أجابه الصوت السرى بصراحة ﴿اقفل بابك بالمفتاح قفلا محكما﴾ فتردّد الكاهن برهة ثم أخذت تحدثه النفس بحاول خطر مبين فتزعزع عزمه ورضخ لصوت التنبيه السرى فأقفل الباب محكما ورقد فى سريره وحضر رفقاؤه الساعة الثالثة من الصباح وقرعوا باب غرفته بعنف واذ لم يحر الكاهن جوابا انصرفوا عنه وهم يقرعونه بلواذع اللسان . وفى الساعة التاسعة إذ قام الكاهن ليتناول الطعام صباحا أخبره صاحب الفندق أن المركب القاصد جزيرة (روابوك) التطم بالصخر فانكسر وغرق كل من فيه . وأن بعضا من جثث الغرقى قذفها البحر على الشاطئ . قال صاحب الرواية لو أنى خالفت صوت التنبيه ورافقت أصحابى الى جزيرة الصيد والقنص لما كنت اليوم من عداد الأحياء

وروى العلامة (مايرس) الحادث الآتى تعريبه

﴿ دخلت السيدة (كايدلى) غرفة الاستحمام و بعد أن خلعت ثيابها سمعت صوتا يقول لها جهارا ﴿انزعى زلاج الباب﴾ فبهتت وفتشت فى كل ناحية فلم تجد مصدرا للصوت فظنت أن ماسمعته وهم وعادت

الى المغطس فما كادت تستقر فيه حتى عاودها الصوت يصيح ثلاثا و بلهجة الحدة ﴿ انزعي زلاج الباب ﴾ فارتاعت السيدة ونهضت من مغطسها ولبث أمر الصوت . ولما عادت الى المغتسل أغمى عليها وسقطت تحت الماء . وانما لحسن حظها كانت قد قبضت على حبل جرس قبل الاغماء فسمعته الخادمة وهرعت الى انقاذها من تحت الماء . فلو كان الباب مزلجا لماتت قبل أن تتمكن الخادمة من نجاتها ﴾ انتهى ما نقلته من كتاب ﴿ الأرواح ﴾

فلما سمع صاحبي ذلك . قال أما الآن فانى لا أنكر ظهور الملائكة ولكنى اقول مافائدة قصص عيسى وكيف يشاع بين الناس ماخالف العلوم المعهودة وفيه مافيه من الضرر . فقلت اعلم أن هذه القصة العيسوية منتشرة بين أمم النصارى والمسلمين وهؤلاء يبلغون ٧٠٠ مليون فهم أكثر من نصف الكرة الأرضية وهم بها جميعا مؤمنون . وانى أيها الذكي أسألك . هل تبيح للمسيحيين مالاتبيحه لنا . وهل ترى أننا مخرّفون وأنت كنت بين قوم فى أوروبا لايقولون انه تخريف . قال ان الطبقة الراقية تقول ذلك ولكن لايعلنون آراءهم و بعضهم أعلنها . قلت ليكن ذلك ولكن هل ترى أن الله يدع أمرا ضارا بالناس عائشا آلاف السنين بينهم ولايزيله فسكت . قلت انك لم تكتف بهذا القول . قال لا . قلت إذن أشرح الموضوع شرحا بقدر الامكان فأقول

اعلم أن النوع الانسانى يخلق مغرما فى أوّل حياته بالامور التى توسع الخيال فاضطر البشر جميعا فى الشرق والغرب أن يؤلفوا كتبا خيالية مقصدها الخيال وتوسعته حتى انهم جعلوا للعفاريت صورا ومثلوها للناس وذكروا لهم الامور المستحيلة وواجهوهم بها . وكلما وجدوا أمرا غريبا أظهروه للناس فالامور المستحيلة والامور الواقعة الغريبة هى التى تفتح خيال الناس وتجعلهم يسمعون مايلقى اليهم فينتج لهما ﴿ أمران ﴾ خرافات وحوادث غريبة

﴿ الكهرباء والقصص ﴾

ومامثل الناس وعقولهم فى أوّل حياتهم إلا كمثل الأجسام الطبيعية فانها ﴿ قسمان ﴾ قسم تهيجه الكهربائية بسرعة و يقال لها أجسام موصلة جيدة للكهربائية كالمعادن من الحديد والنحاس والرصاص وأجسام لاتتهيج بسرعة ولاتوصل الكهربائية كالخشب و يقال لها أجسام موصلة رديئة للكهربائية . فهكذا عقولنا . فمنها سريعة القبول للعلم والحبّ له . ومنها بطيئة القبول لاتحبّ إلا الامور المادّية فهى كالخشب والأولى كالذهب فما مثل هذه القصص إلا كمثل الكهرباء يؤلفها العلماء بصورة تبهر النشء وتفتح الخيال وتجعل الطفل والجاهل متأثرين بما فيها لغرابتها وعجبها كحوادث الزلزلة وحوادث الحروب الكبرى وأحاديث العظماء النابغين الذين يندر وجودهم وهكذا أحاديث الخرافات وهذا أمر لم تتركه أمة من الأمم . فالمتوحشون والمتمدينون جميعا على هذا المنوال . وترى دور التمثيل جميعها فيها الحكايات التى تجمع الفكاهات والأخبار العجيبة التى فيها المفاجآت الغريبة

﴿ القصص وصدقها وكذبها والأحلام ﴾

ومامثل الحكايات الغريبة فى هذا العالم شرقا وغربا إلا كمثل الأحلام يكذب الآلاف منها و يصدق عشرات وآحاد . هكذا التآليف التى ألفها الناس فى الخرافات معلوم للخاص والعام انها خرافات ولكن فائدتها توسعة الخيال للأطفال وقد دخلها أوهام وأكاذيب ستصقلها العلوم الطبيعية والبراهين المنطقية . وأما القليل الذى هو صدق فهو ماجاء فى قصص مريم وعيسى وزكريا . فهذه وأمثالها كما فى قصة أهل الكهف والخضر وأضرابها فهذه من القليل الذى هو صادق والصدق والكذب فى هذا المقام فى غير الكتب السماوية لاقيمة له لأن كل رواية أوقصة خيالية هى فى الحقيقة صادقة من حيث نتائجها اذا وضعت لتقرير خلق أواظهار معنى

شريف وقد وضح أيما وضوح فى كتاب (أميل القرن التاسع عشر) كما تقدّم فى مواضع أخرى من هذا التفسير وجهله الشرقيون مع انه مترجم باللغة العربية فالشاب منكم يذهب الى أوروبا ويرجع لايحمل فى قلبه إلا الضغينة على قومه وعلى دينه وهوجاهل بأطوار أوروبا وبعلومها ولوانك قرأت هذا الكتاب وأمثاله لعرفت الحقيقة ولعرفت أن كتب الخرافات نفسها جعلت لفتح الأذهان فمابالك بالحكايات الغريبة التى وقعت فعلا كمسألة (نابليون) وكالزلازل وكالحرب الكبرى وكالغازات الخانقة وأمثالها . فهذه غرائب لم تكن معروفة من قبل فتجعل الطالب مشتاقا لسماعها كما يشتاق للخرافات

﴿ مفاتيح العلم ﴾

ان النفوس الانسانية كما قلنا منقسمة الى ﴿ قسمين ﴾ قسم ذكىّ وقسم بليد والقسمان معا يحبون الحكايات الخرافية والحكايات الصادقة اذا كانت غريبة وقلنا ان قصص مريم وعيسى وأمثالها من القسم الثانى ولذلك عمّ نصف المسكونة . فأمثال هذا فى القرآن وفى غيره يتعجب منه الأطفال والعجب أوّل حب العلم وهذا العجب هوالامتحان . فكل طالب تحرّك العجب فيه أكثر عند سماع الغرائب فهوالى العلم أقبل وكل طالب ظهرت عليه علامات الكسل أوعدم المبالاة عند سماع المستغربات فهوعن العلم بمعزل ومثل الأوّلين كالمعادن فانها موصلة جيدة للحرارة والكهرباء ومثال الآخرين كالخشب الذى هو موصل ردىء كما تقدّم

وكأنما هذه الحكايات عندالأمم مفاتيح العلوم تقرأ لتفتح أذهان الجهال والصبيان حتى اذا بلغوا أشدّهم قرؤا علوم الطبيعة فصقلت عقولهم وأيقظتهم وعرّفتهم الحقائق . فبالأوّل يقوى الخيال . وبالثانى يقوى العقل . فأما تقوية العقل والخيال نائم فانه يكون أشبه بالغازى بلافرس . فقال صاحبى لقدأجدت فى التعبير ولكنى لا أوافقك على ماتقول . هذه قصة مريم وعيسى وزكريا والخضر مع موسى وأهل الكهف فهؤلاء كلهم قد ذكروا متتابعين ولم نرعلوما طبيعية وأما أنت فيظهر انك تريد أن تلصق علم الطبيعة بكل شئ حتى قصص الأنبياء . ويا ليت شعرى أى مناسبة بين مسألة عيسى وانه ولد من بكر بعلوم الطبيعة أى ان الطالب يقرؤها بعدها ولوكان الله أراد ذلك لقال اذا قرأتم هذا القصص فاقرؤا علوم الطبيعيات . نحن سلمنا لك أن القصص الغريبة التى وقعت فعلا والقصص الخرافية المستغربة تفتح العقول وسلمنا أن قصص القرآن والكتب السماوية فى مثل هذا من الغرائب الواقعة فعلا ولكن لانسلم أن القرآن يقول اقرؤا الطبيعة اذا كبرتم أواذا عقلتم أواذا تعلمتم . فمن أين نأخذ هذا المقال . فقلت يارعاك الله اصغ لما أقول . تأمّل فى السور السابقة من الحجر الى مريم . ألم تر الى سورة الحجر كيف ذكر فيها ماخلقه على الأرض مبتدئا من أدنى الى أعلى كما فعله علماء مذهب النشوء والارتقاء شرقا وغربا وهى سلسلة المواليد ثم ذكرت فى سورة النحل بعكس ما ذكرت فى الحجر ثم ذكرها مرة ثالثة فى النحل أيضا بحيث جعل الانسان مذكورا فى وسط السلسلة . وفى المرّتين الأوليين مرة فى أوّلها ومرة فى آخرها . قال بلى قد عرفت هذا كله فى هذا الكتاب . قلت سر بعد ذلك معى واقرأ سورة الاسراء ففيها تجلت الروح تارة بالاسراء والارتقاء كانه يقول هاأناذا شرحت لكم ارتقاء المواليد فادرسوها . فهكذا العالم الروحى يرتقى درجة بعد درجة وأضرب لكم مثلا بارتقاء عبدى محمد ﷺ الى السموات طبقة بعد طبقة حتى وصل الى مستوى سمع فيه صريف الأقلام أى انه وقف على الحقائق فالأرواح ترتقى فى العلوم والمدارج كما ارتقت الأجسام فى المواليد الثلاثة طبقا عن طبق . أليس كذلك . فقال بلى . ولما قرّرذلك جاء فى نفس السورة وذكر الروح وقال انكم لاتقدرون على معرفة حقيقتها . قال نعم كان ذلك . قلت ألم تر أنه لما جاء الى سورة الكهف أخذ يقصّ علينا قصصهم وقصص الخضر وقصص ذى القرنين ثم فى مريم قصصها وقصص زكريا ويحيى وعيسى وكلها من الغرائب . ولما أخذ يقصها أعطانا قبلها درسا يفهمنا المقصود منها فقال ـ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ـ فهو يقول

ان ماعلى الأرض من زينتها وهو ماشرحناه لك من السلسلة الحيوانية طردا وعكسا فيه عجائب وغرائب أكثر من قصص أهل الكهف التى ذكرت فى القرآن اجابة للسائلين عنها كما ذكرت قصة يوسف اجابة للسائلين عنها وقال فى قصة يوسف ماقاله فى قصة أصحاب الكهف إذ أبان هناك انهم معرضون عما لايتناهى من الآيات فى السموات والأرض لاعن قصة يوسف وحدها التى هى قليلة بالنسبة لآيات الله وهكذا قصة أهل الكهف ليست شيأ بالنسبة لعجائب الله . قال أما هذا فأنا فهمته مما كتبته فى هذا التفسير فى نفس تلك السور . قلت ولكنى أعدته مجملا لتكون صورته حاضرة فى ذهنك . قال حسن . قلت فهل بعد هذا بيان . يقول الله ان هذا القصص فى جانب غرائب السموات والأرض قليلة ثم يقول فى آخر سورة الكهف ـ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر ـ الخ ويقول الخضر فى حديث البخارى ومسلم ان علمى وعلمك ياموسى بالنسبة لعلم الله كما أخذه العصفور من هذا البحر . فهل كان ﷺ يقول هذا الكلام ناقلا عن الخضر بلافائدة ولم ذكرها فى مقام الخضر . ولماذا ذكر الله أن البحر لوكان مدادا لمعلومات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى . وكيف يقول فى سورة طه بعد هذه ـ وقل رب زدنى علما ـ . يذكر فى سورة الكهف فى الحديث الصحيح وفى الآية أن العلم لاحدّ له ثم يأمرنا الله فى طه أن نطلب من الله أن يزيدنا علما أليس الأمر أصبح جليا واضحا . ان الأمر عظيم وأن العلوم يجب أن تدرس وأن قصص مريم وعيسى مثلا انما هى المبادى التى تدرس فى أوّل التعليم للتشويق ثم من عنده استعداد سيرقى معلومات الله التى قال فيها انها لانهاية لها . ثم لماذا يصرّح القرآن بهذا القول وحديث الشيخين بين قصة الخضر وقصة زكريا ويحيى ومريم وعيسى . إن ذلك لم يكن مجرد مصادفات فان الكتب السماوية لها أسرار فى الترتيب وهذا أعجب مايفهم من القرآن وغرائب التربية ونظامها . ألا وان هذا من أعجب مايستخرج من ترتيب السور والآيات . ظهر الحق واستبان السبيل وانبلج اشراق الصبح لذى عينين . فبالعلم فلنفرح ـ هو خير مما يجمعون ـ * قال الشاعر

ففز بعلم تعش حيا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء
وقيمة المرء ماقد كان يحسنه * والجاهلون لأهل العلم أعداء

فهل أقنعك ما أسمعناك . قال لقد شرحت صدرى وأريتنى فى القرآن عجبا ماكنت أتوهم أن أسمعه أوأصدق أنه فى القرآن . ثم ان هذا البيان يبعث الناس على قراءة جميع العلوم . قلت هو مقصود القرآن ولهذا أنزل . فقال ولكن لماذا لم نسمع هذا من العلماء السابقين . قلت أما وجود هذه المعانى بهذا الترتيب فلم أرها ولكن المتقدّمون رحمهم الله أيقظوا الأمّة لمثل هذا ولكن القوم كانوا غافلين وهذا أوان الاستيقاظ وزمان الرفعة والمقام الأعلى لأمّة الاسلام . سيقوم فيهم عظماء مرشدون وعلماء نابهون مجدّدون وسيكونون فى عصر جديد لم يحلم به أهل الأرض وكل آت قريب والله قد أذن بظهور هذه الأمم الاسلامية فى وقت قريب . قال ولكنى لا أزال أطلب فوائد أوسع فى ذكر عيسى وولادته بلاأب . قلت قدّمت لك قولا عاما لجميع القصص فأما قصة عيسى عليه السلام فان غرابتها لها مزية شريفة وعجيبة بديعة وهى درّة يتيمة وفتح صمدانى للعقول الكاملة . قال وماهو . قلت ان الناس فى أوّل أمرهم يتعجبون من صنعة ربهم إذ يخرق لهم القانون المسنون فى أندر من النادر إذ جعل عيسى من غير أب فيحصل الايمان بالله بهذه الحادثة الغريبة . فاذا عجب الشاب وأخذت منه الغرابة كل مأخذ يقال له هل سرّتك هذه فيقول نعم فيأخذ بيده المربون ويقولون تعال وانظر وتعجب مما هو أكثر غرابة وعجبا فى الطبيعة . فهناك غرابة للعموم وهنا غرابة للخصوص . فيقولون له انظر الزهر كيف يلقح بصفات شتى وأحوال متباينة والأصل لم يتغير . فهذا من المقام الذى نحن فيه أى مقام الولادة العجيبة والتناسل المدهش

(١) فيقولون انظر السنط والقار والصفصاف وأصنافا أخرى . انظر كيف ألقحتها الرياح الهابات فحملت اللقاح من الأزهار المذكرة الى الأزهار المؤنثة فحملت وأخرجت ثمرا . فهنا لم يقصد الذكر الأنثى وليس لأحدهما شهوة ولاحياة معروفة ولازواج ولاعشق ولاغرام . بل هناك رياح هبت فأخذت من هذا وأعطت ذلك والرياح لاعقل لها ولاعلم

(٢) انظر النحل والحشرات المغنيات الطائفات التي شرحناها في هذا الكتاب مرارا كيف زين لها الزهر وكيف طابت رائحته وكيف حملت طلع الذكور ووضعته على الاناث من غير علم الأب ولاعلم الأم فهذا أغرب ألف مرة من أمر عيسى لأن عيسى له أم تعقل وحملت وهي تفهم وولدت وأرضعت وظهر لها عند الحمل شاب هيج الشهوة فيها . فأما هنا فلم يكن شهوة ولاعرف الذكر الأنثى بل لاحياة ظاهرة واضحة لهما ومع ذلك نرى الحمل والولادة

(٣) أذكرك بما مضى في سورة الحجر كيف تدخل الذبابة تلك الزهرة التي ضاق بابها لتستدفئ من برد الجو ثم تريد أن تخرج فتمنعها الشعرات الواقفات على ذلك الباب الضيق حتى اذا وقع الطلع خرجت الذبابة فلم تقف في طريقها تلك الشعرات فتطلع في الجو فيلسعها البرد فتستدفئ في زهرة أخرى من نفس النوع فيحصل مثل ذلك ويقع الطلع الذي عليها هناك وهكذا . أليس هذا أعجب ألف مرة من مسألة عيسى فكيف جاءت الذبابة . وكيف آلمها البرد . وكيف أقفلت عليها الشعرات عند الحاجة . وكيف فتحت لها عند تمام العمل وكيف يؤلمها البرد ويحركها الى الدخول في زهرة أخرى . وكيف لاتجد لها ماوى إلا هذا النوع من الزهر بعينه بحيث لاتخطئ ولايضيع ذلك اللقاح . وكيف تدخل فيه ويحصل العمل مرة أخرى . فياليت شعري أفلاتكون هذه كلها من أغرب الغرائب وأبدع العجائب وأبهر الحكم وأعظم النعم فارجع اليه في سورة الحجر

أفليس ذلك أعجب وأعجب من أمر عيسى وأمه وهو من قوله تعالى ـ وكأين من آية في السموات والأرض ـ الخ وقوله ـ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم ـ الخ وقوله ـ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي ـ وقوله ـ وقل رب زدني علما ـ وقول الخضر ﴿ ماعلمي وعلمك في جانب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر من هذا البحر ﴾

(٤) ارجع الى سورة (الحجر) فانظر ماذكرناه هناك من نور الزهر واستيقاظه صباحا تارة ومساء أخرى وكيف كان النحل والحشرات الخاصة بذلك الزهر تأتي اليه في تلك المواعيد المقررة المحددة . انظر هناك وتفكر في قصة أهل الكهف الذين ناموا زمانا طويلا ثم استيقظوا وقل لي ألست ترى الغرابة في نوم النبات واستيقاظه أشد والعجائب فيه أكثر . قل لي . ألست ترى معي أن النبات ماكان أحد في الناس يعلم أن له حالا كهذه فظهر أن له احساسا وشعورا فهو يشعر بالنور فيمتد اليه اذا كان في ظلمة ويحس بالبرد والرطوبة فيمد عروقه اليها ويتجافى عن المواضع الجافة اليابسة فلايمد عروقه اليها ويرى الحبل الممدود بين حائطين فلايحيد عنه . وهكذا يرى فيه نوع من الحياة . فترى بعضه ينقبض اذا لمسته كالسنط الحساس . وقد وجدوا من أنواع النبات الذي له احساس ظاهر أكثر من مائة نوع وهو مفترس كما تقدم في سورة (الرعد) فهناك ترى صور ذلك النبات وشرحه . فانظر الى تفنن واسع مع الحكمة

فاذا رأيت قدرة الله واضحة في ولادة عيسى من غير أب تراها هنا قد أبدت أشكالا من الانتاج تدل على حكمة باهرة فهي أشكال مختلفة تدل على القدرة والاحكام فيها جميعها دلالة على الحكمة . فائن رأى الناس في خرق النواميس الطبيعية قدرة الله ظاهرة فهاهم أولاء شاهدوا في تناسل النبات ضروبا من الاشكال والابداع أجل وأعلى من خرق النواميس المجرد فهنا تنوعت النواميس تنوعا مقرونا بالاحكام . فاذا قال أهل مكة أزل يامحمد جبال مكة فليس فيه إلا القدرة على الهدم ولكن أين الابداع . أما هنا فقد نوعت النواميس

تنويها دلالة على الاطلاق ومع هذا الاطلاق تجد الاحكام والنظام

﴿ كيف تقرأ سورة مريم والكهف فى الزهر . وكيف ذكر الله النخلة رمزا لذلك ﴾

فانظر فى الزهرات تجد عجائب الانتاج وغرائب العلم الذى ليس بمحدود . فههنا تبدى عجائب أصحاب الكهف وغرائب عيسى ومريم والعلوم الغزيرة التى أشارلها الخضرأن علوم ربك لانهاية لها وابداعه لاحدّ له ــ قل لوكان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولوجئنا بمثله مددا ــ

ويشيرالى مابينته هنا قوله تعالى ــ وهزّى اليك بجذع النخلة ــ الخ ان النخلة امتازذكرها عن أنثاها فجاء اللقاح بواسطة الهواء من الذكران للاناث وهذه الخاصية امتاز بها النخل . فأما بقية النباتات فانك تجد منها ماذكره وأنثاه فى زهرة واحدة كالقطن وماهما فى زهرتين فى نبات واحد كالقرع والذكر إما أن يكون فى أعلى والأنثى أسفل كالذرة المعروفة فى بلادنا المصرية وقد شرحناه فى سورة الفاتحة واما أن يكون الأمر بالعكس فالذكر أسفل من الأنثى ولكن الحكمة الالهية حكمت على الأنثى أنها فى زمن الالقاح يتدلى غصنها تحت الآخر فيحصل الالقاح وذلك فى الخروع . فانظركيف امتاز النخل عن بقية النبات بتباعد الذكر عن أنثاه وجاء اللقح بالرياح كما امتازت مريم بالولادة من غير زوج وهذه حكمة رمزية . وهنا ﴿ ثلاث جواهر ﴾

﴿ الجوهرة الأولى فى قوله تعالى ــ ذلك عيسى ابن مريم ــ الخ ﴾

عيسى ابن مريم ليس له أب وهذه قضية العالم أجمعه . يؤمن بها المسلم والنصرانى وقد كانت قبل ذلك الأمم قد خلت كلها كانت مؤمنة بعظيم ولد من عذراء كما علمت فيما تقدّم فى آخر سورة المائدة . فياليت شعرى لم عمت هذه الفكرة . ولم أمر الناس أن يصدّقوا بما لانظيرله فى هذه الدنيا . قدأصبح من البديهى أن لا ولد إلا بأبوين . تساوى فى ذلك الطير فى جوّه والسمك فى بحره والضبّ فى جحره والأسد فى عرينه . كلها تساوت فى هذه القضية . فلم يفاجأ هذا الانسان المسكين ويمتحن عقله ويقال له اعتقد شيأ لايقبله طبعك وينبو عنه سمعك ولايألفه فهمك وما فائدة هذا التكليف وفى الناس من لايكاد يخطرلهم ما لاتقبله العادات ولاتجيزه المألوفات . لقد حار هذا الانسان فى العلم وفى الدين . فما العمل إذن فى هذه العقيدة

أقول . اعلم أن الله عزّوجل قبل أن يخلق هذا العالم علم أن هذا الانسان تسيطر عليه عاداته ويختم على سمعه وقلبه وتجعل المألوفات على بصره غشاوة . هذا الانسان يحيط به الليل والنهار والشمس والقمر والكواكب والنبات والحيوان والبحار فهو بهذا كله مأخوذ لايدرى ماالحياة إلا مااعتاده ولا اللذة إلا ماألفه يرى كل طيروكل دابة وكل شجر لابد فيه من ذكر وأنثى . ويرى أن لا حياة إلا الحياة الدنيا وحياة الأجسام وهذا معناه الحبس والنوم العميق فقال له الله . كلا. إن هناك حياة فى عالم لاتراه . واذا ظننت أن المألوفات لك واجبة محتمة فهاك هدم هذه القواعد . أنت ترى أن الحيوان لابد فيه من ذكر وأنثى منفصلين وأنت لوتأمّلت لوجدت من النبات من يكون الذكر والأنثى فى زهرة واحدة بل فى الحيوان ماهوكذلك بل نفس الانسان . هذا عيسى ابن مريم ولد من أنثى وقد أنزلت عليها نوعا من الذكورة وهوالذى تمثل لها بشرا سويا . فهذه أنثى تمثل لها ذكر فحملت فولدت . فهنا أنثى وهنا ذكر لايرى . إذن القاعدة مطردة قال تعالى ــ ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ــ فها نحن تذكرنا فوجدنا القاعدة مطردة حتى ان مريم صاحبها ذكر من عالم المثال ولولا هذا لم تلد ولم تحمل وهذه المسألة فتح باب لعلم عظيم وحكمة كبرى ذلك أن هناك نوعا من الحيوان أكثر المملكة الحيوانية عددا تقوم الأنثى فيه بالعملين معا عمل الذكور وعمل الاناث ولايدرى إلا الله كيف حملت بلا ذكر . هل تمثلت ذكرا كمريم . أم فيها قوّة الاناث وقوّة الذكور وعلى كل فهذه المسألة من أعجب العلم وأبدع الحكمة والافكيف نرى أنثى تلد أمثالها بلاذكر . أليس ذكر مسألة مريم وعيسى فتحا لباب العلم على مصراعيه بل باب الرحمة وباب الحكمة وباب الرقى العلمى . حيوان

بحرى أرسله الله لأهل الأرض فأكل منه سكان شواطئ البحار كأهل الاسكندرية وسكان شواطئ البحار فى العالم كله كلهم يأكلون هـذا الحيوان ولايعلمون أن مسألة مريم وابنها نزلت لتذكر الناس بالحكمة والعلم وكأن الله يقول . أيها الناس . ليس كل ماتألفونه هو العلم . كلا . فالعلم والرحمة لاحدّ لهما . فأنا كما أخلق من أبوين أخلق من والد واحـد يقوم مقام الوالدين . ولما وجدتكم غافلين أنزلت عليكم فى الكتاب أن عيسى من مريم وليس له أب . ذلك كله لتدرسوا نظامى

ولما وصلت الى هذا المقام حضر صديق العالم وأخذ يحاورنى فقال . ماهذا الحيوان الذى أخذت تطنب فى وصفه وتقول ان عيسى ابن مريم وأمه يذكرانا به . فقلت هذا الحيوان مخلوق فى كل بحر وكل نهر ولقد كنت وأنا فى قريتنا بمديرية الشرقية أعثر على هـذا الحيوان وأنا أستحم فى نهر أبى الأخضر ولا أعقل له معنى . ومن عجب أن جثمان هذا الحيوان وغطاءه كان الناس يتخذونه سراجا لمنازلهم بحيث يضعون الزيت فى أحد غطاءى ذلك الحيوان و يضعون فى ذلك الزيت فتيلا و يوقدونه سراجا . فاذا رأيت ثم رأيت مسارج ذات زيت موقدات وذلك بفضل هذا الحيوان . ومنه أيضا يكون ﴿ الودع ﴾ الذى يتخذه الرقاصون من السودانيين على أوساطهم ليكون له صوت يعجب بعض الناس . وهكذا من ذلك الحيوان يكون الدرّ الذى هو أغلى الجواهر وأعلاها قيمة وأنفسها وأبدعها جمالا وأبهجها حلية ـ فتبارك الله أحسن الخالقين ـ فقال صاحبى إذن هذا الحيوان هو

﴿ المحار ﴾

فقلت نعم . فقال صفه لى . فقلت هذا (المحار) مما يشبهه نوع يسميه أهل الاسكندرية (أم الخلول) فهم يصنعونه بالتوابل والأفاويه والبهارات و يأكلونه وأيضا يأكلون شيأ يقال له (بلح البحر) يطبخونه مع الارز والناس يصطادونه بشباك خاصـة و بعض أهل أوروبا يربونه فى أماكن مخصوصة من البحر كما يربى المصريون (الفراريج) المستخرجة من الدجاج

﴿ وصف هذا الحيوان ملخصا من كتاب أستاذنا العلامة المرحوم على مبارك باشا فى كتابه علم الدين ﴾

وصفه بأنه حيوان لحمه بارد رطب مخاطى ليس له عظام من الداخل وقد جعل الله له وقاية من الخارج وهى (المحارة) أو (الصدفة) وتكون تارة على هيئة شكل مخروط كهيئة البرج وتارة تكون شكلا مستديرا كالدرقة وتارة كدرع الحرب وتارة تكون قطعة واحـدة كالحلزون وتارة تكون قطعتين فأكثر وتسمى (الميديا) وقد انقسمت الى ﴿ ثلاث رتب أصلية ﴾ ذات الصدفة وذات الصدفتين وكثيرة الصدف

والميديا المذكورة تسكن فى قاع البحار فتكون فى مواضع على صورة الجزائر والتلال وترى الواحدة منها فلقتين احداهما كبيرة وهى التى يلتصق بها الباطن وهى محدّبة ذات سمك وهى السفلى والثانية هى العليا وهى أصغر وأرق سمكا وأقلّ تحدّبا والحيوان فى داخلها وهـذا الحيوان فيه نقرة بيضاء فيها عصب أبيض اللون متصل بالحيوان و به يكون تحريكه وفى دائر كل فلقة من الفلقتين زوائد فيها شعور يمدّها الحيوان و يقبضها باختياره يقتنص بها المواد الجيرية فتكون قوته وللحيوان فم ظاهر من جهة انفتاح المحارة له أربع زوائد بها يتناول الطعام وله معدة أشبه بشكل الكمثرى وأمعاء وكبد وقلب له أذين و بطين مثل سائر الحيوان ومن البطين يخرج عرق يتفرّع ﴿ ثلاثة فروع ﴾ فرع يوصـل الدم الى أعلى وفرع يوصله الى الكبد وفرع يوجه السائل الى سائر الجسد ودم هذا الحيوان ليس أحمر بل هو شفاف عديم اللون . إذن هـذا الحيوان له دورة دموية وله خياشيم كالسمك يستخرج بها الهواء الذائب فى الماء

ومن غريب خواص هذا الحيوان أنه يجتمع فى الواحد منه أعضاء التناسل الذكورية والانوثية فيكون الواحـد لنسله أبا وأما معا ونسله فى أوّل أطواره بيض مصفرّ اللون كثير العدد الى الغاية حتى ان أهـل الفنّ

توصلوا

توصلوا بكثرة البحث ودقة التحقيق الى أن قدّروا للحيوان الواحد منه نحو ألفي ألف بيضة ومدّة تربية هذا الحيوان فى البيضة كتربية الدجاج فى البيض الى أن يتم تخلق الحيوان ويستقل بنفسه ثلاثة أشهر من بؤنة الى آخر مسرى وفى هذه المدة يكون البيض فى طيات الغشاء المتقدّم ذكره مغمورا بمادّة لزجة تفرزها الأم فيتغذى منها ويكون فى طيات هذا الغشاء بمنزلة البيض تحت الدجاجة ترقد عليه وتحضنه وحينئذ يكون كل من البيض وهذه المادّة فى قوام القشطة ولاترى أفراده إذ ذاك بالعين لفرط صغره ودقته وكثرة تراكمه على بعضه ويكون فى أوّل أطواره مصفرا كما مرّ ثم يتغير بعد ذلك فيسمر ثم يكون آخر الأمر بنفسجى اللون وعند ذلك يتخلق فيه الحيوان ويخرج منه وهو فى طيات الغشاء المذكور كما ذكر وعند ذلك تقذفه الأم فى الماء متتابعا متعاقبا على صورة خيط أبيض يشاهد بالبصر فيخرج من كل محارة خيط ويتكوّن من المجموع طبقة عظيمة الاتساع بالنسبة لاتساع الصخور الموجود عليها المحار يتميز لونها عن لون الماء وحينئذ يكون لها منظر عجيب ولكن لايلتفت اليها إلا المشتغلون بأمرها المعانون لتربيتها . ومن الغريب أن هذا الحيوان الذى تنقضى مدّة حياته فى حالة السكون وعدم الحركة يكون عند ولادته وانفصاله عن أصله محاطا بمادّة تتكوّن منها محارته التى جعلها الله سبحانه وقاية له ويكون إذ ذاك فى غاية الصغر والدقة بحيث لايتميز أفراده إلا بالنظارة المعظمة ويكون له حينئذ شعور بها يسبح فى الماء ويسرح حول أصله ويفزع اليه متى دهمته أى حادثة تهوله فاذا كبر الحيوان زالت عنه هذه الشعور التى هى له كالأرجل فيتعلق ببعض الصخور والأحجار فيستقرّ بمكانه ويثبت فيه ولايتحوّل عنه وحجمه إذ ذاك لايكون إلا قدر خمس ملليمتر واحد أى بقدر جزء واحد من خمسة آلاف جزء من المتر وبعد ثمانية أشهر يصل طوله الى نحو ثمانية ملليمترات أوعشرة ملليمترات وبعد سنة يكون قدر خمسة سنتيمترات ولايتم صلاحه ويكمل الانتفاع به ويباع فى الأسواق إلا اذا بلغ ثلاث سنين وهذا هو المعتبر بين أرباب المعامل فانهم لايخرجونه منها إلا اذا بلغ هذا العمر

وعالم (المحار) عالم كبير وعدده كثير حتى قيل انه أكثر المملكة الحيوانية عددا . ومن هذا المحار نوع يسمى (الودع) ثم ان اللؤلؤ يتكوّن فى داخل بعض المحار ولقد تقدّم الكلام عليه فى سورة الفاتحة

فاعجب للعلم والحكمة وتأمّل كيف كانت مسألة انفصال الذكور من الاناث ليست واجبة فى التناسل وكيف كان ذكر عيسى ابن مريم وانه لا أب له أصبحت تملأ البحار كلها وأن التناسل الذى ليس له أب معروف أكثر وأغزر وأوفى عددا من التناسل المتوقف على أبوين . واذا كنا نرى (المحارة) تلد ألفى ألف فى مدّة حياتها وأكثر الوالدات تعدّ ذرّيتها بالآحاد أو العشرات . فاذن مسألة عيسى ابن مريم توجب البحث فى عالم الحيوان وتفتح للناس باب العلم والمعرفة ويقولون ان الله لاحدّ لعلمه ولاحصر لقدرته ولانهاية لابداعه . ذلك مايفهم من أمر عيسى ابن مريم والحمد لله رب العالمين

﴿ الجوهرة الثانية فى عجائب العلم الحديث ﴾

عجيبة ان صحت دلت على مانحن فيه من هذه السورة وكشفت اللثام عما تقدّم فى أوّل سورة النساء من أن آدم وحوّاء وسائر الحيوان خلقت أوّل أمرها فى خط الاستواء إذ كانت الأحوال هناك مناسبة لها ثم تناسلت تلك الحيوانات وانتشرت . فهذه العجيبة التى سأذكرها لك ان صحت لم تزدعن ذلك التأييد وتبين لنا عجائب الخلق . ذلك أنه فى يوم السبت ٣٠ اكتوبر ذكرت انتشر خبر فى جرائد الشرق والغرب وهذا ملخصه

﴿ توليد الحياة بطريقة كيمائية ﴾

ذكرت الصحف أن شابا يدعى المستر (مازور) وفق بعد جهاد خمس سنوات الى توليد الحياة بطريقة صناعية فى معمله الكيميائى . ولاحاجة الى القول بأن عملا كهذا اذا صح سيحدث أكبر انقلاب فى تاريخ البشر

قضى المستر (مازور) سنوات عدّة فى معمله يجدّ ويشتغل ويقوم باجراء التجارب العلمية حتى وفق أخيرا

الى جعل (القوقعة) بطريقة كيميائية غريبة وكان قد وفق فى سنة ١٩٢١ حصول الى أوّل خلية من خلايا الحياة الصناعية وذلك باتجاهه طرقا غير الطرق العلمية التى تقدّمه فيها العلماء ولعلّ تنكبه عن الطرق العلمية هو الذى أفضى به الى تلك النتيجة الباهرة . وخلاصة مافعله أنه أخذ مجموعة من بيض (القوقعة) الطبيعية ومزجها ببلورات الكالسيوم حتى تكوّن منها مزيج ثخين سائل . و بعد ثلاثة أسابيع وجد فى المزيج عدّة قوقعات طبيعية حية . وقد حاول تفريخ البلورات عدّة أسابيع فلما كملت عملية التفريخ مزج الكل بالزلال ثم حقن تربة أصيص من أصص الأزهار بذلك المزيج و بعد ثلاثة أشهر امتلأ الأصيص بالقوقعات وأعاد هذه التجربة مرارا فأسفرت كل مرة عن النجاح التام . وجاء مرة بثمانية اصص فى جميعها تربة متماثلة وأزهار متماثلة فحقن أربعة من تلك الاصص من المزيج المذكور وأهمل الأربعة الباقية ثم عرّض الثمانية الاصص لنور الشمس وعاملها كلها معاملة واحدة . و بعد ثلاثة أشهر ظهرت قوقعات كثيرة فى الاصص المحقونة بالمزيج أما الاصص الأخرى فلم يظهر فيها شئ على الاطلاق

و يعتقد المستر (مازور) أن هذه التجارب قد أثبتت بوجه قاطع صحة نظرية التولد الذاتى وهى النظرية التى تذهب الى أن الحياة يمكن أن تنشأ من الأرض نشوأ ذاتيا أى من تلقاء نفسها وذلك باتحاد الخلايا وانضمامها معا فى أحوال معينة من دون أن يكون ثمة ضرورة لاجتماع الأبوين . وهذه النظرية فى عرف المستر (مازور) تؤيد ماجاء فى الكتب المنزلة بشأن عملية الخلق وتناقض نظرية النشوء والارتقاء التى جاء بها (دارون)

وفى اعتقاده أيضا أن رواية الكتب المنزلة عن الخلق أكثر انطباقا على المبادئ العلمية وأكثر تأييدا لها من نظرية النشوء والارتقاء بشرط تفسير تلك الرواية بأنها تعنى التولد الذاتى لأن البراهين قوية جدا على أن الحياة فى جميع مظاهرها الحيوانية والنباتات نشأت بطريقة ذلك التولد . ولو أمكننا أن نوجد البيئة أو الأحوال التى ظهرت فيها الأنواع منذ القدم لأمكننا اليوم أن نوجد تلك الأنواع عينها بطريقة صناعية

هذا مايدعيه المستر (مازور) على أنه يقول « انه وان يكن قد تمكن من ايجاد نوع من الأنواع فهو ليس بمبدع أوخالق وانما هو آلة لاتمام الخلق أى ان عملية الخلق من وظائف الطبيعة وهو لم يفعل شيأ سوى مزج العناصر اللازمة لتولد الحياة . على أنه وان يكن الانسان قد تمكن من حصول الحياة فانه عاجز كل العجز عن خلق الروح أوالعقل وهما يختلفان عن الحياة كل الاختلاف وليس ذلك فقط بل ان الانسان يجهل كنه الروح أوالنفس ولايعلم العلاقة بين الروح والمادّة »

ومما يجدر بالذكر أن المستر (مازور) لايعمل فى الخفاء بل هو يشرح تجاربه لكل من يقصده و يقول انه قد وفق الى وجود خلايا صناعية تشبه الخميرة بالطريقة الآتية

ذلك انه أذاب جراما واحدا من الغراء الاعتيادى فى أربعة (أونسات) من الماء المقطر وغلى المزيج ثم أضاف اليه قليلا من حمض التنيك وغلى الجميع مدّة عشر دقائق ثم رفعه عن النار لكى يبرد فنشأت منه خلايا صناعية غير متحركة فلكى يجعلها تتحرك أخذ نقطة من المزيج الذى فيه الخلايا ووضعها على قطعة من الزجاج وأضاف اليها نقطة من المادّة المعروفة (بمرارة الثور) أو (صفراء الثور) وهى مادّة تستعمل فى تحضير مستولدات بكتيرية ومزجها بالسائل الذى على الزجاجة فلم تمض على ذلك ثلاث دقائق حتى تغير لون الخلايا من أسمر قاتم الى أسمر فاتح وأصبحت شفافة وكوّنت نواة . ولاشك أن العلماء سيهتمون بمباحث المستر (مازور) المدهشة و بما وصل اليه من طرق ابتكار الحياة . فاذا صحت التفاصيل التى أوردتها الصحف فسيخلد اسم هذا الشاب الكيميائى الذى وفق الى أعظم عمل يخلد الذكر ألا وهو خلق الحياة . ولكن لابد هنا من اعادة التنبيه بأن بين خلق الحياة وخلق الروح أوالنفس بونا شاسعا فى نظر العلم وان التمكن من خلق الأوّل لايعنى التمكن من خلق الثانى . وعلى كل فان عمل المستر (مازور) اذا صحّ ماقيل عنه هو أعظم عمل

علمى

علمى قام به الانسان منذ بدء العالم وسيحدث أكبر انقلاب عرفه التاريخ . ولا يستطيع أحد أن ينبئ بما قد يفضى اليه من النتائج المدهشة اهـ

هذا ملخص ماجاء فى الجرائد والمجلات فى العالم ونقلته جريدة (السياسة) الأسبوعية . وأقول لك إنّ هذا إن صحّ وثبت فرضا فلم يصنع شيأ إلا ماقلته لك وهوماجاء فى أوّل سورة (النساء) من أن بعض علماء أوروبا يقولون ان الحيوان اشتق أعلاه من أسفله كالبرى من البحرى و بعضهم كذّب هذا وهم فى حيرة فأما علماؤنا السابقون فقدقالوا ان كل حيوان قد خلق أوّلا فى خط الاستواء إذكانت الأحوال موافقة فانظره هنالك . فهذا الانجليزى ان صحّ قوله لم يأت بشئ إلا تأييد نظرية قدمائنا فى أن الحيوانات خلقت فى أحوال ملائمة وهذه الأحوال قد فات وقتها . فهذا الكيمائى قد ركب تركيبا يناسب حالا من تلك الأحوال وليس له من الأمر شئ كما انه ليس للفلاح فى نموّ قمحه شئ فما هو إلا أن وضع البذور وسوّى الأرض والله تولى الانبات علم الله أن أمّة الاسلام سيمرّ عليها زمان ترى فيه نتائج هذه القصة ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ ترى الولد بلا أب كمسألة عيسى فأنزلها فى القرآن وهذا أعظم تو بيخ للمسلمين أن يظهر سرّ ظهور المسيح على يد المسيحيين مع اننا ـ خير أمة أخرجت للناس ـ فكان علينا العلم وكشفه . فماذا حصل . ذلك أن الله قيض الاستاذ (لوب) أكبر عالم فى علم الحياة وقد ولد فى (الالزاس) سنة ١٨٥٩ وتعلم فى جامعة (ستراسبرج) ونال الدبلوم فى الطب سنة ١٨٤٨ وصار مدرسا لعلم (البيولوجيا) فى كلية (برين مور) بأمريكا ثم جعل بجامعة (شيكاغو) أستاذا للفسيولوجيا والبيولوجيا ثم فى جامعة (كافورنيا) سنة ١٩٠٣

هذا الاستاذ هوالذى بحث هذا المبحث العجيب . فبحث حيوانا بحريا نسميه فى مصر (ترسا) نراه فى شواطئ البحر الأبيض المتوسط وقد ربته (مصلحة الأسماك) بالاسكندرية فى البحر وهو كروى له شوك صلب على جميع محيطه . وهذا الحيوان بيض ومتى وقع هذا البيض واتفق أن أصابه لقاح ممزوج بماء البحر فانه يفقس وذلك على مقتضى الناموس المعروف ولكنه هو أقام بضع سنين يبحث حتى تمكن من جعل بيض حيوان يسمى (التوتيا) ينمو بغير تلقيح ولازال يرتقى حتى جعل ذلك أيضا فى نفس الضفادع وهذه التجارب كانت فى خيمته فى ساحل (كاليفورنيا) فعرف مقدار الملح فى الماء وكم بيضة تنمو من عدد من البيض وما هى العوامل الطبيعية والكيماوية . فهذا الاستاذ أثبت أن الحيوان أمكن أن يكون له أم ولا أب له بفضل أملاح و بعض أعمال طبيعية وكيمائية . هذا هو الكشف فى القرن العشرين فتبين أن قول الله تعالى ـ إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ـ الخ قد ظهر سرّه الآن . فآدم ظهر سرّه فى الفصل السابق وعيسى ظهر سرّه فى هذا الفصل . إن هذا من عجائب القرآن

﴿ سرّ الوجود . الكهرباء والأرواح ﴾

إن السرّ فى هذا الوجود يستبين لنا شيأ فشيأ . أتدرى ماذا أقول لك الآن . أقول ان الكهرباء لايخلو منها مكان فهى فى الأرض والهواء والحيوان والنبات ولكنها لن تظهر لأحد إلا بالتفاعل المذكور فى سورة (الأنعام) وغيرها فتى وضعنا النحاس مع التوتيا مثلا وسائل ملحى ظهرت الكهرباء قليلة أوكثيرة على حسب التفاعل . وهذه الكهرباء تكون نورا فى منازلنا ونارا طابخة لطعامنا وحركة مديرة لآلاتنا فى الصناعات المختلفة فتنوّعت الكهرباء بتنوّع الآلات المعدّة لمنافع مختلفة . فهى مضيئة فى حجراتنا محركة فى آلاتنا طابخة لطعامنا بالحرارة . فهى كهرباء وهى ضوء وهى نار وهى حركات . تعدّدت الأفعال وأسماؤها والعنصر واحد . أليس هذا عجيبا . هذه هى الكهرباء

أما عالم الروح فبالقياس عليها نقول هى المعبرعنه فى الفلسفة القديمة بالنفس الكلية فهى تحيط بالعوالم أشدّ من احاطة الكهرباء ولاتظهر إلا فى أجسام تقبلها بالتفاعل مثل ماحصل فى الكهرباء سواء بسواء . الروح الكلى

محيط بنا و بكرتنا ولكن لايظهر أثره إلا اذا حصل التفاعل فى أجسام تستعدّ لقبوله كما فى الكهرباء والاستعداد بالقبول إما قليل كما فى النبات واما كثير كما فى الحيوان . الكهرباء أنتجت سالبا وموجبا النبات والحيوان أنتجا ذكرا وأنثى كالموجب والسالب ففى كل منهما زوجان . ومتى استعدّ النبات والحيوان لقبول الفيض من تلك النفس الكلية أخذت أعضاء الحيوان كلها ما يناسبها منه . فكما قلنا فى الكهرباء نور وحرارة وحركة باستعداد القوابل لها . هكذا نقول هنا فى فيض النفس الكلية على كل حىّ . إن ذلك الفيض إن ألقى الى نبات أعطاه النماء والتكاثر أو الى حيوان أعطاه فوق ذلك الحسّ والحركة والادراك فهو فى كل حال يعطى ما يناسبه وهكذا نقول الفيض فى النبات به امتدّ العرق فى الأرض وتعرّض الورق للنور وأزهر الشجر وأثمر الخ وكل ذلك بحسب القوابل وهو فى الحيوان يعطى القلب نبضا والكبد طبخا للدم والمعدة هضما والدماغ فكرا والعين نظرا والأذن سمعا واللسان ذوقا وذلك بحسب القوابل كما قلنا فى الكهرباء نورا فى حجراتنا ونارا لطهى طعامنا وحركة لآلاتنا . فكما اختصت الحركات بالآلات والنور بالحجرات باستعداد خاص هكذا اختصت الأذن بالسمع والعين بالبصر والمعدة بالهضم وهكذا . فنتج من ذلك أن الكهرباء تظهر عند التفاعل المناسب لها وقوّة الحياة تظهر عند التفاعل المناسب لها . وكما تختلف الكهرباء قوّة وضعفا على حسب منبعها . هكذا تختلف الحياة قوّة وضعفا الخ فمتى حصل القابل للشئ فليس الله بمانع عنه ما يناسبه و بهذا وصلنا الى المقصود

تفاعلت النطفتان فى الرحم فألقيت اليهما الروح ومتى حصل التفاعل بأى وسيلة كانت فلابد من حصول الروح لأن الروح سارية فى العوالم سريان الكهرباء فمتى ظهرت القوابل لم تمنع عما يناسبها فاذا وضع بيض الضفدعة فى وسط يناسب الالقاح بحيث يقوم التركيب فيه مقام إلقاح الذكر فلابد من حصول الحياة لأن الله ليس عليه حاكم يحكمه وما إلقاح الذكور للاناث إلا طريقة من الطرق التى لسنا نعرفها ومتى قام مقامها سبب آخر فلابد من الحياة كما اننا كنا نركب الدواب وقد علمنا اليوم البخار والكهرباء فاستعملناهما وحملانا بدل الدواب . هكذا طريق التناسل ليس قاصرا على مانعلم فقد خرق الله العادة فى عيسى ليقول . أيها الناس إن نواميس أرضكم جزء من كل والا فعملى أوسع مما تعلمون فادرسوا هذا الوجود حتى تخرقوا الحجب العقلية — ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون — انتهت الجوهرة الثانية

﴿ الجوهرة الثالثة فى قوله تعالى — قال إنى عبد الله آتانى الكتاب — الى قوله — فاختلف الأحزاب من بينهم — الخ ﴾

اللهم إنى أحمدك على التوفيق وعلى نعمة العلم . اللهم ان هذا النوع الانسانى كله إلا النادر منهم نوع مقلد يتبع آخرهم أوّلهم . اللهم انك أنت قد أنزلت ديانات فى أرضك لتهدى الأمم الانسانية كما أنزلت فى أصناف الحشرات وذوات الأربع والطيور قوى وغرائز بها انتظمت ممالكها وعاشت أزواجها وحفظت أنواعها وربت ذرّيتها . فهذه الغرائز الحيوانية قد قامت بأمرك ووحيك فتمّ بها النظام . أما هذه الديانات التى أنزلتها فى أرضك وفرّقتها فى شعوبها وقبائلها فى أزمانها المختلفات فانها قد اعتراها ما يعترى الموادّ الأرضية والمركبات العنصرية من التغير والتبدل والمسخ والنسخ والبلى . حكمت على دياناتنا حكمك على أجسامنا ولم تحكم على غرائز الحيوان ما حكمته على دياناتنا . أبقيت غرائزها فحفظت كيانها على مقدار طاقتها . ولم تكل هذه الغرائز الى تدبيرها . أما نحن بنى آدم فانك وان أنزلت لنا مختلف الديانات لم تطبعها فى عقولنا طبعا كما لم نحسن نحن فيها صنعا . مانزل دين من السماء إلا أدخلنا عليه بدعا وألبسناه من لدنا خلعا وغشيناه بما لدينا من خرافات ومفاسد فلانزال نزيده تلبيسا ولايزال هو يبتعد عن أصله حتى لايصلح لنظامنا فترسل رسولا آخر وهكذا . أنت خلقت أمم الاشوريين والبابليين (سيأتى الكلام عليهم فى سورة الأنبياء عند قوله تعالى — وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه — الخ) وخلقت أمم الفرس وجعلت هناك ديانات كديانة

الاشوريين وديانة البابليين وديانة المجوس وديانة (زردشت) ولادين من هذه الأديان إلا دخله البدع والضلالات هكذا دين (خريستا) بالهند وقبله دين (البراهمة) وقبله كتاب (الفيدا) و بعد (خريستا) دين (بوذا) وكل هذه الأربعة يتبع بعضها بعضا فيكون كل منها أوّلا توحيد ثم يكون التثليث

هذه صورة مصغرة من صور الديانات فى أرضنا . فالدين يأتى بالتوحيد وتابعوه على طول الزمان يثلثون ويكثرون الأصنام والآلهة الى ألف أو آلاف بل الى مالاحصر له كما فى أمة اليابان الآن . لذلك أرسلت محمدا ﷺ وقلت له ــ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ــ فنشر العقيدة الخالصة بالتوحيد التى جعلها قدماء المصريين وأهل الهند وغيرهم عقيدة سرية فما وسع الاسلام إلا اظهارها وختم الله الديانات بها لعلمه أن كل دين بعد أزمان يرجع الى الوثنية . ولما انتشر الاسلام أثر فى أمم العالم قاطبة وبه وحده كما تقدّم عن (سديو الفرنسى) نقلته فى سورة (التوبة) وسورة (ابراهيم) فقد أثبت بصريح العبارة هو وغيره من أهل أوروبا الحاليين أن ظلم رجال الدين فى أوروبا وتحكمهم فى الشعب الذى امتدّ نحو أحد عشر قرنا لم يمنعه إلا تعاليم الدين الاسلامى وذمّه الأحبار والرهبان وقام بهذه الدعوة أمثال (روسو) و (فولتير) فحرّروا أوروبا وارتقت وارتقى الناس معهم و بهذا الارتقاء بحثوا فى الآثار القديمة فى مصر والهند و بابل واشور . فماذا وجدوا . وجدوا أن التثليث ليس دين المسيح فقد وجدوه منقولا عن أهل الهند فى الخرافات التى كتبوها فى (خريستا) قبل الميلاد بنحو ٤٨٠٠ سنة وفى (بوذا) قبل الميلاد بنحو ستمائة سنة . وقد تقدّم هذا موضحا فى آخر سورة المائدة فارجع اليه . ولكن الذى سقت لهذا الكلام الآن هو أمر عجب . ذلك أن صديقنا اللورد (هيدلى) العالم الانجليزى الذى أسلم بعقله وأسس طائفة مسلمة فى انكلترا ودعا الى الاسلام . ذكر فى كتابه المعنون (ايقاظ الغرب للاسلام) تأليف سيف الرحمن رحمة الله فاروق (اللورد هيدلى) رئيس الجمعية البريطانية الاسلامية منقولا الى العربية . فهذه الترجمة جاء فيها فى صفحة ٤٨ وما بعدها ما يأتى

« اذا كان إيمانى الاجوف فى الولادة العذرية وصلب المسيح وقيامته ثانيا تجلب الىّ الخلاص المطلوب فلماذا لاينبغى لى إذن أن أومن بسرّ (بابيلونيا) وأؤمل خلاصى . إن رواية آلام (بابيلونيا) كانت فى الوجود من مدّة طويلة جدّا قبل ميلاد المسيح بل كانت شرعية ومقرّرة فى تلك الأيام كمأساة مألوفة »

هناك لوحان بابليان تابعان الى مجموعة السجلات المكتوبة بالخط الاشورى التى كشفت بواسطة الحفارين الألمانيين فى سنة ١٩٠٣ و١٩٠٤ م فى (كاله سرجات)

« قاعدة الآشوريين الأقدمين وهما يتبعان مكتبة هؤلاء الآشوريين التى أنشئت فى القرن التاسع قبل الميلاد أو قبل ذلك وهما مع ذلك صورتان طبق الأصل من ألواح بابلية أقدم من ذلك »

من هذين اللوحين يمكننا أن نعرف أن حكاية آلام المسيح ليست أوّل حكاية عرفها الانسان من هذا الصنف منذ الخليقة وتسهيلا للقارئ ننقل الآتى من عدد يناير سنة ١٩٢٨ من مجلة «الكوست» التى هى مجلة مسيحية بحتة

رواية الآلام البابلية	حكاية الآلام المسيحية
(١) رواية الآلام البابلية	(١) حكاية الآلام المسيحية
(٢) يساق بيل أسيرا	(٢) يساق عيسى أسيرا
(٣) يحاكم بيل فى المنزل على الرابية (غرفة المحاكمة)	(٣) يحاكم عيسى فى منزل رئيس الكهنة
(٤) يضرب بيل	(٤) يجلد عيسى
(٥) يساق بيل الى الرابية	(٥) يساق عيسى الى الصلب فى جلجلته

(٦) يساق مع بيل شريران أحدهما يقتل والآخر يطلق سراحه

(٦) يساق مع عيسى شريران يعدمان وآخر يدعى (باراباس) يطلق سراحه

(٧) عند مايصعد (بيل) على الرابية تتزلزل المدينة وتحدث فيها مواقع

(٧) عند موت عيسى يمزق حجاب الهيكل وتتزلزل الأرض وتتشقق الصخور وتفتح القبور ويخرج الأموات الى المدينة المقدسة

(٨) تؤخذ ملابس (بيل)

(٨) تقتسم العساكر ملابس عيسى

(٩) تمسح امرأة الدم النابع من قلب بيل أثر خروج السلاح (حربه)

(٩) يطعن عيسى بحربة فى جنبه ويخرج دم وماء وتأتى مريم المجدلية وامرأتان أخريان لغسل وتحنيط الجثة

(١٠) ينزل (بيل) تحت الرابية بعيدا عن الشمس والنور وتذهب عنه الحياة

(١٠) يدخل عيسى القبر داخل الصخرة ويذهب تحت الى قسم الأموات ويزور جهنم

(١١) يلاحظ الحراس (بيل) وهو سجين فى معقل الرابية

(١١) يوضع الحراس على قبر عيسى

(١٢) تجلس آلهة مع (بيل) قد أتت لتعتنى به

(١٢) مريم المجدلية ومريم الأخرى تجلسان أمام القبر

(١٣) يبحثون عن (بيل) فى أى مكان هو مقيم خصوصا امرأة باكية تبحث عنه فى المقبرة وعند مايؤخذ تصيح مولولة (آه يا أخى . آه يا أخى)

(١٣) تأتى النساء خصوصا مريم المجدلية الى القبر ليبحثن عن عيسى خلف باب القبر فتقف مريم باكية أمام القبر الخالى لأنهم أخذوا سيدها بعيدا

(١٤) رجع (بيل) ثانيا الى الحياة (كشمس الربيع) ثم يخرج من الرابية

(١٤) رجوع عيسى الى الحياة وخروجه من القبر فى صباح (الأحد)

(١٥) والعيد الأكبر عند البابليين وهو رأس السنة يكون فى مارس فى زمن الاعتدال الربيعى ويحتفل به لأن فيه كان انتصاره على قوات الظلام

(١٥) عيده الذى يكون فى الاعتدال الربيعى تقريبا يحيا ويعظم أيضا كانتصار له على قوات الظلام

الى هنا انتهى مانقله اللورد (هيدلى) الانجليزى الذى أسلم عن اللوحين المكتوبين بالخط الاشورى ثم أتبع ذلك بالتعليق عليه مثل قوله « من أين إذن أتت عظمة المسيحية التى يعلن عنها دائما من أعلى المنابر بأنها هى الديانة الوحيدة لخلاصنا » ومثل قوله « يتضح من ذلك أنه منذ ألف سنة أو أكثر قبل ظهور المسيح كانت هناك حكاية فى العالم تشابه حكاية هذا النبى وكان لها اعتقاد عظيم فى أفئدة هؤلاء الناس » ومثل قوله « إن الاعتقاد الأجوف فى هذه الحكاية وتلك الرواية لاتجلب اليكم (البسابورت) الجواز اللازم لدخول الحياة الأبدية . كل هذا ماهو إلا حكاية من حكايات ملاجئ الأطفال » الى أن قال « وقد نصت الشريعة الاسلامية على أن السموّ الروحى متناسب مع ارتقاء العمل الانسانى فى هذه الحياة ولهذا السبب لا يمكن الانسان أن يحصل على خلاصه إلا الى الدرجة التى أظهرها بعمله الشخصى فى الدنيا . ثم خاطب أوروبا كلها قائلا « لذا أطلب منكم جميعا أن تعملوا الأعمال الروحية الطيبة فهى خير لكم من التفكير الكهنوتى الذى يقال إنه يسهل الوصول اليه بشبك عقيدتكم الخاوية فقط (بديوس) مع حكاية آلام بشر (عيسى نبى الناصرة) انتهى كلامه

وأقول أنا قد اجتمعت بمؤلف هذا الكتاب فى مصر وخطب خطبة فى الجامع الأزهر وترجمها بعض

الاخوان للحاضرين . وملخصها انه عرف سخافة النصرانية من صغره وأيقن بالاسلام بعد البحث ولكن خاف من اظهار اسلامه على شعور أبيه وأمه والكبار من أسرته . ولما ماتوا أظهر الاسلام ثم قال « ان ثلاثة أرباع الانجليز موقنون بمثل إيقانى ولكنهم يخافون من كدر أقاربهم وأهلهم وقد كاشفونى بذلك »

ثم بعد ذلك تغديت معه على مائدة كنا دعينا اليها فخاطبنى هو وصديقه (خواجه كمال الدين) والشيخ عبد الحي قائلين ان الاسلام يمكن انتشاره فى أوروبا بسرعة اذا جاء من المصريين وفد دينى وعضدنا فى هذه الدعوة . انتهى

أقول . أفلا تعجب أيها الصديق الذكى لنعمة الله الواسعة وفضله العميم الذى أنعم به فى هذا التفسير . ألست ترى أن هذا زمان ظهور الحقائق وأىّ حقائق بعد هذا البيان . اللهم إنا نحمدك على نعمة العلم وظهور الحقائق . لقد ظهر الحقّ واستبان أن هـذا الانسان كله قديما اتبع المتأخر المتقدم فى تعدّد الآلهة . ثلث البابليون والآشوريون والمصريون وأهل الهند وأظهر الله عزّ وجل آثارهم على أحجارهـم فى زماننا وحده ولم يعرف هذا على هذا النمط إلا فى زماننا وقد نشر هذا فى هذا الكتاب . فأىّ يقين بعد هذا . أوليس هذا بعينه هو معنى قوله تعالى ــ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ــ وقوله ــ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ــ وقوله ــ ثم إنّ علينا بيانه ــ وهكذا من الآيات أصبح أمرا مشاهـدا يرى بالبصر مع البصيرة فالحمد لله على نعمة العرفان . انتهى

ثم أقول بعد ذلك . أىّ ثقة بقيت بهذا الانسان و بأقاصيصه . هاهى ذه العلوم الالهية (ما بعد الطبيعة) ليس لأحد من أوروبا التى قلبت الكرة الأرضية فيها فضل . ألا ترى الى ماذكرته لك فى سورة النحل عند قوله تعالى ــ فاسألوا أهـل الذكر إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر ــ فقد نقلت لك هناك ماخطه يراع معاصرنا الذى لم نره وهو الاستاذ (سنتلانه الطليانى) إذ أبان هناك بالخط العريض أن فلاسفة أوروبا الحاليين والسابقين لم يصـلوا لعشر معشار ماوصـل اليه أمثال (سقراط) و (أفلاطون) فيما هو المقصود الحقيق من الفلسفة وهى معرفة النفس والاله وما أشبه ذلك ولم ينبغوا إلا فى العلوم الجزئية المشهورة . أما الامور العامّة العالية فقد قال إن نسبتهم الى فلاسفة اليونان فيها كنسبة (البقة) الى (الفيل) . ونقل عن (اسبنسر) ما يفيد بعض ذلك . فاذن أقول أنا يا أمة الاسلام . هذه هى مقدرة النوع الانسانى . دياناتهم خرافات وهـم أنفسهم أعلمونا بها وعلومهم التى رقتهم علينا فى المادّيات لم تنلهم حظا وافرا فى العقائد وعليـه يجب علينا نحن أن ندرس علومهم جميعها لمنفعتها وشرفها ونستأنف المباحث الالهية بأنفسنا لأن الشرق أقدر على ذلك من أوروبا فاننا أصحاب الديانات وأوروبا لم يكن فيها دين ألبتة . بل أهل الشرق هم الذين جاءوا هذه الخرافات التى تصيدها أهل الأرض المقدسـة من خرافات الهنود ومن خرافات البابليين وضحكوا على عقول أوروبا واعتنقوا دين نبى شرقى لم يصلب ولم يضرب ولم يجلد . ألا فليقم المسلمون بمـا يجب عليهم وليكونوا للعلم حاملين وللحقائق مجدّين ولأهل الشرق والغرب معلمين والحمد لله ربّ العالمين

﴿ جوهرة فى قوله تعالى ــ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون * وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ــ ﴾

اعلم أن هـذه الآية بيت القصيد فى هذه السور المتلاحقة . وأذكرك بما مرّ فى سورة (آل عمران) عند ذكر عيسى ابن مريم وأن هذه الجملة تضمنت العلم والعمل . والعلم والعـمل هما ملخص الديانات كلها وأن هذه هناك عدّت آية من الله لعيسى الخ فهذا المقام مشروح هناك مفصل بجميع حذافيره مع نموذج من الديانات المشهورة فى الأمم حولنا الآن . وسـترى فى هذا المقام بيانا أجل وعلما أكمل وحكمة أشـمل وبهجة وبهاء ونورا وسناء . سترى عجائب الحكمة وبدائع العلم وغرائب القرآن تجلت للناظرين وازينت

للفكرين وأشرقت للعالمين وأشرقت الأرض بنورربها واستبانت حقائق لم تكن لتخطر لولا هداية الله ولالتظهرلولا انه أراد رقى الأمم فى هذه الكرة بقدرمعلوم

اعلم أن الله قد مهد لهذه الآية بآخر سورة الاسراء وأوّل سورة الكهف وآخرها وبما مضى من سورة مريم . فهذه السورالثلاث المكيات المتلاحقات تعاونت أوائلها وأواخرها على أن تكون مقدمات لآيتناالتى نحن بصددها . ألم تراته فى آخر سورة الاسراء يقول ــ وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ــ الخ ثم أعقبها فى أوّل سورة الكهف بقوله ــ لينذر بأسا شديدا من لدنه و يبشر المؤمنين ــ الخ فهو يبشرالمؤمن الصالح و ينذر من قالوا إن لله ولدا فهذه راجعة لاتخاذ الولد فى آخرالسورة قبلها . فالآيتان متصلتان ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ اتصل أوّل الكهف بآخر الاسراء حتى كأنهما سورة واحدة . فهناك حمد على عدم اتخاذ الولد مختوما بذكر أن الله كبير وهنا أى فى أول سورة الكهف حمدالله على انزال الكتاب ثم ذكر البشارة للمؤمن الصالح والانذار لمن قال ان الله اتخذ ولدا ثم ختم سورة الكهف بطلب العمل الصالح وعدم الشرك فى العبادة ومن الشرك فى العبادة اتخاذ الولد . فالعمل الصالح المسبوق بالايمان هو الذى فى أوّل السورة والشرك فى آخرها راجع لاتخاذ الولد فى أولها . كل ذلك مقدمة لأول هذه السورة إذ ذكر فيها مريم وابنها وختم ذلك بما هنا وهو أن الله اذا أراد شيأ مّا لاعيسى وحده قال له كن فيكون . ولاجرم أن القول هنا هو المذكور فى سورة النساء ــ وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ــ فالقول هنا ليس خاصا بعيسى ابن مريم . يقول الله أنا قلت فيما تقدّم ان عيسى كلمتى ولكنى أقول هنا ليس عيسى وحده كلمتى بل كل مافى هذه الدنيا كلماتى . ألم أقدم لكم أيها الناس فى آخر سورة الكهف أن كلماتى لايحصرها العد وليس لها حد فلوكان البحر مدادا لكلماتى لنفد البحر والبحران والأبحرالسبعة وأكثر من ذلك كل هذا كلماتى . أيها الناس . انى أنزلت هذا القرآن للأمم مريدا فطنتهم . فأنا قدمت فى سورة النساء أن عيسى كلمتى وختمت سورة الكهف بأن كلماتى لاحدّ لها وذلك بعد أن أبنت فى قصة الخضر وموسى على لسان رسولى أن علمى لاحدّ له ورمزت قبل ذلك الى ما أريد من بيان جهلكم بقولى فى سورة الاسراء ــ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ــ فيكون ملخص هذا أن الانسان جهول لاطاقة له أن يعلم علومى التى لانهاية لها ومعلوماتى كلها كلماتى وعيسى كلمة منها . هذه هى المقدّمة التى أنزلها الله لفهم آية ــ ما كان لله أن يتخذ من ولد ــ

﴿ عظمة الله ﴾

لقد تجلت عظمة الله المشار لها بقوله تعالى ــ وكبره تكبيرا ــ فى آخر الاسراء و بقوله فى آخر الكهف ــ قل لوكان البحر ــ الخ فى هذا العصر . ألاترى الى ماتقدم فى آخر سورة الكهف أن شمسنا التى هى أعظم من أرضنا ألف ألف وثلثمائة ألف مرة أقل من كوكب الجوزاء ٢٥ ألف ألف مرة . فاذا كانت شمسنا العظيمة أصبح الكشف الذى لم يظهر إلا هذه السنة يبين لنا أن نورها بالنسبة لنور الجوزاء كنور حشرة الحباحب بالنسبة لنورالشمس وأن مقدارها شئ صغير بالنسبة لمقدار الجوزاء كما تقدّم فى الخطبة الفلكية فذلك دال على أن عظمة الله وكبرياءه أخذت تظهر الآن وأن كون البحر وأمثال البحر لوكانت مدادا لكلمات ربى لنفد البحر . هذا زمان انكشاف قدر يسير منه و بهذا استبان جهل الانسان المذكور فى قوله تعالى ــ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ــ . ذلك لأنه كلما بدا لنا نجم وظهر لنا سديم علمنا علما ليس بالظن أننا لم نعرف منه إلا بعده وقدره ونوره بطريق الحساب ولكن جهلنا به عظيم فلانعرف سكانه ولاسياراته ولاحيوانها ولانباتها ولاشيأ من مخلوقاتها

﴿ بيان ماترتب على جهل الانسان قديما وحديثا ﴾

لقد تقدم فى الخطبة الفلكية أن عمر الانسان على الأرض نحو (٣٠٠) ألف سنة على سبيل الحدس

والتقدير

والتقدير ويقول قوم آخرون ان مدته أقلّ وأقل الأقوال انها (٥٠) ألف سنة ولكن هذا الانسان فى تلك المدة ظهر جهله العظيم . لماذا . لأنه أراد أن يعرف خالق الكون فبحث عنه فى الشمس والقمر والكواكب والحيوان والنبات والانسان . بحث فى هذه العوالم أى فى هذه الكلمات وتلك الكلمات منتظمات فهى فى هيئتها أشبه بنظام الموسيقى ونظام الموسيقى مطرب مفرح . سارٌّ مبهج للسامعين

إن كلمات الله المذكورة فى الآية التى نحن بصددها التى لم تخص عيسى بل شملت السموات والأرض وغيرهما وعلت الى الجوزاء وماهوأ كبرمنها . وهكذا شملت كل حشرة صغيرة وكل حيوان كبير وماهو أقل وأصغر . كل ذلك كلمات مطربات منعشات مفرحات سارّات مبهجات ولكن الموسيقى فى كلمات الله يدركها البصر والموسيقى فى كلمات الانسان يدركها السمع . ولاجرم أن من يسمع صوتا موسيقيا من مغنّ قد أطربه غناؤه وأسكره نغمه يودّ لويرى ذلك المغنى ويودّ لو يتصل به اتصالا ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ان الرجل اذا سمع الصوت الجميل من امرأة جميلة وبالعكس يعشق كل من الصنفين الآخر المغنى ويودّ لقاءه والاجتماع به

إنّ الله ضرب الصوت الجميل والموسيقى فى الأرض مثلا لنا لنحبه . فالعالم كلماته وكلماته حينما نتدبرها نراها موزونة كما اتزنت الموسيقى ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ان العوالم العلوية والسفلية جميعها كما هو واضح فى هذا التفسير منتظمة أى مقدّرة بمقادير هى عينها المقادير التى فى الموسيقى . والاستلذاذ بنظام هذه العوالم من مقادير الحركات الفلكية فى سير الكواكب ونظامه الموسيقى المشروح شرحا تاما فى مواضع من هذا التفسير وفى النبات والحيوان وغيرها المعروف كذلك فيما تقدم . بسبب انه موسيقى للمفكرين كما ان الصوت الجميل موسيقى للناس أجمعين . إذن كلمات الله كلها موسيقى أى مستلذة يستلذها العقل بعدالتعلم كما يستلذ الجاهل بأصوات الموسيقى بلاعلم ولاتعليم

﴿ وضوح جهل الانسان فى العصور السابقة ﴾

أقول . ان الانسان فى هذه الآلاف من السنين بحث عن ربه ليعرفه فكان أشبه بالخفاش لاينظر إلا فى الظلام . ذلك لأن هذا العالم الأرضى الذى نسكنه عالم صغير متأخر وأىّ شئ الأرض ومن عليها ــ قل فمن يملك من الله شيأ إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمّه ومن فى الأرض جميعا ــ فالأرض لاوزن لها وأهل الأرض مغرورون بنفوسهم . واذا كانت أرضنا بالنسبة لشمسنا صغيرة وشمسنا بالنسبة للجوزاء كالمعدوم فاذن ظهر قوله ــ قل فمن يملك من الله شيأ إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمّه ــ الخ

وانما خصّ المسيح بالذكر مع أمه لأن المسيح ابن مريم اتخذه الناس ابنا لله مع انه من الكلمات الالهية فعقول هؤلاء الناس فى آلاف ومئات الآلاف من السنين الماضية ليس لها قدرة على أن تدرك قائل الكلمات أى خالق العالم وانما الناس أشبه بمن سمع مغنيا يغنى بصوت جميل فتلقف كلماته ولم يفكر فى قائله لأن عقله وقف عند القول ونسى القائل

إن الأمم قبلنا كما اتضح فى سورة (آل عمران) وغيرها وكما جاء فيما نقله صاحبنا (اللورد هيدلى) الانجليزى وكما جاء فى آخر سورة المائدة نحوا هذا المنحى أى انهم لم يتعدوا المخلوق الى الخالق فبدل أن يقولوا نعبد الله رأسا نظروا الى كلمة من كلماته الموسيقية ففتنوا بها فيرون الرجل العظيم قد ولد بينهم بهيئة عجيبة لم يسمعوها وتظهر على يديه خوارق ويسمعون منه علما غريبا فيقولون إن هذا ابن الله . ولم هذا . لأنهم أدركوا هنا جمالا بهرهم وسحرهم كما يسحر صوت الموسيقى سامعه فيقفون عند هذا ولايتعدونه ويقولون لاعلم إلا ماقاله ولانور إلانوره . فترى النصارى فتنوا بعيسى لأنه كلمة موسيقية من كلمات الله وهذه الفتنة والغرام ظاهرة فيما تقدم فى سورة الاسراء من الفتاة التى فكرت فى آلام المسيح فظهرت أعراضها عليها يوما فى الاسبوع وهذه الحادثة تكررت . فهذه وأمثالها قد حصروا أفكارهم فى كلمة من كلمات الله التى كلها جميلة

واليهود فتنوا ببعض المصطفين منهم كالعزير فقالوا ابن الله . وأهل الهند قديما فتنوا (بوذا) و (خريستا) فقالوا لكل منهما انه ابن الله . وأهل (بابل) و (اشور) فتنوا بمن قالوا انه ابن الله . وأهل (المكسيك) لما فتحها أهل أوروبا وجدوا عندهم عقيدة ابن الله . وأهل التبت كذلك عندهم ابن الله وكل هذا تقدم فى هذا التفسير . ولذلك يقول الله ـ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل ـ الخ و يقول أيضا ـ كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم ـ وهذا التشابه لم يكشف إلا فى زماننا ولم يعرف الناس أن هناك أبناء لله غير المسيح من قبلنا فالقرآن ذكره والكشف الحديث هو الذى أظهر ذلك معجزة كبرى للقرآن وكل هذا تقدّم فى مواضعه

ومن العجب أن تشابه قلوب الأمم عام فتجدهم جميعا يقولون بالتثليث و بالبنوّة و بأنه كلمة الله و بالصلب فالصلب عام والتثليث عام والبنوّة عامّة . هذه جهالة هذا الانسان فى ٥٠ ألف سنة أوفى ٣٠٠ ألف سنة

﴿ الاسلام أخرج الانسانية من الظلمات الى النور ﴾

إن الله قد مهد للاسلام بدين ابراهيم كما تقدّم فى سورة الأنعام . إن الله علم أن هـذا الانسان يقف عند كلمة من كلماته فيغرم بها و ينسى المتكلم . فأهل (بابل) فتنوا بالكواكب فأرسل الله ابراهيم فقال لهم كلا . فالشمس والقمر والنجوم مخلوقات لله وأنا وجهت وجهى اليه . فأما الأصنام التى جعلتموها قائمة مقام الكواكب فها هى ذه أنا أكسرها لكم . ولما جاء الاسلام أتمّ ما فعله ابراهيم من تكسير الأصنام وقال أيها الناس توجهوا لربكم ولا تعبدوا شمسا ولا قمرا ولا صنما الخ . وعمد الى البنوّة والكلمة فقال أيها الناس تعالوا انظروا أى فرق بين القمر والشمس والانسان . كل هؤلاء كلمات الله . فكما لا تقفون عند أنوار الكواكب فتعبدوها هكذا لا تقفون عند الأنوار العلمية فى عيسى وغيره فتعبدوه . فالأنوار المعنوية فى عيسى مثلا وهو كلمتى كالأنوار الحسية فى الشمس وهى كلمتى لجميع كلماتى موسيقية

فهنا فتح الله للانسانية بالقرآن فتحا جديدا مريدا ازدياد العلم ونشر الأنوار فى الأرض . ان نفى الولد وتعميم الكلمات معناه أن ننظر لكل حجر ولكل شجر ولكل حشرة ونقرأ الجمال الذى فيها ولكنا نقول ان جمال هذه الكلمات جمال خالقها ولا نقف عندها والا وقعنا فيما وقع فيه السابقون . فمن الناس من يعبد البقر أو القرد أو الحية أو الثعبان أو الفيل أو الغنم وهكذا توجهت عبادة هـذا الانسان كلها لكلمات الله وذلك لضعف هذا الانسان فانه لا يقدر أن يفتح بصيرته للمتكلم بل لبعض الكلمات . ان الانسانية السابقة أغلبها كانت محصورة الفكر فقال الله ـ إنه كان ظلوما جهولا ـ يريد الله بالقرآن أن يفتح باب العلم وقد فتح على مصراعيه وأخذ الناس يقرؤن علم الفلك فتعدّوا حدود ذلك الاله عند القدماء وهى الشمس وقالوا كلا . ثم كلا . الشمس ليست باله بل هى صغيرة جدا ولو أن الشمس ظلت معبودة كما كان الصابئون يقولون لم يجترئ نوع الانسان أن يتعدّى على إلهه و يقول ان هناك ما هو أعظم منه وهكذا علم الناس أن المسيح وأمثال المسيح لم يكونوا آلهة ولذلك أخذوا يبحثون فى الآثار فظهر لهم أن الديانات كلها متشابهة وأن هذه البنوّة خدعة من خدع العقل كما يخدع البصر فيرى الضوء الصغير فى ظلام الليل كبيرا . فهنا عرف الناس اليوم حقا أن هذا العالم كله قول الله وكلماته كنص القرآن ولو أن عيسى هو الكلمة وحده أو (بوذا) أوغيرهما لوجب علينا أن لا نقرأ إلا عاملهم وأن لا نتعداه وأن نحارب عن هذه العقائد من خالفها . لقد انطلقت عقول الناس اليوم وأخذ الفكر الانسانى لا يلوى على أحد . واعلم أن هذا القول لا ينطبق إلا على المفكرين فى نوع الانسان اليوم أما بقية الشعوب النصرانية والاسلامية وغيرهم فهم أشبه بالأمم الذين من قبلهم بعض الشبه . فالجهال من المسيحيين لا يزالون كآبائهم وعامة المسلمين مع ايمانهم بالله ورسوله لا يزالون عاكفين وموقوفة عقولهم على بعض شيوخ الصوفية الجاهلين أو على بعض الآراء لا يبرحونها . وترى الفقيه يرى أن الفقه هو كل شئ فى

الاسلام وعالم البلاغة أوعالم القراآت يرى أن هـذا أهمّ مافى الاسلام وذلك لضعف هذا الانسان . وليس معنى هذا القول اننا مشركون . كلا . وانما معناه هونفس ماتقدّم فى (آل عمران) عند قوله تعالى – وغرّهم فى دينهم ما كانوا يفترون – فقد ذكرت لك هناك أنواع المغرورين حتى عمّ الغرور أكثر طوائف الاسلام والغرور شئ والاشراك شئ آخر . فترى السنى والشيعى والزيدى والامامى لايتعدّى بصركل منهم ماسمعه من شيوخه فالحنفى والحنبلى والمالكى والشافعى وغيرهم كل لايتعدّى الدائرة التى حدها شيوخه ولكنّ الله يقول ان كلماتى لاحدّ لها . فليرفع هؤلاء أبصارهم الى نفس القرآن وليفهموه والقرآن يرفع الأبصار الى كلمات الله العامّة وهى هذا العالم الذى كله كلمات الله المنظورة الجيلة بخلاف كلمات الانسان فهى ليست مجسمة فلانعرفها إلا بأسماعنا وحدها وكلمات الله جمالها يؤدّى الى ﴿أمرين﴾ أوّلا أن نعيش بها ﴿ثانيا﴾ أن نعقلها . ومن وقف على مذهب ولم يرفع بصره الى الدوائر النبوية ثم الدوائر الالهية وهو هذا العالم فهومغرور جاهل طمس الله على بصيرته . فما كانت قصة عيسى ابن مريم عليه السلام وكلمات الله وأمثالها لتنزل فى القرآن لمجرّد الايمان بأن الله لا ولد له فحسب فنحن بذلك مؤمنون فلانحتاج الى مزيد بل هذا أرضعناه مع لبن الأم من الايمان الموروث ولكن الأمر أعظم . يريد الله أن يعتق العقول حتى لايحجر عليها ولا يقف الملوك والأمراء مكتوفين خائفين وجلين فى الأحكام الشرعية مثلا ولا ينظرون فى الزمان والمكان والأحوال و يحكمون أحكاماضارة بالأمّة ضررا محققا جهلا بأحوال الشريعة وعكوفا على آراء الشيوخ . فليعلم المسلم انه كما ان له أبوين يعظمهما فلم يمنعه احترامهما من أن يعلم أن له قرية وأمّة يدرسها كلها ليشارك فى نظامها هكذا له مذهب وهذا المذهب لاينبغى أن يحجبه عن القرآن ودراسة أحوال النبوّة العامّة . وقدتقدم شرح الأحكام الشرعية فى قصة الخضر وموسى عليهما السلام فى سورة الكهف ولاعن نظام الله فى السموات والأرض . فلتدرس أيها الذكى ذلك كله فى غدوك ورواحك فكل ماتراه دروس لك . هنالك تعلم علما ليس بالظنّ أن لك اخوانا فى دينك وهم المسلمون كما ان لك اخوانا فى وطنك وهم معك قاطنون كما أن لك اخوانا فى الانسانية عامّة فى هذه الأرض بينك و بينهم رابطة والله ربك وربهم وكلهم كلمات الله وهكذا ترتقى طبقا عن طبق كما قال تعالى – لتركبن طبقا عن طبق – وهذا الركوب الطبقى ركوب بالعلم فتتخطى هذه الحدود وتعلم أن الحيوان والنبات وكل ذى نفس أيا كان بينك و بينه نسبة ما وكل هذه النفوس الأرضية لها نسبة الى نفوس كلية عالية رمزالله لها بالملائكة الذين يدبرون الامور فالهام بنى آدم و إلهام الحشرات والبهائم يرجع كل ذلك الى عالم يسمى بلسان الشرع ﴿ملائكة﴾ ويرتقى ذلك العالم طبقا عن طبق – وأن الى ربك المنتهى – فهو المبدأ الأوّل واليه ترجع النفوس التى استمدّت نفسك منها كما قال تعالى – واليه يرجع الأمر كله – وقال – وأن الى ربك المنتهى –

ونظير هذا فى المادّة أن القمر منسوب للأرض والأرض منسوبة للشمس كذلك ولعلها أيضا منسوبة الى شمس أكبر منها وهذا واضح فى سورة الفاتحة فاقرأه هناك . ولاتنس أنك تدرس الكواكب فى هذه الدنيا لتتمرّن من الآن على الشوق الى عوالم أعلى منا تكون بيننا و بينهم رابطة كالرابطة التى بينك و بين بنى الانسان وأهل دينك فاذا وقف عقل المسلم عند مذهبه حرم من الصعود الى الجمال الأعلى

هذا مافتح الله به ليلة الخميس ٢١ يونيو سنة ١٩٢٨ والحمد لله رب العالمين

﴿تفصيل لبعض الاجمال﴾

لما ذكرت ماتقدم حضر صديقى العالم الذى اعتاد أن يناقشنى فى المسائل الهامة فقال . هل قوله تعالى – سبحانه اذا قضى أمرا – الخ يحتاج معناه الى الدخول فى علم الموسيقى وما لكلمات الله وللموسيقى . الموسيقى علم يرجع الى نظام الأصوات وهذا العالم ليس صوتا بل هو مادّة ومعنى . فقلت لوانك أيها الفاضل تذكرت

مامضى فى مواضع من هذا التفسير أوقرأت كتابى «بهجة العلوم فى الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم العصرية» لأيقنت أن الموسيقى عند الحكماء ترجع فى حقيقتها الى نظام هذا العالم وما الموسيقى التى مرجعها الصوت الافصل من فصولها لتكون ساوى للعامّة كما كانت الموسيقى العامة بهجة للحكماء . قال إذن أريد أن تضرب هنا مثلا يعرّفنا الفرق بين موسيقى الأصوات والموسيقى العامة . فقلت

«الموسيقى فى الأصوات»

أذكرك بما مضى فى سورة يوسف إذ ذكرت لك هناك أن بحر الطويل مركب من فعولن مفاعيلن أربع مرات وجملتها ٤٨ حرفا منها ٢٨ متحركة وعشرون ساكنة وهناك ترى النسبة واضحة فتجد ٧ منسوبة الى ٥ كنسبة ١٤ الى ١٠ وهكذا وحاصل ضرب الطرفين يساوى حاصل ضرب الوسطين وهذا المقام لاتصح اعادته هنا فقد تكرر فى مواضع أخرى غير سورة يوسف فلأعدل عنه الى علم الموسيقى فى العصر الحاضر ولأرك النسبة عند المحدثين من علماء أوروبا الذين جعلوا هذا العلم من العلوم الطبيعية وخالفوا المتقدمين الذين جعلوها من العلوم الرياضية — ولكل وجهة هو موليها — فعلماء العصر الحاضر رجعوا الى طبيعة الصوت وهو أمر طبيعى والمتقدمون نظروا الى حساب حركاته فعدوه رياضيا . ولقد ذكرت اجمال تاريخ هذا العلم فى كتاب «الفلسفة العربية» المذكور فقلت ماملخصه

«هذا العلم كان قديما اختياريا يأخذونه قياسا على نطق الحيوان . ولقد كان ألطفه عندهم فى العصور الدائرة مايحاكى به الطير البرى عند الصياح فى الرياض المشتبكة والحدائق البهجة ذوات المياه الجاريات ولاسيما العندليب والهزار المطوّقة وكانت طائفة من الناس يستلذون النغمات التى يسمعونها من خرير المياه فيقيسون نغماتهم على نغمات الحركات المسموعة منها فى المصابّ المختلفة والنواعير والدوالى . ومنهم من كانوا يحاكون الهواء عند دخوله فى المنافذ يصنعونها وكان الصين على هذه الطريقة والهند كانوا يلحنون على طرق الأوانى المجوّفة وقدماء الروم كانوا يجعلون ألحانهم فى النحاس والخشب وبذلك لحنت الأناجيل فى الكنائس»

هذا بعض ماذكرته هناك ويقول علماء الموسيقى فى العصر الحاضر ان الآلات الموسيقية على «قسمين» آلات يحدث الصوت منها بالنقر على أوتارها وتسمى (ذوات الأوتار) وآلات يحدث منها الصوت بالنفخ على صفائح رقيقة فيها وتسمى (آلات النفخ) فالأولى مثل (القانون والعود والطنبور) والثانية مثل (الأرغن والصور) وآلة أخرى تسمى (المسحورة)

أقول ويجمع هذين (الطبل والمزمار) فى بلادنا المصرية . فالطبل من النوع الأوّل والمزمار من النوع الثانى . ومن ذوات الأوتار (البيانو) وهى آلة لها أصوات معينة تصوتها أوتار نحاسية خاصة وهذه الأوتار تهزّ بطارقة تحركها عدة (أخال) منحنية متصلة بمفاتيح البيانو . وحدوث الصوت فى آلات النفخ كالمزمار بسبب اهتزاز عمود الهواء الذى داخلها وتموّجه فيكون الهواء هو الجسم الصائت فيها بخلاف ذوات الأوتار التى لا يكون الهواء فيها إلا موصلا للصوت فتى نفخ عليه من ثقب فيها ماجت أمواج الصوت الى الأمام والخلف داخل آلة النفخ وهزّت الهواء حولها كما يهزه الوتر المضروب فى ذوات الأوتار فتكون منزلة عمود الهواء فى آلات النفخ منزلة الوتر فى ذوات الأوتار ومنزلة النفخ عليه منزلة الضرب على الوتر

فقال صاحبى قد تركنا التفسير وغصنا فى علم خارج عنه . فقلت له . كلا . لاتعجل علىّ فسترى أن هذا نفس التفسير فما هذا إلا مقدمة لابد منها لشرح صوت الانسان فلقد ذكرت كثيرا نقلا عن علماء العصر الحاضر أن الانسان لايدرس نفسه إلا بدراسة ماحوله فنحن لانقدر أن نعلم صوت الانسان ونغماته المطربة إلا بدراسة الآلات المحيطة به، وهذا الذى ذكرته سترى جماله الآن ومتى درسنا صوت الانسان ونظام غنائه عرفنا حساب الموسيقى فى العلم الحديث ثم نوازنه بنفس خلق الانسان . وهل نغمات الانسان فى حسابها كهيئة خلق

جسمه فى الرحم وحسابهما واحد ثم نذكر مسألة داهر بن حصة الحكيم الهندى وما اقترحه على ملك الهند وهيئة الحساب الذى اختاره فى أمر البر الذى جعله محسوبا بالمتوالية الهندسية على مقتضى بيوت الشطرنج من (١) الى (٦٤) فقال صاحبى هذه كلها أمور غريبة فأرجو ايضاحها . فقلت إذن أدركت وصدقت اننا لم نخرج عن التفسير واننا نريد أن نقف على نظام التكوين الانسانى مثلا حتى ندرك كيف كان أمره فى أعماله عجبا فعبده الناس لما ظهر على يديه كما كان أمر خلقه عجبا . فقال نعم . فقلت فلأبدأ إذن بالكلام على

﴿ آلات الصوت فى الانسان ﴾

اعلم أن كل ذوات الفقرات من الحيوان ومنها الانسان لها آلات صوت تصوّت بها مودعة فى قسم من جهاز التنفس وكثير منها قادر على تغييرصوته وتكييفه والانسان خاصة يغيرصوته بصورشتى ويحصل التكلم ببعضها . وآلات الصوت فى الانسان (١) تجويف الصدر (٢) والقصبة (٣) والحنجرة (٤) والبلعوم (٥) والفم (٦) والأنف (٧) وما يتعلق بها . فأما تجويف الصدر فانه يضيق و يتسع بالتنفس فيضغط الرئة تارة و يتركها تمدّد أخرى فيخرج الهواء منها متى ضغطت و يدخل اليها متى تمددت فيكون هو والرئة بمنزلة المنفاخ فى (الارغن) وعند خروج الهواء من الرئة يدفع الى القصبة ومنها يضرب وترى الصوت فى الحنجرة فيصوّتان فتكون القصبة بمنزلة طرف أنبوبة (الأرغن) ووترا الحنجرة بمنزلة فمها . فأما البلعوم والفم والمنخران فانها تغير الصوت وتكيفه تارة باتساعها وأخرى بتضييقها ونحوذلك فتكون بمنزلة رأس الأنبوبة الذى تتصل منه اهتزازات عمود الهواء بالهواء الخارجى . هذا كلام علماء العصر الحاضر وهو عجيب فقد جمع الانسان نوعى الآلات المطربة فله آلات نفخ وآلات وتر معا . وقد يعيش الانسان و يموت وهو يغنى أو يسمع آلات الطرب وهولايعلم تركيب جسمه فلننظر الآن الى صوت هذا الانسان فنقول

تقدم ما أشرنا اليه من حساب المتقدمين وانه على مقتضى النسبة الهندسية . أما حساب المتأخرين فانهم يعتبرون المتوالية الهندسية فى صوت الانسان فقد قالوا ﴿ أوّلا ﴾ ان حدوث الصوت الانسانى ناجم من اهتزازات الوترين الصحيحين فى الحنجرة عند مايضرب عليهما الهواء مدفوعا من الرئة وهذان الوتران قابلان الشد والرخى كالأوتار فى ذوات الأوتار فاذا كان الانسان صامتا كانا مرتخيين ومنثنيين وفتحة المزمار بينهما واسعة فلا يصوّتان بوقوع الهواء عليهما . واذا أراد أن يصوّت شدهما بقدر مايريد أن يرفع الصوت فتضيق فتحة المزمار بينهما . ومدى الصوت الانسانى القوى (٧٠٠) قدم فى الفضاء على درجة الهواء الاعتيادية

﴿ مجال السمع ﴾

قال العلامة (هلمهلتز) أخفض الأصوات الموسيقية ما اهتز ١٦ اهتزازة فى الثانية وأعلاها ما اهتز ٣٨٠٠٠ اهتزازة فى الثانية . فاذا نقص عددها عما ذكر سمعت طقطقة كل اهتزازة ولم يحدث منها صوت موسيقى . و يقول ان مجال السمع الانسانى يمتد الى ١١ ديوان ولكن مجال الموسيقى الاعتيادى لايزيد عن سبعة دواوين . فلما سمع صاحبى ذلك قال كلام هذا العالم غير واضح . قلت له نعم ولكن سأنقل لك ماهو واضح وهو آخر الآراء ولأجله جاء هذا المقال

﴿ ادراك الانسان للأصوات ﴾

ينحصر فى عشرة دواوين أى أبعاد كلية موسيقية أى فى أصوات تموّجاتها بين ١٦ موجة فى الثانية و (١٦٣٨٤) فى الثانية فهى هكذا ١٦ - ٣٢ - ٦٤ - ١٢٨ - ٢٥٦ - ٥١٢ - ١٠٢٤ - ٢٠٤٨ - ٤٠٩٦ - ٨١٩٢ - ١٦٣٨٤

فهذه عشرة دواوين أو أبعاد . ومعنى هذا أن القوم عندهم آلة لقياس تموّجات الصوت فان بلغت ١٦ موجة فى الثانية بهيئة منتظمة كان ذلك صوتا موسيقيا و بالتضعيف لهذا العدد فى الثانية يكون قدتم أوّل ديوان

٣٢ وضعفه ٦٤ فى الثانيـة يكون ديوانا ثانيا وهكذا الى نهاية العشرة . وبالتأمّل فى هذه الدواوين نجد أن القاعدة المتقدّمة مطردة أى حاصل ضرب الطرفين يساوى حاصل ضرب الوسطين فضرب ١٦ فى ١٢٨ يساوى حاصل ضرب ٣٢ فى ٦٤ وهكذا مثل ماتقدّم عند القدماء وان كان ذلك بطريق آخر . فبهذا عرفت عشرة الدواوين ولـكن النغمات المستعملة عادة فى الموسيقى تنحصر فى سبعة دواوين أوأبعادكاية من (٣٢) الى (٤٠٩٦) فهذا تحقيق المقام فى صوت الانسان

واعلم أن الله عزّوجل أحكم صوت الانسان على هذا الوضع وجله ليكون قوله منتظما وجيلا ﴿لأمرين * الأمر الأول﴾ الافهام ﴿الأمر الثانى﴾ احداث الأثر فى قلوب السامعين بحسن الالقاء وجمال الاساوب فلم يخلق الله لنا ذلك المنفاخ وذينك الوترين إلا لنستعملهما فى حسن الالقاء فنفهم الناس ونؤثر فى أذهانهم بحلاوة منطقنا . هذه هى الحـكمة الالهية التى أبرزها الله فى خلقنا وأكملنا به وجلنا — ولـكنّ أكثر الناس لايعلمون — يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا — كالعلم الموسيقى وسماع النغمات وهم عن بواطن الخلق ومحاسنه وعن أنفسهم غافلون

هذا ما أردت ذكره فى نظام موسيقى الصوت الانسانى وحسابه الجيل وموازنة هذا الحساب بحساب انقسام الخلايا فى خلق الجنين وحساب بيوت الشطرنج . وقبل أن أنتقل الى هذين المقامين أذكر فوائد فى الموسيقى جيلة تناسب ماقدمناه . يقول علماء الموسيقى فى عصرنا اذا أدخلت أصبعك فى أذنك وقبضت عضلات يدك قبضا شديدا سمعت صوتا عميقا كصوت الجرس الـكبير يهتز (٣٢) اهتزازة فى الثانية

ويقولون ان البعوضة تصفق جناحها وهى طائرة ١٥٠٠٠ خمسة عشرألف صفقة فى الثانيـة وأن طول الأمواج فى صوت المتكلم من ثمانية أقدام الى اثنى عشرة قدما وطول الأمواج فى صوت المتكلمة من قدمين الى أربع فى الثانية . ويقولون اذا أسرعت دقات الساعة مثلا حتى صارعددها خمسين أوستين فى الثانيـة صارت صوتا موسيقيا وأحـدث وقوعها على الأذن شعورا متصلا فى النفس . واذا جرى دولاب على (٣٥) حصاة فى الثانية يتصل صوت طقطقته عند قرعه على الأذن فتسمع النفس صوتا موسيقيا ثخينا للدولاب وقد شبهوا وقوع الصوت غـير الموسيقى على الأذن بوقوع الضوء المرتجف على العـين لأن عصب السمع يتألم منه فتمجه النفس كما تتألم العين من تعاقب الضوء والظلمة على عصب البصر . ويقولون ان الطبيعة مستعدّة لاحداث الطرب * قال العـلامة (تندل) إن الاحتـكاك يغنى كما يغنى المغنى فاذا أطلقت رصاصـة فى الهواء غرّدت كتغريد الطير . واذا هزّت الريح الأغصان مالت ولهـا حنين . هذا ما أردت ذكره ملحقا بصوت الانسان فى الموسيقى

﴿ خلق الجنين فى بطن أمه جار على ناموس أبعاد الموسيقى المتقدمة ﴾

هذا المقام سيتضح بالمشاهدة للصورة الشمسية لنظام خلق الجنين قريبا فى سورة (طه) فانك سيتضح لك هناك أن البيضـة تقسم نصفين وكل نصف ينقسم نصفين وهكذا (١ — ٢ — ٤ — ٨ — ١٦ — ٣٢ — ٦٤ — ١٢٨) وهكذا الى (١٦٣٨٤) وهكذا بالغا مابلغ وفى أثناء تلك المضاعفة يحصل نظام جيل وهيئات محكمة من خلق الأعضاء والاحشاء والعضلات والأوتار والأعصاب والحواس الظاهرة والحواس الباطنة وهكذا فاعجب لنظام محكم موسيقى أرانا الله صورته فى نظام أصواتنا فسحرنا جماله عند سماعه من ذوى الأصوات الجيلة وأرانا أن أصواتنا ليست كلهاموسيقية ولـكن جميع أعمـاله موسيقية منظمة . ولقدبرع بعض بنى آدم فى العلم والحـكمة وتشبهوا بالله فى حكمتهم فظنّ الناس انهم أبناء الله أووقفت عقولهم عندهم ورأوا العلم خاصا بهم فرجعوا بخفى حنين ولـكن الله يقول — سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون — فجميع مخلوقاتى كلماتى فلايعبد الناس أحدا من خلق وكلهم كلماتى وكلماتى لاتحصون عدّها

أما مسألة الشطرنج وحساب بيوته فستأتى أيضا مع حساب نظام الجنين فى سورة (طه) إذ يحسب البر بحيث يكون للبيت الأول حبة وللبيت الثانى (٢) وللثالث (٤) وللرابع (٨) وللخامس (١٦) وهكذا الى (٦٤) بيتا وهى عدد بيوت الشطرنج . فظاهر الأمر أنه يكفى فيها قمح معلوم مثل (كيلة) أو (أردب) وسترى أن ذلك الحساب لا يكفيه القمح الذى فوق الكرة الأرضية كلها قرونا كثيرة وسيتضح هناك فاقرأه

ههنا يتبين أن نظام الغناء أنتج السرور . ونظام الجنين أنتج عجائب الانسان . ونظام الحساب فى بيوت الشطرنج أنتج مقادير عجيبة لا تخطر بالبال والحساب واحد فى الأحوال الثلاث فهى متوالية هندسية حاصل ضرب كل طرفين فيها يساوى حاصل ضرب الوسطين . ومن نتائج هذا الجمال فى الحساب ظهور أنبياء وعظماء تظهر على أيديهم العجائب والعلوم فيظن الناس انهم أبناء الله أو تقف عقولهم عند آرائهم كالمسيحيين فى الأول وكالجهال من أمم الاسلام فى الثانى والله يقول هؤلاء كلهم كلماتى فلا يحجبكم كلامى عنى ولا تصدنكم كلمة عن الأخرى فاقرءوا كل علم وكل فن وخذوا الحكمة أينما وجدتموها وهذا من أنوار قوله تعالى ـ سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ـ

﴿ ذكر الكلمة فى الديانات القديمة ﴾

لقد ذكرت فى هذا التفسير أنى نقلت من كتاب ﴿ العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ﴾ فى آخر سورة (المائدة) موازنة بين الآيات المذكورة فى دين (خريستا) فى الهند (وبوذا) أيضا وبين ما جاء فى الأناجيل ونقلت أيضا من ذلك الكتاب جملا فى أوائل سورة (البقرة) شارحا مسألة التثليث . وأريد هنا أن أنقل من الكتاب ما يناسب (الكلمة) حتى تعلم لماذا ذكر الله الكلمة والكلمات فى القرآن . وقد قلنا فيما تقدم فى (المائدة) أيضا أن هذا الكتاب منقول من نيف وأربعين كتابا للغات الافرنجية

(١) مثل (ويليام) الحكمة الهندية

(٢) ومثل (ويليام الهندية)

(٣) ومثل (فشنو بورانا) ترجمة للغة الانكليزية عن السنسكريتية (ويلسون)

(٤) ومثل (موريس) الآثار الهندية القديمة

(٥) و (موريس) تاريخ الهند

(٦) و (مولر) تاريخ آداب اللغة السنسكريتية القديمة

(٧) و (مورى) الخرافات

(٨) الديانات الشرقية

(٩) (برسكوت) تاريخ فتح المكسيك

(١٠) (برتشير) حل الآثار المصرية التاريخية

(١١) (سكوير) رمز الأفعى

وهكذا بقية الكتب التى لا مقتضى لذكرها جميعها هنا فلنذكر شذرات فى مسألة الكلمة مما نقله المؤلف منها فنقول . جاء فى هذا الكتاب صفحة (١٨) نقلا عن (برتشرد) من كتابه ﴿ خرافات المصريين الوثنيين ﴾ صفحة (٢٨٥) مانصه

لا تخلو كافة الأبحاث الدينية المأخوذة من مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث أو التولد الثلاثى (الأب والابن والروح القدس)

ونقل عن (موريس) فى كتابه ﴿ الآثار الهندية القديمة ﴾ فى المجلد السادس صفحة ٣٥ مانصه

﴿ كان عند أكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثالوثى أى ان الاله ذو ثلاثة

أقانيم ﴾ ورسم تحته صورة الثالوث المقدّس عند الهنود وهذا التمثال موجود فى معرض الهند . أقول أنا ان صورته أمامى وأنا أكتب هذا الموضوع رأس واحدة لها وجوه ثلاثة

ونقل عن كتاب ﴿ سكان أوروبا الاول ﴾ صفحة ١٩٧ مانصه ﴿ كان الوثنيون القدماء يعتقدون بأن الاله واحد ولكنه ذو ثلاثة أقانيم ﴾

ونقل عن (إلن) فى كتابه ﴿ الهند ﴾ صفحة ٣٨٣ أن البرهميين يقولون فى كتبهم الدينية أن أحد الأتقياء واسمه (اتنيس) رأى أنه من الواجب أن تكون العبادة لاله واحد فتوسل ببرهمة وفشنا وسيفو أن يعرّفوه أيهم الاله الحق فظهروا له وقالوا لافرق بيننا . وأما ماتراه من ثلاثة فما هو إلا بالشبه أو الشكل والكائن الواحد الظاهر بالأقانيم الثلاثة هو واحد بالذات . وهنا صورة أخرى للثالوث المقدس عند الهنود أراها أمامى الآن . ونقل هنا عن العلامة موريس فى كتابه ﴿ آثار الهند القديمة ﴾ المجلد الرابع صفحة ٣٧٢ مانصه ﴿ لقد وجدنا بأنقاض هيكل قديم دكته مرور القرون صنما له ثلاثة رؤس على جسد واحد ﴾ والمقصود التعبير عن الثالوث . ومن العجيب إنك ترى فى هذا الكتاب فى صفحة (٢٥) صورة تمثل (بوذا) وهو بحالة الذكورة والانوثة معا وعلى الفرج هيئة الصليب وهى منقولة عن العلامة (توما أنمن) فى كتابه المسمى ﴿ الوثنيون القدماء ﴾ وهذه الصورة فوق مرتفع . وهنا نقل عنه أن كافة الرموز والاشارات المستعملة عند النصارى كانت للدلالة على عبادة ماهو من هذا القبيل . هذه العبارة لم يصرح فيها بلفظ (الكلمة) التى عقدنا هذا الفصل لها . فانظر مايقوله العلامة (دوان) فى كتابه صفحة ٤٧٣ ﴿ إن القسيسين فى هيكل ممفيس بمصر كانوا يقولون للتلاميذ ان الأوّل خلق الثانى والثانى مع الأوّل خلقا الثالث وبذلك تمّ الثالوث المقدّس . وهنا ذكر قول الكاهن المصرى للملك . الأعظم أولا هو الله ثم الكلمة ومعها روح القدس وهؤلاء لهم طبيعة واحدة وهم واحد بالذات وعنهم صدرت القوّة الأبدية . إذن كون الاقنوم الثانى هو الكلمة أصل وثنى مصرى دخل فى غيره من الديانات كالديانة المسيحية . ثم قال (وابولو) المدفون بدلهى من بلاد الهند يدعى (الكلمة) وفى علم اللاهوت الاسكندرى الذى كان يعلمه (بلاتو) قبل المسيح بسنين عديدة (الكلمة) هى الاله الثانى ويدعى أيضا ابن الله البكر ﴾ انتهى وهذا منقول من كتاب ﴿ الآثار الهندية ﴾

وقال العلامة (هيجس) فى كتابه (الانكلوسكسن) المجلد الثانى صفحة ١٦٢ ﴿ كان الفرس يدعون متروسا (الكلمة) و (الوسيط) و (مخلص الفرس) . انظر كتاب المسيو (دونلاب) فى كتاب (ابن الانسان) صفحة ٣٠ وكتاب العلامة (بنصون) فى كتابه (المسيح الملاك) صفحة ٥٧ ﴾

وقال العلامة (بوفريك) فى كتابه ﴿ اعتقاد المصريين ﴾ مانصه

﴿ وأغرب عقيدة عمّ انتشارها فى ديانة المصريين القدماء هى قولهم بلاهوت الكلمة وأن كل شئ صار بواسطتها وانها أى الكلمة منبعثة من الله وانها الله ﴾ وكان (بلاتو) عارفا بهذه العقيدة الوثنية وكذلك (ارستو) وغيرهما وكان ذلك قبل التاريخ المسيحى . قال ﴿ ولم نكن نعلم أن الكلدانيين والمصريين يقولون هذا القول ويعتقدون هذا الاعتقاد إلا فى هذه الأيام ﴾ ثم نقل عنه من صفحة ٤٠٤ مانصه

﴿ وكما ان للكلمة مقاما ساميا عند المصريين القدماء هكذا يوجد فى كتبهم الدينية هذه الجملة (انى أعلم بسر لاهوت الكلمة وهى كلمة رب كل شئ وهو الصانع لها فالكلمة هى الاقنوم الأول بعد الاله وهى غير مخلوقة) وهى الحاكم المطلق على كافة المخلوقات ﴾

وقال (دوان) فى كتابه ﴿ كان الاشوريون يدعون (مردوخ) الكلمة ويدعونه أيضا ابن الله البكر ﴾ وقال أيضا فى الكتاب نفسه صفحة ٣٧٤ ما نصه

﴿ كان الكلدانيون يقولون للكلمة (ممرار) كما يقول اليونانيون بأنه الصانع للعالم والحاكم عليه وأن

لاشئ أعظم منه إلا الله ﴾

وقال العلامة (فرونتغام) فى كتابه مهد المسيح مانصه ﴿ كان (فولو) يدعى الكلمة وكانوا يعظمونه جدّا و يصفونه بأنه الكائن قبل كل شئ . ابن الله البكر . الخبز السماوى الأبدى . ينبوع الحكمة الدال على الله . النائب عن الله . صورة الله الكاهن خالق العوالم . الاله الثانى المترجم عن الله الخ ﴾

قال ﴿ ولما عين (برتولوميو) مطرانا سنة ١٤٤٥ أرسل القس (فرنسيس هرمنديز) الى المكسيك ليبشر سكانه بالديانة المسيحية وكان هذا القس عارفا بلغة الهندوس أرسل بعد مضى عام على ذهابه كتابا الى المطران المذكور يقول فيه ان هؤلاء يؤمنون باله كائن فى السماء وأن هذا مثلث الأقانيم وهو الاله الأب والاله الابن والإله روح القدس وهؤلاء الثلاثة إله واحد واسم الأب (بردنا) واسم الابن (باكاب) مولود من عذراء واسم روح القدس (إبكيهيا) و يعبدون صنما اسمه (تنكاتنكا) يقولون عنه انه واحد ذوثلاثة أقانيم وانه ثلاثة أقانيم إله واحد ويقولون إنه ذوثلاثة أشخاص بقلب واحد وارادة واحدة ﴾ انتهى ما أردت نقله من ذلك الكتاب ليعجب المسلمون كيف ذكرت الكلمة فى الديانات القديمة فى أمم مختلفة لايعرف بعضها بعضا كما قال تعالى ــ تشابهت قلوبهم ــ فقال الله فى القرآن أيها الناس . كل شئ كلمات الله لا المختارون من عبادى الصالحين وحدهم فكل العالم كلماتى ــ إنما أمره الخ ــ

هذا مافتح الله به يوم الخميس ٢١ يونيه سنة ١٩٢٨ وبه انتهى الكلام على قصة مريم وعيسى

(قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام)

قال تعالى (واذكر فى الكتاب ابراهيم إنه كان صديقا نبيا) كثير الصدق والتصديق فهو ملازم للصدق وكثير العلم بالله الذى هو صدق وهو به مصدّق ثم أبدل من ابراهيم قوله (إذ قال) ومابينهما اعتراض (لأبيه آزر) وهو يعبد الأصنام (يا أبت) التاء عوض عن الياء (لم تعبد ما لايسمع ولايبصر ولايغنى عنك شيأ) وصف الأصنام بعدم سماع الأصوات ونظر الأشياء والعجز عن جلب منفعة أودفع مضرّة . يقول الله على لسان ابراهيم كيف تعبد مافقد الحواس التى هى من خواص الحيوان بله الانسان . واذا كان الانسان العاقل السميع البصير يأنف أن يعبد نظيره بل انما يعبد مافوقه اذا عقل فكيف تتنزل أن تعبد ماخرج من الالوهية بفقره وضعفه وحاجته الى من يصنعه وعن الانسانية بفقد العقل وعن الحيوانية بفقد الحواس فقد تنزّل عن الالوهية ﴿ بثلاث درجات ﴾ انسانية . حيوانية . جمادية . أما كان لك عبرة فى حاجته وفقد السمع والبصر (ياأبت إنى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا) مستقيما . فانظر كيف ذكر أباه بلطف فقال جاءنى علم لم يأتك مع ان معنى هذا انه جاهل ولكن التعبير بغاية اللطف والأدب ثم أخذ يستهجن ذلك فقال (يا أبت لاتعبد الشيطان إنّ الشيطان كان للرحمن عصيا) ومن أطاع العاصى كان مثله فنال جزاء عصيانه ولذلك أعقبه بقوله (يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) قرينا تقرن معه فى العذاب والآراء والأخلاق والعادات . فانظر كيف تجنب مفاجأته بذكر العذاب فلم يقل ان الله يعذّبك بل ذكر انه يخاف وقلل العذاب بالتنكير وجعل نتيجة العذاب أن يكون من أولياء الشيطان كما ان رضوان الله أعظم من العقاب وجعل العذاب صادرا ممن الرحمة كلها من جهته المعبر عنه بالرحمن . واذا كان مصدر الرحمات يعذبك فان الجرم يكون عظيما وذلك هو البعد عنه والاقتران بالشيطان (قال) آزر توبيخا (أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم) أى أترغب عن عبادتها فناداه بيا ابراهيم ولم يقل يابنىّ فى مقابل يا أبت (لئن لم تنته) ترجع وتسكت عن عيب آلهتنا وذمّها (لأرجمنك) بلسانى شتما أو بالأحجار حتى تبعد عنى أوتموت فاحذرنى (واهجرنى مليا) زمانا طويلا (قال سلام عليك) وهذا جواب الحليم للسفيه وتوديع ومتاركة ومقابلة للسيئة

بالحسنة فكأنه يقول أنا لا أوذيك ولكن (سأستغفر لك ربي) سائله لك أن يوفقك للتوبة (إنه كان بي حفيا) مكرما والحفاوة الرأفة والرحمة والاكرام (وأدعو ربي) وأعبده وحده (عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا) أي أرجو أن لا أشقى بضياع دعاء ربي وعبادته كما تشقون أنتم بدعاء الأصنام وعبادتها من غير طائل ففي الآية تعريض بذلك (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) فلما اعتزل الكفار ومعبودهم وهاجر (وهبنا له اسحق) ولدا (ويعقوب) نافلة فآنس وحشته بهما وهذان أكرم على الله من أبيه (وكلا جعلنا نبيا) أي أنعمنا عليهما بالنبوّة (ووهبنا لهم من رحمتنا) مالا وولدا وسعة في الرزق مع نعمة النبوّة (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) أي ثناء حسنا فان الناس يفتخرون بهم ويثنون عليهم اجابة لدعوة ابراهيم عليه السلام - واجعل لي لسان صدق في الآخرين - والمراد باللسان ما يوجد به يقال لسان العرب أي لغتهم وترى أن الصلاة على ابراهيم وآل ابراهيم في الصلوات الخمس من اللسان العليّ المذكور . وهنا ﴿ لطيفتان ﴾

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - ياأبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا - ﴾

إن في هذه الآية وحدها من العلم ما لا يحتمله هذا الكتاب . ولكن نذكر بعضه ذكرى وعبرة لذوي العقول السليمة وندع الباقي لذوي الفطن ومن ألهمهم الله العلم والحكمة ليشرحوه للمسلمين بعدنا اذا استعدّوا للالقاء . اعلم أن جعل العذاب من الرحمن يبين لنا ما يأتي

(١) ان الجوع الذي نحس به في أجسامنا لم يرسله الله لتعذيبنا بل أرسله ليكون آلاما تدفعنا الى الغذاء وذلك لأن هذا العالم الذي نحن فيه ناقص فكمله الله بهذه الآلام ولولا ألم الجوع ما أكل عاقل ولا عالم ولا نبيّ ولولم يأكلوا لماتوا فالألم لم يقصد به سوى المنفعة لنا وليس في هذا العالم سبيل لأ كلنا سوى هذا الباعث المؤلم

(٢) وان ألم الشبق والشهوة في الأصلاب وفي النساء لم تكن إلا لبقائنا ولولاها ولولا آلامها ما تزوّجنا ولا ولدنا ولا عمرت الدنيا

(٣) وان الأمراض الحالة بنا لولاها لم تفتح مدارس الطب والتشريح وقراءة العقاقير وتفصيل هذه العوالم التي تحيط بنا

(٤) وان الأمم كلما ازدادت مدنيتها ازدادت أمراضها وشهواتها وتمزيق الأمراض لأجسامها وفتكها لمرضاها ولأولادها الصغار فيكون ذلك أدعى لارتقاء الطب والعلم عندهم فأصبح المرض نعمة

و بيانه أن الله لم يخلق الناس في الأرض إلا لارتقاء نفوسهم . فلما كان أهل البادية جهالا لم يعطهم من الأمراض إلا على مقدار ما يداوون بحسب مبلغ علمهم . فلما نظر الى المدن أكثر الأمراض فيها وألهمها العلوم وفتح لها مدارسها على مقدار حاجتها . فاذا أهملت ضعفت الأجسام فكان عقابا على التقصير فأصبح انتشار المرض مهمازا تساق به الأمم الى أعلى الدرجات ونهاية الأمر ارتقاء العلوم والصناعات ونهاية النهاية كمال الروح لتخرج من الأرض بأجنحة أقوى وهمة أعلى

(٥) وان الله جعل الصدق في البادية بحيث انهم عند أداء الشهادات لا يكذبون وعند المحادثة لا يغشون وفي أوقات سمرهم يصدقون . أما المدن فانها ملئت مكرا وخبثا كما ملئت جبنا ولؤما ومرضا مزمنا . ذلك لأن أهل البادية اذا تولاهم داء الكذب أفناهم وشتت شملهم وأوقعهم في هاوية الخسار والهلاك لأنهم لا قدرة لقضاتهم على احقاق الحق إلا اذا كان القول صريحا واضحا . أما المدن فان القضاة فيها كلما رأوا الفساد منتشرا والكذب منتثرا والشهود كاذبين والمدّعين مزوّرين والمدّعى عليهم منكرين زادوا في العلم بحثا وفي الطبيعة فهما وفي الامور وزنا وللأعمال تدقيقا وللأقوال تحقيقا فازدادت العقول ارتقاء والنفوس بهاء واشراقا وفتحا لعويص المشكلات وصدعا بالحق وحكما بالصدق بالقوانين الصادقة والأقوال الشارحة والعلوم الواضحة

(٦) وان ذوى العقول التى هى مستعدة لقبول العلم يألمون أكثر من غيرهم اذا أحسوا بجهلهم ويتطلعون بشوق عظيم الى معرفة ماغاب عن غيرهم من عويص المشكلات فيألمون وينصبون أجسامهم ويتعبون أرواحهم ويهيمون فى أودية الأرض لطلب العلم كما يألم الجائع والشبق للطعام وللوقاع فتكون حياتهم كلها جهادا ليس لجهادهم نهاية ولا لنصبهم غاية وهؤلاء هم الذين عبرنا عنهم فيما تقدم فى هذه السورة بأنهم أصحاب النفوس العصبية الذين يشبهون الأجسام الموصلة للكهرباء . فهؤلاء سريعو التأثر عصبيون فيقبلون العلم أسرع من غيرهم وهم درجات بعضها فوق بعض كدرجات الأجسام الموصلة للكهرباء فى التوصيل وكدرجات الأجسام الموصلة للحرارة فى ايصالها الى مابعدها . وهم أشبه أيضا بالنبات السريع الانبات السريع الاثمار كأنواع البطيخ والقثاء ينبت سريعا وينمو سريعا ويثمر سريعا . فهكذا هؤلاء يتأثرون بالعلم سريعا ويعلمونه لغيرهم متى امتلأت نفوسهم ويكون تأثيرهم فى غيرهم على مقتضى الآثار الواصلة اليهم . فعلى مقدار مايقبلون ويتأثرون يكون قبول تلاميذهم ومن قرأ كتبهم . وهناك صلة بين الأساتذة والتلاميذ وبين الأنبياء والأمم والمؤلفين وقارئى كتبهم . فكلما كان الاستاذ والنبى والمؤلف أكثر عشقا لعلمه كان قراء العلم والدين والتآليف هم تابعين له لأن القلوب النقية تؤثر فيمن يقرأ تأليفها أو يسمع كلامها . تلك قاعدة مطردة لاعوج فيها ولا أمتا

فههنا عذاب من الرحمن وصل الى الأنبياء بالآلام التى يتحملونها من أممهم وفى العمل بالوحى الذى يوحى اليهم به وفى شوقهم الحثيث الى الرقى والعلوم . كل تلك آلام ولكنها هى عين الرحمة لهم ولغيرهم فافهم هذا وافهم ماقبله وتأمل كيف كانت القصص القرآنية قد جعلت مفتاحا لعقول هذه الطائفة فى مبدإ أمرها حتى اذا فتحت تلك المغاليق وأزيلت تلك السدود وألهمت تلك النفوس أخذت تطلع على مايجهله الناس حولهم . فالعلماء فى جميع الأمم يرون فى النحلة وفى النملة وفى الزهرة وفى الشجرة وفى النهر وفى البحر وفى الرياح وفى الأمواج وفى هبوب النسمات وفى حفيف الأشجار وفى طنين الحشرات وأصوات الطير فى الغابات وفى كل حركة وسكون مايطربون لها طربا ولايريدون عنها حولا ويرون العالم حولهم موسيقى وهم السامعون والناس من حولهم نائمون تائهون لايفقهون . وهؤلاء هم الذين عرفوا وفهموا قوله تعالى ــ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا ــ

فهؤلاء هم الذين يفقهون التسبيح وغيرهم لا يفقهون ولاهم يذكرون . فهذه الطائفة كان ألمها رحمة وأذاها نعمة وذلها عزا وأمرها عجبا

أفلا تتعجب معى كيف كان قوله تعالى ــ عذابا من الرحمن ــ شاملا لهذه المعانى ولغيرها مما وكلته الى فطنتك لتقرأه فى لوح الطبيعة المنشور الذى كتبه الله بيده الى بريته وتركه لنا وقال خذوه وافهموه وسلط علينا ماسلط ليوقظنا وليرشدنا . أوليس عذاب المسلمين الآن بالمفاسد والمخازى والجهل الفاشى فيهم واحاطة الأمم بهم من كل جانب ــ عذابا من الرحمن ــ لأنه برحمته عذبنا لأن هذه الرحمة التى ظهرت لنا بصفة عذاب فتحت لنا الباب على مصراعيه فأرتنا أهل (سويسرا) مثلا قد علمهم أساتذتهم فى المدارس تعليما دينيا وأدبيا واجتماعيا حتى وصلوا الى درجة أنهم لايفهمون معنى السرقة ولايعقلون كيف يكذبون

﴿ حكاية ﴾

سافر أحد عظماء المصريين من أبناء بلادنا الى (سويسرا) فنزل فى قطار السكة الحديد فلم ير القوم يأخذون تذكرة فى أيديهم بل كل واحد منهم يحاسب نفسه بنفسه فيضع النقود بيده فى الصندوق وليس عليه رقيب بخلاف عاداتنا نحن المصريين . ولما دخل المدينة سأل عن القاضى أين هو ليحادثه لأنه هو أيضا من رجال القانون فقالوا له ان القاضى فى الدكان يصنع الأحذية فتوجه اليه وعجب كيف يكون القاضى صانع

أحذية فقال له القاضى ان بلادنا تقلّ القضايا فيها والأمّة تعرف واجبها وأنا لا أعمــل إلا ثلاثة أيام أوّل الشهر فيأتى المتقاضون يسألوننى فيما أشكل عليهم من الامور فأفتيهم فيقتنعون وليس لى الحق أن آخذ مرتبا فى أيام لاعمل لى فيها . فيماأناذا آخذ مرتب ثلاثة أيام وفى بقية الشهر أصنع وآكل من كسب يدى

ثم توجــه الى فتاة قروية قد نامت فى وسط الأعشاب فى البرية وحولها عشرات من البقر يتبعنها أينما سارت و يقمن حولها اذا نامت و يسرن وراءها اذا رجعت الى منزلها قال فسألتها ألا تخافين من اللصوص قال فقالت لا أفهم معنى لصوص فقال سارقون فقالت هــذه أوّل مرة سمعت أن الانسان يأخذ مالاحق له وليس لنا علم بهذا فتعجب مما سمعه ومما رآه . والذى قال هــذا هوالمرحوم محمد بك فريد رئيس الحزب الوطنى المصرى

هذه الحـكاية وأمثالها كثير تدهشنا نحن المسلمين وتدعو لأسفنا الشديد . اننا خيرأمة أخرجت للناس نأمر بالمعروف وننهى عن المنـكر ثم تـكون عاقبتنا أننا قوم لانعرف إلا القضاء والمحاماة . فأماتربية الوجدان وتهذيب النفوس فنحن عنها بمعزل ساكـتون صامتون نائمون كما نام أهل الـكهف ــ سنين عددا ــ ولم نجد ما يوقظنا . أليس ما أذكره الآن آلاما . أوليس الله هوالذى خلق هذه الآلام . أوليس الله هو الذى أودع هذا فى القلوب لتشعر ومتى شعرت تحركت للعلم ومتى علمت عملت . أوليست هذه أمراضا اجتماعية بلى هى أمراض اجتماعية ودواؤها أن يقلع المسلمون عن طرق التعليم الحالية والا فعذاب الاذلال الواقع من الأمم الغربية ــ لامردّ له ومالهم من دونه من واق ــ وهذا الاذلال من دول أوروبا للمسلمين عذاب لايزول إلا بزوال سببه وهوالجهل بالعلم و بطرق دراسته

﴿ طرق التعليم لرقى الاسلام فى مستقبل الزمان حتى نستحق أن نـكون ــ خيرأمة أخرجت للناس ــ ﴾

هى أن يبتدئ المسلمون بتعليم الصغار فى المدارس والمساجد والزوايا والتكايا ﴿ أمرين * الأمرالأوّل ﴾ أمثال هذه القصص القرآنية مع شرح عجائبها وذكر موسى عليه السلام وانه كان مخلصا وأن الله ناداه من جانب الطور الأيمن وقرّبه نجيا ووهب له أخاه هرون نبيا لعلم الله أنه يستحق لاخلاصــه وقبوله وهكذا كل مخلص فان الله يحفظه و يعينه . وذكر اسماعيل وكيف كان صادق الوعد وصدقه للوعد ذكر قبل ذكر النبوّة لأنه لا يستعدّ للرقى إلا الـكاملون و يشرح صدق الوعد شرحا وافيا بحكايات وضرب أمثال شارحة للصدور بحيث يقتنع التلميذ ولا يكتفى بأنه يعذّب فى النار بل يفهم عقله أيضا . ويذكر له ادريس عليه السلام وأنه كان صدّيقا أى كـثير الصدق فى قوله والتصديق فهو عالم بكل علم مؤمن لذلك رفعه الله وحينئذ يشرح للتلميذ فوائد الصــدق ويحبب فى وطنه وفى المحافظة على أموال الحـكومة ونظامها وسـعادتها وأنه يجب أن يصدق الانسان فى خدمتها ويكون صــدقه بالاقتناع انه مفيد له ولغيره . ويفهم التلميذ أيضا عجائب الحيوان من النحل والنمل والعنكبوت والأنعام وعجائب النجوم وهذا هوالعلم المسمى بعلم الأنبياء بحيث يكون جيلا بهجا حسنا مطبوعا فى كـتب مشوّقة سارّة للناظرين فتـكون العجائب الطبيعية مشوّقة كما تشوّق الحـكايات المنقولة عن الأنبياء وهذا الفنّ للمبتدئين مقدمة لعلم الطبيعة والـكيمياء والحيوان والنبات للـكبار فى المدارس العالية فاذا وصلها التلميذ فيها والا فقد نال من كل فنّ كلمات تقنعه وأصبح رجلا نافعا لأمّته

﴿ علم التوحيد ﴾

واعلم أن علم التوحيد هو نفس ماذكرت فعلم الأشياء ونظام الموجودات و بهجة القمر والنجوم والـكواكب لصغار الأطفال مع ذكر قصص الأنبياء ومع ذكر الآيات المهذّبة للأخلاق وشرحها شرحا لاينغصه الاعراب ولاالصرف ولا كـثرة الكلام فى علم المعانى ولا البيان ولاالبديع لأن هذه العلوم كـثيرا ماعاقت الأطفال عن معرفة الله تعالى بل هذه لها قوم مختصون بها يحافظون عليها كبقية الصناعات والعلوم . أما نحن الآن فانما

نتكلم فى العلم الذى هوفرض عين على كل مكلف ثم ليكن المدرّس لهم مقتنعا بما يقول متأثرا به فيلقى اليهم عجائب الطبيعة و يصف لهم بدائعها ثم يعرج على خالقها فيصفه بأوصاف الجلال أى الصفات السلبية وأوصاف الجمال وهى أوصاف المعانى فيقول انه عالم وقادر ومتكلم وسميع و بصير مثل ماجاء فى القرآن و يترك تلك الفلسفة الباردة التى حدثت فى الأمة الاسلامية فشوّشت الأذهان وأبعدت الناس عن الأخلاق وعن معرفة ربهم فتأخرت الأمم الاسلامية عن سائر الأمم بهذه الطريقة العقيمة . أقول وان هـذا الذى أكتبه الآن سيقرؤه علماء وفضلاء وأمراء فى أمة الاسلام وسيعملون به وسترتقى أمم اسلامية على أيديهم تكون أرقى من الأمم الاسلامية المتأخرة بعد أعصر النبوّة الثلاثة التى كانت أنوار النبوّة مشرقة عليهم وسيكون للمسلمين نهضة لم يعرفها الشرق من قبل . سيقرأ الناس هذا الكتاب وسينظمون التعليم كما ذكرت وسيقوم فيهم المصلحون يزيدون بعقولهم وآرائهم على مابينت و يعطون الدواء على مقدار الداء وسيكون قوم أرقى شأنا ممن حولهم من الأمم ولاينبغى أن يبتدئ المسلمون بحفظ القرآن . كلا . بل يبتدئون بهـذه العبارات الجميلة و يأتون بالآيات تطبيقا عليها ثم يحفظها التلميذ حفظا مشو با بالمعنى وهومسرور بحفظه قانع بمطابقته للعوالم الخارجية والأخلاق النفسية . فأما الحفظ العام للقرآن فذلك له قوم يختصون به فهوأيضا فرض كفاية لافرض عام على سائر الأمم فأما العموم فالأحسن عندى أن يكون حفظهم للآيات على مقدار مايحتاجون اليه فى الأخلاق أوّلا وجمال الطبيعة ثانيا مع معرفة الله تعالى ومايجب عليهم من العبادات ثالثا كآيات الصلاة والزكاة وما أشبه ذلك . وهذه الطريقة الجميلة أقرب الى عصر الصحابة إذ كان الأمر سهلا والعلم محفوظا بطريق مألوف

﴿ اللطيفة الثانية فى قوله تعالى ــ سأستغفر لك ربى ــ ﴾

فيه طلب المغفرة له وقد مرّ تقرير هـذا المقام فى قوله تعالى ــ وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ــ الخ والى هنا انتهى الكلام على قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام

(قصة سيدنا موسى عليه السلام)

قال تعالى (واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا) بكسر اللام موحـدا أخلص عبادته من الشرك والرياء و بفتح اللام أى مختارا اختاره الله تعالى واستخلصه واصطفاه (وكان رسولا نبيا) أرسله الله الى الخلق فأنبأهم عنه والرسول هوالذى معه كتاب والنبى هوالذى ينبئ عن الله وليس معه كتاب . فمثال الأوّل موسى ومثال الثانى يوشع فيوشع نبى ولايسمى رسولا وانما هو ينبئ قومه وموسى ينبئ قومه بكتاب معه أرسل به من الله . فأحدهما معه رسالة أوصلها الى الناس والثانى ليس معـه رسالة يقدّمها لهـم وهوالكتاب ولكنه ينبئهم كما فى قوله تعالى ــ ولاينبئك مثل خبير ــ وكقوله ــ واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ــ الخ فهذا القول فيه الانباء ولارسالة هناك وهذا المعنى الذى شرحته لك الآن يخالف المعنى المشهور للنبى والرسول من جهة و يوافقه من جهة ولكن هذا المعنى هوالمناسب فى هذه الآية قال تعالى (وناديناه من جانب الطور الأيمن) من ناحية اليمين وهى التى تلى يمين موسى اشارة الى أنه ميمون الغدوات والروحات ولاشؤم يلحقه والله معه فلذلك تمثل له الكلام من تلك الجهة فعرفه (وقرّبناه نجيا) تقريب تشريف وعلم واخلاص فذلك أشبه بمن قرّبه ملك لمناجاته أى وقرّبناه حال كونه مناجيا أومرتفعا . والنجو فى اللغة الارتفاع ولاجرم أن الارتفاع فى المقام يلزمه المناجاة والقرب فهما متلازمان وأحدهما يفيد الآخر باللازم ولقد روى انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير الأقلام . ومعنى هذا تجاوز العالم المادّى وانغمس فى المعنوى والروحى فقرب من الله وعرف الامور العالية عن أذواق البشر فليس المقام مقام أمكنة وانما هى نفوس ترتقى حتى تبلغ أقصى مناها وتستعد للاطلاع على عالم أرقى ثم قال تعالى (ووهبنا له من رحمتنا) أى من بعض رحمتنا (أخاه هارون نبيا)

أى معاضدة أخيه وموازرته إجابة لدعوته وذلك أن موسى عليه السلام دعا ربه فقال ــ واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى ــ فأجاب الله دعاءه وهذا هوسبب جعله هبة وقوله ــ هارون ــ عطف بيان لاخاه ونبيا حال منه

(قصة سيدنا اسماعيل عليه السلام)

قال تعالى (واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد) فكان لايعد ربه وعدا يفعله إلا وفى به فصار الصدق صفة لازمة له حتى وعد بالصبر على الذبح فوفى وصبر وامتثل حتى جاءه الفداء ولم يكن لينتظره وهذه الصفة لم تسمع من غيره بهذه الحال (وكان رسولا نبيا) أى كان رسولا الى جرهم الذين حلوا بمكة معه ومع أمه ومعنى رسول هنا غيرماتقدم فان الرسالة هنا بمعنى النبوّة إذلا كتاب معه إلا كتاب ابراهيم وشريعته فيكون معنى النبوّة إذن الانذار والاخبار أى كان مرسلا من الله بتبليغ شريعة ابراهيم فنبأ بها قومه وأنذرهم وخوّفهم (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) أى انه بعد أن كمل فى نفسه بصدق الوعد أخذ يكمل عشيرته الأقربين وكذا بقية الأمّة لأنهم كلهم أهله فيأمرهم بالصلاة والزكاة ليقيهم النار . ولما كان الكمال فى النفس وتكميل الغير تخلقا بأخلاق الله تعالى والله يرضى عمن تخلق بأخلاقه قال ــ وكان عند ربه مرضيا ــ

﴿ لطيفة ﴾

إن صدق الوعد هوالصفة التى فقدت من تجار المسلمين اليوم ومن أكثر المتعاملين فيهم وهذا لقلة اكتراث الناس بهذه الصفة . فعلى قادة المسلمين وعلى العلماء أن تكون مواعدهم حقة وكلامهم صريحا فيقلدهم الشعب . إن الاسلام اليوم لم يكمل تابعوه لأنه بعيد عن تعاليمهم وعجبت لأمة هذا شأنها كيف عاشت الى الآن . حرام أن يترك هذا العلم . يجب أن يجعل له الأهمية التى للصلاة والزكاة . لماذا أيها المسلمون وهل ذكر اسماعيل فى القرآن إلا لهذا الغرض و يقول هذا نبىّ صادق الوعد . هذا هوالذى اتخذ الصدق له شعارا حتى جعل نفسه ذبيحة لأبيه وختم الكلام عليه بأنه رضى عنه . أماالأمم التى لاصدق عندها فلايرضى عنها الله بل يصبح رجالها يحقر بعضهم بعضا كبعض أمم الشرق الآن إذ ترى بعض التجار المصريين والسوريين والعراقيين وغيرهم يتخذون الحلف ذريعة والمساومة مغنما والكذب متجرا وتكون نتيجة ذلك عدم رضا الله تعالى وثمرة ذلك كراهة الناس ونفورهم منهم وترك تجارتهم فينحاز الناس الى تجار الافرنج لأن لهم صدقا بحسب الظاهر . هذا من أسباب عدم الرضا الذى أشارت له الآية بطريق المفهوم لا المنطوق

(قصة سيدنا ادريس عليه السلام)

قال تعالى (واذكر فى الكتاب ادريس) وهوالمسمى أخنوخ وهو أيضا أزريس أو اسوريس وكان ادريس تعريبا له وهذا الاسم فى الآثار المصرية وهوالذى ألف له المصريون القدماء رواية خلدت فى بطون تواريخهم وقد حصل بينه و بين أخيه مايحصل بين المتحاسدين فقطعه أخوه قطعا كثيرة جمعتها امرأته بعد ذلك إلاقطعة وحنطتها وحفظتها وصار إلها بعدأن كان مصلحا عظيما وهذه الحكاية الخرافية جعلت المصريين يعتنون بتحنيط الميت وهذا العمل قد أفاد الصناعة ورقاها وصارت مثلا وعبرة للآخرين . ولقد كان الملك والدين فى عهد هذه الدولة أمرا واحدا والملك يجمع بين أمر الدين والدنيا فمن عصى أمر الملك فقد عصى الله وأسوريس هذا صعد الى السماء وصار فى الحياة العالية وله عرش عظيم فى السماء يتمتع بأجل الخيرات وكل من حنط جسمه ووزنت أعماله بعدالموت وحكم القضاة وهم ٤٢ بأن حسناته غلبت سيآته فانه يلحق بأوزوريس فى تلك السماء العالية

إن هذا النبى الذى جعلوه إلها بعد ذلك هو الذى علم المصريين العلوم والمعارف و يقول علماؤنا انه أوّل من خط بالقلم وأوّل من خاط الثياب ولبس المخيط وأوّل من اتخذ السلاح وأوّل من نظر فى علم الحساب . هذا كلام علمائنا فى التفسير وهذا كلام يتصل بأقوال قدماء المصريين فالأمة المصرية تنسب علومها اليه و بالجملة فالأمة المصرية التى برعت فى جميع الفنون تنسب اليه مبدأ تلك البراعة وجميع الأمم دهشت من علوم قدمائنا المصريين ومن اطلع على مؤلفات المرحوم العلامة الأثرى الكبير أحمد بك كمال أمين متحف القاهرة كمحاضراته بالجامعة المصرية رأى عجبا عجابا . رأى انهم صوّروا السماء من قديم الزمان و بينوا البروج والليل والنهار وساعاتهما والكواكب . وفى الأعصر المتأخرة رسموها بهيئة امرأة رافعة يديها و يسترها ثوب طويل وفى رجليها نعلان وعلى رأسها عصابة . وهناك اشارة بلغتهم تشير الى الشمس ذات الأشعة وعلى جانبى المرأة البروج ستة منها جهة اليمين وستة منها جهة الشمال . وهاهى مرسومة أمامى وأنا أكتب الآن بشكل رائق بديع بالهيئة التى وجدت على صندوق ﴿حتر﴾ بطيبه . وهناك اشارات ورسوم تدل على أكثر مايراد من علم الهيئة قد أوضحها العلامة المذكور حول الشكل وهذا من أعجب مايراه الانسان . وترى فى الصفحة الثالثة عشرة فى المحاضرات المذكورة صورة المنطقة التى وجدت فى هيكل دندره وهى عجيبة فيها أربع صور من صور النساء واقفات للدلالة على الجهات الأربع والسماء فوقهنّ محمولة و يساعدهنّ فى ذلك ثمان صور من صور (جوريس) جاثيات رؤسها كرأس الباشق وجسمها كجسم الانسان وهذه المنطقة المحمولة على المعبودات الاثنى عشر تنقسم الى (٣٦) قسما وكل قسم عشرة أقسام فهى (٣٦٠) وكل قسم يوم . وهناك علوم أخرى فى الصورتين لايسعها المقام تقدّمت فى سورة يونس فارجع اليها إن شئت . وأن ماذكرته لك الآن كاف لتعلم مقدار علوم القوم وانهم تفننوا فى كل شئ . وأذكرك بما مضى فى سور متفرّقة فى هذا التفسير عن علوم القوم و بما مرّ فى قبر ﴿توت عنخ أمون﴾ الذى ذكرناه فى سورة البقرة وكشف حديثا وأدهش العالم كله وأعجبه اعجابا شديدا . لعلك عرفت من هذا ماجاء فى القرآن هنا فان وصف ادريس بقوله تعالى (إنه كان صدّيقا نبيا) فجعل وصفه بالصدق هو أهم أوصافه والصديق كثير الصدق والتصديق وذلك هو العلوم كلها لأن التصديق يرجع الى القضايا الكلية العامية فهو صادق أوّلا وعالم بها ثانيا ثم قال (ورفعناه مكانا عليا) قد تقدّمت الاشارة الى تاريخه والى الخرافة الخاصة به . ولما كان القرآن لايذكر من الكلام إلا مايجر مغنما ويدع ماليس له فائدة من تلك الخرافات التى لاتفيد معنى ولالها موجب ذكرانه رفع مكانا عليا فى السماء كما قاله قدماء المصريين فكأن القرآن قد جعل هذا حقا . وفائدتنا من قصة ادريس مايأتى

ان أمّته المصرية ارتقت ونفعت الأمم وهذّبت الأجيال وقامت بما عليها للنوع البشرى . ولاشك أن رفعة الأنبياء تابعة لآثارهم فى الأرض فلايرفع الله نبيا ولايخفض جاهلا إلا على مقدار الأعمال ورفع ادريس الى السماء يرجع الى ارتقاء أمّته بتعاليمه فالنبىّ بأمته والعالم بالانتفاع بعلمه . واذا أردت المفاضلة بين عالم وملك من الملوك فلننظر لآثارهما فى الأمّة فمن كان أهدى سبيلا وأقدر على الاصلاح باعتبار آثاره حكمنا له بأنه أقوم قيلا وأهدى سبيلا وأرفع شأنا وهكذا الأنبياء بعضهم مع بعض . لذلك رفع الله ادريس مكانا عليا ولذلك تجد آثار أمته بادية للعيان بعد أن كانت خافية عن الأذهان . انظر الى شرائعهم التى قصوها وأقوالهم التى قالوها مع تخليطهم فى الالوهية من تسبيع الى تثليث ثم الى توحيد آخرا فانهم لم يخلطوا فى الشرائع كما خلطوا فى الالوهية أجيالا واهتدوا أجيالا وكانوا اذا مات الملك عدّدوا مناقبه ومثالبه فان كان ضارا بالأمة حرموا دفنه فى قبره وهذا عجيب جدّا . كانوا يأمرون الملك بأن يعمل فى كل ساعة عملا خاصا . كانوا يأمرون باجتناب الظلم و يعلمون الصبيان والرجال الصيغة التى يقولونها بعد الموت أمام القضاة ﴿يارب لم أظلم أجيرا ولم أحرم العجل من لبن أمّه طمعا فيه ولم أقتل ولم أسرق ولم أزن ولم أكذب الخ﴾ وكانوا يمنعون أخذ أموال

الناس بالباطل . هـذا هوالذى يعرّفنا معنى كونه صدّيقا ومعنى كونه رفع مكانا عليا . ولذلك بقيت هذه الأمّة آلافا وآلافا ولماتحجرت العقول وضلت الأفكار نسى الأبناء المقصود من الدين فهلكوا وضلوا وخرفوا فذهبت ريحهم . أما أمة الاسلام فلم يمض لها غير زمن قليل فأمامها أجيال وأجيال وآلاف من السنين فيها تظهر مواهبها فهى الى الآن لم تقم بكل ماعليها للانسانيـة والله أنزلها ليظهر دينها على الدين كله فتعمل أكثر من كل دين سماوى . واذا كان ادريس عليه السلام رفع الى السماء الرابعة ومدحه الله بذلك ونبينا محمد ﷺ رفع الى مافوق السموات كلها وارتقى فوق ذلك الى سـدرة المنتهى والى مستوى سمع فيه صرير الأقلام . فهذا يراد به أن أمّته ترتقى الى أعلى الدرجات وتنفع الناس أكثر من كل دين . وأنت علمت أن ديانة قدماء المصريين ارتقت جدّا ولـكنها لم تعم . أما دين الاسـلام فانه قد انتشر انتشارا عجيبا ولم يبق إلا تقويته فى العلوم والمعارف على الطريقة التى فى هذا التفسير واذ ذاك تـكون الأمة الاسلامية قد عملت ماعليها انتشارا واتحادا أى انها تجمع أمما كثيرة وتؤلف بينهم وتجعلهم اخوانا وشعارهم الاخوّة العامّة لأن الاسلام معناه الاخوة العامّة والاخلاص التام فى قوم اتصفوا بهذا الوصف . ولما ذكر الله المرسلين أخذ ينعتهم فقال (أولئك الذين أنعم الله عليهم) أى أولئك الأنبياء فى هذه السورة من زكريا الى ادريس الذين أنعم الله عليهم بنعم دنيوية وأخروية (من النبيين) بيان للذين (من ذرّيّة آدم) أى ادريس ونوحا ـ من ـ للتبعيض لأنهـم بعض ذرّيته (وممن حملنا مع نوح) أى ومن ذرّيّة من حملنا مع نوح خصوصا وهـم الأنبياء ماعدا ادريس فانه كان قبله وابراهيم من ذرّيّة سام بن نوح (ومن ذرّيّة ابراهيم) وهم اسماعيل واسحق ويعقوب (واسرائيل) أى ومن ذرّيّة اسرائيـل وهو يعقوب كموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى (وممن هدينا) ومن جملة من هديناه الى سبيل الحق (واجتبينا) للنبوّة والكرامة (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجدا وبكيا) جملة مستأنفة لبيان خشيتهم من الله بعد أن أبان علوّهم فى الدين وفى النسب والقرب من الله والبكى جمع باك كالسجود جمع ساجد

﴿ ذكر الضالين المضلين بعد الصالحين المصلحين ﴾

قال تعالى (فخلف من بعدهم خلف) أى من بعد النبيين المذكورين (خلف) قوم سوء وهم اليهود وكل من كان على شاكلتهم فى الضلالة من هذه الأمة (أضاعوا الصلاة) تركوا الصلاة المفروضة عليهم أوأخروها عن وقتها (واتبعوا الشهوات) فآثروا شهواتهـم على طاعة الله تعالى وشربوا الخمور ومنهم قوم يظهرون فى آخر الزمان تـكثر الفاحشة العلنية بينهم حتى فى الأسواق (فسوف يلقون غيا) أى شرا أوجزاء غى * ويقال إنه واد فى جهنم تستعيذ منه أوديتها يلقى فيه العاق وشارب الخمر الخ وقوله (إلا من تاب) من التقصير فى الصلوات مثـلا (وآمن) بترك الكفر اذا كان كافرا (وعمل صالحا) بطاعة الله (فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون شيأ) ولاينقصون شيأ من جزاء أعمالهم وقوله (جنات عدن) منصوب على المدح (التى وعد الرحمن عباده بالغيب) أى التى وعدها إياهـم وهى غائبة عنهم أوهم غائبون عنها (إنه كان وعده) الذى هو الجنة (مأتيا) يأتيها أهلها الموعود لهـم (لايسمعون فيها لغوا) فضول كلام (إلا سلاما) إلاتسليم الملائـكة عليهم وأن يسلم بعضهم على بعض فهواستثناء منقطع . واعلم أن مبـدأ السعادة السلام والأمان والطمأنينة وهـذه الدنيا لا طمأنينة فيها فلاسعادة لأن الناس جميعا لايأمنون عاقبة قط فهم دائما لاسعادة عندهم فيكون مبدأ النعيم فى الآخرة أن تـكون الاشارات والعبارات والالهامات هى الطمأنينـة فى القلوب وهى المشار اليها بقوله تعالى ـ رضى الله عنهم ورضوا عنه ـ وهى هى التى نقولها نحن المسلمين فى صلواتنا صباحا ومساء ﴿ السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ فتكرار هـذه الجملة على اللسان يحدث أثرا فى النفس يتراكم على مدى الزمان فيشعر الانسان اذا أدرك المعنى فيما بعد أن الله لم يخلق العالم إلا لغاية

وغاية

وغاية الأرواح الطمأنينة وستكون تلك الطمأنينة حين نأمن الفقر والمرض والموت والشيخوخة وهذه الحالة هي التي يقولها الناس وهم لايشعرون فيقولون السلام عليكم أى ان الأمان سيكون لكم فى الدنيا بأن يكون بعضنا آمنا من بعض وفى الآخرة بالخروج من جميع المآزق وهى هى التى يقولها الرجل لآخر فى الاسلام عند التعزية ﴿ لا اراك الله سوأ ﴾ مع ان الذى لايرى سوأ انما هو الذى مات أما الحى فان السوء يحيط به كل حين ولكن هذا الدعاء أمنية من أمانى النفوس وهذه الأمنية ستحصل يوم لا يكون عذاب ولاعقاب وينتهى الحساب فيرتفع السوء كالمرض والموت والفقر والذل وما أشبه ذلك • ولما كان السلام مبدأ للنعمة فهو كالتخلية والنعمة بعده كالتحلية أردفه بقوله (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) لا بكرة فى الجنة ولاعشى إذ لا ليل ولانهار وانما يؤتون بأرزاقهم فى مقدار طرفى النهار كما كانوا فى الدنيا ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ يؤتون برزقهم رغدا لامقطوعا ولاممنوعا • انتهى تفسير القسم الأول من سورة مريم

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا * وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا * رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا * وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلاَ يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا * فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا * ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمٰنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا * وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا * وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا * قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلاَلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمٰنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا * وَيَزِيدُ اللّٰهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا * أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا * أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْدًا * كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا * وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا * وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا * أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا * فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا * يَوْمَ نَحْشُرُ

الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْداً * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً * لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْداً * وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا * تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَداً * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا * فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا

﴿ التفسير اللفظى ﴾

قال تعالى (تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا) أى نجعلها ملكا لهم كملك الميراث الذى هو أقوى تمليك . ويقال كما ورد فى غير الصحيحين ونقله المفسرون أن النبى ﷺ لما احتبس حين سأله اليهود كما تقدم عن أمر الروح وأصحاب الكهف وذى القرنين وقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله ودام ذلك الاحتباس ١٥ يوما ونزل جبريل قال له ﷺ أبطأت علىّ حتى ساء ظنى واشتقت اليك فقال له جبريل وانى كنت أشوق اليك ولكنى عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فأنزل الله تعالى (وما نتنزّل إلا بأمر ربك) وهذا حكاية قول جبريل والتنزل النزول على مهل لأنه مطاوع نزل أى وماننزل وقتا بعد وقت إلا بأمر ربنا ــ والضحى والليل اذا سجى ــ الخ ورواية البخارى أن النبى ﷺ قال ياجبريل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت ثم أكد اختصاص الله بالأمر بقوله (له مابين أيدينا) من الأماكن (وماخلفنا وما بين ذلك) فالأمكنة بأقسامها الثلاثة الحاضرة ملكه فكيف ننتقل من مكان الى مكان إلا باذن مالكه وكذلك الزمان فلا نتقدّم ولا نتأخر فيه لأنه له إلا باذنه (وما كان ربك نسيا) أى مانسيك ربك وماتركك كقوله ــ ماودّعك ربك وماقلى ــ ويصح أن يجعل الكلام متصلا بأهل الجنة وهو الأقرب للنظم . يقول أهل الجنة ــ وماننتزّل إلا بأمر ربك ــ أى وماننزل الجنة إلا بأمره الى قوله ــ وما كان ربك نسيا ــ أى ناسيا أعمالنا فانها تذكر ويعطى الثواب عليها* ثم أشار سبحانه الى أهمّ مايوصل الى الجنة فذكر العلم بربوبيته للسموات والأرض ومابينهما وأعقبه بالعبادة . فهنا صرّح القرآن بالحقيقة فالعلم بهذا العالم والعبادة المصفية للقلب بهما تتجلى طلعة الانوار المشرقات والبهجات الساطعة المضيئة فى هذه العوالم ويمتلئ المؤمن شراقا واذ ذاك يجتهد لينال العلم بهذا الوجود على ماهو عليه فالعلم المذكور هو باب الجنة بل هو الجنة عند العارفين بل هو أعلى الجنة والعبادة صقال يصقل القلوب فكان الترتيب عجبا فهو جنة ثم سببها وهو العلم فسبب السبب وهى العبادة ولكن العبادة ليس لها نصيب إلا فى العقل والقلب ولكن العلم بالتعليم (فاعبده واصطبر لعبادته) واياك أن يصدّك عنها مايشوّش عليك من ابطاء الوحى أو من شدائد الأيام ومكر الناس (هل تعلم له سميا) شبيها ومثلا أو هل تعلم أحدا يسمى الله غير الله (ويقول الانسان) أى بعضه (أئذا مامت لسوف أخرج حيا) من الأرض وهذا القول على سبيل الاستهزاء والتكذيب بالبعث قال تعالى (أولا يذكر الانسان) أى أولا يتذكر

منكر البعث (أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ) فان من قدر على خلقه من عناصر متفرّقة بنظام تام وحكمة بالغة أقدر على الاعادة لاسيما انه قد تبين أنه قادر على نظم فى الخلق لاعداد لها (فوربك لنحشرنهم) أقسم بالرب مضافا للرسول ﷺ تشريفا له ليجمعن المنكرين فى المعاد (والشياطين) معهم بحيث يكون كل كافر مع شيطانه فى سلسلة كما هو ظاهر فى العالم المشاهد ان ذرات الهواء لاتستقرّ إلا فى الجوّ وذرات الماء لاتستقرّ فى الهواء وعناصر الارض لن تساو غالبا فى الماء ولا فى الهواء وقطعان الغنم والوحش والبهائم تميل الى الاجتماع والائتناس والمجرمين والسراق يميل بعضهم الى بعض . فما الآخرة إلا جزء من النظام العام فيحشر الظالمون بعضهم مع بعض ويكون ذلك زيادة أذى لهم كما نرى المرء فى الدنيا لايقدر أن يفارق أهله أوأقاربه أوأبناءه وهو عالم انهم مصيبة عظمى عليه . فالعالم واحد فى نظامه لأن ربه واحد ولذلك سرت الوحدة فى الوجود فالشيطان مع الكافر والأنبياء مع الشهداء والصالحين ومن أحبهم معهم وهذا عين ماقالته الأرواح . إن المدار على الجاذبية * وفى الحديث ﴿ كل أم يتبعها ولدها ﴾ فما أجل العلم وما أبدع الحكمة وما أقرب الناس الى فهم القرآن الآن عن كل آن . هذا ومتى حشر الشياطين أحضروا حول جهنم جثيا أى جاثين على ركبهم لأنهم لما دهمهم من شدّة الامور لايطيقون القيام على أرجلهم فيجثون على ركبهم جثوا وهذا قوله تعالى (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا * ثم لننزعنّ من كل شيعة) من كل طائفة شاعت أى تبعت غاويا من الغواة (أيهم أشدّ على الرحمن عتيا) أى الذين يقال فيهم أيهم هوأشدّ على الرحمن عتيا أى تمرّدا وجرأة وفجورا أى يقدّم الى النار من هو أعتى فأعتى ممن هو أكبر جرما وأشدّ كفرا فنطرحهم فيها (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) جمع بينهم فى استحقاق دخول النار بعد ماأثبت انتزاع الأعتى فالأعتى وذلك انه لايقال أولى إلا مع الاشتراك وأولى صليا أى أحقّ بالنار دخولا وبها متعلق بأولى (وان منكم إلا واردها) أى ومامنكم أحد إلا داخل النار والمؤمن يدخلها وهى خامدة اذا لم يكن عليه ذنب (ثم ننجى الذين اتقوا) الشرك الأفضل فالأفضل (ونذر الظالمين فيها جثيا) جاثين على الركب وهذا آخر الكلام على جهنم

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن بنى آدم كلهم معذبون فى هذه الحياة الدنيا بالمال والولد والغنى والفقر . فكل الحياة آلام ولذات وقد جاء الدين والعلم ليعرفهم قيمة الدنيا وأحوالها حتى اذا ماتوا ارتقوا عن درجات الطبقة المنحطة فمن الناس من تصقل نفسه فى الدنيا فيعرف الحقائق فيخف وقع العذاب الدنيوى عليه حتى كأنه لم يعذّب ومنهم من يعذّب فى قبره الى أجل محدود من أصحاب العقائد الحقة . ومنهم من تبقى نفوسهم مغاولة معذّبة لتصلب الآراء الجاهلية فيهم وثقل أعمالهم عليهم فهؤلاء لايخرجون من العذاب . ولقد اضطربت أقوال المفسرين فى تفسير هذه الآية والخروج من النار ونحو ذلك . ولقد شرحنا هذا المقام فى سورة هود وفى سور أخرى ولكنا فى هذا المقام نرى أحوالا يجب البحث فيها فنقول

(١) فاذا سمعت قول مجاهد ﴿ ورود المؤمن النار هو مسّ الحمى جسده فى الدنيا ﴾ مستدلا بقوله عليه الصلاة والسلام ﴿ الحمى حظ كل مؤمن من النار ﴾

(٢) واذا سمعت قول بعض الصحابة لآخر ﴿ أيقنت بالورود قال نعم قال وأيقنت بالصدر قال لا قال ففيم الضحك وفيم التثاقل ﴾

(٣) واذا سمعت قول خالد بن معدان ﴿ يقول أهل الجنة ألم يعدنا ربنا أن نرد النار فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهى خامدة ﴾

(٤) واذا سمعت ماورد فى حديث ﴿ تقول النار للمؤمن جز يامؤمن فقد أطفأ نورك لهبى ﴾

(٥) واذا سمعت قوله ﷺ كما فى البخارى ومسلم ﴿ الحمى من فيح جهنم الخ ﴾ ومعنى فيحها

وهجها وشدة حرّها

فاعلم أن النار فى هذا المقام والعذاب قد شمل عذاب الدنيا والآخرة والقرآن مصرّح بهذا فى مواضع كثيرة ويرجع الأمر الى الحقائق النفسية فمن مات ولاذنب عليه البتة وهؤلاء قليل فللنار الحق أن تقول له ﴿ جز يامؤمن فقد أطفأ نورك لهبى ﴾ وربما أصاب هذا بعض الأمراض والمصائب فى الدنيا كالحمى وفقد الولد والأهل والفقر وماأشبه ذلك فخففت جشع النفس وخرجت من الدنيا لطيفة نيرة غير متعلقة بالدنيا . فبالصلاح والتقوى انجذبت الى عالم أعلى و بالمصائب تخلصت من حب الدنيا . فهاهى ذه قد مرّت على العذاب وجهنم خامدة لأن النفس بالصبر و بالتسليم و بالحساب والدقة فى تجنب الأخطار والتباعد عن الزلات وما أشبه ذلك مع حفظ المروءة وقيام المرء بالأسباب حق القيام كأنها أخمدت نارها فقل التأذى بالصبر والثبات ورجاء الثواب والفرح بقرب لقاء الأحباب والخلاص من هذه الدار . فهذا يجمع الأحوال المتقدمة إلا البند الخامس

ومن مات وهو مسلم مؤمن عنده تقصير ولم تقم بتهذيبه مصائب الحياة ولا الدين . فهذا هوالذى قيل فيه ﴿ أيقنت بالورود ولم توقن بالخروج ﴾ وهى الحال الثانية المروية

﴿ نصيحة ﴾

إياك أيها المسلم أن يصدك بعض الأحاديث الواردة عن الحقيقة فى ذاتها فان الأحاديث ترد سواءأ كانت ضعيفة أم صحيحة أوحسنة مرفوعة أومقطوعة ولكل واحد منها محمل مخصوص . فاياك أيها المسلم أن تتكل على بعض الروايات فتضيع دينك ويكون ذلك أشبه بكفر بالكتاب والا فحديث واحد مهما كانت درجته كاف فى هدم القرآن كله فالقرآن مملوء انذارا فتهدمه بحديث إن صح فهو محمول على حال خاصة . وليس من المعقول فى دين من أديان أهل الأرض أن أمة تصبح وقد رفع عنها العذاب كلها صالحها وطالحها والا لم يكن لقراءة القرآن معنى ولا لدراسة الدين . وأمة هذا شأنها تصبح أقل الأمم أدبا واخلاصا وأخلاقا وأكثرهم نفاقا فوالله لم يرسل الله الأنبياء ليغروا الناس على الشرور بل ليزيدوهم علما وأخلاقا وآدابا

﴿ طرق التهذيب ﴾

وطرق التهذيب ﴿ اثنتان ﴾ طريق الارهاب كما رأيت وطريق الترغيب وذلك بحب الله تعالى ومن أحب أحدا أحب لقاءه ومن أحب لقاء الله تحاشى كل مايضر باللقاء من الذنوب

﴿ بعض ايضاح لهذا المقام ﴾

ولقد فصلنا هذا المقام فى هذا التفسير فى غير ما موضع وحديث البخارى ومسلم شارح له إذ جاء فيه اننا نرى ربنا يوم القيامة كما نرى البدر والشمس ليس دونهما سحاب ثم يتبع الناس مايعبدون كمن يعبد الشمس ومن يعبد القمر وهكذا وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله فى غير الصورة التى يعرفونها فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فى الصورة التى يعرفونها فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيدعوهم فيتبعونه فيضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأول من يجوز نبينا بأمته ﷺ وكلام الرسل يومئذ ﴿ اللهم سلم سلم ﴾ وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم مقدار عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو ثم ذكر ان الله يأمر الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم وقد امتحشوا أى أحرقوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ويكون آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيتمنى انصراف وجهه عنها فقط ويعطى عهودا ومواثيق أن لايسأل غير هذا فاذا أقبل بوجهه على الجنة يطلب أن يقدم الى باب الجنة ويعتذر عن نقض العهد ويعطى مواثيق كالأولى أن لايسأل فيقرب منها ثم بعد أمد يطلب دخول الجنة ويفعل مثل مافعل فى المرتين السابقتين ثم يدخل الجنة بعد أن يضحك الله منه فيدخلها فيقول تمنّ فيتمنى

حتى تنقطع الأمانى فحينئذ الله يعطيه ذلك ومثله أوعشرة أمثاله على اختلاف الرواة . فهذا الحديث هو الموافق للدين والعلم وهو رواية الشيخين فالناس على حسب أعمالهم و يؤخر فى جهنم منهم من كان أكثر ذنو با [إلخ]

﴿ آثار هذا الحديث فى الدنيا وسرّ من أسراره ﴾

اعلم أن هذا الحديث الشريف ضرب مثلا لحال الناس يوم القيامة توضيحا و بيانا . وهاك آثاره فى الدنيا اذ كل مايحصل فى الآخرة لايخرج عن كونه نتيجة لما يحصل فى هذه الحياة فيستحيل أن يكون هناك غير ماهو نتائج ماهنا والناس فى الدنيا قطعا يمشون على صراط الأخلاق الممتد على نيران الشهوات تتخطفهم كلاليبها فيقع من يقع منهم فى نارها و يصبح فى النار ولايعلم أنه فى نار الذل تتخطفه الكلاليب من كل ناحية من أهل وولد وحكام وأعداء وأزواج وعشاق وهموم وأحزان وفراق اخوان وهجر وصد وغير ذلك فان عرف الحكمة وكان عابدا واستغرق فى جمال الله كانت هذه النيران بردا وسلاما ولم تمسه فلم يحزن لما فاته ولم يفرح بما آتاه ولم ينهمك فى طلب المال فصارت النار بردا وسلاما عليه كما كانت على ابراهيم وان انغمس فيها انغماسا ولم يستطع خلاصا مات غير مأسوف عليه لادنيا أصابها ولا آخرة نالها وهوهناك أعمى كما كان فى الدنيا أعمى

إن الصراط المستقيم فى الدنيا هو ذلك الجسر فى الآخرة والصراط المستقيم هو التوسط فى الأخلاق بين الاسراف والتقتير و بين الجبن والتهوّر و بين الجهل والطغيان بالعلم فيكون المرء كريما شجاعا حكيما عدلا. فمتى تمت هذه الأخلاق فهوعلى صراط مستقيم والا وقع فى عذاب الافراط والتفريط هنا ووقع فى جهنم هناك ومتى وقع فى هذا احترق بلدغ الآلام فى الدنيا كما يألم هناك بجهنم التى هى أثر من آثار ماهنا

﴿ بعض أسرار ماجاء فى الحديث أن المسلم يقول (است ربنا) وغيره يتبع وثنا أوقرا أوشمسا ﴾

سبب ذلك أن جميع من على الأرض ينظرون فى هذه الدنيا فمن اطلع على شئ أعجبه عظمه ومتى عظمه وتوالت القرون صار معبودا . فلذلك ترى (الفيل) و (البقر) معبودين فى الهند و بعض الحيات فى أفريقيا والنار عند المجوس والشمس والقمر عند بعض الهنود والقرود عند قوم وهكذا مامن شئ ذى شأن إلا وكان له شبيه حظ من الاعظام والاجلال . ومن ذلك التماثيل والآلهة التسعة عند قدماء المصريين ثم صاروا ثلاثة ثم جعلوهم واحدا . فهؤلاء جميعا عبدوا ماتوهموا أن النور الالهى قد انحصر فيه . أما المسلم فانه غير ذلك يتوقف فى ذلك كله و يقول اعبد الأحد الصمد فيتعالى على جميع مافى العالم و يعبد إلها غير منظور

﴿ العباد والصوفية ﴾

وهناك طوائف عبدت الله وصفت النفوس فتشرق نفوسهم وهؤلاء أيضا يحصل لهم فى أنفسهم مايحصل لأهل المادّة . فكلما سنحت لبعضهم سانحة من جانب القدس ربما انخدع وظنّ أنه قد وصل وذلك خطأ كخطأ عباد الصنم بل مامن كمال إلا وراءه كمال فاذا وقف العابد عند درجة من درجات الكمال وظن انه قد انتهى فذلك هوالو بال حتى يصل الى الحقيقة العالية . هذا هو المأخوذ من قوله ﴿ حتى يأتيهم الله بالصفة التى هو عليها ﴾ فالمسلمون سواء أكانوا من أرباب المحسوسات أومن أرباب الخيال لايقفون لاعند مادّة ولا عند خيال بل هم يرمون الى العلىّ الأعلى

﴿ حياة الخارجين من النار ﴾

وأما انهم ينبتون فى بحر الحياة كما تنبت الحبة فى حميل السيل فذلك انه كما ان البزور الدقيقة يحملها الزبد الذى يكون على السيل تنبت بعد ان لم تكن . كذلك هؤلاء المذنبون فى الدنيا اذا وقعوا فى الذنوب فانتابهم الذّل ثم تابوا واستغفروا وأشرقت قلوبهم ظهر الصلاح على وجوههم وخرجوا من ذنوبهم بالتوبة وصارت لهم حياة علمية . هذا فى الدنيا فان لم يفعلوا ذلك فعل بهم فى الآخرة ماذكره الحديث فى نارجهنم فى حال

أخرى عبر عنها بهذا التعبير

﴿ تفسير حال آخر أهل النار دخولا الجنة ﴾

إن هذه الحال المذكورة في الحديث هي أخلاق الانسان وأحواله في الآخرة ونعم الله عليه فيها وهي تشير الى حاله في الدنيا . اعلم أن أحوال الانسان في الحالين لها نظام متصل . ذلك أن الفقير والمريض والجاهل كل هؤلاء قد يطلبون الصحة والمال والعلم الى حدّ محدود ظنا أن ما حدّدوه يروى ظمأهم ومتى نالوه زادوا طمعا في العلم والمال والقوّة وفي كل مرة يقول الانسان ﴿ لا أطلب غير هذا ﴾ ثم قد ينتهي الأمر بأن ينال العالم علوما لم تكن له في الحسبان وهكذا الغنى ينال مالا لم يكن ليخطر بباله . ومثلهما في ذلك من صحّ بعد المرض . فهكذا من خرج من النار وقد أقبل عليها يتمنى أن يرى الجنة ولايزال حتى يدخلها ثم تغدق عليه النعم وهذه الحال لاتفارق الانسان في الدنيا ولافي الآخرة . وفي الآية ــ لتركبنّ طبقا عن طبق ــ أي في الآخرة كما ترونه في الدنيا

﴿ فصل في أحوال أهل النار وأهل الجنة وأخلاقهما ﴾

قال تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) واضحات الاعجاز (قال الذين كفروا للذين آمنوا) أي لأجلهم أو معهم (أيّ الفريقين) منا ومنكم (خير مقاما) منزلا ومسكنا وهو موضع الاقامة (وأحسن نديا) مجلسا ومجتمعا فرّوا من اتباع الدين بعد ما ظهر من المعجزات الى الفخر بالمجالس والزينة ونحوهما وهذا قول كفار قريش لفقراء أصحاب النبي ﷺ وكان في عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤسهم ويلبسون أفخر ثيابهم فأجابهم الله بالتهديد فقال (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا) متاعا وأموالا وثيابا ولباسا (ورئيا) منظرا من الرؤية أو ريّا بقلب الهمزة وادغامها (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدّا) الأمر هنا بمعنى الخبر أي يمدّه ويمهله بطول العمر والتمتع به (حتى اذا رأوا مايوعدون) هذا القول متصل بقوله ــ خير مقاما وأحسن نديا ــ أي لايزالون يقولون هذا القول الى أن يشاهدوا الموعود رأي عين (إما العذاب) في الدنيا كما حصل يوم بدر (واما الساعة) أي يوم القيامة وأما قوله ــ قل من كان في الضلالة ــ الخ فهي جملة معترضة وقوله (فسيعلمون من هو شرّ مكانا) منزلا فهو جواب اذا (وأضعف جندا) أي فئة وأنصارا وهو مقابل لقوله ــ أحسن نديا ــ (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) إيمانا وايقانا على ماعندهم من اليقين وهو عطف لقوله ــ فليمدد له الرحمن ــ لأنه بمعنى الخبر (والباقيات الصالحات) الطاعات التي تبقى عائدتها أبد الآباد مثل ﴿ سبحان الله والحمد لله الخ ﴾ ومثل الصلوات (خير عند ربك ثوابا) عاقبة ومرجعا * روى البخاري ومسلم أن خباب بن الارت قال كنت رجلا قينا في الجاهلية أي حدّادا وكان لي على العاص بن وائل السهمي دين فأتيته أتقاضاه * وفي رواية فعملت للعاص ابن وائل السهمي سيفا جئته أتقاضاه فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث قال واني لميت ثم مبعوث قلت بلى قال دعني حتى أموت وأبعث فسأوتى مالا وولدا فأقضيك فنزلت (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا) فردّ الله عليه بقوله (أطلع الغيب) أي النظر في اللوح المحفوظ أو علم الله حتى يعلم أنه في الآخرة يؤتى مالا وولدا (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) مثل أن يقول لا إله إلا الله الخ ويعمل عملا صالحا (كلا) لا يكون له مايقول (سنكتب مايقول) سنظهر له انا كتبنا قوله (ونمدّ له من العذاب مدّا) مدّه يمدّه زاده (ونرثه مايقول) من المال والولد بموته (ويأتينا) يوم القيامة (فردا) لا مال معه ولا ولد (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا) ليعزّزوا بهم لأنهم شفعاؤهم عند الله (كلا) ردع وانكار لتعزّزهم بها (سيكفرون بعبادتهم) سيجحد الآلهة عبادتهم (ويكونون) أي المعبودون (عليهم) على المشركين (ضدا) خصما والضد للواحد والجمع وهؤلاء المعبودون ينكرون عبادتهم ويطلبون عذابهم

حين

حين ينطقهم الله (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أى سلطناهم عليهم (تؤزّهم أزّا) أى تزعجهم ازعاجا فيفرّون من الطاعة الى المعصية فهى تحثهم وتحرّضهم (فلا تعجل عليهم) لا تعجل بطلب عقوبتهم (إنما نعدّ لهم عدّا) نعدّ أنفاسهم وأيامهم وجميع أزمانهم ❊ اذكرلهم (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) أى ركبانا على نوق رحالها من الذهب ونجائب سروجها يواقيت ان هموا بها سارت وان هموا بها طارت وهذا كلام سيدنا على كرّم الله وجهه تمثيل لحالهم فى عزّة وعظمة واكرام (ونسوق المجرمين) الكافرين (الى جهنم وردا) أى مشاة عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش فهم كالدواب التى ترد الماء (لايملكون الشفاعة) أى لايملك العباد الشفاعة (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) بأن تحلى بما يستعدّ ويستأهل لها فى الدنيا بأن يكون هاديا للناس مصلحا لهم ولاجرم ينال الشفاعة فى الآخرة على مقدار هدايته كما تقدّم تقريره فى سورة البقرة ❊ فالشفاعة هناك للأنبياء والعلماء والشهداء على مقدار أتباعهم — ولايظلم ربك أحدا — (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) أى قال اليهود والنصارى وبعض العرب اتخذ الرحمن ولدا واتخاذ الولد يقدح فى الربوبية بل من اتخذ الولد تكون عنده رقة القلب والجبن والضعف والجهل لأن الولد مجبنة مبخلة مجهلة كما فى الحديث الشريف ❊ ومتى اتصف بهذه الصفات لا يكون إلها لنقصه ❊ ومتى انتفت الالوهية تنفطر السموات وتنشق الأرض وتهدّ الجبال ويشير لهذا قوله (لقد جئتم شيأ إدّا) منكرا (تكاد السموات يتفطرن منه) يتشققن مرة بعد أخرى (وتنشق الأرض) أى تخسف بهم (وتخرّ الجبال هدّا) أى تسقط وتنطبق عليهم (أن دعوا للرحمن ولدا) أى من أجل — أن دعوا — الخ ثم نزّه نفسه فقال (وماينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا) ومايليق به اتخاذ الولد لأن ذلك شأن المخلوق ❊ واعلم أن هذا القول فى هذا المقام يناسبه ماذكر من العذاب لأنه راجع لأصل الربوبية وفى ذلك فساد العالم فليسقط عليهم غضبا كما قالوا قولا لو صحّ لأورث خللا فى النظام وزللا وعدما بخلاف مافى سورة النحل كما تقدّم إذ قال هناك — ماترك على ظهرها من دابة — فقد بينا هناك أن المقام كان فى الذكورة والانوثة ❊ فأما هنا فالقوم فى وصف الله بالولادة بقطع النظر عن الذكورة والانوثة وهذا الوصف فيه خراب العالم وذلك الوصف ضياع لكل حيوان لوأن العالم كان نظامه حسب أهوائهم وكيف يتخذ الله ولدا فذلك لايليق له (إن كل من فى السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا) أى إلا آتيه يوم القيامة عبدا ذليلا خاضعا (لقد أحصاهم وعدّهم عدّا) عدّ أنفاسهم وآثارهم وأعمالهم (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) وحيدا لاشئ معه مما فى الدنيا (إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّا) أى محبة فيحبهم الله ويجعل الناس يحبونهم ❊ روى البخارى ومسلم عن النبى ﷺ أنه قال ﴿ اذا أحبّ الله سبحانه عبدا دعا جبريل عليه السلام ان الله تعالى يحبّ فلانا فأحبه فيحبه جبريل فينادى جبريل فى أهل السماء ان الله يحبّ فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض ﴾ وفى حديث مسلم تكملته فى البغض على هذا النمط ﴿ فيبغض الله انسانا فيبغضه جبريل ثم أهل السماء ثم أهل الأرض (فانما يسرناه بلسانك) أى سهلنا القرآن بلسانك (لتبشر به المتقين) أى المؤمنين (وتنذر به قوما لدا) أى أعداء أشدّاء الخصومة ❊ ثم ختم السورة بالانذار بالهلاك لهم قياسا على مايذكر من هلاك المكذّبين من الأمم السابقة فقال (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) تخويف للكفرة وتجسير للرسول على انذارهم (هل تحسّ منهم من أحد) أى هل تجد من القرون من أحد (أوتسمع لهم ركزا) صوتا خفيا ❊ قال الحسن رضى الله عنه بادوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا أثر ❊ انتهى التفسير اللفظى

﴿ لطيفة فى قوله تعالى — إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزّا — ﴾

اعلم أن هذا القول اذا سمعه من قرؤا بعض العلوم ولكنهم يجهلون بقيتها أسرعوا بالتكذيب بل الكفر ولكن ألم يأتهم نبأ علم الأرواح وقد تجلى فيه هذا المقام كما أوضحناه فى هذا التفسير ❊ ولما كان نقل مثل

هذا القول وأمثاله عن جمعيات أوروبا يحدث فى قلوب الطبقة الراقية سرورا ويدهشون إذ يرون ما أنكره المتعلمون فى الشرق أثبته الحكماء والعلماء فى جميع بلاد الغرب أى العلماء الذين جدّوا فى علم الأرواح فسترى فى هذا الحديث الذى سأنقله لك من كتاب الأرواح الذى نقلت عنه فى هذا التفسير كثيرا . أقول سترى فيه عجبا عجابا . وترى أن النبوّة المحمدية قد ظهر سرها عيانا فى أوروبا فقد جاء فى هذا الكتاب صفحة ١٢٤ مايأتى وهاهو ذا

﴿ الحديث الثالث عشر من كتاب المذهب الروحانى ﴾

اليك أيها الذكى خلاصة تعليم الأرواح فى هذا الموضوع نقلا عن كتاب (الوسطاء) للعلم (الآن كردك)

(س) كيف تميز الروح الصالح من الشرير

(ج) من حديثه فان الأرواح العلوية تحبّ الخير ولاتأمر إلا به . أما الناقصة فلايزال الجهل متسلطا عليها وحديثها يشف عن نقصها فى العلم والفضيلة

(س) هل العلم فى الروح دليل ارتفاعه

(ج) كلا . قد يمكن مع علمه أن يكون بعد تحت سلطة الرذيلة والأوهام . إن فى عالمكم الأرضى من هم فى منتهى الكبرياء والحسد والتعصب فهل يتجرّدون من هذه النقائص حال مبارحتهم الحياة . كلا . إن الرذائل على اختلاف أنواعها تحيط بالروح بعد موته ملتصقة به كالهواء وهؤلاء أشدّ خطرا من الأرواح الشريرة إذ فيهم اجتمعت الكبرياء مع النباهة والمكر مع الذكاء فيطغون بعلمهم الأنام السذج ويشربونهم مبادئهم السخيفة الكاذبة وهذا مايعرقل قليلا وثبة الروحانية . فعلى الروحانيين الخبيرين أن لا يألوا جهدا فى كشف خداعهم وتمييز الحقّ من الباطل

(س) عند مانحضر روحا علويا عرف على الأرض هل يحضر بنفسه أو يرسل من ينوب عنه

(ج) يحضر بنفسه ان أمكن والا فيرسل من ينوب عنه

(س) هل يكون للنائب كفاءة ليسدّ مسدّ الروح العلوى

(ج) ان الروح عارف بمن يسلم اليه أمر نيابته . ثم اعلم أن الأرواح العلوية كلما ازدادت ارتقاء انضمت الى بعضها فى وحدة الفكر حتى لايعود لمسألة الشخصية حيز عندهم ولامن يلتفت اليها وهذا مايجب أن تسعوا فى البلوغ اليه فى عالمكم الأرضى ثم هل تظنون أنه ليس من الأرواح العلوية القادرة على تعليمكم إلا من عرفتم منها على الأرض . مابالكم تعدون دائما أنفسكم مثال الخليقة وأن لاشئ فى الدنيا خارج عن عالمكم الحقير . انكم فى هذا تشابهون المتوحشين الذين لم يخرجوا قط من جزرهم فظنوا المسكونة لاتمتدّ خارجا عنها

(س) هذا صحيح ولكن كيف تسمح الأرواح العلوية لبعض الأرواح الكذبة بأن تنتحل أسماءها لنشر الضلال والفساد

(ج) ليس بارادة الأرواح العلوية تفعل ذلك وسوف ينوبها العقاب على عملها ثم لوتكونوا أنتم ناقصين لما وافاكم إلا أرواح صالحة فاذا مكر أحد بكم فلاتلوموا إلا ذواتكم . ان الله يسمح بذلك حتى تتروضوا على الصبر والثبات وتتعلموا أن تميزوا الحق من الباطل فان لم تفعلوا ذلك يكون هذا دليلا على نقصكم واحتياجكم بعد الى أمثولات الخبرة

(س) هل الأرواح التى تنشر الضلال تفعل ذلك دائما عن عمد

(ج) كلا . قد يمكن لبعض الأرواح الصالحة أن تكون بعد جاهلة ناقصة العلم . فهذه تقرّ بعجزها وتتكلم على مقتضى درجة علمها

(س)

(س) هل تستطيع الأرواح الشريرة بواسطة الرسائل الروحانية أن تلقي الشقاق وتزرع الفتن بين الأصحاب

(ج) نعم فلهذا يقتضي التحرز التام من مقالات مو بقة كهذه يكون أكثرها إفكا وخداعا . فاياكم والانقياد لرسائل كهذه لا يسطرها إلا روح كل كاذب شرير

(س) اذا كان للأرواح الشريرة سهولة كهذه للتداخل في المخابرات الروحانية فاستطلاع الحقيقة أصبح من أعسر الامور

(ج) كلا . ليس هذا يعسر مادام فيكم قوّة التمييز . اذا قرأتم كتابا تستدلون على صفات كاتبه ان كان عالما أوجاهلا أديبا أوجلفا . فعلى هذه الصورة استوضحوا صدق الروح من رسائله

(س) هل تستطيع الأرواح العلوية أن تنهى شريرة عن الخداع

(ج) لاريب في ذلك . ومن الوسطاء من تميل اليهم الأرواح العلوية بنوع خاص فتقيهم شرّ الخداع ولاتدع الأرواح السفلية تسطو عليهم

(س) ما الداعي لهذا الاختصاص

(ج) لايدعى هذا اختصاصا بل عدلا لأن الأرواح العلوية لاتميل إلا الى من ينقاد لنصحها ويبذل جهده في اصلاح نفسه وترقية الروح . فوسيط صالح كهذا يكون محببا اليها فتتخذه تحت كلاءتها وتسعفه في كل ظرف وحاجة

(س) لم يسمح الله بنفاق الأرواح الشريرة عند انتحالها أسماء مبجلة

(ج) سؤالكم أشبه بقول من يسأل . لم يسمح الله بأن يكذب الانسان فللأرواح كما للبشر الاختيار المعتوق في عمل الخير أوالشرّ ولكن لايفوت أحدا منهم عدل الله بل كل امرئ يلقى جزاء أعماله

(س) ألا تستطيع الأرواح الماكرة أن تقلد الفكر

(ج) تقلد الفكر كما أن زخارف المرسح تقلد الطبيعة

(س) من الناس من هم قاصرو الفهم تغويهم زخارف الحديث ولايفقهون قوّة المعاني فكيف يتمكن هؤلاء من الحكم بمقالات الأرواح

(ج) ان كانوا متواضعين يقرّوا بعجزهم ويركنوا الى من هم أوفر ذكاء وفطنة منهم . وان أعمتهم الكبرياء وظنوا بأنفسهم أنهم أشدّ كفاءة مما هم فليتحملوا تبعة كبريائهم

(س) كثير من الوسطاء يميزون الأرواح الصالحة من الشريرة بالتأثير اللطيف أوالمزعج الذي يصيبهم من مخالطتها . فهل هذا صحيح

(ج) ان الوسيط يشعر بتأثيرات الروح المتجلي له على أية حالة كان فالروح السعيد يكون هادئا رزينا والتعس يكون مضطربا متقلقلا وتأثيرات هذه الحالة تصيب جهاز الوسيط العصبي

(س) هل يمكن للانسان أن يحضر الأرواح من دون أن يكون وسيطا

(ج) نعم وهذا يدعى الاحضار الفكري ففيه يناجي الروح باطنا محضره ولئن لم يكن هذا وسيطا ماديا

(س) هل يلبي الروح دائما دعوة محضره

(ج) هذا منوط بالظروف التي يكون الروح عليها

(س) أية موانع تصدّ الروح عن تلبية دعوتنا

(ج) أوّلها ارادته الحرّة ثم أحوال أخرى بعد الموت أوالأعمال التي يكون موكلا بها أوأخيرا عدم ايذانه في تلبية محضره إذ كان من الأرواح من لاتستطيع مناجاتكم بتاتا وهي التي في عوالم أقلّ من عالمكم الأرضي لأن الروح لايستطيع أن يخابر سكان عالم مالم يكن درجة تقدّمه موازيا للعالم المدعو اليه والا فيكون غريبا

عن أفكاره ومبادئه وان كان هو روحا متقدما أرسل الى العالم السفلى تكفيرا عن ذنوبه أولرسالة يقدم بها فلايعجز حينئذ عن الحضور لمناجاتكم ان أذن له فى ذلك

(س) لماذا ينكر عليه أحيانا الاذن

(ج) قصاصا له أولمن يحضره

(س) كيف يمكن للأرواح المتشعبة فى الفلا والعوالم القاصية أن تسمع صراخ مستدعيها وتلبى دعوته

(ج) شرح ذلك عسر طالما أنكم تجهلون كيفية تجاذب الأفكار بين الأرواح ولكن أقول ان الروح المحضرعلى أى بعد كان تصيبه صدمة الفكر كحركة كهربائية تجتذب انتباهه الى نقطة مصدرها بنوع أنه يسمع الفكرعلى نوع القول كما تسمعون الصوت على وجه الأرض

(س) هل السيال العام يحمل الفكر كما أن الهواء ينقل الصوت

(ج) نعم انما الفرق أن الصوت لايسمع إلا بدائرة محدودة فى حين أن الفكر ينتقل الى بعد غيرمحدود

(س) أيلبى الروح الدعوة باختياره أم قسرا عنه

(ج) له الحرّية المطلقة فى تلبية الدعوة أو إبائها إلا أن الروح العلوى يستطيع فى بعض الظروف أن يجبر روحا سفليا على الحضور ان كان حضوره مفيدا

(س) هل من ضرر فى احضار الأرواح السفلية وهل يخشى على الوسيط شرّها

(ج) لاتجسر الأرواح الشريرة على إلحاق الأذى بمن يكون تحت حماية علوية لا بل تهاب الوسيط الفاضل لما له عليها من السلطة الأدبية انما خير للوسيط أن يتجنب استحضارها فى العزلة

(س) ماهى أخصّ الشروط لاحضار الأرواح الصالحة

(ج) التهيب واختلاء الباطن وصفاء النية والصلاة الحارّة

(س) هل اجتماع الأشخاص فى وحدة الفكر والنية تزيد الاحضار قوّة

(ج) نعم ولاشئ يضرّ بالاستحضار مثل تباين الأفكار وتضاد النوايا

(س) هل تحسن اقامة الجلسات الروحانية فى أيام وساعات معينة

(ج) نعم لأن للأرواح أشغالا لاتمكنها من الحضور اليكم متى وكيفما شئتم

(س) هل للأيقونات والطلاسم تأثير فى جذب الأرواح أوطردها

(ج) ألاتعلمون أن المادّة لاتأثير لها على الروح وأن الطلاسم لاوجود لقوّة بها إلافى مخيلة الأنام السذج

(س) أتسرّ الأرواح بالاستحضار أم لا

(ج) هذا منوط بطباعها وبدواعى استحضارها فان كانت الغاية حميدة والحضور من أحبائها تتقاطر اليهم بسرور والا أبت الحضور أوتحضر كرها عنها وتدل أجوبتها على كدرها وغيظها

(س) هل يمكن استحضار أرواح جمة معا

(ج) نعم بشرط أن يكون لديكم جملة وسطاء والا فروح واحد يجيب عن الجميع على يد الوسيط الحاضر

(س) هل يستطيع الروح أن يحضرعدّة مجالس يستدعى اليها فى آن واحد

(ج) نعم بشرط أن يكون روحا علويا

(س) كيف يتم ذلك . هل يتجزأ الروح

(ج) ان الشمس واحدة وتنير مع هذا أماكن عديدة معا . فكلما تعالى الروح وتنقى ازدادت أشعة فكره قوّة وامتدادا . أما الروح السفلى فلايستطيع لتغلب المادّة عليه أن يحضر إلا مكانا واحدا ولا أن يكاتب إلا وسيطا واحدا

(س)

(س) هل يمكن استحضار الأرواح النقية أى التى بلغت الغاية القصوى

(ج) قد يمكن ذلك وهذا نادر جدًا فان أرواحا كهذه لاتناجى إلا قلوبا نقية مخلصة لاتشوبها الكبرياء وحبّ الذات

(س) مامقدار الزمن الذى يكفى لاستحضار الروح بعد موته

(ج) قد يمكن استحضاره حتى وقت الموت ولكن أجوبته تكون ناقصة لاستيلاء الاضطراب بعد عليه

(س) هل استحضار الروح المتجسد ممتنع على الاطلاق

(ج) كلا . فقد يمكن استحضاره بشرط أن حاله الجسدية تسمح له بذلك . وكلما كان العالم أرقى قلت المادّة من الجسد وازداد الروح سهولة فى مزايلته

(س) هل يمكن استحضار روح الحى

(ج) نعم بشرط أن يكون نائما أو تكون روحه وقتئذ منطلقة قليلا من قيود جسدها ومرتبطة به برابط سيال به يميز الوسيط الناظر روح الحى من روح الميت

(س) هل روح الحى المستحضر وقت الرقاد يجيب سائله بسهولة كروح الميت

(ج) كلا . لأن المادّة المقيد بها تفعل دائما فيه وتعيق حرّيته

(س) هل يتذكر الانسان عند اليقظة استحضاره وقت الرقاد

(ج) كلا فان حالته أشبه بالنائم المغناطيسى الذى ينسى عند اليقظة كل ما قاله وعمله وقت التنويم

(س) هل يمكن تغير أفكار الحى عند اليقظة باستحضار روحه واقناعه عند الرقاد

(ج) قلما يصح ذلك لأن الانسان ينسى وقت اليقظة التأثيرات الأدبية التى أصابت روحه والمقاصد الصالحة التى اتخذها وقت الرقاد

(س) هل لروح الحى حرّية فى قول واخفاء مايشاء

(ج) لاريب فى ذلك . لا بل يكون أشدّ تحفظا منه وقت اليقظة واذا ألحوا عليه فى السؤال ينصرف

(س) ألا يمكن لروح آخر أن يضطر روح الحىّ الى الحضور والتكلم بما لايريد

(ج) ليس من سلطة بين الأرواح أحياء كانوا أم أمواتا إلا السلطة الأدبية فمن له سلطة كهذه فليس ينبغى أن يستخدمها فى سبيل أغراض ساقطة تنزّه عنها

(س) هل يمكن استحضار روح الجنين وهو بعد فى أحشاء أمه

(ج) كلا لأنه يكون وقتئذ فى حالة اضطراب تام

(س) هل يتأتى ضرر من استحضار روح الحى

(ج) لايخلو ذلك من بعض الضرر خصوصا اذا كان الحى مريضا فان احضاره يزيد فى أوجاعه . وعليه لاينبغى احضار روح الولد الصغير ولا الشيخ الضعيف ولا الانسان العليل فان الاستحضار مضرّ بهم

(س) ان كان استحضار روح الحىّ لايخلو من بعض الضرر فمن أين نعلم أن الروح الذى نظنه ميتا ونستحضره لايكون قد صار بعد الموت فى حال حياة يضرّه فيها الاستحضار

(ج) ان روحا كهذا لايلبى الاستحضار فلهذا قلت لكم انه لايستحضر الوسيط روحا مالم يسأل قبلا الروح مرشده أكان استحضاره ممكنا أم لا

(س) أليس محتملا فى الوساطة الخطية أو الاستيلائية أن تكون المقالات صادرة من روح الوسيط ذاته

(ج) قد يمكن لروح الوسيط ان كانت منطلقة بعض الانطلاق أن تستخدم كالروح الأجنبى جسدها ذاته للكتابة وليس هذا بعجب طالما روح الحى يستطيع رغما من تجسده أن يستخدم جسد وسيط للكتابة أو التكلم

(س) ألا يثبت مبدأ كهذا رأى القائلين بأن المقالات الروحانية انها من شخصية الوسيط التى لم تتنبه وليس للأرواح دخل فيها

(ج) قد يصح هذا الرأى فى بعض الظروف ولكنه لايشمل المقالات الروحانية كلها . اذا كان فى استطاعة الوسيط أن يستخدم جسده للكتابة أوالتكلم لايدل هذا على امتناع استخدام الروح الأجنبى له فى سبيل ذلك

(س) فن أين نعلم أكان المتكلم أوالكاتب روح الوسيط أم روحا آخر أجنبيا

(ج) تستطيعون تمييزذلك من فحوى المقالة ولهجة الحديث وظروف أخرى لاتخفى على الناقد البصير فان من الأجوبة مايتعذر اعزاؤها الى روح الوسيط فعلى الخبير أن يتبصر ويدرس

ولما أتممت هذا المقال من كتاب ﴿ المذهب الروحانى ﴾ قلت ياشيبر محمد اعلم أن فى هذا الحديث من المعانى العجيبة الدينية مافيه عبرة لمن اعتبر وذكرى لمن اذكر . ألم تر الى قول الروح ﴿ إن الرذائل على اختلاف أنواعها تحيط بالروح بعد موته فتلتصق به ﴾ ثم قالت ﴿ هؤلاء العلماء الفاسقون أشد خطرا من الأرواح الشريرة لأن الكبرياء والنباهة اجتمعت فيهم ﴾ أما احاطة الأخلاق بالأرواح أو التصاقها بها فقد تقدم الكلام عليها . وأما اجتماع الكبرياء مع النباهة فى العلماء الفسقة وانهم شر من الأرواح الشريرة فذلك ورد فى قوله تعالى ـ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولوشئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أوتتركه يلهث ـ . ذلك أن عالما من بنى اسرائيل كان مجاب الدعوة يسمى (بلعام بن باعوراء) تقدم اليه قومه واستعانوا بزوجته الجميلة وأهدوا لها حليا ومالا وسألوه أن يدعو الله على سيدنا موسى فاندلع لسانه وانقلب الدعاء على قومه وطرد من رحمة الله فأخذ يحتال بحيل دنيوية ويوقع الفتن فى جيش النبى موسى صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم

فلهذا قال تعالى واتل يامحمد على قومك نبأ هذا الرجل الذى آتيناه آياتنا الخ ثم قال فاقصص القصص يامحمد على قومك لعلهم يتفكرون فما صار اليه ذلك الرجل الذى أضله الله على علم . وقومك ضلوا بعد إذ أرسلتك اليهم . فكذا ههنا فى عالم الأرواح يكون العالم منها داعيا لسبيله مضلا لمن أطاعه موسوسا بما عنده من العلم فصار من الشياطين بما أوتى من العلم الذى صرفه فى سبيل الشر ولذلك قال الله تعالى ـ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلاتذكرون ـ * وفى مقال العلماء

وعالم بعلمه لن يعملا * معذب من قبل عباد الوثن

أما قول الروح ﴿ ثم هل تظنون أنه ليس من الأرواح العلوية القادرة على تعليمكم إلا من عرفتم منها على الأرض الخ ﴾ فهذا هو المنطبق تمام الانطباق على ديننا القويم فان كل ما ورد فى القرآن من الملائكة والشياطين يشير الى عالم ليس فى الأرض فان جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل والروح الأمين وروح القدس والملائكة الكروبين وملك اليمين وملك الشمال والكرام الكاتبين وأمثالها مماجاءت به السنة ونطق به القرآن لم يقل أحد انهم كانوا أرواحا أرضية بل قالوا انهم خلق من خلق الله تعالى خلقهم بلا أجسام . فهكذا يقول الروح هنا ﴿ انكم اذا لم تؤمنوا بعوالم روحية غير الأرواح التى خرجت من الأرض فأنتم كالمتوحشين الذين لم يخرجوا قط من جزرهم فظنوا المسكونة لاتمتد خارجا عنها ﴾ قال تعالى ـ ومايعلم جنود ربك إلا هو وماهى إلا ذكرى للبشر ـ وقال تعالى ـ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ـ

وأما قول الروح إن الأرواح السفلية تكذب وتغش وتنشر الضلال وستعاقب على ذلك جزاء كذبها على

الارواح

الأرواح العلوية وتكلمها بلسانها وقد جعلها الله محنة لكم لتميزوا الخبيث من الطيب . فهذا القول جميل وبديع مصداقا لقوله تعالى ـ لتبلونّ فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعنّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور ـ وقوله تعالى ـ ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ـ وقال تعالى ـ تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير * الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ـ

قد تبين لى بالاختبار أن الحياة على هذه الأرض وغيرها ان هى إلا فتنة ونظر واختبار وكأنها مسألة حسابية وعلوم رياضية . نعيش وننظر فى العلوم ونعاشر الناس ونرى أى الامور أليق مثلا المال والصحة والعلم والحكم بين الناس . فكل من جعل المال للذاته وشهواته جحد الناس فضله وذمّ الله سعيه . ومن حرم نفسه وقتر عليها ثم تجاوز عن ماله وفرّقه على الناس لامه العلماء وذمّه الفضلاء اذا أصبح فقيرا معدما يسأل الناس فعليه أن ينظر بعقله فيما يجب له وللناس . وهكذا أمر الصحة والعلم والعقل وسائر المواهب ان عطلها عاقبه الله وغضب عليه الناس . وان أسرف حتى أضرّ بها كان كذلك . وان حفظها ونفع بها الناس كان مشكورا من الله والناس . وهكذا مايبتلى به الانسان من البلايا ومايصاب به من المحن والرزايا ومايحيط به من الأهوال ونوائب الحدثان فحكمها حكم ماذكر من النعم فان عرف مايراد به وعقل نتائج تلك المصائب ازداد بصيرة وعلما والا كان جهولا . ألا وان المصائب لأهل الأرض تبصرة وذكرى بل كل مااحتجنا اليه وكلفنا أعمالا فانه لامحالة مرق لعقولنا . ألاترى الى الصنائع و بناء السفن وتربية الرجال المدرّبين على الحروب والضرب ثم هم يرمون جميعا فى البحر أيام الحروب . وترى مثلا قدماء المصريين قد أفرغوا وطابهم ونثروا آخر سهم من كنانتهم فبنوا مصانع ظاهرة وهكذا سائر الناس جدّوا فى التزويق والتزيين والبناء منها ماقدّمنا مما يصنع و يرمى فى البحر فيغرق . ومنها ما يدفن تحت الأرض ولابد لهذا كله من مقصد ونتيجة . وما النتيجة والفائدة إلا ارتقاء عزائم هذا النوع الانسانى ورقيه واكمال القوى والعزائم والبصائر لتلك الأنفس الراحلة لترجع الى العالم الذى ترسل اليه قوية ذات بصيرة . وقس على ذلك سائر مصائبها ونوائبها فانها جاءت تبصرة وذكرى حتى تقوى قلوبها وتشتدّ عزائمها وتزداد تجاربها . انتهى

﴿ جوهرة فى قوله تعالى ـ فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ـ ﴾

(قد أخرت لطول الكلام عليها)

اعلم أن مسألة أحزاب النصارى ومسألة التثليث وما أشبه ذلك قد تقدّمت بايضاح فى كل مقام بحسبه فى سورة (البقرة) عند قوله تعالى ـ فلاتجعلوا لله أندادا ـ وفى سورة (آل عمران) فى أوائلها وفى سورة (النساء) فى أواخرها وفى سورة (المائدة) فى آخرها أيضا وفى سورة (التوبة) عند قوله تعالى ـ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم ـ الخ وفى هذه السورة . فاذا قرأت ذلك كله وجدته محيطا بالموضوع ولكن لابدلنا هنا من ذكر نبذة صالحة ربما تقدّم بعضها مفرّقا فنقول

جاء فى كتاب ﴿ المذهب الروحانى ﴾ أن المستشرقين كشفوا قسما كبيرا من تاريخ مصر القديمة بواسطة الرسوم (الهيروغليفية) المنقوشة على الأحجار وأوراق البردى التى وجدت فى داخل اللحود واطلعوا على التعليم الذى فيه أن هناك ﴿ ثلاثة ﴾ وهم (آمون) أى الأب و (كوتس) أى الابن أو الكلمة ثم (موت) أى الأم . قال وذلك رمز الى الروح والقوّة والمادّة . وهذا التثليث منقول عن أهل الهند أى البراهمة وكانوا يمثلون المادّة بهيئة شيخ هرم والقوّة أو الحياة بشاب ماسك صليبا والروح بهيئة (عنخ) أى صقر . ثم قال ومن ذا بعد هذا يقول ان اخواننا النصارى لم يأخذوا ثالوثهم وصورة ثالوثهم عن الأقدمين . ثم أنى أحيلك هنا على ماتقدّم فى سورة (ابراهيم) تحت عنوان ﴿ جوهرة فى أديان القدماء ﴾ وعنوان ﴿ التنبيه الثالث . كيف

يدخل الضلال على أرباب الديانات ﴾ فلانعيده هنا فانك تجد تثليثا جهرا وتوحيدا سرا وايضاحا تاما لذلك وذلك عند المصريين وأمم الهند القدماء . فلنوضح فى هذا المقام شرح اختلاف الأحزاب من بينهم

لقد كانت كنائس النصارى فى القرن الرابع مقسمة الى ﴿ حزبين * أحدهما ﴾ يقول المسيح إله والآخر ينكر ذلك وفى سنة ٣١٢ م قال (اريوس) ان للأب وللابن جوهرين متميزين والثانى خليفة الأول ومعنى هذا أنه ليس باله . ويقول علماء عصره انه أى (اريوس) ذوعلم واسع وفضيلة وكمال خلق وفصاحة جذابة فاتبعه كثير من علماء النصارى . هنالك اتقدت نار الحقد فى قلب اسكندر أسقف الاسكندرية فجمع حوله بعض العلماء وألف منهم مجمعا كفروا فيه (اريوس) بسبب تعاليمه فقام عالم اسمه (أوسابيوس) أسقف (نيقوميديا) وألف مجمعا انتصر فيه الى (اريوس) وكفروا غيره . هنالك انصرم حبل الامن واختل نظام الأمة وأصبحت فى قلق واضطراب شديد وذلك على مسألة ليست من دينهم وانما هى مقتبسة من المصريين ومن الهنود فلم يسع الملك قسطنطين إلا أن يكتب الى اسكندر والى (اريوس) بما يأتى

﴿ انما تتخاصمون فى أمور لاتدركونها ولايمكن أن تدركوها وتجعلون الحرب بين الاخوة لكلمات ملغاة لاعمل لها فان كنتم لاتتفق آراؤكم فى المسألة الباطلة الجنونية المسببة للخصام بينكم فعلى الأقل احفظوا هذه الامور الضئيلة لكم ولاتقلقوا بها الشعب ﴾ وأرسلها لهما على يد (أوزيوس) وهوأسقف وقد أضاف مايأتى

﴿ ما كادت النصرانية تمتع بالسلام حتى أخذتم تقلقونها بنزاع دائم . ليس منكم من يستطيع أن يتحقق أكان المسيح مخلوقا أم مولودا . فلوكان لهذه المسألة أهمية ما أغفل المسيح التكلم عنها ﴾ انتهى

فلم يفد ذلك كله و بقى القوم فى صراعهم وجدالهم . واتهم قوم الملك بأنه ينصر الاريوسيين فأمر الملك بمجمع فيه أساقفة العالم وذلك فى (نيقية) سنة ٣٢٥ م

وقال الأسقف (سابينوس) الذى كتب أعمال المجمع النيقادى ﴿ إن أكثر آباء هذا المجمع كانوا على غاية من السذاجة والخشونة والجهل ﴾

وقال المؤرخان (سقراط) و (موزومينوس) ﴿ إن كثيرا من الآباء تناسوا غاية انتدابهم للمجمع وأخذوا يتشاجرون و يتشاتمون لمسائل شخصية بحدة ووقاحة وكل يذكر للملك مساوئ أخيه فقال (الاريوسيون) ان يسوع أبدع من العدم ومضى له زمان لم يوجد فيه والآخرون يقولون كلا انه هوالابن الوحيد فى طبيعته وهو عقل الأب وقدرته وحكمته وضياء مجده ﴾ فسلم الاريسيون بهذا التحديد فلماسمعوا ذلك قالوا للأريسيين (إنه مساو للأب) بالجوهر فلم يرضوا به فنفاهم (قسطنطين) ولكن بعد ذلك بقليل عاد (اريوس) وأساقفته من المنفى ودخلوا الاسكندرية فحينئذ انتصر الفريق المنكر لمساواة المسيح لأبيه بل تعدّى الأمر هؤلاء الى الذين يقولون بالوهية المسيح ومساواته للأب فى المجمع النيقاوى والذين وافقوا فى ألوهية المسيح فى المجمع النيقاوى كرها رجعوا ونادوا ببطلان المساواة فى الجوهر فأقام لهم قسطنطين مجمعا فى (انطاكيا) وهذا المجمع نصرمذهب (اريوس) وأبطل رأى خصومه الذين يسمون ﴿ مستقيمى الرأى . أرثودكس ﴾ . فهؤلاء الاورثوذكس لعنوا المجمع الانطاكى كما لعن الاريسيون المجمع النيقاوى واشتعلت نارالعداوات والبغضاء بين الفريقين ومات (اريوس) فجأة ففرح الارثودكس لزعمهم أن ذلك بسبب دعاء (مكاريوس) وهومنهم ثم توفى قسطنطين سنة ٣٣٧ م بعد أن قسم الملك بين بنيه وكان (ماراتناسيوس) عدوّ الأريسيين المؤمن بألوهية المسيح مقيما فى المنفى فطلب من الملكين (قسطنس) و (قسطنت) أن يؤلفا مجمعا آخر يحكم بين المجمعين النيقاوى والانطاكي فالأساقفة الشرقيون حذفوا لفظ (مساو للجوهر) والغربيون أثبتوا قانون المجمع النيقاوى وحرموا الأريوسيين . ولما لم يتم شئ رأى البابا (ليباريوس) باذن الملك أن يجمع مجمعا رابعا فى مدينة (ميلان) فأظهر العناد الأساقفة الغربيون ومن جملتهم البابا فنفاهم الملك ثم عقد مجمع خامس وحصل جدال حاد

أربعة أشهر فأمر الملك (قسطنس) العسكر أن لايدعوا أسقفا يبارح المدينة حتى يعلن إلغاء المساواة بالجوهر هنالك صارت النصرانية كلها على مذهب (اريوس) طوعا أوكرها لاعلى مذهب الارثودكس

ولما مات هذا الملك نشطت الوهية المسيح ثانيا ومساواته لله بالجوهر فأمر الملك (تيودوسيوس) حسما للنزاع أن يتبع النصارى عموما مذهب البابا (داماسيوس) وهو يقول بالوهية المسيح لأنه يريد محاربة البرابرة ومقتضى هذا حرمان الاريوسيين ولكن لكثرتهم تركهم أحرارا فى مناصبهم فاحتال القديس (امفياوك) إذ دخل يوما على الملك وعنده ولى العهد (أركاديوس) ابن (تيودوسيوس) الملك فلم يؤدّ واجب الاحترام لولى العهد كالملك فنبهه لذلك فلاطفه ولكن لم يحترمه كالملك وقال للملك كفى هذه الملاطفة وأما الاحترام الكلى فهو للملك فغضب عليه وطرده فقال وهو منطلق «مولاى أنت لاتطيق اهانة لاحقة بابنك وتغضب على من لايؤدّى له الاحترام فكيف لايمقت إله السموات والأرض من يكذب على ابنه الوحيد ولايؤدّى له السجود ذاته الواجب للعزّة الالهية» فاتعظ الملك وشتت شمل (الاريوسيين) ونزع الحقوق المدنية من كل من لم يسلم بالقانون النيقاوى . فهذه حيلة (امفياوك) أثبتت ما عجزت عنه تلك المجامع فبفضله تأسست عقيدة الوهية المسيح وأيدتها السلطات كرها

هذه هى عقيدة التثليث عند النصارى التى أخذوها عن قدماء المصريين وعن الهنود . فتثليث الهنود (براهما . وفيشنو . وسيفا) وتثليث الفرس (ارمزد . واهريمان . وميطرا) وتثليث المصريين (ازريس وايزيس . وهوروس) ومثل هؤلاء الكلدانيون والصينيون والفيثاغوريون . فهؤلاء كلهم عندهم تثليث ولكن تثليثهم يرمى لغرض علمى . أما تثليث النصارى فهو تقليد أعمى بلاعلم ولاهدى ولاكتاب منير

يقول النصارى ان الابن موجود من الأب والروح القدس منبثق من كليهما والأب عندهم بصورة شيخ هرم حاف لفعه الشيب عابس الوجه غضوب والابن كشاب وديع يقدّم نفسه ضحية لأبيه والروح القدس حمامة بيضاء مستقرة على كل منهما والروم الأرثودكس يخالفون فى قضية الانبثاق ويقولون لابد من التسليم الأعمى فهو ابن لكنه غير منبثق بل هو كالأب تماما . فههنا عزلوا العقل . وقد يشبهون الثالوث بالشمس ونورها وحرارتها . ومن العجب أن النار والحرارة طبعهما غير طبع الشمس . ويشبهونه أيضا بالمثلث وأضلاعه مع ان الأضلاع كل منها مستقل بنفسه . وقد يقولون هذه كالنفس البشرية وقوّة فكرها وقوّة حبها فالنفس تلد الفكر وتحبه . هكذا يلد الأب الابن ويحبه فالنفس صورة الأب والفكر صورة الابن والحب المتبادل بينهما صورة روح القدس وينقض هذا أن الحب أوالفكر ليس اقنوما متميزا فى النفس بل يقال النفس وقواها متعددة وهى كثيرة (فكر وحب وخيال وتصوّر وارادة واحساس) أى أوصاف كثيرة . هذا كله من كتاب «المذهب الروحانى» الذى ختم المقام بقوله «لاجرم انه لوتصوّر المسيحى قليلا لاخجل بخلو الغرض فى سرّ التثليث من تسليمه بضلال مبين كهذا»

«كيف ضلّ هذا الانسان وغوى وهل للتثليث أصل»

هل لك أيها الذكى أن تقف على سرّ التثليث الآن لئلا تخرج من هذا المقام بلاعلم . فهل كان هذا الانسان كله غبيا جاهلا وهل كانت هذه الأمم التى قامت بالعلم والحكمة أغبياء . اللهم لا ثم لا . ان الله هو الذى خلقهم وأن الله هو الذى علم الطيور والأنعام والحشرات . فهل يفعل هذا كله ثم يحكم على الانسان وحده بالضلال التام . فلتعلم أن الحقائق حاصلة عند كل أمة غاية الأمر انها تخلط بأوهام كما ان الأغذية التى يأ كلها الحيوان مشوبة بأشياء غير مغذية فليس كل الحشيش غذاء . فليس الحشيش والكلأ فيهما من المادّة الغذائية مافى الفول والقمح . كلا . فكما اختلطت موادّ بالأغذية اختلطت أوهام بالحقائق لأن ذلك طبيعة أرضنا . أصل هذه المسألة أن الأمم القديمة نظروا فى هذا الوجود كله نظرة فقالوا هناك كائن أسمى يدير هذا العالم فهو

كأرواحنا وهذا المدبر الأسمى هو الذى اتصف بالقدرة والعلم فخلق ماهو أقرب اليه وهى القوّة التى تسمى بلسان الشرع ملائكة فالقوّة فى الانسان تشمل الحسّ والحركة . هكذا القوّة فى العالم هى العقول والنفوس و بهما يكون نظام هذا العالم وتدبيره باحكام ولما وجدت هذه القوّة بقسميها القوّة العاقلة والقوّة العاملة نتج منها أمر ثالث وهى المادّة . فهنا إله وقوّة ومادّة . وههنا يصح الخلق . فجميع المخلوقات لا تتمّ إلا باله وقوّة ومادّة والقوّة المدبرة لهذا العالم قوّة الله والعالم حاصل منه تعالى

فانظر فى مثال المصريين . جعل الأب صقرا وهو (عنخ) ولاجرم أن الروح كالطائر فهى حرة وجعل الابن شابا قويا . ولاجرم أن حركة هذا العالم لاتكون إلا بقوّة وجعل المادة شيخا هرما وهذا حق . ولاجرم أن الانسان أيضا من روح وجسم مادى وقوّة فى الجسم فتارة نقول هذا انسان أى لهذه الثلاثة وتارة ننظر للحقيقة فنقول الانسان هو الروح والبقية تبعها . فالأمم السابقة جميعا يقولون بانبثاق الثانى من الأوّل وانبثاق الثالث منهما. إذن الاله الأوّل لاغير وكون كل من الثلاثة إلها هذا أمر مجازى جرى على ألسنتهم باعتبار أن الخلق لايتمّ فى هذا العالم المحسوس إلا باجتماع الثلاثة التى ترجع لواحد فى الحقيقة

هذا هو كلام هذه الأمم كلها . ولقد رأيت فى الفتوحات المكية لابن عربى فى مواضع كثيرة مايفيد أن الاله له ﴿ اطلاقان ﴾ اطلاق يشمل ماهو أعمّ واطلاق للواحد الأحد . فهذا مجمل كلامه . ولعله رحمه الله أراد أن الاطلاق العام اطلاق الأمم القديمة و بهذا اتضح المقام . فهذا التثليث هو المراد عند تلك الأمم فهو تثليث يراد به معرفة أصل العالم وأصل الخلق مع الاقرار لله بالوحدانية ولكن الأمم غيروا ونقلوه من المعنى الفلسفى الى مايعرفه العامّة فيعبدون (بوذا) و (عيسى) وأمثالهما فأين الثريا وأين الثرى

فانظر لمسألة علمية اعتراها التبديل والتغيير وانتقلت من الفلسفة الى آراء العامّة الذين لايعرفون إلا من يعظمون من الناس فجاء الاسلام وقضى على هذه العقيدة ونظر الى نفس موجد الخلق فأزال هذه الخرافات

ثم إن القوّة المذكورة فى اصطلاح علماء زماننا تسمى الأثير فالأثير عالم لانعرفه إلا بآثاره أو يقال هى قائمة بالأثير . فترى الاثير فيه النور والكهرباء والحرارة والمغناطيس والمادّة . كل هذه منبعها عالم الأثير والمادّة ماهى إلا حركات فى الاثير ظهرت لحواسنا بهيئة خاصة فسميناها مادّة . وقد قال علماء الفلسفة القديمة قولا يشبه هذا فقالوا ان وجودها ضعيف أى دليله ضعيف . انتهى تحقيق المقام ليلة الثلاثاء الثالث من شهر يوليو سنة ١٩٢٨ م وبه تمّ تفسير سورة مريم

سورة طه مكية وهى مائة وأربع وثلاثون آية

وسيأتى فى الفصل الثالث من المقصد الثانى مناسبتها لما قبلها من السور وهى ﴿ ثلاثة مقاصد ﴾

﴿ المقصد الأوّل والثانى ﴾ فى مقدّمة السورة وقصة موسى عليه السلام الى قوله تعالى – إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شئ علما

﴿ المقصد الثالث ﴾ من قوله – كذلك نقصّ عليك من أنباء ماقد سبق – الى آخر السورة . وفيه الحضّ على الدين الاسلامى وذكر خراب العالم وغير ذلك

﴿ المقصد الأوّل ﴾ من أوّل السورة الى قوله – الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى –

﴿ المقصد الثانى ﴾ من قوله تعالى – وهل أتاك حديث موسى – وهو فصول ﴿ الفصل الاوّل ﴾ فى كلام الله لموسى لما رأى النار وما تبع ذلك من ظهور المعجزات الى قوله تعالى – اذهب الى فرعون إنه طغى –

﴿ الفصل الثانى ﴾ فى تعداد الله لنعمه على موسى عليه السلام وفيه ملخص ما كان من تاريخه قبل ذلك وأمره هو وهرون أن يدعوا فرعون الى قوله – والسلام على من اتبع الهدى – ﴿ الفصل الثالث ﴾ فى دعوة فرعون الى قوله – وذلك جزاء من تزكى – وفى هذا الفصل محاورة موسى لفرعون بالقول أوّلا ثم العمل ثانيا باحضار السحرة له وسحرهم كما سيأتى ﴿ الفصل الرابع ﴾ فى ارتحال بنى اسرائيل من مصر وغرق فرعون واضلال السامرى لقوم موسى بالعجل الذهبى الى آخر هذا القسم

(المَقْصِدُ الأَوَّلُ)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

طٰهٰ * ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى * تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمٰوَاتِ الْعُلَى * الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مافى السَّمٰوَاتِ وَما فِى الْأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا وَما تَحْتَ الثَّرَى * وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللّٰهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنَى *

﴿ التفسير اللفظى ﴾

روى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال أعطيت السورة التى فيها البقرة من الذكر الأوّل وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش وأعطيت المفصل نافلة ومعنى النافلة الزيادة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طه) تقدّم الكلام على هذه الحروف فى سورة ﴿ آل عمران ﴾ مطوّلا جامعا لعجائب وأسرار من العلوم * ويقال ان – طه – معناه يا انسان بلغة عك وهى قبيلة من قبائل العرب * يقال ان النبى ﷺ لما نزل عليه الوحى بمكة كان يجتهد فى العبادة ويتهجد طول الليل فأنزل الله هذه الآية ليخفف عن نفسه فقال (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) بتأسفك على عدم ايمان قريش وكثرة اجتهادك فى قيام الليل . كلا . فلم ننزّله لذلك بل قم ونم وصم وأفطر وليس عليك هداهم وانما عليك البلاغ وعلينا الحساب . فلماذا هذا

التأسف والشقاء بمعنى التعب * وفى المثل العربى ﴿أشقى من رائض المهر﴾ ويقال ﴿سيد القوم أشقاهم﴾ أى أتعبهم وأنصبهم ثم قال (إلا تذكرة لمن يخشى) أى لكن أنزلناه عظة لمن فى قلبه رقة فينفعه الانذار ه نزل (تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى) جمع عليا تأنيث الأعلى (الرحمن على العرش استوى) تقدم الكلام على العرش فى سورة يونس وفى سورة هود مفصلا فان الله يدبر الأمر فى السموات والأرض وهذا التدبير مبنى على الحقائق الثابتة التى لامناص منها لحفظ هذا الوجود (له مافى السموات ومافى الأرض ومابينهما وماتحت الثرى) أى الطبقة الترابية وهذا دال على عظيم قدرته . ثم أتبعه باحاطة العلم الذى لاتنفصل الارادة عنه والارادة تتبعها القدرة المذكورة فيما تقدم فقال (وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى) أى وان تجهر بدعاء الله وذكره فاعلم انه غنى عن جهرك لأنه يعلم ماتسره فى نفسك وأخفى منه وهو ماتستسره فيها . ان الدعاء والذكر باللسان انما شرعناهما ليتصور الداعى والذاكر المعنى فى نفسه لا ليسمعنا صوته ولافضل للنطق أوالجهر به إلا لمنع الشواغل الشاغلة لكم فى دعائكم عن حضور المعانى فى عقولكم ــ فأسروا قولكم أواجهروا به إنه عليم بـ ـ المعانى ـ ذات ـ أى صاحبة ـ الصدور ـ (الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى) الحسنى تأنيث الأحسن * حسنت أسماء الله لدلالتها على معان هى أشرف المعانى وأفضلها . انتهى التفسير اللفظى لمقدمة السورة أوأسها وأصلها وهو القسم الأول من الأقسام الثلاثة فيها

انظر أيها الذكى فى هذا القول وتأمل وتعجب فى الترتيب الجميل البديع

(١) ابتدأ الله السورة بحرفين من الحروف التى تذكر فى أول السور وعددها (١٤) من ثمانية وعشرين حرفا . ولقد أبنا لك فى سورة (آل عمران) أن هذه الحروف من أسرار القرآن العجيبة وبدائعه الغريبة وأن عدد (٢٨) المقسم الى قسمين هو عدد منازل القمر وفقرات الظهر للانسان و بعض الحيوان ومفاصل الكفين الى غير ذلك . وهل أخبرك الآن بما جاء فى الاخبار الواردة من جمعية الأمم وان هناك اقتراحا يقضى أن تجعل الشهور ١٣ بعد ١٢ لاجل صحة الحساب وماصحة الحساب . فأجاب المهندس المخترع لذلك أن صحة الحساب أن يجعل كل شهر ٢٨ يوما . لماذا . ليسهل الأمر على الناس فيكون أول الشهر يوم السبت و ينتهى بالجمعة و بتكرار ذلك ٤ مرات تصير ٢٨ وهذه صورته

سبت	أحد	اثنين	ثلاثاء	اربعاء	خميس	جمعة
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤
١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١
٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨

ويكون هذا الجدول ثابتا كل شهر الى الأبد لاتتغير أيامه ولا أعداده . فأوله سبت وآخره جمعة لاتغيير الى الأبد . و بضربنا ١٣ فى ٢٨ يكون العدد ٣٦٤ وذلك ينقص يوما عن السنة فيجعل فى كل سنة يوم واحد لايسمى باسم من هذه الأسماء المعروفة . وفى رأس كل أربع سنين يترك يوم آخر لأجل السنة الكبيسة لأن السنة (٣٦٥) يوما وربع يوم . هذا هو الحل الذى قدمه المهندس لعصبة الأمم . وقد أطنبت الأمم فى استحسانه لسهولة حسابه ولم يصل لمصر هذا الاقتراح إلا عند كتابة تفسير هذه السورة . ياعجبا كيف اتفق أن منازل القمر وفقرات الانسان ومفاصل الاصابع فى اليدين وأمورا اخرى توافق فى أعدادها الحروف العربية والحروف العربية تجعل قسمين فى أول السور (١٤) ظاهرة و (١٤) خافية . ثم كيف يقترح مقترح (سواء أعمل به أم لم يعمل) قائلا على رؤس الأشهاد فى أمم الشرق والغرب ﴿أيها الناس . ان عدد (٢٨)

هو الذى يسهل فى حساب السنين ﴾

ثم انظر كيف كان الاسبوع أربع مرات هو عين عدد الحروف العربية . واذا كان مرتين فهو حروف أوّل السور وعدد الاسبوع عدد أولى لايقبل القسمة وعدد (٢٨) يقال له العدد التام وقد أوضحنا هذا تمام الايضاح فى سورة (آل عمران) والعدد التام نادر جدًا فى الأعداد وليس فى أعداد العشرات عدد تام إلا هو ومامثل العدد التام فى علم الأعداد إلا كمثل الأنبياء والحكماء فى الناس . فانظر كيف ترى عدد ٢٨ نال التمام فى نفسه وحسن النظام فى نتائجه . ثم انظر كيف كان هذا الاقتراح قد جعل السنة ١٣ شهرا وهذا العدد عينه هو الذى حدّده القمر لأن القمر فى السنة كلها يدور (١٣) دورة لأنه فى كل شهر يقطع الفلك دورة وجزأ من دورة وفى تمام الأشهر يكون تم ١٣ دورة . ثم انظر كيف كان هذا الاقتراح قد جعل فى كل أربع سنين يوما لأجل السنة الكبيسة وعدد ٤ المذكور هو عينه الذى يضرب فى ٧ كما تقدّم وهو واضح فى أوائل السور إذ هى من ٢٨ حرفا مجزأة ١٤ و ١٤ من قسمة ٢٨ على اثنين . فهذه القسمة تذكرنا بعدد ٤ المضروب فى ٧ وعدد ٤ فى السنة الكبيسة

وانما ذكرت لك هذا فى هذا المقام لترجع الى ماذكر فى أول (آل عمران) وتدرسه . ومن عجب أن تكون أدوار القمر موافقا عددها لعدد الاشهر المذكورة - إنّ ربى على صراط مستقيم -

نقول . ابتدأ الله السورة بهذين الحرفين تذكرة بتلك العلوم الجميلة الجليلة الفلكية والطبيعية والانسانية يقول الله - طه - أى أذكركم بهذين الحرفين جميع حروف أوّل السور التى جعلناها رمزا لعلوم هذه العوالم كلها من تشريح وفلك وحساب الشهور والسنين وغيرذلك . أذكركم بذلك لتكونوا - خير أمة أخرجت للناس - وليس يمكن أن تكونوا - خير أمة أخرجت للناس - إلاأن تكونوا أعلم منهم لأنكم - تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله - أى انكم تجمعون الى قوّة الأدب والاخلاق الفاضلة قوّة العلم والعلم هو ما أبرزته فى هذه العوالم العلوية والسفلية وقد رمزت لها بهذه الحروف . وان أردتم إلا التصريح فاسمعوا ما أتلوه عليكم بعد ذلك

(٢) ذكر خلق السموات والارض وهما عبارة عن أصول العوالم التى نحن فيها ومبادئها

(٣) وأتبعه بذكرانه استوى على عرش ملكه بالتدبير والنظام الحسن فى أربعة أشياء التى هى (ا) مافى السموات (ب) ومافى الارض كالدواب والنبات والحشرات والانهار (ج) ومابينهما كالهواء والطير والسحاب (د) وماتحت الثرى وهى الطبقات الأرضية المذكورة فى سورة (الأنعام) وفى غيرها

(٤) ثم قال إياكم أن تظنوا أن هذه جاءت مصادفة . كلا . فانى لا أعمل إلا اذا أردت ولا أريد إلا على مقتضى العلم فالعلم تتبعه الارادة والارادة يتبعها العمل بالقدرة . إن علمى محيط بالعوالم العلوية والسفلية كما هو محيط بسركم وجهركم . فأنا أعلم السموات والارض وأعلم الامور الاربعة التى فيهما وأعلم جهركم وسركم وماهو أخفى من سركم . واذا كان الامر كذلك فأنا لا أدع صغيرة ولا كبيرة إلا حسبتها ودققت فيها فلم أذر من صغيرة ولا كبيرة . وها كم ماذكرته فى أوّل سورة (طه) فانها تدعو لتفكركم فى الحروف وسرّها وهذه تدعوكم للنظر فى علم الحساب والفلك وفى التشريح وغيرها . فهاأنا ذا لم أذر شيأ إلا نظمته . واذا كانت الحروف التى تجرى على ألسنتكم قد اتصل حسابها بحساب الأفلاك والطبيعة والتشريح ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ أن العالم كله كنفس واحدة ونظام واحد فانى أدلّ بالأعلى على الأسفل و بالأسفل على الأعلى

أيها الذكى . انظر كيف يذكر الجهر بالقول والاسرار به فى مقام تعداد مافى السموات ومافى الأرض . يذكره مشيرا الى أن القول فيه مناسبة للعوالم كلها . فنظام حروفه كنظام العوالم ومعانى الكلام تنطبق على العوالم . إن هذا الانسان أمره عجيب . مخلوق صغير ولكن عقله كبير . يختصر العوالم كلها فيضعها فى عقله

كأنه عالم كبير والحروف التي ينطق بها تكاد تظهر سرّ السنين والحساب ـ إنّ ربي لطيف لما يشاء ـ

لقد علمت أيها الفطن أن العوالم التي بين السموات والأرض المذكورة أهمها هذه السلسلة الانسانية والحيوانية والنباتية والمعدنية وهي مذكورة في سور كثيرة في القرآن وقد ذكرت في سورة الحجر وكذا في سورة النحل مرّتين كما أوضحناه هناك . وهاهي ذه تذكر الآن بطريقة مختصرة فذكرها هنا اجمالا بقوله ـ وما بينهما ـ وسيأتي قريبا في هذه السورة في قول فرعون ـ فما بال القرون الأولى ـ قال موسى ـ علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ـ ثم أخذ يشرح الأرض وانها مهدت وأن فيها سبلا وذكر انزال الماء من السماء وخروج النبات من الأرض وذكر الأنعام ثم أتبعها بذكر أولي العقول وانهم يحيون ويموتون ثم يخرجون وهذه القصة هي قصة العالم والتاريخ الطبيعي الذي يدرسه أهل الشرق والغرب الآن في المدارس كلها . اللهم إلا في كثير من بلاد الشرق فان الفرنجة يخافون من رقي المسلمين بهذه العلوم فحذفوها من نظام المدارس إلا قليلا في بلادنا المصرية بحيث ترى أن هذه العلوم قد حذفت ولم يبق منها إلا النزر اليسير بعد دخول الانجليز بلادنا . وسيكون ان شاء الله للأمة الاسلامية مستقبل زاهر بهذه العلوم وسنزيد هذا المقام بيانا قريبا فانتظره فينشرح صدرك بما تقرأ من نظم به تقرأ نظام هذه الدنيا مختصرا

﴿ جوهرة في قوله تعالى ـ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ـ الى قوله ـ وما تحت الثرى ـ ﴾

وفيها ﴿ بهجتان * البهجة الأولى ﴾ في رمز هذين الحرفين (طاء . هاء)

﴿ البهجة الثانية ﴾ في قوله تعالى ـ تنزيلا ممن خلق الأرض ـ الخ

﴿ البهجة الأولى في ـ طه ـ ﴾

تقدّم الكلام على هذه الحروف اجمالا في أوّل سورة (آل عمران) فأما الكلام على الطاء والهاء هنا فهاك مافتح الله به عليّ يوم الخميس ٨ ديسمبر سنة ١٩٢٧ ضحى وأنا أقرأ في سورة (طه) . ذلك أن هذه السورة جاء أكثرها في قصص موسى عليه السلام وصدرت بمقدمة محصلها يرجع الى أن هذا القرآن نزل تذكرة لمن يخشى وأن الذي أنزله هو الذي خلق الأرض والسموات العلى وله جميع السموات وما بينها و بين الأرض والارض وما تحت الارض وانه يعلم السرّ وأخفى من السرّ . هذه هي المقدّمة . فالمقدّمة ترمي الى قراءة دروس هذه العوالم وأن القرآن إنما أنزل لذلك فهو منزل لدراسة العوالم التي نراها والتي نعرفها بعقولنا حتى نعرف بعض السرّ المذكور . اذا علمت هذا فهمت بيت القصيد من قصة موسى المذكورة بعد ذلك . ان القصص انما يذكر لايضاح المقدمات قبله وللاستشهاد عليها . فانظر الآن الى تلك القصة فانك تجدها قد حوت مسألة السحرة وانهم آمنوا بموسى لما عرفوا انه أتى بما لم يأت به السحرة فعرفوا انه من عالم فوق عالم السحرة لذلك آمنوا . أما بنو اسرائيل فهم قوم جهلاء فكيف يعقلون أمثال هذا فكان إيمانهم ظاهريا وقتيا كما سيأتي ايضاحه . ثم ان الحديث مع فرعون يرجع الى معرفة الله بما يشبه ماذكر في المقدّمة المذكورة من كونه جعل الأرض مهدا وأنزل الماء من السماء وأخرج به النبات يأكل منه الانسان والحيوان . وهذه هي العلوم العامة في السموات والأرض أي العلوم الرياضية ومنها علم الفلك والعلوم الطبيعية وبهذه العلوم ونحوها عرف السحرة مقام موسى عليه السلام إذن المقصود هو هذه العلوم فبها عرف السحرة فآمنوا وأيقنوا وهي التي لأجلها أنزل القرآن . و يقول الله لنبيه محمدا ﷺ بعد ذلك كله ـ وقل ربّ زدني علما ـ

انظر بعد ماقدّمته لك فانك تجد هذا كله يرجع الى ﴿ أمرين اثنين ﴾ لاثالث لهما ﴿ الأوّل ﴾ ان الله خصص لكل مخلوق أوصافا خاصة وأحوالا ومنافع ﴿ والثاني ﴾ انه هدى الحيوان منه الى ماخلق له وما فيه نفعه وهذا قوله تعالى ـ الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ـ وكقوله تعالى ـ الذي خلق فسوّى * والذي قدّر فهدى ـ وهذه فيها الطاء أوّلا والهاء ثانيا في أعطى وهدى فكأنه يقال ان القرآن يراد منه دراسة

سائر

سائر العلوم وسائر العلوم هي التي جاءت في محاورة فرعون وموسى كما جاءت في مقدمة السورة ويجمعها كلها اعطى وهدى وهذان يجمعها — طه — . فاذن الطاء والهاء يرمز بهما الى دراسة العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية وهكذا كل علم في الدنيا لأنها كلها ترجع الى هذه الجملة

﴿ لماذا نزل هذان الحرفان أى — طه — في أول هذه السورة ﴾

اعلم أن الله علم أن المسلمين سينامون نوما مخزيا عميقا فيكتفون من الدين بقشوره ويظنون أن الصلاة والزكاة ومابعدهما كافيات فتأخذهم الأمم وتذلهم وتسومهم سوء العذاب فأنزل هذين الحرفين ليجد المسلمون في البحث عن السر فيجدون انهما رمز لأن يقرؤا جميع العلوم . واذا كان النبي ﷺ يقال له إن القرآن لم يقتصر على انك تكثر الصلاة وتشقى بالتعب والنصب في العبادة بل هو جاء أيضا ليخرج أمما من جهلها ويعلمها فتصلي تبعا لك وتقرأ العلوم . كل هذه المعاني تؤخذ من — طه — وهناك أيضا (ها) في قوله تعالى — منها خلقناكم — الخ مكررة ثلاث مرات وفي قوله — كلها — كل ذلك جاء بعد قوله — أعطى —

ومن عجب أن يجئ في أسباب النزول انه ﷺ كان يتعب ويشقى بكثرة الرياضة والتهجد والقيام على ساقه فقيل له ماذكر كأنه يقال ليست العبادة وحدها هي المقصودة بل هناك التذكرة وقد فهمتها فيما قدمناه أن المسلمين اليوم اكتفوا بالعبادة اللفظية فعليهم أن يتذكروا بدراسة العلوم كلها . انتهى

﴿ تذكرة ﴾

(نور على نور في نظام القرآن)

سيقول قائل كيف تجعل بيت القصيد هنا قوله تعالى — الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى — . أقول ان الذى ظهر لي من القرآن انه يفعل في العقول فعلا خفيا أشبه بما يقصده ﴿كتاب الأدب﴾ من جعل النصائح مندمجة في قصصهم اندماجا حتى يسحر السامع سحرا لأن المعنى دخل في غضون القصص والحكايات كأنه غير مقصود ليثبت في العقول ثبوتا لاتزعزعه السنون . وأضرب لك مثلا سورة — اذا الشمس كورت — فيها ١٤ فاصلة جاء في وسطها هذان الفاصلتان — واذا الموؤدة سئلت * بأى ذنب قتلت — فلما نزل القرآن وسمعه العرب سمعوا جملا متناسقة يذكر فيها تكوير الشمس وانطفاء نور النجوم وتفتت الجبال وهكذا ولكنه فاجأهم فيها بحكمة وهي مسألة الموؤدة فارتاع العرب لذلك وحرم (وأد البنات) الى الآن . فانظر لهذا السحر الحلال لأجل جملة أدخلت بحكمة في وصف انقضاء العالم . حفظ نصف الانسان من الوأد وذلك لا يكفي فيه دول وأمم وجنود . فبمثل هذا تساس الأمم . وبمثل هذا يكون التأثير . أسأل الله أن يرزقنا السير على هذا المنوال في الارشاد

يا أمة الاسلام . هذا ماحصل من اصلاح الأخلاق ونظام المجتمع بحسن الالقاء وسحره ونظام الترتيب ونحن الآن لانئد البنات ولكننا أحيينا البنات ووأدنا عقولهن وعقول الرجال ففعل الله لنا مافعله لآبائنا سواء بسواء . إذ جاء بسورة (طه) وذكر قصة موسى ومحاورته لفرعون وفي أثناء ذلك كله بينما المسلم سائر مع القصة اذا به يفاجأ بجملة تحث على العلوم كلها وجعلها من موسى لفرعون لامن محمد ﷺ لأمته فلم يقل الله لنا تعلموا العلوم التي تدل على هذه المعاني . كلا بل ألقاها بهيئة بعيدة عن الأمر وعن قصد مخاطبة الأمم الحاضرة . فهل أيها المسلمون تفعل في عقولنا أمثال هذه مافعلته آية الموؤدة . أنا أظن ذلك وأنا به من المؤمنين . انتهت البهجة الأولى

﴿ البهجة الثانية في قوله تعالى — تنزيلا ممن خلق الأرض — الخ ﴾

ههنا ذكر الأرض ﴿مرتين﴾ مرة أولا قبل السماء ومرة آخرا بعد السماء . واعلم أن الكتب السماوية لاتقدم كلمة ولاتؤخر كلمة إلا لحكمة والمدار على الفهم والفهم في كل زمان بحسبه وهذا زمان انكشاف بعض

الحقائق . فقوله ـ تنزيلا ـ يفيد أن هـذه العلوم والمعارف قد كانت فى منزلة شريفة وأراد الله أن ينزلها لمنفعة أناس فى منزلة أسفل فلذلك ذكر الأرض . فالتنزيل يناسبه المحل الأسفل وهذه الأرض أوّل سلم لنا . نخرج منها الى عالم السموات ولذلك قال ـ والسموات العلى ـ جمع عليا والعليا مؤنث الأعلى كما يقال دنيا ودنا وقربى وقرب . فالعلى جمع لمؤنث أفعل التفضيل . ففى العلى معنى التفصيل أى الأعلى من غيرها . فالله نزّل العلم من عالم الجمال والكمال على نبيه لهذه الأرض التى وصف الله لأهلها السموات بأنها ذات علو عظيم ليشوّقهم الى الصعود اليها فما أنزل اليها العلوم إلا ليرفعهم من محل سقوطهم الى أعلى العلا يوما ما فقوله ـ العلى ـ كالمقابل لوصف ملحوظ فى الأرض يضادّه وهو الانحطاط ولم يبق بعد هذا إلا أن يعبر عن تلك العظمة فأبان أنه ذو رحمة واسعة فهو وان جمع بين الضـدين علو وسفل وسماء وأرض فليس معنى هذا انه حرم أهل الأرض من الرقى . كلا . فلذلك قال إنه رحمن أى كثير الرحمة واذا استوى كثير الرحمة على عرش الملك كانت أعماله كلها موجهة لسعادة أهل مملكته . وكيف يدوم الملك إلا لمن رحمته واسعة . وكل ملك فى الأرض ليس قائما على الرحمة سريع الزوال ولذلك وصف الله المؤمنين بقوله ـ رحماء بينهم ـ أى ليدوم ملكهم فالرحمة موجهة من بعضهم لبعض ورحمة الله موجهة للملك كله . ولذلك لما طغى المسلمون وعكفوا على الشهوات والمال وجعلوا فتح البلدان لشهوات أنفسهم أخذ الله منهم ملكهم وشرد أكثر ممالكهم ولم يبق منها إلا الممالك التى اتصف أهلها بعطف بعضهم على بعض . والدليل على ذلك ماحصل فى أيام حرب المسلمين بالأندلس فى فرنسا فان القوم لما شغلوا باقتسام الغنائم فى إحدى الوقائع تألب عليهم القوم فأجلوهـم عن البلاد ولهذا نظائر كثيرة تقدمت فى هـذا التفسير وسيأتى ايضاح كثير من ذلك فى مواضع إن شاء الله تعالى . فالتعبير بلفظ الرحمة فى أمر الاستواء على العرش يفيد معنى بقاء الملك ولذلك نجد ممالك الحيوان والنبات والانسان لاتزال باقية بسبب الرحمة التى بثها الله فى الذكور والاناث فيتحاب الصنفان كما قال تعالى ـ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم و بينهم مودّة ورحمة ـ فالمودّة والرحمة هنا جزئية متنزلة من الرحمة العامّة المذكورة فى قوله تعالى هنا ـ الرحمن على العرش استوى ـ فانه لولا الرحمة المنبعثة فى قلوب الذكران والاناث من الحيوان تلك الرحمة التى تبعث الفريقين على الاقتراب ثم الحمل وهكذا الرحمة التى تجعل فى قلوب الأمهات لذرّيتها من بيض يحضنه الطير وفرخ يقدم له ما يناسبه وفلو أوعجل أوجرو أوطفل يرضع كل من أمّه بما بينهما من المودّة والرحمة كما فى الحديث «ان ٩٩ من الرحمة باقيـة للآخرة وفى الأرض رحمة واحدة عمت الناس والبهائم بحيث ترفع الفرس حافرها عن ولدها خيفة أن تصيبه» والحديث تقدّم بلفظه فى موضع آخر

أقول لولا هذه الرحمة لم يبق على الأرض حيوان فبقاء هذه الممالك ببقاء الرحمة ومن مقتضيات الرحمة بين الزوجين دوام المعاشرة وعلى مقدار قصر المودّة بينهـما يكون النقص فى أمر النظام المنزلى كما ينقص ملك الدولة أو يذهب من الوجود بذهاب المودّة العامّة فى الشعب . هـذا مايشير له قوله تعالى هنا ـ الرحمن على العرش استوى ـ ومن هـذه القاعدة أنه ﷺ ـ بالمؤمنين رؤف رحيم ـ ولذلك دام ملك المسلمين حين داموا على شريعته فلما انحرفوا ضاع مجدهم لزوال الرحمة من قلوب الأمراء وحلول الشهوات محلها كما قال تعالى ـ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ـ

ولما ذكر العرش والاستواء عليه أخذ يشرح العوالم التى استولى عليها فبدأ بأهمها وهى السموات بخلاف انزال القرآن فانه من عالم أعلى الى عالم أدنى كما تقدّم ثم ثنى بالأرض لأنها أدنى منزلة فقام تعداد الممالك غير بيان المكان الذى أنزل القرآن لأهله وقوله ـ ومابينهما ـ دخل فى ذلك عوالم السحاب والكهرباء وجميع العلم المسمى «الآثار العلوية» وهو من علوم الطبيعة قديما وحديثا وقوله ـ وماتحت الثرى ـ يشير لعلمين لم يعرفا إلا فى زماننا وهما علم طبقات الأرض المتقدّم مرارا فى هذا التفسير وعلم الآثار المتقدّم بعضه فى سورة

(يونس) والآتى بعضـه فى سورة (سبأ) وأن قوله هناك ـ يعلم مايلج فى الأرض ومايخرج منها ـ يشير الى ماظهر فى بلاد اليمن التى تشتمل على (سبأ) فلقد ظهرت هناك نقوش ومدائن لم تـكن معروفة من قبل . وظهر (سد العرم) وسيأتى رسمه . كل ذلك والمسلمون لاعلم لهم بذلك مع انه فى بلادهم وعلى مقربة منهم . فالله هنا يقول ـ وماتحت الثرى ـ ليحرّض المسلمين على دراسة علوم المصريين التى تظهر الآن تحت الثرى المذكورين فى هذه السورة وأن سحرتهم شهدوا بصدق النبوّة الموسومة لأنهم وجدوا علما فوق علمهم وهو علم النبوّة . فجدير بعلوم هؤلاء أن تدرس وتعلم . لهذا كله قال ـ وما تحت الثرى ـ

واعلم أن الأمم الاوروبية اليوم يقرؤن علما يسمى ﴿علم الآثار المصرية﴾ فهو فنّ خاص وقد انتشرت الآثار هناك فى زماننا ويسمى (العلم الاجبتاوجى)

﴿ لمحة نورية علوية فى ليلة الجمعة ٢٩ يونيو سنة ١٩٢٨ ﴾

استيقظت قبل الفجر فنظرت النجوم فى الظلماء تتلألأ وحصر فى خيالى مامرّ بك فى هذا التفسير من الجمال الرائع والمجد الشامخ والعلم الواسع والشموس التى لاحد لوصفها ولاغاية لعدّها وليس نظر الانسان يحيط إلا بثلاثة آلاف منها . ومن هذه النجوم شمسنا وهى بالنسبة للجوزاء كجزء من ٢٥ ألف ألف جزء كما تقدم فى آخر سورة (الكهف) ثم وازنت بين المجد العالى وبين هذه الأرض التى تعد بالنسبة لتلك العوالم كالعدم المحض فهالنى الأمر وخطر لى أن نقصان بنى آدم وعداواتهم وأنواع المصائب والشقاء المحيطة بهم تبلغ فى كثرتها مبلغ عظمة النجوم وسعتها ﴿وبعبارة أخرى﴾ أن الكوكب كلما كان أصغر كان عن الكمال أبعد وكلما كان أكبر كان أهله الى الكمال أقرب وعلى ذلك يقاس نقصنا نحن بعظمة هذه العوالم . نحن الآن لسنا أهلا لاستيعاب ادراكها فيكون نقصنا على مقدار كمالها ﴿وبعبارة أخرى﴾ يكون الشقاء فى الأرض والحرب والضرب بينهم على مقدار قصور قرائحهم المناسب لحقارة كوكبهم عن فهم هذه العوالم . ثم فكرت فى هذه المعانى فوجدتها خيالا فى خيال لامستند لها ولادليل عليها ثم تذكرت أن ذلك قد تقدم فى سورة (آل عمران) فى كلام روح الفيلسوف (غاليلى) حين استحضروها فانها أفادت أن العوالم العلوية فيها سكان عندهم نظام وحياة لايعقلها أهل الأرض وأن النفوس الانسانية ستنسى هذه الأرض حين تخترق السموات العلى وتركب طبقا عن طبق وأبان أن تلك العوالم فيها من النظام مايبهر العقول . وأشار الى حقارة الأرض وانها ليست شيأ مذكورا . كل ذلك فى سورة (آل عمران) وهى طويلة فارجع اليها ان شئت . فمن هنا تبين لنا أن ذلك الخيال صادق من حيث سعادة أهل تلك الكواكب ولكن هذا البيان لم يكن إلا من علم الأرواح وهو وان احتاج الى مايقوّيه كاف فى مثل هذا المقام ويشير لهذه السعادة لسكان السماء قوله هنا ـ السموات العلى ـ وسيأتى فى هذه السورة ـ ومن يأت ربه مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ـ فذكر العلى فى السموات والدرجات العلى فى الجنات اشارة الى ماذكرناه من أن الجنة فى السماء وانها محل السعادة وقد تقدم تحقيق هذا المقام فى سورة (آل عمران) وبيان انه هل هذه هى الجنة الحسية أومايشبه الجنة الحسية وأن الجنة الروحية أرقى من هذه . ومما يناسب هذا المقام ماتقدم عن اللورد (أوليفرلودج) فى خطبته المذكورة فى سورة (آل عمران) إذ يقول فيها انه موقن أن حولنا عوالم من الأرواح نسبتهم الينا كنسبتنا الى النمل وهم يهتمون بأمرنا . فهذه الأقوال كلها تفيد معنى ـ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ـ وأن شقاء أهل الأرض محقق بسبب جهلهم وغرورهم . لذلك كله ترى الله أبان الطريق لنا هنا ﴿بأمرين﴾ أوّلا أن ندرس العوالم الأرضية من نبات وحيوان الخ ثم العوالم العلوية من فلك ونفس وعقل ثم ندرس علم معرفة الله ثم نعلم الناس ماتعلمناه فأشار للأوّل بقوله ـ تنزيلا ممن خلق الأرض ـ والى الثانى بذكر السموات والى الثالث بالاستواء على العرش والى الرابع بذكر الأرض ومابعدها وهذا الترتيب هو كترتيب ﴿الاسفار﴾ للشيرازى فانظره

تبين بهذا كله حقارة الأرض ومعظم أهلها وعظمة السموات وسكانها وسعادتهم . لذلك قال الله فى آخر السورة - وقل رب زدني علما - يأمرنا أن نزيد فى العلم بالسموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى

واذ ذكرت سعادة أهل السموات والجنات وشقاء أهل الأرض وكان هذا القول اجمالا حسن أن أفصله بعض التفصيل بأمثلة حتى يستبين مافكرت فيه وهو أن كثرة الشقاوة لأهل الأرض على مقدار اتساع نطاق الجمال والسعادة والعظمة للسماء وسكانها فأقول

أهل الأرض ﴿قسمان﴾ متمدينون ومتوحشون ولكل شقاوة تخصه . أما المتمدينون فأمرهم معلوم لأن قارئ هذا التفسير مطلع عليهم فلنذكر إذن بعض المتوحشين منهم لنعرف سكان الكرة التى نحن عليها هل هم مستعدون كلهم أن يكونوا أمة واحدة سعيدة أم هناك عقبات طبيعية تمنع ذلك . جاء فى كتاب ﴿علم الدين﴾ لاستاذنا المرحوم على باشا مبارك فى الجزء الثانى منه ماملخصه

﴿ان أهل السودان بأفريقيا يقولون ان الشياطين والملائكة يظهرون بين الناس فى صورة الآدميين والبهائم وغير ذلك ولهذا تراهم على جهلهم يعظمون بعض البرق والأنهار والجبال والصخور والغابات والأشجار و بيوت النمل و بعض الأحجار المنفردة عن غيرها وما أشبه ذلك و يحترمونها احتراما عظيما كاحترام غيرهم من الأمم لمقامات الأولياء والصالحين . ثم ان مشايخهم يعملون لهم تمائم وتعويذات على أشكال هذه الصور بقصد الحفظ من الامراض والعاهات و يأخذون منهم فى مقابلتها جعلا عظيما . وفى تلك النواحى بلاد لايظهر أهلها للشمس مطلقا ولايمشون إلا بالليل . ومنهم من يعيش طول عمره فى البلدة التى ولد بها ولايفارقها . وأهل تلك الارض لايفرقون بين دين وآخر وكل الاديان عندهم على حدّ سواء وللشيوخ عندهم احترام عظيم ومحلات معتقديهم معظمة فيما بينهم لايدخلها غيرهم ولهم طرق لايسلكها إلا أولياؤهم يميزونها بأوتاد يدقونها و بعض آنية يضعونها على جانبى الطريق فاذا رأوا ذلك تحاموا المرور منه وسلكوا طريقا بعيدا عنه

﴿ومن الغريب انهم اذا ماتت المرأة وهى حامل لاتدفن بل يرمى بها للطير والوحوش بخلاف التى تموت حين الولادة أو بعدها فانها تدفن . ومن عاداتهم انهم اذا مات الزوج دفنوا معه زوجته كما أخبر بذلك أحد السائحين قال فى أثناء عبارة له إن تعدّد الزوجات بهذه الجهة غير ممتنع بل المدار عندهم على اتفاقهم على المهر ان كانت المخطوبة حرة أوالقيمة ان كانت أمة فتى اتفقوا على ذلك أخذ الزوج زوجته وذهب بها الى نسائه فتختلط بهنّ وتشرب الخمر معهنّ و يقمن جميعا بتهيئة الوليمة و بعد الدخول بها أوّل ليلة تكون مع سائر نسائه فى خدمة المنزل

﴿ومن عاداتهم أن من تلد من الزوجات أوّلا تكون هى المحترمة والمقدّمة عليهنّ والمتكلمة فى المنزل إلا أن هذا التقدّم لايثمر لها إلا التندم لانها هى التى تدفن مع زوجها لومات فى حياتها . قال بعض السائحين الذى شاهد موت أحد هؤلاء المتوحشين ﴿لما ارتفع الصوت بالنحيب والبكاء من جميع النساء بين فقيههم موضع التربة فاحتفروها واسعة على قدر اثنين ثم أتى بعنز فذبحها وسلخها وقطعها بيده ثم أعطاهم أمعاءها وأطرافها فطبخوها وأكل منها مع بعض من حضروا وأعطى الحظية شيأ منها . وأما مابقى من اللحم فقطعه قطعا صغيرة وفرّق منه بيده على جميع الحاضرين وأبقى منه بقية والصياح فى كل ذلك مرتفع والبكاء لاينقطع فلما أكلوا قام ذلك الفقيه الى تلك الحظية وقبض على يدها وسلمها الى اثنين من العبيد فأوثقوا يديها وجعلوهما خلفها وطرحوها على الأرض على ظهرها ووضعوا على قلبها خشبة وقعدوا فوقها وصار كل منهم يتكئ على الآخر حتى تهشمت عظامها ثم رموا بها فى القبر ووضعوا زوجها فوقها ثم أتوا له بما بقى من اللحم فوضعوه بجانبهما ثم أهالوا التراب عليهما وعند ذلك انقطع البكاء والنحيب وتوجه كل منهم الى منزله على العادة كأن لم يحصل شئ

واذا مات ميت يقومون و يأخذون من عبيده بقدر ماناسب مقامه فيطعمونهم من أحسن ماعندهم

و يوصونهم بالقيام بخدمة سيدهم ثم يذبحونهم و يدفنونهم معه فى قبر واحد و يدفنون معهم ما كان لهم فى الدنيا من الفرش والأوانى والثياب وجميع ما كانوا يستعملونه فى حياتهم ثم يضعون عليهم حصيرا و يردون التراب عليها و بعد ذلك يصنعون على القبر عشة يدفنون فى احدى زواياها قطعة من الحديد يعلقون بها بعض سلاح الميت ان كان ذكرا فان كان أنثى وضعوا معها ثيابها وما كانت تحبه فى حياتها و بعد دفن الميت يأتون بطعام وشراب فيضعونه على قبره ظنا منهم أن ذلك تتغذى به روح الميت ويكررون ذلك حينا بعد حين الى تمام ستة أشهر من دفنه

وجاء فى هذا الكتاب أيضا أن مملكة اشانتى الواقعة فى سواحل بلاد الذهب لها أراض واسعة وهى قبيلة مقيمة فى أرض واسعة بعيدة الحدود يحدها طولا من المغرب الى المشرق أربع درجات وهو من (عامان) الى (ولتا) وعرضها نحو ذلك وهو من حصن رأس (كورس) الى ولاية (غرفان) وملك (اشانتى) هو الحاكم على جميع هذه الأرض ومن فيها من غير معارض لأمره ولا منازع له فى حكمه . وعندهم طوائف ملحقة بالمقدسين فلا يدخلون فى أمور الدنيا ولا يختلطون بالناس بل يعتزلونهم ويقيمون فى محال بعيدة عن البلد والعمران و يقولون انهم يخاطبون المقدسين و يسألونهم عن كل شئ أرادوا علمه فاذا أراد أحد أن يعلم حال من مات من أقاربه ذهب الى أحدهم فيحضر له روح قريبه فيتكلم معها و يسألها عما يريده . وطوائف أخرى أقل منهم يعيشون معهم و يسألونهم عن كل ماسنح لهم كالذين يفتحون الكتاب أو يضربون الودع أو يقيسون الأثر ولهم براعة فى التقاط أخبار الناس وتتبع أحوالهم و يعرفون حيلا كثيرة يعلمون بها كيف أخذت السرقة ومن سرقها وفى أى موضع هى و يعملون لبعض النساء تمائم لحب أزواجهن وعدم اطلاعهم على أحوالهن وأفعالهن ونحو ذلك ووظائف الطائفة الأولى وراثية يدخلون فيها بطريق الارث عن أسلافهم كما كان عليه كهنة المصريين فى الأزمان القديمة

ولهم عيد يسمى «اينام» تكون فيه أمور غريبة منها ان الملك يأمر بالخمور فتملأ بها حياض متفرقة فى البلد و يباح الشرب منها لكل أحد فلا يبقى فى البلد أحد من كبير أو صغير ذكر أو أنثى حر أو عبد غنى أو فقير إلا شرب منها حتى سكر . وقد تحصل عليها مزاحمات عظيمة ومشاجرات كثيرة ترتفع فيها الأصوات فتختلط بدوى الطبول والبنادق فيكون مجموع ذلك أمرا هائلا وخطبا مزعجا لاتكاد تبلغه العبارة ولا ترى فى أزقة البلدة وشوارعها فى هذا اليوم غير سكران على الارض مطروح ومزمل بقاذورات يتمرغ فيها كالحيوان المذبوح ومن عف عليه الذباب ومن تتشممه أو تلحسه الكلاب ومن يمشى فيقع على الأرض أو على غيره من أمثاله وهو معجب بأمره راض بحاله و يستمرون على ذلك الى آخر النهار

وفى هذا اليوم يذبح كل من الامراء والاعيان بعض عبيده على أول خط من خطوط حرث زراعة النبات الموسوم باسمه هذا الموسم وهو الذى يقال له بلغتهم «اينام» كما تقدم ومن كان فقيرا يأخذ رأسا من رؤس المذبوحين و يضعها فى أول خط من حرث أرضه

ولهم أربعة أعياد فى السنة وعاداتهم فى كل عيد من تلك الأعياد الأربعة أن يعلموا به قبله بيوم فيأخذون المزامير و يعلقون جماجم القتلى وعظامها على طبل عندهم كبير ثم يأتون بذلك الى باب سراية الملك و يضربون بها اعلاما بذلك اليوم فكل من سمعه سواء كان من عائلة الملك أو غيرها صاح بأعلى صوته فتقوم البلدة على ساقها وتهرع السوقة من أسواقها فيضربون الدفوف والبارود ولا يزالون كذلك الى صباح يوم العيد فيركب الملك و يذهب الى المعبد

وقد وصف (هوتشيزون) السائح فى رحلته كيفية تقريب القرابين من الآدميين فى موسم اداى المذكور عند أهل الجهة المذكورة فقال كنت بتلك الجهة فحضرت عيدا هناك يسمى (اداى) وكان فى شهر يناير

الافرنجى فتوجهت الى الملك فرأيت بعض الضباط الملازمين له يدخلون عليه ويخرجون من عنده و بأيديهم سكاكين وأسلحة فأرسل أحدهم الى أحد الأمراء ليخبره أن يحضر عند قبر أمه ثم ركب الملك وتوجه الى القبر بعد أن أمرنى بالخروج من باب غير الذى دخلت منه ولم أعلم سرّ ذلك فلما وصل الى القبر أمر باخراج عظم أمّه واخوته من قبورهم فأخرجوها وغسلوها بالماء ثم نشفوها بمناشف من حرير وغمسوها فى (الروم) وهو نوع من المسكر ثم نشفوها ثانيا كل ذلك بغاية الاحترام والتوقير ثم قلبوها فوق تراب من ذهب وأحاطوا بها سبائك منه وقلائد من الحجارة والمعادن الثمينة ووضعوها على حافة القبر . و بعد ذلك أتوا بجميع المذنبين والمتهمين بعدم الرضى عن الملك فكان كل من أتى منهم ذبحوه على تلك العظام حتى سالت الدماء الى القبر وفى هذه الليلة دارت سياقة الملك حول المدينة فكل من وقع بصرهم عليه أحضروه الى الملك فيذبح وكان السبب فى هذا القتل والقربان على زعمهم هو أن الملك وقتئذ كان مستعدا لقتال بعض القبائل المحاربة له وكان الملك على حسب عادتهم فى ذلك يرى من الواجب قبل الخروج الى القتال أن يخرج عظام أمه و بعض أقاربه من قبورهم و يفعل بها ماذكر لاعتقاده أنه اذا فعل ذلك بهم كانوا راضين عنه وكانت أرواح مقدسيهم مساعدة له على أعدائه لكن لشهرة هذا اليوم وهذا الأمر قد يتخلص منه أناس كثيرون ممن يرغب الملك فى قتله وكان من عادتهم فى ذلك العيد كباقى الأعياد أن يحضر فيه الى تلك المدينة خلق كثير ولكنهم لعلمهم بهذه الحادثة لم يحضر أحد فكانت المدينة يومئذ خالية ليس بها إلا الملك وعائلته وأصحاب سره . فلما مضى جزء من الليل أمر الملك بوضع عظام والدته وأهله فى مقابرهم ورجع فى موكبه ومعه رؤساؤه وأمراؤه وأتباعهم وعليهم ملابس الحرب وآلاته وأمام كل واحد منهم شعلة من نار فكانت البنادق وجميع آلات الزينة والرسوم الموكبية منشورة الأعلام وقد تقدمهم جماعة قدغلت أيديهم وعليهم الحرس وحولهم رجال تغنى بأنغام حماسية وفى عصر ثانى يوم أعادوا ذلك الموكب بعينه فوقف الملك فى الميدان الكبير وحوله الطبول وأرباب الموسيقى فأمر بقتل أولئك المغلولين فصاروا يقتلونهم واحدا بعد واحد والآلات تضرب بأنغام عجيبة كأنها تقول «القتل القتل» وكان أمامه إناء من خشب مملوأ نبيذا وكلما قطع رأس رقص له ثم فى آخر هذا اليوم دخل الملك سرايته اهـ

إن أهل هذه المملكة يعيشون وحولهم الانجليز والفرنسيون وسائر الافرنج وهم لا يتعرّضون لاعتقاداتهم ولا يمانعونهم فى اجراء رسومهم وعاداتهم فان ذلك يجرّ عليهم من عداوة الأهلين وغيظهم مالا يكون لهم معه راحة فلذلك ترى المقيمين فى تلك الجهات من الأمم الاوروبية لا يعنيهم تغيير شئ من ذلك إذ المقصود لهم من الاقامة فى تلك الجهات انما هو التكسب بالتجارة فيما يستخرج من أرضها من المعادن وسائر موادّ التجارة وارسال ذلك الى الممالك الاوروبية واستبداله بما يرد منها الى البلاد فلا يشتغلون إلا بتوسيع دائرة هذه التجارة لا بتغيير العادات والمعتقدات إذ هذا مما لا يتيسر لهم هناك فان هذه البلاد بسبب اتساعها و بعدها وصعوبة المرور والعبور بها لما فيها من الموانع كالغابات والخلجان ثم كثرة حرها وتغير هوائها وكثرة ما يعرض للأغراب من الافرنج فيها بسبب ذلك من العلل الخطرة والأمراض المهلكة لا يتأتى للدول الاوروبية أن تبعث لهذه البلاد بكثير من الناس والأجناد لمنع ذلك بالقوّة القهرية والسطوة العسكرية لما اعتراهم فيها من الأمراض الكثيرة فكان فى كل سنة يموت قدر النصف ممن يرسل اليها من العسكر وغيرهم واتخذ الانكليز بها طرقا كثيرة وتدابير متنوّعة لانتشار الزراعة بها وتحسين أحوالها فلم ينجح إلا القليل منها فى بعض الجهات دون بعض وكذلك جدّدوا بها مدارس ومكاتب للذكور والاناث جمعوا فيها كثيرا من أهل البلاد فلم يترتب على ذلك للبلاد كبير فائدة لأن من تربى منهم ولم يمت فى عهد قريب آثر الاقامة بين من تربى عندهم على الاقامة بين أهله فى بلده لكراهتهم له وتبرئهم منه ولعلمه أنه اذا أتى اليهم مقتوه واحتقروه وان تكلم بما يخالف عقيدتهم قتلوه . وكما فعلت دولة الانكليز معهم كذلك فعل الفرنسيس والفلمنك وغيرهم وقد غيرت كل

من هذه الأمم مواضعها وانتقلوا من موضع رأوا فيه كثرة الأمراض الى موضع ظنوا فيه جودة الهواء فخاب أمل الجميع وتحققوا عدم النجاح . انتهى

هذا مالخصته من كتاب «علم الدين» من عادات هؤلاء السودانيين وهذه أخلاق طائفة من بنى آدم الذين هم أشرف سكان أرضنا التى ذكرت مع السموات العلى وأن الله نزّل القرآن لأهلها

يقول الله ــ والعصر * إنّ الانسان لفى خسر * إلا الذين آمنوا ــ الخ ويقول ــ اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدوّ ــ ويقول ــ لقد خلقنا الانسان فى كبد ــ ويقول ــ إنه كان ظلوما جهولا ــ

فانظر جهالة هذا الانسان وسخافة أهل هذه الأرض كيف عظموا الأحجار والأنهار والقديسين فى نظرهم ثم تقرّبوا الى الله بذبح الانسان حتى ان أم الملك اذا دفنت يترقب أحد عبيده شريفا يدخل معهم فيقتله ليكون دمه مطهرا لها . وكيف يجعل الملك يوما من أيام العيد خاصا باهلاك كل من ظهر حتى من الأمراء والوزراء . إن الله أودع هذه الغباوة فى صدورهم ليفنى بعضهم بعضا بطريق دينى أوغير دينى ليساعدوا الطاعون على تقليل عددهم لأنهم قوم اذا كثروا لايقدرون على استثمار أرضهم لقلة الصناعات والعلوم فألهمهم الله أن يتقرّبوا أو يفتخروا بالاهلاك كما سلط الله البرد على الحشرات كل سنة فتبيد لئلا تهلك الحرث والنسل

ولما كانت الأمم قديما لاعلم عندها كان الله يرسل لها الطاعون فيبيد جموعا كثيرة ولو بقيت لم يكفها القوت التى عندها ولكن لما تعلمت الأمم كأهل بلادنا المصرية وأمكنهم الانتفاع بموارد الأرض أكثر لهم من الأطباء ليقللوا من انتشار الأمراض فكثر النسل فوجدوا قوتا حصل لهم بالعلوم والصناعات وهذا من انتشار العلم الذى نقلوه عن أوروبا التى عرفت ذلك قبلنا فكثر نسلها مع زيادة خصبها ونشاط أطبائها

وهنا سؤال وهوهل هؤلاء القوم وأمثالهم فى أرضنا يقبلون الرقى حتى يكون الناس فى الأرض أمة واحدة فى المستقبل كما شرحته فى كتابى «أين الانسان» . أقول لما عثرت على هذا استبعدت ذلك لأن المانع الطبيعى منع الامم المتعلمة من تعليم هؤلاء لانهم يموتون فى بلادهم كما تقدم . ويظهر انه لاسبيل الى رقى أمثال هؤلاء إلا بارتقاء جيرانهم بطريق دين الاسلام مثلا وجيرانهم يعلمونهم بالتدريج

هذه صفحة من أخلاق أهل هذه الأرض ذكرتها لما نظرت السموات وجمالها ووازنت بين جمالها وسعادتها وأنوارها الظاهرة لأعيننا و بين تعاسة أهل الارض وشقاوتهم تبيانا لوصف السموات بالعلى ووصف القرآن بأنه منزل . كل ذلك للدلالة على شقوة أهل الأرض ولاخلاص لهم إلا بالعلم . ويظهر لى أن الله أعدّ فى كل عالم من العوالم المنحطة شقاء لأهله على مقدار نقص كوكبهم فيكون ذلك الشقاء والمذلة باعثا على أنهم يودّون أن يتخلصوا من ذلك الكوكب ويتشوّقون الى عوالم أرقى كما نتشوّق نحن الآن والله هو الولىّ الحميد

(المقصد الثانى من السورة والكلام عَلَى الفصل الأَوَّل والثانى من فصوله الأَربعة)

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ * إِذْ رَءَا نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِىَ يَا مُوسَىٰ * إِنِّى أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ * إِنَّنِى أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِى وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ * وَمَا

تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ
أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ
سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى * وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً
أُخْرَى * لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * قَالَ رَبِّ اشْرَحْ
لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي
وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى *
وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ
فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي
وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي * إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ
كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي
أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى * وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي * اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ
بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ
يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي
مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى * فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ
قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى * إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ
عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ
ثُمَّ هَدَى * قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى * قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا
يَنْسَى * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى * كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي
النُّهَى * مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى * وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا
كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى * قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ

بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ
يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى * فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى * قَالَ لَهُمْ مُوسَى
وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى * فَتَنَازَعُوا
أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى * قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ
أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى * فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ
الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى * قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ
أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ
خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا
صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ
هَارُونَ وَمُوسَى * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ
فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا
أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى * قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ
قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ
مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا
يَحْيَى * وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى * وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى
أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا * لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى * فَأَتْبَعَهُمْ
فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ * وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى * يَا بَنِي
إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ
الْمَنَّ وَالسَّلْوَى * كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ
يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى * وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى *
وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى *

قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ * فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا * قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي * قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ * أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا * وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى * قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي * قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي * قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا * إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا *

﴿ التفسير اللفظى ﴾

اعلم أن هـذه السورة من أوائل السور التى نزلت ولذلك أنزل عليه قصة موسى ليأتم به فى تحمل أعباء الرسالة ومشاقها فقال تعالى (وهل أتاك حديث موسى إذ) ظرف لحديث (رأى نارا) ذلك انه استأذن شعيبا عليهما الصلاة والسلام فى الخروج الى أمه وخرج بأهله من مدين الى مصر فأذن له فخرج بأهله وماله وكانت أيام الشتاء فأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامرأته حامل فى شهرها لايدرى أليلا تضع أم نهارا فسار فى البرية غيرعارف لطرقها فألجأه المسيرالى جانب الطور الغربى الأيمن وذلك فى ليلة مظلمة مثلجة شاتية شديدة البرد فأخذت امرأته فى الطلق فأخذ زنده فجعل يقدحه فلايورى فأبصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور (فقال لأهله امكثوا) أقيموا (إنى آنست نارا) أى أبصرت نارا (لعلى آتيكم منها بقبس) أى شعلة من النار أوجمرة (أوأجد على النار هدى) هاديا يدلنى على الطريق أويدلنى على الله تعالى وتوجيه المعنى الثانى أن الأبرارمفطورون على التوجه لمعرفة الله تعالى فهم ينشدونها فى كل زمان ومكان لأدنى مناسبة وقلوبهم أقرب لذكر الله اذا رأوا نورا مشرقا فهم يذكرونه عنـد الغروب والشروق فـكان طلب موسى لمن يهديه لربه حين نظرالنور أمرا أوجبته فطرته فقال ـ أوأجد ـ فوق المـكان القريب من النارهاديا فالمستعلى هوالهـادى المترقب والمستعلى عليـه المـكان القريب من النار (فلما أتاها) أى النار وجـد نارا بيضاء تتقد

كاضوء ما يكون فلاضوء النار بغير خضرة الشجرة ولاخضرة الشجرة بغير ضوء النار وكانت شجرة عليق * قيل ان موسى عليه الصلاة والسلام كان كلما دنا نأت عنه الشجرة واذا نأى دنت منه فوقف متحيرا وسمع تسبيح الملائكة وألقيت عليه السكينة فهنالك (نودى ياموسى) قال من المتكلم قال (إنى أنا ربك) فوسوس اليه الشيطان لعلك تسمع كلام الشيطان فقال أنا عرفت انه كلام الله بأنى أسمعه من جميع الجهات وبجميع الأعضاء . وهذا معناه أن المعانى ألقيت على روحه ثم أشرب بها قلبه اشرابا حتى فاضت على الحس المشترك والحس المشترك هو القوّة المودعة فى الدماغ التى هى قابلة لما يرد من الحواس من العلوم فتوصله للعقل وهنا عكس الأمر فجاء العلم من داخل النفس وانتعش فيه . فلهذا رمز بأنه من جميع الجهات أى انه ليس من جهة خاصة بل من النفس والنفس لاجهة لها بل هى أمر فوق الجهات كلها كما ان الله ليس فى مكان بل كل مكان تحت أمره . ثم أمره أن يخلع نعليه احتراما للبقعة المقدّسة فقال (فاخلع نعليك) وعلل ذلك بقوله (إنك بالواد المقدّس) المطهر (طوى) عطف بيان للوادى وفيه تنبيه أن قابلية العلم لاتكون إلا مع «أمرين» طهارة النفس من الخبائث كما خلع موسى نعليه اللذين هما من جلد حمار ميت غير مدبوغ كما روى مرفوعا وخلع النفس من التعلق بمتاع الدنيا الذى هو العائق عن تحصيل العلم ولذلك أردفه بقوله (وأنا اخترتك) اصطفيتك للنبوّة (فاستمع لما يوحى) للذى يوحى اليك (إننى أنا الله لاإله إلا أنا فاعبدنى) ولاتعبد غيرى (وأقم الصلاة لذكرى) أى لتشغل قلبك ولسانك بذكرى بعد ما فرغتهما من علائق الدنيا وأنت فى مكان طاهر كما يشير اليه خلع النعلين فى الوادى المقدس (إنّ الساعة آتية) كائنة لامحالة (أكاد أخفيها) أقرب أن أخفيها فلا أقول انها آتية وانما أخبرت بها لأقطع الأعذار * وفى قراءة أخرى بفتح الهمزة أى أظهرها ومآل المعنى واحد لأنه اذا قرب من اخفائها أوقرب من اظهارها كان المعنى انها لم تظهر ولم تخف أى هى مبهمة على الناس حتى يكونوا على حذر . يقال خفاه أظهره وأخفاه ضده . ثم قال (لتجزى كل نفس بما تسعى) متعلق بآتية (فلايصدّنك عنها) فلايصرفنك عن التصديق بمجيئها (من لايؤمن بها واتبع هواه) ميل نفسه الى لذاته المحسوسة فقصر نظره عليه ولم يطلع على دخيلة النفوس والعقول والامور العجيبة (فتردى) فتهلك (وماتلك بيمينك ياموسى) تلك خبر ما أى أىّ شئ هذه حال كونها كائنة بيمينك ياموسى وذلك للايناس ورفع الهيبة للمكالمة وللتنبيه أن المعجزة تقع بعد التثبت (قال هى عصاى أتوكأ عليها) أعتمد عليها اذا عييت أووقفت على رأس القطيع (وأهشّ بها على غنمى) وأخبط الورق بها على رؤس غنمى * وقرئ - وأهس - من الهس وهو زجر الغنم أى أنحى عليها زاجرا لها (ولى فيها مآرب أخرى) حاجات أخر فاذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته واذا قصر الرشاء وصله بها وكان يقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها . وقد ذكر المفسرون عن قصص بنى اسرائيل أن شعبتيها بالليل كانتا تستعملان كشمعة وتصيران عند الاستقاء كالدلو واذا ركزها نبع الماء بركزها ونضب بنزعها وهى تورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة . وكل تلك الروايات لاتفيد فى الآية ولا العلم ولكنها تمثل سواء أصحت أم لم تصح عجائب الطبيعة لأنها هكذا خلقت فهى تكون غصنا ثم شحما يصير شمعا ثم دلوا اذا كانت جلد حيوان . فهذه العجائب حاصلة فى الدنيا سواء أجاءت على يد موسى أم لا . إن الناس يعجبون لعصا تنقلب حية تارة وشجرة أخرى وشمعا آونة وهكذا وهم فى الحقيقة يشاهدون هذا وهم لايفقهون وينظرون ولكن لايعقلون . ان المادّة تكون ترابا وماء ثم تصير شجرا وزهرا كما قيل فى عصا موسى ثم تصير حيوانا ذا شحم ولحم وجلد فيصير الدلو من جلده والشمع من شحمه . هذه أمور معروفة ولكن الناس لايعجبهم إلا ماليس له قانون ولانظام ولكن الله أبدع الطبيعة ابداعا أجمل وأبهى من ابداع عصا موسى لأنه يخلق الحيات من الموادّ القذرة والشجر من الأرض وهكذا . ولكن ليس من الحكمة أن يكون العالم سبهللا بلانظام ولاترتيب ولوأن الحقّ اتبع أهواء الناس فأصبح الشجر ينقلب حيات والحيات تنقلب

عصيا والعصى تنقلب شجرا لارتاع العالم الذى نسكنه ولضـلّ الناس سواء السبيل وجفل الحيوان وخاف ولضاعت الثقة بنظام هذا العالم . فهذه هى المعجزة . ولعمرى ان معجزة الله هى هذا العالم ومعجزة الأنبياء أقل من معجزته بمالايحصى . فلما أجاب موسى بذلك (قال) الله له (ألقهاياموسى) انبذها واطرحها (فألقاها) فطرحها (فاذا هى حية) صفراء من أعظم ما يكون من الحيات (تسعى) تمشى بسرعة على بطنها . وفى آية أخرى ـ كأنها جان ـ أى حية صغيرة الجسم خفيفة الحركة . وفى آية أخرى أيضا ـ انها ثعبان ـ وهوأ كبر ما يكون من الحيات . فاذن هى فى الضخامة كالثعبان وفى الحركة والخفة كالجان

فلما رآها حية كبيرة وشعبتاها شدقاها ومحجنها عنقها وعيناها تتقدان كالنار تمرّ بالصخرة العظيمة فتلتقمها وتقصف الشجرة العظيمة كما قيل . فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهوشديد الخوف (قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى) أى الى هيئتها فنردّها عصا كما كانت فاطمأنت نفسه فأدخل يده فى فمها فوجد أنها فى شعبتها فى الموضع الذى كان يضعها اذاتوكأ وانما أظهر الله له ذلك لئلا يفزع اذا ألقاها عند فرعون (واضمم يدك الى جناحـك) الى جنبك تحت العضـد . يقال لـكل ناحيتين جناحان كجناحى العسكر وذلك استعارة من جناحى الطائر (تخرج بيضاء) مشرقة نيرة (من غير سوء) من غير قبيح كنى به عن البرص كما يكنى بالسوءة عن العورة (آية أخرى) أى معجزة ثانيـة حال من فاعل ـ تخرج ـ وانما فعلنا ذلك (لنريك من آياتنا الـكبرى) وكانت يد موسى أكبر آية كما قاله ابن عباس (اذهب الى فرعون إنه طغى) جاوز الحدّ فى العصيان والتمرّد (قال ربّ اشرح لى صـدرى ويسر لى أمرى) أى وسع صـدرى ليتحمل الوحى والمشاق ورديء الأخلاق من فرعون وجنـده ويسر الأمر برفع الموانع واحداث الأسباب (واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى) وكان فى لسانه رتة من جمرة أدخلها فاه . وذلك أن فرعون حمـله يوما فأمسك لحيته ونتفها فغضب وأمر بقتله فقالت آسية إنه صبى لايفرق بين الجمرة والياقوت فأحضرا بين يديه فأخذ الجمرة ووضعها فى فيه ثم لما دعاه قال الى أىّ رب تدعونى قال الى الذى أبرأ يدى وقد عجزت عنه ثم قال (واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى) يعيننى على ما كلفتنى به من المشاق وهومن الموازرة أى المعاونة أى واجعل معينا كائنا لى وهرون عطف بيان وأخى بدل أوعطف بيان آخر ومن أهلى متعلق بوزيرا (أشدد به أزرى) أى قوّ به ظهرى * وقيل الأزر القوّة (وأشركه فى أمرى) اجعـله شريكى فى النبوّة والرسالة (كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا) لأن التعاون يهيج الرغبات (إنك كنت بنا بصيرا) عالما بأحوالنا وأن التعاون يصلحنا وهرون نعم المعـين (قال قد أوتيت سؤلك ياموسى) أى مسؤلك وهو كأ كل بمعنى مأ كول * ويقال ان عقدة لسانه لم تحل وأن موسى لم يسأل حلها لأن هذا لايهم انما الذى يهم هومنع عقدة الافهام والاعلام فيكون لـكلامه صبغة الفهم . فأما تلك الرتة فهى غـير هامة ولذلك قال فى آية أخرى ـ ولا يكاد يبين ـ ثم قال تعالى مذكرا له بنعمه (ولقد مننا عليك مرّة أخرى) أى أنعمنا عليك فى وقت آخر (إذ أوحينا الى أمك) بالالهام أو بالمنام (مايوحى) مايلهم (أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم) أى بأن اقذفيه الخ واليم البحر (فليلقه اليم بالساحل) بالجانب والمعنى على الاخبار بأن اليم سيلقيه بالساحل (يأخذه عدوّ لى وعدوّ له) أى فرعون والضمائر كلها راجعة لموسى * يقال انها جعلت فى التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه ثم ألقته فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فبينما هوجالس على رأس بركة مع آسـية اذا بالتابوت فأمر به فأخرج ففتح فاذا بصبى أصبح الناس وجها فأحبه فرعون حبا شديدا فلذلك قال (وألقيت عليك محبة منى) ومنى متعلق بألقيت ومن أحبه الله أحبته القلوب فما رآه أحد إلا أحبه . فهذه المحبة ألقيتها عليك ليتعطف عليك (ولتصنع على عينى) أى ولتربى ويحسن اليك وأنا مراعيك ومراقبك كما يرعى الرجل الشئ بعينه اذا اعتنى به ونظر اليه * وقرئ ـ ولتصنع ـ بفتح التاء أى وليكون عملك على مرأى منى لئلاتخالف به أمرى (إذ تمشى أختك)

إذ ظرف لألقيت (فتقول هل أدلكم على من يكفله) * روى أن أخته مريم جاءت متعرّفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وكان لايقبل ثدى امرأة فقالت هل أدلكم على من يضمه الى نفسه فيربيه وأرادت بذلك أمه فقالوا نعم فجاءت بالأم فقبل ثديها وذلك قوله (فرجعناك) فرددناك (الى أمك) كما وعدناها بقولنا ــ إنا رادّوه اليك ــ (كى تقرّ عينها) بلقائك (ولاتحزن) هى بفراقك أوأنت بفراقها وفقد اشفاقها (وقتلت نفسا) نفس القبطى الذى استغاثك عليه الاسرائيلى (فنجيناك من الغم) غم قتله خوفا من عقاب الله واقتصاص فرعون بأن غفرنا لك وأمناك بالهجرة الى مدين (وفتناك فتونا) اختبرناك اختبارا أى ابتليناك ابتلاء والفتون مصدر كالقعود أوجمع فتنة أى فتناك ضروبا من الفتن والفتنة المحنة وكل مايبتلى الله به عباده فتنة • يقول الله خلصناك مرة بعد أخرى • يذكره باجمال مانا له فى سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الألاف والمشى راجلا على حذر وفقد الزاد وانه جعل نفسه أجيرا وغير ذلك مما سبق ومما يأتى من قوله (فلبثت سنين فى أهل مدين) لبثت فيهم عشر سنين قضاء لأوفى الأجلين • ومدين على ثمان مراحل من مصر وهى شرقى البحر الأحمر (ثم جئت على قدر ياموسى) قدرته لأن أكلمك فيه وأستنبئك أومقدار للرسالة وهو أربعون سنة (واصطنعتك لنفسى) أى اخترتك لأمرى وجعلتك القائم بحجتى والمخاطب بينى و بين خلقى كأنى أقمت الحجة عليهم وخاطبتهم (إذهب أنت وأخوك بآياتى) بدلائلى (ولاتنيا) تفترا من الونى وهوالفتور والتقصير (فى ذكرى) أى لاتنسيانى حيثما تقلبتما واتخذا ذكرى جناحا تطيران به • ومن ذكره تعالى تبليغ الرسالة فالذكر يشمل سائر العبادات وهوأعظمها مقاما (اذهبا الى فرعون إنه طغى) أمر موسى أولا ثم أمره هو وأخاه هنا • وطغيان فرعون ادّعاؤه الربوبية (فقولا له قولا لينا) ألطفا له فى القول لما له من حق تربية موسى مثل أن تقولا له هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى ــ (لعله يتذكر أو يخشى) راجع لقوله ــ فقولا له ــ أى باشرا الأمر وأنتما طامعان أن عملكما سيثمر وأنكما ستهديانه لأن من ارتجى شيأ طلبه ومن أيس انقطع عمله • والقصد من ذلك إلزامه الحجة وقطع المعذرة وان لم يفد هدايته (قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا) أى أن يعجل علينا بالعقوبة ولايصبر الى أن نتم دعوتنا • يقال فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل (أوأن يطغى) أى يزداد طغيانا فيقول فيك مالاينبغى (قال لاتخافا إننى معكما) بالحفظ والنصر (أسمع وأرى) مايجرى بينكما و بينه من قول وفعل فأحدث فى كل حال مايصرف شره عنكما (فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل) أطلقهم (ولاتعذبهم) بالتكاليف والأعمال الشاقة (قد جئناك بآية من ربك) بحجة على صدق ما ادّعيناه وهذه الجملة كالبيان لجملة ــ إنا رسولا ربك ــ قال فرعون وماهى فأخرج يده لها شعاع كالشمس (والسلام على من اتبع الهدى) وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين أوالأمان فى الدارين لهم من العذاب انتهى • وههنا ﴿ ثلاث لطائف ﴾

﴿ اللطيفة الأولى ﴾ فى قوله تعالى ــ وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا ــ

﴿ اللطيفة الثانية ﴾ فى قوله تعالى ــ فألقاها فاذا هى حية تسعى ــ

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ فى قوله تعالى ــ والسلام على من اتبع الهدى ــ

﴿ اللطيفة الأولى فى قوله تعالى ــ وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا ــ ﴾

اعلم أن بعض العقلاء المستبصرين يقولون مالنا ولقصص موسى وأىّ فائدة لنا فى النار المشتعلة فى العوسج أوفى العليق أوفى غيرهما • وهل هى إلا معجزة جاءت لموسى وموسى أرسل لليهود واليهود الآن أمّة تفرّقت فى أقطار الأرض وتوراتها معها وهم جند السلم وجند الحرب وجند المال بل هم الذين أقاموا أوروبا و بسبب فلاسفتهم قامت الحرب الكبرى التى استعرت بين الشرق والغرب بل هم أصحاب البلشفية فهم اليوم أصحاب الحول والطول فى اصطدام الأمم كلها بمالهم تارة و بفلسفتهم أخرى • وهم الذين حركوا ألمانيا للحرب بقوّة

فلسفتهم ومنهم (شو بنهور) الذى أثار ثائرة القوّة الحربيـة وقال لاحياة للضعيف والضعيف يجب أن يموت وليس يبقى فى الأرض إلا الأقوياء الذين لهم الحق فى البقاء ومن عداهـم يجب أن يذبحوا اكراما للأقوياء والأقوياء هم الباقون والضعفاء هم الميتون . هؤلاء هم اليهود الذين أرسل لهم موسى وهذه القصة حديثه فهل تعاليمهم هى التى ذكرها القرآن هنا أم هذه تعاليمنا . واذا كانت تعاليمنا وانا ورثناها عن موسى عليه السلام لأن الله أمر نبينا أن يقتدى به وبالأنبياء وجب أن نعرف المقصود منها وماذا ينفعنا . أقول اعلم أن هذه القصص نزلت فى القرآن لتعليمنا نحن . فأمااليهود فانهم أخذوا مايهمهم من التوراة واستعملوا عقولهم حرّة فى أحوال المدنيـة والعمران . فهاأناذا أقول . ماذا يراد بهذا هنا . اعلم أن النار التى رآها موسى تتقد فى الشجرة وهكذا العصا التى قلبت حية ماهى إلا بذور ألقاها الله فى الأرض لتثمر فى العقول والناس فى استعمال الحبّ والبذر على ﴿ قسمين ﴾ قسم فقير يأخذها للغذاء . وقسم آخر يأخذها لغرض الزرع . فأما الذى يأخذ الحبّ لأكله فهومن لازرع له . وأما من يأخذها للزرع فانه يريد نموّ ماله سنة فسنة الى ماشاء الله . فأىّ الرجلين أغزر ثروة . لاشك أنه هوالثانى . هكذا فى هـذه القصص فالعامّة يتخذونها غرضا لعلومهم ومقصدا وهى تكفيهم . و يرى العامى أن اتقاد النارفى الشجرالأخضر وانقلاب العصا حية على يد موسى فيهما كل الحكمة وكل القدرة والعـلم والحكم الالهية . وأما الخاصـة فانهم يقولون ان نارا تتقد فى شجرة لم يرها إلا هو وأخبرنا بها نبينا محمد ﷺ لم تزدنا ايمانا لأن إيمـاننا أصـله نبينا ﷺ فايمـاننا بها تبع لايمـاننا بنبينا ﷺ فلانزيد إيمانا بهذا المعنى وانمـا يزيد ايمـاننا بالمباحث العلميـة . وكلما كانت الحجة مشاهدة ومعلومة أكثر كانت أمكن وأمتن وهذه الحجة لم نشاهدها ولم نرها . لهذا وجب أن نعرف الحكمة فيها . وجواب هؤلاء أن يقال ان المقصود من أمثال هـذه أمور وراءها وهذه أشبه بضرب أمثال لأحوال النفوس البشرية . انهامن باب الكناية وهى لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز ارادة المعنى الأصـلى . فهنا المعنى الأصلى لاغبار عليه ولكن المهم مايرمز اليه فلنذكر المرموزاليه فنقول

﴿ أنوار القلوب ﴾

ان موسى عليه السلام لما أشرقت النار فى الشجرة كان ذلك مقياسا لما سيراه فى قلبـه إذ عمل بقوله تعالى ــ ولاتنيا فى ذكرى ــ و بقوله ــ وأقم الصلاة لذكرى ــ فهاتان آيتان هما سرّهذه النار . سرّ هذه النار فى الصلاة وفى الذكر . الله طلب من موسى وهرون أن يذكرا ربهما و يصليا لتتقد نار المحبة فى قلوبهما أى لتزيد المحبة . فالله أحبّ موسى وموسى أحبّ الله والحبّ يوجب اتقاد النار فى القلوب والصلاة والذكر يوجبان ازدياد الحب والحبّ تصحبه نارالأشواق لاكتناه صفات المحبوب . فنار الشجرة المشرقة مثال لتلك النارالقلبية العشقية الغرامية الشوقية التى تتقد فى قلب موسى عليه السلام

﴿ هذا موسى عليه السلام فما شأننا نحن ﴾

أقول . اذا قلت هذا أجيبك انك اذا أردت أن تقتدى بموسى فاعلم أن الباب مفتوح على مصراعيه . أقول لك ذلك عن علم وفهم وايقان بما أقول ولكن لا أودّ أن أشرح لك ماأعرفه ولاماجرّبته ولكنى أقول لك اجلس كل يوم ساعة واذكر ربك حاضرالقلب غير مفكر إلا فى المذكور ثم لتكن فى صلواتك الخمس حاضرالقلب فعلا بمعنى انك تخاطب ربك فى الصلاة كأنه حاضرلديك وكأنه أمامك . هذان هما الشرطان اللذان أطلبهما منك وأناأقول لك ان أنوارشجرة موسى تنتقل فعلا فى قلبك وتلحظ فيهانورا فعلايسرك استحضاره واشراقه فى قلبك وهذا النور والاشراق بديع وجيل وليس هذا إلا مبدأ للفتوح وتلك الأنوارتموّج بألوان وصور بديعـة جيلة غريبة . وأما ماوراء ذلك فالناس درجات و يفتح على كل بما يناسبه . واعلم أن الأمم الاسـلامية لما أشرقت الأنوار على بعض الذاكرين والصالحين منهم لم يرفعوا رؤسهم الى أعلى إلا قليلا منهم

فاخذتهم

فأخذتهم الفرنجة . فأنا أقول لك إنه لافتوح حقيقيا فى الأمّة الاسلامية إلا لمن توجهوا بهممهم الى رقى الأمّة الاسلامية متى كان فيهم استعداد فأحب أمّة الاسلام كلها وجدّ فى ارتقائها أوفى ارتقاء من حولك من اخوانك فان هـذه الهمة متى علمها الله منك بالاخلاص ساعدك لأنه يحب من يساعد عباده ـ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأن الله لمع المحسنين ـ هذا هوالمقصود من نورالشجرة الموسوية . وكما نادى الله موسى لما رأى نارالشجرة كذلك هنا تشرق أنوارالعلم عليك بعداشراق بصيرتك بتلك الأنوارالتى هى أبهج من النار والأنوار الظاهرية . هذا هوتفسير نورالشجرة

﴿ النار والنور ﴾

اعلم أن ابن عباس قال ﴿ ان هـذه النار لم تكن نارا بل كانت نورا ﴾ ذكر بلفظ النار لأن موسى عليه السلام حسبه نارا . وقيل هى النار بعينها وهى إحدى حجب الرب تبارك وتعالى يدل عليه ماروى عن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال لأصحابه ﴿ النارلوكشفها لأهلكت سبحات وجهه ماانتهى اليه بصره من خلقه ﴾ أخرجه مسلم . ولما كان هذا الحديث واردا فى صحيح مسلم وجب أن نبحث فى أمره ونقول

﴿ هذا الحديث معجزة فى هذا الزمان أظهرها العلم الحديث ﴾

اعلم أن الكواكب أجمعها كرة نارية وأرضنا نار وأصل الشموس وسياراتها وتوابعها كلها نيران طائرة دائرة فعالمنا الذى نعيش فيه ماهو إلا نيران . وانما الجزء الذى نعيش فيه من الأرض هو الذى برد و باقيها متقد والعالم كله نيران مشتعلة وعالم الأثير هوالذى تعوم فيه عوالم الضوء والحرارة والكهرباء وفيه تتولد المادّة التى تكون فى أوّل أمرها نارا طائرة فى الجوّ كما هومعلوم . هذا هوعالم الخلق الذى هو إما نار أومادّة مشتقة من نار أوعالم اشتقت منه النار وهو عالم الأثير لأن النور والنار والكهرباء متكوّنة فيه فهو إذن أصل النار وعلى ذلك أصبح عالم الخلق كله ناريا حقيقة أوحكما . ألاترى الى أقرب شئ الينا وهى حرارة الشمس فانه لولاها لم يكن حيوان فى الأرض ولانبات فالحرارة هى أصل كل حياة على الأرض . واذا كان هذا شأن النار فهى حجاب يحجب الله عنا لأنه اذا ظهرالمخلوق بطن الخالق عند أكثر النفوس واذا اختفى المخلوق تجلى الخالق . فهـذه المخلوقات إذن حجاب الله تعالى وثبت أن النار حجابه وانه اذا زال هـذا الحجاب تجلى الله لأنه لايبقى إلا عالم الأرواح وهناك يتجلى لهم لايحجبون عنه إلا بما فيهم من الكثافة المادّية فنى زالت المادّة ورجعت العقول لصفائها فهنالك يتجلى الله تجليا تاما لتلك النفوس العاليـة . إن هذا الحديث معجزة لأن العلم أثبت هذا اليوم . و يقول فى الحديث ﴿ لوكشف النار ﴾ أى لوكشف هذه المادّة ولم يبق لها وجود ﴿ لأهلكت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ﴾ يقول لوأزيلت المادّة وتوابعها وأصولها لم يبق إلاعالم الأرواح فأما عالم الأشباح فانه يختفى و ينعدم إذ لا وجود له إلا بالمادّة فاذا عدمت المادّة فأين عالم الخلق وانما الذى يبقى انما هو عالم الأمر . انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية فى قوله تعالى ـ فألقاها فاذا هى حية تسعى ـ ﴾

اعلم أن هذه الآية متممة للمتقدّمة فهناك يقول صفوا قلوبكم ونقوها بالاخلاص والأخلاق والصفاء والذكر والصلاة وهنا يقول سبحانه تأمّلوا فى عصا موسى وانها قلبت حية تارة وشجرة مثمرة أخرى وشمعة مشرقة آونة وهكذا . وقد علمتم أيها الأذكياء أن هذا ليس مطمح نظر العقلاء ولامرمى غرض الكبراء وكيف يكون ذلك مرمى الأنظار ومقصد الأخيار ولوأن هذا كان من سيرتنا فيكم لفنيتم أجمعين لأنكم لاتثقون بثبات أو حيوان أمامكم فربما انقلب النبات حيات أوالحيات حيتانا وهكذا من التقلبات التى لاتعطيكم أمانا فى حياتكم غاية الامر أن هذه التقلبات السريعة يفرح بها العامّة الذين يدهشهم مثل هذا . ولماذا هذا . لأنهم لايعجبهم من الله إلا القدرة والعجائب . وأما الحكمة فهم عنها غافلون . أما عقلاؤكم فانهم يعلمون أن انقلاب العصا

حية وشجرة وشمعة وغير ذلك حاصلة فعلا وهم فرحون بذلك مغتبطون مسرورون لهجون بالثناء على الله إذ أراهم تلك العجائب واسعة فائضة . ففي المادّة من أنواع التقلب مابهرهم مما لايحصره العدد لكن مع الحكمة والنظام والترتيب ، فالتراب العفن يصير غذاء للحشرات وهي غذاء للحيات وهكذا مما لامحل لذكره هنا وإنما تقدم في سورة (آل عمران) . فاذا ذكرت النار فيما تقدّم فهي للحث على صفاء القلوب وطهارتها . واذا ذكرت العصا هنا فالحث على مقصودها وهو الرجوع للحقائق العلمية ليعرف الناس العلوم الطبيعية والفلكية وهذا بيت القصيد . ان الانقلاب الحاصل في الكرة الأرضية الآن مرجعه هذه الأعاجيب والدلائل . نوّه الله بقلب العصا حية على مالانهاية له من العلوم ولاحدّ له من الحكمة فقد برع أهل الغرب في تقليب المادّة واظهار ماخبأه الله فيها من آثار صنعته و بديع حكمته فقلبوا الأفئدة والأبصار بنفائس العلوم وغرائب الحكم وأبدعوا ماشاؤا أن يبدعوا وأحدثوا من الكهرباء ومن الفحم ومن البترول ومن الحديد منافع لايمكن عدّها الآن واستخرجوا من المواد أبخرة هوائية طيارة يقذفونها على الأعداء فتعميهم وتصمهم تارة وتحرقهم تارة أخرى

يرشدنا الله بهذه القصة الى عجائب المادّة و يتلهى العامّة بعصا موسى وعصا موسى رمز لما ذكرناه فاذا صفت قلوب الصالحين بالذكر والعبادة فليوجهوا الأفئدة النقية الى هذه المادّة فليقرؤا جميع العلوم وليبرعوا فيها كما برع الفرنجة ان كنا حقا نحب الله

﴿ نداء للأذكياء ﴾

فياأيها الذكى الذى اطلع على هذا التفسير أنت مسؤل بين يدى الله عما أكتبه وعما وصلك من العلم . انشر هذا بين المسلمين على قدر ماتصل اليه استطاعتك وأرهم أن فى الشجر وفى الحجر وفى النجم وفى البحر عجائب الله وأنواره وأرهم أن القرآن يعلمنا أن نخلع رداء الكسل ونتجلبب بجلابيب العمل وأن نكدّ فى طلب المعالى وقراءة الطبيعة وعلومها . فمن أولع بالعصا وحيتها ووقف عند حدّها فذلك من الجهلاء ولكن المسؤل هو المفكر . فليدرس المسلمون علوم المعادن والنبات والحيوان والانسان وعلم الفلك . هذه هى العلوم التى تشير لها عصا موسى . كيف لا والغصن لايزهر إلا باشراق الشمس عليه . فتقلب المادّة وتنوّعها يلزمه حرارة الكواكب . فاذن لابد من دراسة هذه المادّة . فويل للمسلمين اذا قصروا وويل ثم ويل لهم اذا هم ناموا عن العمل وصموا آذانهم عن سماع هذا القول أوقال قارئ هذا الكلام وأمثاله مالى وللمسلمين

إن اعلان هذا العلم واجب على كل من قرأ هذا التفسير وأمثاله وانما خصصت هذا التفسير لأنى أوضحت بعض هذه الحقائق فيه إيضاحا يوجب اماطة اللثام والمسلمون قد ناموا نوما عميقا وتركوا القرآن وفهمه تركا حقيقيا ــ وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا ــ هجروه وظنوا أن علم الفقه خلاصته والباقى لاعمل له إلا التبرّك به فتركت قصصه ومواعظه وآدابه وأخلاقه ونام المسلمون نوما حقيقيا وسيستيقظون من رقدتهم و يقومون من نومتهم و يعلمون و يعملون . أقول هذا وأنا واثق من الله ولولا وثوقى ماكتبت هذا التفسير . فليعلم قارئ هذا التفسير ماعرفه لمن حوله من الناس بالقول و بالكتابة و بالتأليف و بالنشر بل لتكن أنت الداعى لهذا العمل فى أمّتك أوقريتك . فرق من المسلمين من تشاء واعلم أن هذا التفسير سيتلوه قوم كثيرون وسيكون كل منهم كأنه علم يهتدى به و يقوم هو بالدعوة منفردا وسيتضافر الدعاة فى كل مكان . واعلم أن الله لم ينزل ولم يخلق دينا فى الأرض قد اتفق له مااتفق لدين الاسلام وانه موافق للعلوم الحديثة وهذه الدعوة التى أدعوك اليها اذا توجهت بها الى أصحابك قبلت ونصرت ووجدت لك أنصارا يحبونك لأنى أقول لك إن هذا الدين فيه خاصية العلوم الطبيعية وهذه العلوم سيقوم بها المسلمون باعتبار انها دينهم وانها علم التوحيد وانها معرفة الله وانها تزيد فى حب الله فيترعرع هذا العمل و يثمر فى أقرب زمن و يكون المسلمون ــ خير أمّة أخرجت للناس ــ

إن هذه العقيدة سهلة الزرع فى قلوب المسلمين ونتائجها عظيمة جدا . نتائجها الغنى والثروة فى الدنيا للمسلمين وظهور ممالك كانت خافية ميتة وابتهاج الأرض بزينة العلماء وعلومهم وانتعاش المدنية انتعاشا لم تحلم به من قبل والله ولىّ المتقين يحبّ المحسنين . انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى ــ والسلام على من اتبع الهدى ــ ﴾

اعلم أن هذا السلام المذكور هنا جاء ذكره فى يحيى وفى عيسى . وهكذا جاء فى صلاتنا نحن المسلمين ﴿ السلام عليك أيها النبى ﴾ ويسلم المصلى على نفسه أيضا وعلى الصالحين . فهنا يقول ــ والسلام على من اتبع الهدى ــ . اعلم أن هذه الحياة لاسلام ولا أمان فيها فهى متقلبة ملتبسة فالأمان فيها معدوم ولكن الله يقول انى أنزل الأمان والاطمئنان على المهتدين والهداية هنا ترجع الى الحكمة والعلم . فكلما ازداد الانسان بحثا فى العوالم زاد اطمئنانه فان الاطمئنان والأمان على ﴿ قسمين * القسم الأوّل ﴾ أن يكون الانسان جاهلا ولكنه قد سلم أمره لله فلايبالى بما يحصل له وهذا يصبح أشبه بالمنوّم تنويما مغناطيسيا يقبل مايأتيه من الله وهذا فى الحقيقة قد أمن وسلم لأن المرض والفقر والموت عنده وان كانت مكروهات مؤلمات فان مافى نفسه من الراحة والاطمئنان تسلية وتعزية وراحة من ذلك لاسيما أوقات الاستغراق وهى قليلة . أما ﴿ القسم الثانى ﴾ فان بحثه فى الحقائق المودعة فى هذه السورة والعمل بها يعطيه صورة هذا الوجود وليس يمكن ذلك إلا بدراسة جميع العلوم ومتى درس العلوم أدرك أن هذا الوجود مبنى على النظام والترتيب وأن ترتيبه يقضى أن يكون هناك حياة وموت وأن الأحياء لوداموا لتعطل الوجود ولماتوا أشنع موتة وهلكوا عن آخرهم وأن هناك حياة روحية وانها أرقى من الحياة الجسمية وألطف منها وأن حياتنا سلم لها . فهذا مبدأ الأمان والسلامة ويزيد هذا الأمان بالموت إذ تزيد الحقائق له انكشافا وكلما ازداد كشفا ازداد بالحقائق اعترافا ففرح بها وبكل مايأتيه من ربه علما منه أنه لايفعل إلا لمصلحته . فاذا قال المصلى ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ فمن هذا الباب دخل . إذن الصلاة فى دين الاسلام شرعت لأجل ازدياد العلم لأن الأمان وازدياده بالعلم والعلم بالبحث

﴿ أين الأمان فى قصة موسى عليه السلام ﴾

اعلم أن السلام المذكور يجب أن يكون لموسى أوّلا حتى يناله غيره . واذا لم يكن للأنبياء سلام وأمان فكيف يكون للأمم أمان . فاعلم أن قصة موسى تعطيك نموذجا لنفسك ولأمانك وهذه فائدتها لنا . انظر كيف ذكره بما كان

(١) من إلقاء الحبّ عليه فلايراه أحد إلا أحبه

(٢) وانه يصنع على عينه

(٣) تلطف أخته فى أن أمه ترضعه

(٤) رجوعه لأمّه

(٥) اقرار عينها

(٦) نجاته من الغم بقتل القبطى

(٧) تخليصه من الفتن

(٨) رجوعه من مدين

(٩) اختيار الله له

(١٠) قوله ــ إننى معكما أسمع وأرى ــ

اذا سمعت هذا فى موسى فاعلم أن الله لم يذكرها إلا لأجلنا . يقول سبحانه أنا أعلم أنه ليس أحد فى

الأرض إلا وقد غمرته بنعم عامة ونعم خاصة . أما النعم العامّة فالناس عادة لايبالون بها فاذا جعلت الهواء والماء والشمس والقمر والنجوم والأرض والأنهار كلها عامّة للناس فلم يشكر منهم على النعم العامّة إلا المخلصون ولكن شكر أكثر الناس انما يتوجه الى ما اختصصتهم به . واذا كان موسى من المخلصين لى فانه يشكرنى على النعم العامّة والخاصة ولكنى ذكرته بالنعم الخاصة به تذكرة للأمم وللأمم الاسلامية خاصة قائلا لهم يا أمّة الاسلام مامن امرئ منكم إلا وله نعم خاصة به فلقد شاهد من صنعى فى أدوار حياته مايشرح صدره و يرى من ذلك انى لم أتركه فى كثير من أوقاته ففعلت معه مثل مافعلت مع موسى مع مراعاة أحواله الخاصة لأن مايصلح لموسى لايصلح لك بل لك أمور تفرحك قد فعلتها لك . ولكل أحد من الأشرار والأبرار أسرار لايطلع عليها سواه فيفرحون بربهم بما اختصصهم به من النعم . فاذا كان هذا عملى معك أيها المسلم فى سابق أيامك فلتعلم انى معك فى لاحقها ومرضك وفقرك وموتك . كل هذا لمصالحك كما رأيت المحافظة عليك فى الأحوال السرّية الخاصة بك المتقدمة . فعلى كل مسلم أن يتذكر نعم ربه الخاصة التى لايعرفها سواه ولاتناسب إلا نفسه وليذكرها وليشكر الله عليها وليقم بخدمة اخوانه وحب الناس حتى يكون آمنا مهتديا وهنا ﴿جوهرتان﴾

﴿ الجوهرة الاولى فى قوله تعالى ــ لعلى آتيكم منها بقبس أوأجد على النار هدى ــ ﴾

(إن فى النار وفى النور هدى)

(١) لقد مضى فى هذا التفسير فى سورة الرعد أن الحرارة والضوء والجاذبية والصوت كلها على نسق واحد تقل كلما تباعدت أقطارها على عكس مربع المسافة وانظر ضرب المثل هناك إذ تكون القناديل الأربعة التى بيننا و بينها ثمانية أذرع مساوية كلها فى الضوء للقنديل الذى بيننا و بينه أربعة أذرع فقط والواحد منها مساو لربع ضوء هذا القنديل القريب فالنار والنور قد عرفنا منهما أن هذا العالم له نواميس منتظمة متوافقة

(٢) رأينا فى أضواء العناصر الأرضية خطوطا سودا تقاطع الأشعة السبعة التى أضعفها الأحمر وأقواها البنفسجى وهذه الخطوط تكون فى كل عنصر بحسبه فهى مختلفات فى العناصر اختلاف أصناف البياض فى أشخاص الناس . فكما ان لكل أبيض بياضا يخصه مع اتفاقه مع الجنس الأبيض هكذا لكل عنصر فى ضوئه نوعا من الخطوط السود يخالف نظيره فى غيره . و بهذه الكيفية أمكن العلماء فى عصرنا أن يعلموا مافى الشمس والكواكب الثابتة من العناصر وأن يحكموا بما فى الأرض على مافى تلك العوالم من العناصر لما يرون فى أضوائها من تلك الخطوط فيعرفون العناصر عنصرا عنصرا هناك . وبهذا عرف المسلم قوله تعالى ــ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ــ الخ فههنا وافق العالم السفلى العالم العلوى وعرفنا الثانى بالأول وأدركنا أن البانى لهما واحد لأن العمل واحد والنظام متحد وأن الأضواء كلها مركبات من الألوان السبعة . هذه هى الهداية لنظام الطبيعة . وسيأتى ذلك موضحا فى سورة (تبارك) بالتصوير الشمسى عند قوله تعالى ــ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ــ

(٣) و يتلو هذا انك ترى النار فى الاحجار وفى الاشجار وتعجب من أن الحياة لاتتمّ إلا بالحرارة وأن البرودة تخمد فيها الحياة ولا توجد . إن الحرارة يكون فيها التحليل والتركيب والبرودة تبقى فيها الاجسام ثابتة . ناهيك أن الجسم المطمور فى الثلج لايقرب به البلى بل هو باق على حاله . ذلك لان طبع الحرارة التحليل يتلوه التركيب والبرودة طبعها ايقاف الاعمال واعدام الحياة

(٤) رأى موسى عليه السلام النار فى شجرة العليق و يقول الله فى سورة (يس) ــ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون ــ استدلّ بها على البعث هناك . ففى النار هدى لمعرفة الحكمة والقدرة الالهية . وتبيان أن هذه الاجسام التى نسكنها الآن ستنهدم وتكون الروح أشبه بالنار والاجسام أشبه بالاشجار والنار ترتفع الى العلى ــ وأنّ الى ربك المنتهى ــ

(٥) وهذه هى مغزى قصة (حى بن يقظان) التى ألفها (ابن الطفيل) ذلك انه ذكر أن فتاة خافت من أهلها فألقت طفلها المسمى بهذا الاسم فأرضعته غزالة فلما ماتت الغزالة هاله الأمر وعظم عليه الكرب ونظر فى حاله وهو وحيد بين الوحوش الضارية والفلوات القاصية فأخذ يبحث عن حبيبته الغزالة أين هى فان كانت هذا الجسم فهاهوذا يعتريه البلى وأصبح جيفة وان كانت فى جزء من أجزائه فما هو أفى العين أم فى الأذن أم فى الكبد أم فى الطحال أم فى المعدة ثم اهتدى أخيرا الى أن الحبيب كان يسكن فى هذا القلب والقلب كانت فيه حرارة الدم والحرارة بها بخار والبخار كان يحمل الروح والروح لاتعيش إلا فى وسط مثل هذا وهو يشبه نظام الأفلاك وحرارته كحرارتها . إذن هناك فى السموات عوالم تشبه تلك الروح أى روح الغزالة واذن هناك واحد فوق الجميع ذهبت اليه تلك الأم التى كانت تحبنى لأنها لطيفة وكان مجلسها فى الجسم ذلك البخار اللطيف وهى تتصرف فيه وتغدو وتروح . هنالك أخذ يفكر فى الكواكب والملائكة ومعرفة الله تعالى الى آخر الرواية وقد تقدّم فى سورة (البقرة) نحو هذا

هذه قصة (حى بن يقظان) التى ألفها (ابن الطفيل) ورجع السرّ الذى فيها الى الحرارة التى لازمت الروح ومنها فكر فى حرارة الشمس والكواكب وأن هناك أرواحا عالية وفوقها مدبر الأرواح . إذن قوله تعالى ــ أوأجد على النار هدى ــ يشير الى أن النار مذكرة بالروح و بالملك و بالله كما خطر لابن الطفيل . إذن النار فى كلام موسى هى من أهم أسرار الوجود . فبالحرارة الحياة وكل مالاحرارة فيه لاحياة فيه والحياة تقلّ ماقلت الحرارة وتمتنع بتاتا اذا لم يكن للحرارة من أثر وضوء النار يعطينا القوانين الهندسية و يفتح لنا أبواب الحياة الأخروية و يشير الى عالم الأرواح ويهدينا الى النظر فى العالم الأعلى

هذا بعض مايشير له قول موسى عليه السلام ــ أوأجد على النار هدى ــ . إن هذا القرآن ليس يقرؤه موسى الآن ولا أحد من السابقين فهو انما يتلى لنا وأما نحن فلندرس الوجود كما يشير اليه القرآن والحمد لله رب العالمين

(٦) جاء فى تفسير قوله تعالى ــ أوأجد على النار هدى ــ (هاديا يدلنى على الطريق أو يهدينى أبواب الدين) والأوّل دنيوى والثانى أخروى والأخروى أخذه العلماء من أن أفكار الأبرار مائلة اليه والذى جاء فى كلام (ابن الطفيل) فى البند الخامس منه . إذن موسى عليه السلام يطلب الدنيا و يطلب الدين معا فلنفهم نحن فى القرآن على قدر عقولنا فلسنا نحن أنبياء والأنبياء لهم مرام فوق متناول عقولنا والقرآن الآن يقرأ لنا فهم عند ربهم ونحن هنا فى الأرض والأنبياء تذكروا بالنار الدين والدنيا والمفسرون قدّموا مسألة الطريق على أبواب الدين فى هذه الآية . إذن لنسر فى طريقنا ونفسر لقومنا بحسب ماوصل اليه العلم فى أيامنا ونذكر قوله تعالى ــ وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ــ وقوله فى سورة الزمر ــ قل ياعبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ــ وأكثر العذاب فى القرآن انما هو عذاب الدنيا . فتجد عادا وثمود وأصحاب الرّس ومدين وقوم لوط وقوم فرعون . كل هؤلاء عذبوا فى الدنيا . إذن القرآن متجه الى نظام هذه الدنيا مع معرفة الله . الله أكبر لقد اجتمع كل هذا فى نار موسى التى رجا أن يجد عندها هاديا يهديه الى الطريق أو يهديه الى أبواب الدين ولكنه وجد الهدى بنداء ربه الذى تلقاه تلقيا روحيا ثم تمثل لبدنه فانتقل الى الحسّ المشترك فانتعش به من غير اختصاص بعضو وجهة . وسبب هذا كله ضوء النار . إن النار والنور والكهرباء والحركة يرجع بعضها الى بعض فاذا درسناها فاننا ندرس مايدل على الله ومايدل على أبواب الرزق فى الدنيا . إن النار والنور وماتبعهما بهما نظام الحياة و بهما معرفة الله الذى أنزل فى القرآن هذه الآية ليقف المسلم عندها ليدرسها . الله أكبر . لولم يكن فى القرآن سواها لكفت . ولوأن أقواما نزلت عليهم هذه الآية وعرفوها وحدها لكفتهم أمور الدين والدنيا . جلّ الله وجلّ العلم . اه

(١) الحرارة إما منيرة كحرارة حديدة أحميت حتى ابيضت . واما مظلمة كحديدة أحميت قليلا

(٢) البرد لفظة اضافية ترجع الى قلة الحرارة

(٣) البخار يتحوّل الى غيم بانحطاط حرارته قليلا وغاز الهواء لايتحوّل إلا بانحطاط عظيم جدّا فى الحرارة فجلّ الله الذى جعل الهواء لايتأثر بالبرودة وقلة الحرارة والا لأصبحنا غرقى فى سائله ولم نعش يوما واحدا . فالهواء مركب السحاب فلو صار سائلا لم تكن حياة لنا على الأرض

(٤) ماهى الحرارة . أجمع العلماء على أن هناك مادّة لطيفة جدّا تتخلل كل جسم جامد وغيره وهى (الأثير) والأجسام كلها متحركة ذرّاتها دائما فيه كما تتحرّك السيارات حول الشمس . إذن ذرات الأجسام والأثير كلها متحركة . وأكثرهم يقولون إن الحرارة تحرك هذا الأثير وهذه الذرّات كما يتحرّك الهواء فتتحرك الأغصان بحركته . فذرّات الجسم كالأغصان وذرّات الأثير كالهواء والحرارة كالرياح . وأقلهم يقولون . كلا . بل الحرارة سائل لطيف يتخلل دقائق الأجسام كما يتخلل الماء الحصى . فاذا طرق الجسم خرجت الحرارة منه كما يخرج الماء من الخرقة اذا عصرت . إذن أجمعوا أن هناك مادّة سواء أكانت هى الأثير المالئ لهذه الدنيا أوهى شئ آخر فالقولان بينهما تقارب مّا . وقد تقدّم الكلام فى سورة (الرعد) على مصادر الحرارة الثلاثة اجمالا

(٥) ثم أقول هنا . انظرالى عجب عجاب . قد وجد (جول) الانكليزى بتجارب متعدّدة أنه اذا وقع جسم ثقله قنطار مثلا من علو (٧٧٢) قدما تولدت من حركة وقوعه حرارة ترفع حرارة قنطار واحد من الماء درجة واحدة و بالعكس أى ان الحرارة الواجبة لرفع حرارة قنطار واحد من الماء درجة واحدة ترفع جسما ثقله قنطار واحد علو (٧٧٢) قدما وهذا يسمى (ناموس عديل الحرارة الميكانيكى) ومعنى هذا أن الحدّاد الذى يطرق على السندان طرقة لاتذهب قوّته سدى بل تحوّلت الى حرارة والحرارة تتحوّل الى حركة ومعنى هذا كله أن الله عدل — ولايظلم ربك أحدا — فما مثل أعمالنا إلا كمثل الطرق على السندال ومامثل الحرارة الناتجة إلا كمثل الثواب والله يقول — فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أوأنثى — الخ ويقول — ولاتجزون إلا ما كنتم تعملون — فالحركة هى نفس الحرارة إذ حوّلت اليها كما حوّل الماء الى البخار أوالثلج الى ماء والثلج هو نفس الماء والبخار هو نفس الماء وهذا هو الحديث الشريف ﴿ انما هى أعمالكم تعرض عليكم الخ ﴾ إذن أعمالنا هى نفسها التى تكون لنا بعد الموت تكمن فينا وتظهر بصور أخرى وهذا حق وصدق . واذا كان الله لم يضع حركاتنا فى الأرض بل جعلها حرارة ونحن نجهلها ولانراها . فكيف يضيع أعمالنا . اللهم إن هذه النفوس الانسانية تزرع فى أنفسها أعمالا وثمراتها تظهر فى نفس الدنيا وفى الآخرة

(٦) ضع ماء على كفك فانه حالا يسخن بحرارته و يتحوّل الى بخار فيشعر الانسان ببرودة الماء لأن حرارة كفه انتقلت اليه واختفت فى بخاره . واذا تكاثف البخار على كف انسان شعر بسخونته . لماذا . لأن البخار المتكاثف كانت الحرارة قد اختفت فيه أى ان البخار لاتزيد حرارته ألبتة وانما هو يحفظها عنده فاذا رجع ماء سلم الأمانة الى أهلها فيحسّ الانسان بالحرارة التى سلمها أوّلا الى البخار . ويقال مثل ذلك فى تحوّل الثلج الى سائل . وعلى هذه القاعدة قالوا إن جمود الماء تسخين وذوبان الثلج تبريد . الله حفظ الحرارة فى البخار والبخار سلمها الى الكف لانقص فيها وهذا معنى قوله تعالى — إنّ الله لايظلم مثقال ذرّة — أصبح القرآن يؤيده العلم المحسوس — فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره —

(٧) وللحرارة جعل الناس ميزانا سموه (الترمومتر) وهو يكون بالزئبق

(٨) و بالحرارة كانت الآلات البخارية التى حدثت بسبب آثارها فى الماء فيتمدّد فيحصل الضغط فيكون

العمل

العمل العجيب فنسقى زرعنا ونطحن حبنا ونسافر الى أعمالنا فى أرض الله ونصنع كل شئ . كل ذلك بسبب الحرارة

(٩) وبالحرارة كان السحاب والمطر والبخار الناشئ من البحار ونحوها والرياح

(١٠) والكهربائية والضوء ونحوها لها أعمال مشهورة عجيبة من حرم منها حرم السعادة وذل فى هذه الدنيا . هذا بعض تفسير قوله تعالى ـ أوأجد على النار هدى ـ أى من يهدينى لدينى أوطريقى والحمد لله رب العالمين

﴿ الجوهرة الثانية فى الآيتين الكبريين فى سورة طه وفى سورة النجم وفى قوله تعالى ـ تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى ـ ﴾

هاتان آيتان كبريان ﴿احداهما﴾ رآها موسى ﴿والثانية﴾ رآها نبينا ﷺ فالتى رآها موسى هى اليد التى أدخلها فى جيبه فخرجت بيضاء وكذا العصا التى قلبت حية والآية التى رآها نبينا محمد ﷺ هى ماورد فى الأحاديث مثل قوله ﴿ ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى ﴾ وفى رواية ﴿ ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى ﴾ الى أن قال ﴿ فلما غشيها من أمر الله ماغشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ﴾ ثم ذكر بعد ذلك أنه فرض عليه الصلوات وعلى أمته

هذه هى الآيات الكبرى فهى عند موسى أمثال عصاه المنقلبة حية وعند نبينا ﷺ مثل سدرة المنتهى العظيمة الثمر الكبيرة الأوراق ومثل انها غشيها من أمر الله ماغشيها فتغيرت فأصبحت ذات حسن لا يستطيع أحد وصفه . آية موسى فى العجائب الأرضية وآية محمد ﷺ فى العجائب السماوية . آية موسى تغير فى العصا التى انقلبت حية وفى يده إذ صارت بيضاء بعد أن لم تكن كذلك . هذه هى آيات الله الكبرى

هاتان الآيتان المحمدية والموسوية نزلتا فى ديننا لفتح باب العلوم والعلوم التى تضمنتها الآيتان الكبريان علوم سماوية وعلوم أرضية . كبر الآية لأحد أمرين إما لأنها عظيمة الحجم هائلة وانها فيها جمال يفوق الوصف واما لأن فيها حسنا بديعا غريبا وليس لها أسباب معروفة . فالأول فى وصف آيات نبينا محمد ﷺ والثانى فى وصف آية موسى . ومن جهة أخرى لاتعدو الآيات الكبرى أحد أمرين إما عظم الحجم والمقدار واما الابداع فى تغير الأوصاف بحال غريبة ومن الأول كون الورق كآذان الفيلة ومن الثانى انقلاب العصا حية وبياض اليد . هذه أمور وقعت للأنبياء والأنبياء قدوة لأممهم ولم تنقطع آيات الله بعد الأنبياء وكيف تنقطع وقد علمنا أن الله كما كان يرى الناس على يد موسى العصا ويقول إنه آية هكذا هو يرينا نحن آيات كثيرة فهو يقول ـ سيريكم آياته ـ فأى آيات الله تنكرون ويقول ـ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ـ ويقول ـ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ـ وهكذا فى سورة (الروم) أن من آياته خلق السموات والأرض واختلاف الألسنة والألوان والنوم بالليل والنهار وطلب الرزق والبرق وانزال الماء واخراج النبات وكون العالم كله قائما بأمره . تبين من هذا أن الآيات كما أراها لنبينا محمد ﷺ ولموسى وقومه هو الآن يريها لنا لم تنقطع ولكنه وصف ماحصل للأنبياء بأنها آيات كبرى . فياليت شعرى ماهذا السر . هانحن أولاء نرى الآيات فى كل شئ فالكواكب آيات ـ وفى الأرض آيات للموقنين ـ الخ الآيات عن أيماننا وعن شمائلنا وفوقنا وتحتنا بنص القرآن . الله وعدنا أنه سيريها لنا وليست خاصة بسدرة المنتهى ولا بعصا موسى مثلا

أقول . إن الآيات كبرها وصغرها على مقدار تأثيرها فى نفس من يراها . فسدرة المنتهى لما غشيها ماغشيها امتازت بتأثيرها الشديد وفعلها القوى على مقتضى استعداده ﷺ وهكذا عصا موسى ويده . فالآية فى الأولى والآية فى الأخرى فتحتا لنا أبواب العلم فى الآيات التى عندنا . الله أكبر قد انفتح باب الجواب

وظهر السرّ المكنون فى هذه الآيات . نزل القرآن لرقينا نحن . وليس للجاهل من سماع آية سدرة المنتهى ولا من سماع عصا موسى أثر لرقيه . تتكرر هاتان الآيتان الكبريان على أسماع الناس فى الأمم الاسلامية فيمرّ أكثرهم عليها وهم عنها معرضون . وما علموا أنهما فتح لباب العلم بما فى الأرض والسماء

غشى سدرة المنتهى من أمر الله ما غشيها فكانت آية كبرى لحسن المنظر وعظم الهيئة والابداع السريع

قلنا إن كبر الآية على مقدار تأثيرها . فتأثير هاتين الآيتين كبير فلذلك كانتا كبيرتين . إذن لا تكون آيات السموات والأرض التى وعد الله انه سيريها لنا فنعرفها نافعة إلا اذا تركت فى نفوسنا أثرا كما أثرت تانك الآيتان الكبريان ولن يكون الأثر فى نفوس الأتباع كالأثر فى نفوس المتبوعين بل الأثر هناك أعظم

و بالاختصار لا تفيدنا آيات السموات والأرض إلا بالبحث والعلم بحيث نصل الى درجة يحدث عندها فى نفوسنا آثار تلك الآيات . وما مثل الآيات عند الغافل إلا كمثل الجمال عند العميان وحسن الصوت عند صمّ الآذان . وليس للنائم من علم بما يجرى فى العالم من حزن وفرح وعزّ وذلّ فهو والميت فى هذا سواء

لا علم لنا بآيات الله إلا بدراسة العلوم التى أحاطت بالأمم الاسلامية . ولقد جاء التصريح بذلك فى قوله تعالى — وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها — . حقا ان هذا زمانه . أرانا الله الآيات العلمية فى أوروبا و بلاد اليابان وتبعتها الصين فعلينا معرفتها . فها هو ذا أرانا الآيات فقرأناها فى كتبهم . فهذا ليس يكفينا بل لابد من أن نعرفها . فهنا ﴿أمران﴾ إراءة من الله وقد حصلت فعلا بأمثال هذا التفسير و بالمدافع والطيارات فهذا التفسير إراءة من الله للمسلمين هو وأمثاله قولية والمدافع والطيارات والغازات الخانقة التى يرسلها أهل الغرب على بعض بلاد الاسلام آيات فعلية ﴿و بعبارة أخرى﴾ آيات السيف وآيات القلم

فعل الله الآن مع المسلمين ما فعله المعزّ لدين الله الفاطمى إذ فرّق الذهب على عظماء الأمّة المصرية فى المجلس وقال هذا حسبى ثم جرّد سيفه وقال هذا نسبى . وهذا هو نظام الله كله . جنة ونار وقلم وسيف وهو غفور رحيم وهو شديد العقاب وهو عزيز جبار متكبر كما انه ودود رحيم لطيف وهاب رزاق فتاح الخ

فهذان الوصفان اليوم قد ظهرا لأمّة الاسلام . أحاطت بهم الأمم من كل جانب وهم جاهلون نائمون فرفع السيف عليهم والطيارات والغازات الخانقة وألهم رجال العلم فى الاسلام فأروهم اليوم أن العلوم لابد منها حتى يمكن أن نعيش مع الناس . وما العلوم إلا آيات الله وآيات الله هى كل ما حولنا ونراه أو نلمسه وهذه لا تؤثر فى نفوسنا وتكون جميلة المحيا بهجة إلا بالدرس والدرس هو الذى يجلى هذه العوالم لنا باسمة الثغر جميلة المحيا حسنة الشكل بهجة تسرّ الناظرين كما كانت سدرة المنتهى وكما كانت عصا موسى . فسدرة المنتهى تشير لعلم الفلك وعصا موسى و يده تشيران لعلم الطبيعة والكيمياء . نحن لا نعقل جمال السماء فتكون عندنا آية من آيات الله إلا بعلم الفلك ولا نعقل عجائب الأرض إلا بدراسة علم الطبيعة والكيمياء . الكيمياء سحر حلال هى ابداع الله فى الأرض . هى بهجة الدنيا . بها تنقلب الأجسام من حال الى حال وتبهج العقول وتحير الأفكار . وإذن تكون هذه من آيات الله التى أراها لنا فعرفناها . فأما اذا لم نقرأ هذه العلوم فانه يكون أراها لنا ولم نعرفها وهذا هو الخزى العظيم . الله يرينا ونحن لا نريد أن نرى ولا نقتدى بأنبيائه إذ أراهم الله فرأوا . نعم هم رأوا بالهداية الالهية والوحى ولكن نحن مأمورون بالعمل والفكر حتى نفهم الآيات فلسنا أنبياء بل نحن مكلفون بالاقتداء . ان المسلمين اذا لم يفكروا فى مثل هذا فقد أساؤا الظنّ بكتاب الله

إن هذه الآيات انما نزلت لمثل هذا المقام . بل أقول نزلت لترينا فى هذا الزمان ما يجب علينا من قراءة العلوم . هذا التفسير وأمثال هذا التفسير من نوع إراءة الله للمسلمين . فعلى المسلمين بعد اليوم أن يعرفوا كل علم على حسب ما قرّرناه فى أواخر سورة (البقرة) عند قوله تعالى — لا يكلف الله نفسا إلا وسعها — وفى مواضع أخرى

هذه

هذه العلوم هى التى ترينا الجمال فى هذه الدنيا والبهجة وكنت أودّ أن أورد مسائل من علوم السموات والأرض ولكن قد مرّ فى هذا التفسير والحمد لله عجائب وعجائب تشرح صدر اللبيب وهى كثيرة فى كل سورة تقدمت مثل ان مادّة الفحم هى بعينها الألماس . فهذا العنصر نفسه هو نفس الفحم وهكذا الفحم يستخرج منه العلماء مئات الألوان للصباغة وغير ذلك . وقد تقدّم الكلام عليه باسهاب فى أوّل سورة (الأنعام) وهكذا أعظم الكواكب تراه فى كل السور السابقة تقريبا مثل ما مرّ فى أوّل سورة (يونس) وغيرها . كل ذلك عجب بل من أعجب العجب ولكن الذى منع التعجب انما هو العادة . فالناس لاعتيادهم النظر الى ما حولهم غشى على عقولهم . وليس يحصل التعجب إلا اذا حصل أحد ﴿ أمرين ﴾ إما أن يكون الأمر خارقا للعادة كما اذا رأى الانسان نباتا غريبا أوحيوانا غريبا فانه يدهش و يعجب و يسبح ربه مع أن هذا الحيوان عند القوم الذين يعيش بين ظهرانيهم لايلتفتون اليه . واما أن يتعلم الانسان سرّ الأشياء بالعلوم المشهورة فكل ما كان غريبا على النفس يثير فيها الاعجاب وكل ما كان معتادا لايحرّك منها ساكنا . بل ان العصا تقلب حية على طول الزمان . فالعصا قد تتفتت و يعتريها البلى وتصبح من موادّ الأرض بالتركيب ثم تصير طعاما لبعض الحشرات وتلك الحشرات تأكلها الحيات فتنقلب اليها . إن العالم الذى نعيش فيه فى تقلب مستمر فكل ينقلب الى كل على طول الزمان ولكن هذا لاعتياد الناس عليه لايؤثر فيهم . فعلى قادة الأمم الاسلامية أن يثيروا الاعجاب فى نفوس الطلاب بما ينشرون فى مؤلفاتهم للأطفال وغيرهم صور العجائب التى تبهجهم ليبرز ما كمن فى نفوسهم من الوجدان وحبّ العلم كما فعلت الفرنجة إذ يرسمون لأبنائهم فى كتبهم صور العجائب البديعة

﴿ الورق والحرير من الخشب ﴾

(١) وأذكر لك اليوم ماقرأته عن أمم الألمان إذ جاء من أخبارهم الزراعية ان لديهم ثلاثين ألف ألف فدان من مائة ألف ألف فدان صالحة للزرع لاتأتى لهم بغذاء الانسان والحيوان وانما هى غابات تعطيهم موادّ البناء والأدوات والرياش . وهكذا فيها الموادّ الأولية لصناعة الورق والحرير الاصطناعى لأنهم يستخرجون منها (رب الورق) و (السليلوس) وهو المادّة الاولية لصنع الحرير الصناعى الذى انتشرت صناعته وأخذت فى الازدياد بالنسبة الى ذيوع استعماله لاسيما بعد اتقان صنعه وجعله متينا وذلك فضلا عن اتخاذ خشب هذه الأشجار ومتخلفات أشجارها للتدفئة . هذا هو الذى قرأته اليوم (١١ نوفمبر سنة ١٩٢٧) عن أمم الالمان أثناء كتابة هذا الموضوع . فثل أن الحرير يتخذ من الخشب وكذلك الورق أمرهما عجب عندنا لغرابته فكيف تكون الاشجار التى نوقد منها ونصنع أدواتنا نلبس منها أغلى الملابس وأجملها وأبهجها . فنشر أمثال هذا فى بلادنا يثير الاعجاب أولا وحب العلم ﴿ وثانيا ﴾ يبعث فى النفوس حب استخراج المنافع من الارض وماعليها ﴿ وثالثا ﴾ يبعث فريقا من الناس على حب صانع هذا العالم الجميل

(٢) الحرير ينبت فى الصخر وهو يسمى (الحرير الصخرى) وهل أتاك نبأ (الحرير الصخرى) ذلك الذى يكون على بعض الصخور وقد يلبسه رجال المطافىء لأن من خواصه أنه اذا وضع على النار لايحترق . ولقد وضعته أنا بنفسى على النار لطلبة (دار العلوم) إذ كان مدرّس هذا العلم غائبا وأتابنى عنه فصار الطلبة يتعجبون . ولما وضعته على النار مدّة وطلبوا بقاءه مدّة أخرى لم يتأثر وانما النار تحرق الجراثيم المتعلقة به فتنظفه فهى بالنسبة له تقوم مقام الماء

(٣) وهل أتاك نبأ (شجرة الخبز) التى تنبت فى بعض بلاد (آسيا) وقد ذكرتها فى كتاب ﴿ جمال العالم ﴾ أو ﴿ جواهر العلوم ﴾ وكيف يأكل القوم هناك منها خبزا كالخبز الذى نتعاطاه نحن فى بلادنا

(٤) وهكذا شجرة (القشدة) التى يتخذ منها القوم لبنا خالصا سائغا للشاربين وهى مذكورة هناك

فتصوّر أيها الذكى بيتا تسكنه من الخشب وكراسيه وأدواته منه والملابس التى تلبسها أنت وأهلك إما من حريرالخشب الذى يتخذه الألمان واما من الحرير الصخرى وكلاهما حلال فى ديننا لأنه ليس حرير الدودة ثم جميع الفرش والمساند من ذلك الحرير . ثم إنك اتخذت أنت وأهل بيتك مواقد وأدوات للنار كلها من الخشب وقد غلفت وغطيت بأغطية من الحريرالصخرى المذكور وأخذتم تأكلون الخبز واللبن والزبدة من الشجر . فماذا بقى بعد الآن . أنبت الله لنا منازل وملابس ومآكل ومشارب كلها من الأرض بلافعل حيوان ولا انسان . هذه من آيات الله عند الحكماء ولاعبرة بها عند الجهلاء . تذكرنا بهذا آية ـ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ـ وآية اليد والعصا . اللهم إنى أنذرت وحذرت ونصحت على مقدار جهدى وأنت يا الله مدبر الخلق محكم التدبير مبدع المعجزات والغرائب . فكما أبدعت من الشجر لبنا وخبزا ومن الصخر حريرا فاجعل اللهم بعدجهل المسلمين علما واشتق من نومهم يقظة ومن ضعفهم قوّة ومن ذلهم عزّة إنك على ماتشاء قدير . انتهى صباح يوم السبت ١٢ نوفمبر سنة ١٩٢٧

﴿ الفصل الثالث من قوله ـ إنا قد أوحى الينا أنّ العذاب على من كذّب وتولى ـ الى قوله ـ وذلك جزاء من تزكى ـ ﴾

قال تعالى (إنا قد أوحى الينا أنّ العذاب على من كذّب وتولى) أى انما يعذّب الله من كذّب بما جئنا به (قال) فرعون (فمن ربكما ياموسى) أى فمن إلهكما (قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى) أى أعطى كل شئ من الأنواع صورته وشكله الذى يطابق كماله الممكن له ثم عرّفه كيف يرتفق بما أعطى له وكيف يتوصل الى بقائه . فالانسان والحيوان والنبات فى ذلك سواء كل أعطى صورته الخاصة به وألهم وتعلم كيف ينتفع به وذلك ظاهر فى الأوّلين . وأما النبات ففيه نوع حركة وحسّ ضعيف كما تقدّم (قال فما بال القرون الأولى) أى فما حال القرون الماضية والأمم الخالية (قال علمها عند ربى) أى انه غيب لايعلمه إلا الله فأنا عبد مثلك لا أعلم إلا ماعلمنى ربى (فى كتاب) أى كأنه فى كتاب وهذا تمثيل لرسوخ العلم عند الله لايضيع كما قال (لايضلّ ربى ولاينسى) ضلّ الرجل أخطأ الشئ ولم يهتد اليه ونسى اذا ذهب عنه الشئ بحيث لايخطر بباله وهذان محالان على الله تعالى . ثم وصف الرّب بأنه (الذى جعل لكم الأرض مهدا) وقرئ ـ مهادا ـ فالمهد مصدر سمى به أى جعلها لكم كالمهد تمهدونها والمهاد اسم لما يفرش أوجمع مهد فمحصل المعنى أن الأرض نتقلب فيها كما يتقلب الصبى فى مهده الذى مهد له وارتاح فيه واطمأنّ اليه وسكن له (وسلك لكم فيها سبلا) وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والأودية والبرارى تسلكونها من قطرالى قطر ومن أمة الى أمة (وأنزل من السماء ماء) مطرا (فأخرجنا به) بذلك الماء (أزواجا) أصنافا ثم وصفها و بينها فقال (من نبات شتى) وشتى صفة نبات وهوجمع شتيت كمريض ومرضى أى متفرقات فى الصور والأغراض والألوان والطعوم والمنافع الخ . يقول الله فأخرجنا بذلك الماء أزواجا الخ حال كوننا قائلين (كلوا وارعوا أنعامكم) أى آذنين فيه (إنّ فى ذلك لآيات لأولى النهى) أى لذوى العقول جمع نهية (منها خلقناكم) فالمادّة الأرضية منها خلق آدم وخلقنا لأنها تكون نباتا وحيوانا وهما يصبحان أغذية لنا تصير دما فلحما فعظاما . فنحن من التراب لا آدم وحده (وفيها نعيدكم) للدفن فنفكك ماركبناه من أجزاء أبدانكم (ومنها نخرجكم تارة أخرى) يوم القيامة للبعث والحساب فنؤلف أجزاءكم ونردّ اليها أرواحكم (ولقد أريناه آياتنا كلها) بصرناه وعرّفناه صحتها سواء أكانت خارقة للعادة أوكانت تبصرة وذكرى فى الكائنات المذكورة (فكذّب وأبى) الايمان والطاعة لعتوّه وقوله (من أرضنا) أرض مصر (بسحرك ياموسى) هذه حيرة منه فان الساحر لايطرد ملكا من ملكه وانما يطرده النبى فكأنه شعر بصدقه (بسحر مثله) مثل سحرك (فاجعل بيننا و بينك

موعدا لانخلفه) أى مكان موعد أى وعدا لانخلف الموعد (نحن ولا أنت) ثم أبدل من المكان المقدر قوله (مكانا) ووصفه بأنه (سوى) بضم السين وكسرها وهو من الاستواء أى منصفا بيننا و بينك أى يستوى مسافته الينا واليك بحيث لايجاوز أحدنا ماحدد له من المكان . فهذا أفاد أن الوعد لايخلف وأن المكان يكون مناصفة بينهما وحينئذ أجاب و (قال موعدكم يوم الزينة) قد كان الطلب للمكان وهذا الجواب للزمان فيقال ان يوم الزينة الذى هو يوم «النيروز» عند الأمة المصرية كان له مكان معين فبهذا عرف الزمان والمكان (وأن يحشر الناس ضحى) أى يجمع الناس وقت الضحوة نهارا جهارا ليكون أبعد من الريبة (فتولى فرعون) أدبر عن موسى معرضا (فجمع كيده) مكره وسحرته ولامعنى لعدهم (ثم أتى) للموعد (قال لهم موسى) أى للسحرة (ويلكم لاتفتروا على الله كذبا) لاتدعوا آياته ومعجزاته سحرا (فيسحتكم) فيستأصلكم ويهلككم (بعذاب) عظيم (وقد خاب من افترى) من كذب على الله (فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى) أى المناجاة أى اختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا فى السر وأدلى كل فريق بحجته وأسروا فيما بينهم وهم يتناجون «إنه ان غلبنا اتبعناه لأنه إذن يكون نبيا» ثم أعلنوا مايأتى (قالوا) بالعلانية (ان هذان لساحران) أى انه أى الحال والشان هذان لساحران فالمبتدأ والخبر جملة خبر ان المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة (يريدان أن يخرجاكم من أرضكم) مصر (بسحرهما و يذهبا بطريقتكم) بدينكم وشريعتكم (المثلى) الفضلى تأنيث الأمثل وهو الأفضل (فأجمعوا) فاحكموا أى اجعلوه مجمعا عليه (كيدكم) هو مايكاد به (ثم ائتوا صفا) أى حال كونكم مصطفين لأنه أهيب فى صدور الرائين (وقد أفلح اليوم من استعلى) وقد فاز من غلب والجملة اعتراضية (قالوا) أى السحرة (ياموسى إما أن تلقى) عصاك أولا (واما أن نكون أول من ألقى) أى اختر أحد الأمرين وان ومابعدها فى الموضعين مصدر منصوب بالفعل المضمر الذى ذكرناه وذلك للأدب (قال بل ألقوا) مقابلة أدب بأدب واشارة الى أنه لايبالى بسحرهم فألقوا حبالهم وعصيهم التى لطخوها بالزئبق الذى من عادته أن يتأثر سريعا بحرارة الشمس فما أسرع أن تحركت تلك الحبال والعصى (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) أى فألقوا ففاجأ موسى وقت تخييل سعى حبالهم وعصيهم من سحرهم فاذا هى للمفاجأة (فأوجس فى نفسه خيفة موسى) فأضمر فيها خوفا من مفاجأته بذلك على مقتضى الطباع البشرية (قلنا لاتخف) ماتوهمت وعلل ذلك بقوله (إنك أنت الأعلى * وألق مافى يمينك) ياموسى (تلقف ماصنعوا) أى تلتقم وتبتلع (إنما صنعوا كيد ساحر) أى حيلة ساحر (ولايفلح الساحر) أى جنسه (حيث أتى) حيث كان وأين أقبل (فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى) فهم أولا ألقوا حبالهم وثانيا ألقوا رؤسهم للسجود (قال) فرعون (آمنتم له قبل أن آذن لكم) فى الايمان له (إنه لكبيركم) لعظيمكم فى فنكم (الذى علمكم السحر) وأنتم تواطأتم على مافعلتم (فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) اليد اليمنى والرجل اليسرى أى لأقطعنها مختلفات (ولأصلبنكم فى جذوع النخل) لما تمكن المصلوب من المصلوب عليه جعل كأنه فيه وقد أطال فى ذلك علماء البيان فلا نضيع وقتنا فى العلوم الصناعية (ولتعلمن أينا) أنا أورب موسى (أشد عذابا وأبقى) أدوم (قالوا لن نؤثرك) لن نختارك (على ماجاءنا من البينات) القاطعة الدالة على صدق موسى (والذى فطرنا) عطف على ـ ماجاءنا ـ (فاقض ما أنت قاض) أى ما أنت قاضيه أى صانعه أوحاكم به (انما تقضى هذه الحياة الدنيا) أى انما تحكم علينا فى الدنيا وليس لك علينا سلطان فى الآخرة . فقوله ـ هذه الحياة الدنيا ـ منصوب على الظرف (إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر) ما أكرهتنا معطوف على خطايانا * يقال ان السحرة عرفوا بعلامات عندهم أن موسى عليه السلام ليس ساحرا فأبى فرعون عليهم وأكرههم على معارضته (والله خير) منك ثوابا (وأبقى) عقابا (إنه) أى الحال والشان (من يأت ربه مجرما) كافرا (فإن له)

للمجرم (جهنم لايموت فيها) فيستريح (ولايحيا) حياة ينتفع بها (ومن يأته مؤمنا) مات على الايمان (قد عمل الصالحات) بعد الايمان (فأولئك لهم الدرجات العلى) جمع العليا ثم أبدل منها (جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها) دائمين فيها (وذلك جزاء من تزكى) تطهر من الشرك بقوله لاإله إلا الله وهذه الآيات الثلاث من كلام الله . انتهى التفسير اللفظى للفصل الثالث . وهنا ﴿ أربع لطائف ﴾

(١) فى قوله ــ قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ــ

(٢) وفى قوله ــ قال فما بال القرون الأولى ــ الخ

(٣) وفى قوله ــ ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى ــ

(٤) وفى قوله ــ فألقى السحرة سجدا ــ

﴿ اللطيفة الأولى ــ قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ــ وفى اتصال هذه السورة بالسور قبلها ﴾

هنا بيت القصيد من رسالة الأنبياء فانه لما سئل عن ربه لم يجب إلا بأنه هوالذى صوّرالصور وهدى كل نوع من الأنواع مستقرّه ومستودعه وأحواله الخاصة به . ثم اعلم أن هذه السورة متصلة بالسورقبلها كأنما هى سلسلة واحدة . ألاترى أن سورة الحجرقد جاء فيها ذكرأنواع المواليدالثلاثة مرتبة من أدناها الى أعلاها ثم فى سورة النحل من أعلاها الى أدناها ثم ذكر بينها الانسان تارة أخرى هناك ثم جاءت سورة الاسراء وهنا ظهرعالم الأرواح فى الاسراء وفى مسألة الروح وتجلى موسى فى السماء السادسة وقابل نبينا محمدا ﷺ وراجع ﷺ ربه باشاراته فى الصلوات الخمس ومازاد عليها فهذه المحاورة بينهما والمجاورة فى العمل أشارت الى مابين الأمّتين من علاقات العلم . لهذا جاء فى سورة الاسراء تقلب أمّة اليهود فى النعيم والشقاء المتتابعين عليها فى الملك . ثم تبع ذلك قصص الخضر فى سورة الكهف وكيف كان أمره مع موسى وتلاه الاشارة الى مناجاة موسى فى سورة مريم واتمام ذلك كله هنا فى سورة طه . فالاسراء والمحادثة فيها يناسبها أن تكون دروس الأمّة الاسلامية مشتقة من قصص موسى . فتارة يذكر نظام دولهم وتارة يبين طريق تعليمهم وأن علم الله فوق علم العالم وتارة يصف الدعوة وكيف كان موسى يدعو فرعون . فهذه السورة متصلة بما قبلها أى ان هذه القصة هنا اتمام لما جاء فى سورة مريم من النبذة الخاصة بموسى وتكميلا للتعليم . فاذا ظهر فى سورة (الاسراء) نظام الدول وفى الكهف اشراق العلم . ففى مريم وفى طه تبين الجمال الأصلى وازدهر العلم فيهما ازدهارا . ألاترى كيف جعل العصا رمزا لنظام الطبيعة وباعثا قويا على فهم تقلباتها كما قرّرناه كأنه يقول أيها الناس من هنا فليكن البحث . فاذا رأيتم العصا وانقلابها حية فاعلموا أنكم فى مادّة كلها صور منقلبة منتظمة فادرسوها

﴿ تمثيل القصص القرآنى بالنظام الطبيعى ﴾

واعلم أن قول الله وعمله متناسبان . ألاترى أنه يقول ــ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ــ فقوله وفعله متناسبان تناسبا حقيقيا . أفلاتنظرمعى الى الذكور والاناث من نوع الانسان . أفلاترى أن الله سلط على كل من الذكر والأنثى الشبق والشهوة بحيث لايخطر ببال الشاب ولاالشابة وقت الخطبة إلا الاقتراب لقضاء الشهوات . فأما ذكر الولد ونظام الأسرة وما أشبه ذلك فانما هوأمر ثانوى . فترى الشاب والشابة كل منهما يرى أن كل آماله أن يحظى بهذه الشهوة التى استوى فيها هو وسائر الحيوان والنبات حتى اذا ما اقترنا واقتربا واختلطا وحملت وولدت . فماذا ترى . ترى أن بعض الحبّ والغرام والعطف انتقل الى هذا المولود . ترى هذا الشاب الذى كان مملوأ شبقا وغراما وعشقا وشوقا لزوجه قد اقتطع من هذا كله جزء وجعل بصفة أخرى وهى صفة الرحمة فانقلب بعض الشهوة رحمة ثم لاتزال الشهوة تتضاءل والرحمة تتكامل ويعقب ذلك كله حب للزوجة ينمو على وجه أعلى وهو حب المنفعة ونظام الأسرة فينتقل الحب من الشهوة الى حب المنفعة ونظام

الاسرة

الأسرة وحب الأخلاق والشمائل لامجرّد الشهوات حتى اذا كبرا انقلبت جميع تلك الطباع فأصبحت رحمة وتربية وعطفا واخلاصا قلبيا لاشهوة معه وبالاختصار انقلبت الشهوة رحمة وكانت النتيجة الولد . فأوّله شهوة وآخره نسل فالشهوات إذن مبدأ العمران ونظام المدن . هذا ماجرى فى الطبيعة

انظر فى هذه القصص . يذكر فى القرآن عصا موسى ونار العليق المتقدة ثم ننظر فنرى أن العامّة يفرحون بها وتنشرح صدورهم بل الله سبحانه ألهم العلماء فى كل أمة فألفوا قصصا سارا جامعا لنوع اللذة الحاصلة من الغرابة والفكاهة مع الاشارة الى بعض الفضائل . فمثل مافى القرآن أشبه بالجمال الطبيعى ومثل مافى ﴿ كليلة ودمنة ﴾ من حكاية الثور والأسد والذئب وابن آوى والنمر والثعلب والحمامة المطوّقة وما أشبه ذلك كمثل الحلى المصنوع بأيدى البشر . وكما أن الجمال الحقيقى فى الغوانى والتكافى المصنوع بأيدى البشر من الحلى قد أنتجا البنين والبنات بالاقتران هكذا الجمال الحقيقى فى قصص القرآن من العصا والحية وحكاية موسى وهرون والجمال الصناعى الذى صاغته أيدى البشر فى الروايات التى تخيلوها قد أنتجت أدبا جما وعلما وحكمة . ناهيك ماترى فى هذه السورة . لم يكتف الله سبحانه بما ذكره فى أوّل السورة من السموات والأرض بل رجع الى ذلك ثانيا فذكر انه — أعطى كل شئ خلقه — الخ ثم أبان انه أنزل من السماء ماء وذكر النبات وأنواعه والبهائم ونوع الانسان إذ يولد ويموت ويبعث . هذه هى دائرة الوجود وسلسلة المواليد الثلاثة بعد ذكر السموات والأرض . فهاهوذا أعادها هنا كما ذكرها فى النحل والحجرات . هذه العجائب قد أشار لها بعصا موسى وتقلبها ثم أوضحها فى خطاب فرعون وصرّح بالمطلوب من ذلك فقال — إن فى ذلك لآيات لأولى النهى — كأنه يقول ان عجائب هذه الدنيا هى الآيات التى يفهمها أصحاب العقول التى تنهى عن الشرّ والجهل . فكما نرى الشاب والشابة قد تدرجا فى حياتهما من الشهوات الجاذبات للاقتران الى تربية الذرّية واصلاح الحياة . هكذا يتدرّج الجهال والأطفال عند سماع القصص الشريف والمعنى اللطيف والأدب الجمّ فى القرآن والأدب الصناعى فى غيره الى الحكمة والعلم وفهم الحقائق الكونية . وكما نرى أن الشاب والشابة يصيران فى آخر أمرهما مشتركين فى التربية وقد صارا شيخين كبيرين لاهمّ لهما إلا نظام الأبناء وتربيتهم وزواجهم وزواجهنّ . هكذا حكماء هذه الأمّة وعقلاؤها ينظرون فى أمثال قصص موسى وهرون شيأ فشيأ مستلذين به فرحين ويتدرّجون منه الى العلوم الطبيعية المحيطة بنا مستأنسين أوّلا بالنار والعليق وبالعصا والحية وتقلبهما ثم بعد ذلك يتعلقون بنفس الحقائق مباشرة كما ترى فى قوله تعالى — قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى — وفى قوله — الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا — الى آخر هذه السلسلة النباتية والحيوانية والانسانية الى نهاية البعث

فياعجبا لأمّة الاسلام . يكون هذا الدين على هذا المنوال يتدرّج بهم من العلم الأدبى فى القصص الى العلم الطبيعى ويتخذ لذلك الأساليب والطرق العجيبة تارة بذكر الأعاجيب والمعجزات وتلوّن الطبيعة وتشكلها على أيدى الأنبياء وتارة بالاضاءة والاشراق النارى فى الأشجار الخضراء مع خطاب الله لهم وتارة يصرّح بأن الله هو الذى نوع الأنواع وشكل الأشكال وألهم كل نوع ما أصلح حياته وأسعده ثم هم مع ذلك نائمون فى أخريات الأمم وقد سبقتهم أوروبا وهم لايعلمون وشيوخهم لايريدون ايقاظهم بل كثير منهم نائمون عن هذه العلوم بل بعضهم لجهله يكفر من بها يؤمنون وما الكفر إلا بترك العلوم القرآنية والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

﴿ اللطيفة الثانية فى قوله تعالى — قال فما بال القرون الأولى — وقوله — ولقد أريناه آياتنا كلها — وقوله — فألقى السحرة سجدا — الخ ﴾

تبين لك فى اللطيفة السابقة كيف تلطف القرآن بالخروج من قصص الأنبياء الى العلوم الطبيعية . أفلا تنظر الى محاورة فرعون لما سمع موسى يقول — ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى — . ماذا عمل وقصد .

قصد أن يرجع الى سنة المعاندين وطريق المنكرين ويعمد الى التعجيز والتهويل والتهويش والخروج عن الحقائق الى الخيالات كما هى سنة المعارضة والمجادلة وفعل مافعله القوم إذ طلبوا من النبى ﷺ أن يوسع عليهم أرض مكة بأن يزيل جبالها ونحوذلك . أو بأن يقص عليهم قصص فتية الكهف . أوعلم الروح . أوتاريخ ذى القرنين مما ذكر فيما تقدّم إذ طلبوه تعنتا لا طلبا للحقائق وقد أجيبوا للبعض بما فيه فائدة ولم يجابوا لما ليس فيه فائدة وقد حذّرالله من هذا فيما تقدّم وأفهم الناس أن الأنبياء جاؤا للارشاد وانما هم بشر فلا يقولون من العلم إلا ماعلمهم الله وماعدا ذلك لافائدة منه . فالأنبياء لايعطون من العلم إلا مانفع فى رسالاتهم وماعداه ضياع لأوقاتهم ولأوقات أممهم . هذا كله يؤخذ مما تقدّم فى السور السابقة . هكذا هنا يقول فرعون حين سمع الحجة العقلية المبنية على النظر فى الطبيعة قال لموسى هل تقص لى قصص الأوّلين من المصريين مثلا والآشوريين والبابليين . ولعله ذكر أمة من تلك الأمم أوحادثة يرجع تاريخها الى قدماء المصريين مثلا فقال موسى ومالنا ولهذا هذا علمه عند ربى فارجع الى مانحن بصدده أنا رسول من عند ربك هوأرسلنى . أرسلك بماذا . أرسلنى بالحجج وقد أريتك العصا واليد وهاأنا ذا نقلتك الى ماهو صنعته تعالى وفعله وقلت لك انظر صور هذه المخلوقات وإلهاماتها وغرائزها واقرأ علوم الطبيعة فأنت يافرعون تحاورنى لتخرجنى عما رسم لى من العلم . تدرّجت اليك من خوارق الطبيعة الى نفس علم الطبيعة وأنت تخرجنى الى علوم التاريخ والأدب لا لا . إن علمها عند ربى فى كتاب ارجع الى ما كنا فيه واقرأ العلم فى طرق الأرض ومسالكها وانزال الماء من السماء وخروج النبات واختلافه والأنعام ورعيها له وأن الناس خلقوا على الأرض وانتفعوا بهذا كله ثم يموتون ويحشرون ويحاسبون . هنالك آن أن يقول الله ـ ولقد أريناه آياتنا كلها ـ أى الآيات التى هى خوارق للعادات تنفع العامّة والآيات الطبيعية التى هى للخاصة . فالآيات بقسميها خارقة وغير خارقة قد أريناها لفرعون وهذا تقرير قوله ـ ولقد أريناه آياتنا كلها ـ فالتعبير بالكل لأجل ماقرّرناه

﴿ موازنة إيمان السحرة بكفر بنى اسرائيل إذ عبدوا العجل وكل منهما قد شاهد العصا واليد ﴾

لما استبان أن هذه الآيات المنقسمة الى قسمين قد اتضحت لفرعون قص الله علينا ﴿ أمرين اثنين ﴾ أمر السحرة وإيمانهم كما رأيت وسيأتى لك قصص بنى اسرائيل وكفرهم لما آمنوا بعجل السامرى إذ صنع لهم عجلا جسدا لاروح فيه فلما سمعوا خواره آمنوا به . فههنا كفر من الجهلاء وهم بنواسرائيل وايمان من العلماء وهم السحرة . إن السحرة شاهدوا العصا وشاهدوا اليد وشاهدوا أن العصا قد ابتلعت حبالهم وعصيهم وبنواسرائيل شاهدوا ذلك ولكن فرق بين الأمرين فالجهلاء لايفقهون هذا ولكن هؤلاء السحرة العلماء أدركوا أن الطبيعة التى قرؤها والعلوم التى زاولوها لاتقوى على أن عصا تبتلع هذا كله . فأما بنواسرائيل فهم جاهلون لايفرقون بين هذا وذاك انما هم يتبعون كل ماأمامهم فما هم إلا كأطفال تعطيهم الحلواء فيأكلونها وتأتى لهم بحلواء أخرى فيأكلونها فهم تبع حواسهم لادراسة عندهم . جاء لهم موسى بالعصا فآمنوا ثم جاء السامرى بالعجل فقالوا إن العجل الذى نطق وصار ثورا عظيما أحق بالعبادة من رب موسى وأى شأن للعصا فى جانب هذا العجل الذهبى . هذا برهان من الله . إن الايمان المبنى على مثل قلب العصا حية لاثبات له وانه ان لم يتبع بالبراهين العقلية فانه ذاهب أدراج الرياح وعرضة للتقلب والضياع وأن المدار انما هو على العلوم ونظام الطبيعة ودراسة ماخطه الله على قرطاس الكون من بهجة العلوم ورونق المعارف وماعدا ذلك فهو مقدّمات . انتهى

﴿ القرآن الكريم والفيلسوف سبنسر ﴾

لعلك تقول مالنا وللفيلسوف (سبنسر) وأى فائدة من ذكره ومالنا وله . أقول لك أذكره لأقرر لك حقيقة عجيبة . أنا هنا بينت لك أن القرآن فى هذه السورة أفادنا أن علوم الطبيعة أفضل وأرقى من علوم الأوائل ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ أفضل من علم التاريخ فان موسى لما سمع فرعون يعرج على علوم الأوائل قال

تمدها بسلمك وأن تأخذ بيدها فاننا ذاهبون الى الله قبلكم وتركنا هذا القول وديعة عندكم فأسألك بالله أن لا تضيع الأمانة وأسألك بالله أن ترشد الأمة أمة سيدنا محمد ﷺ وأن تهديهم وأن تقوم خطيبا فى كل مجمع وناد ومجلس وأن تدرس لهم ماقصه الله وتشرحه وتبين لهم ماشرحناه وتفكر فى الطرق التى تجذب هذه الامة الى معرفة ماذرأه الله فى الأرض والسموات وأن تحمل الأغنياء على بذل المال فى تعليم هذه العلوم الطبيعية واذاعتها بين المسلمين فليس يعلم أكثر المسلمين الآن أن أمثال (اسبنسر) الانجليزى يحرّض على ارتياد العلوم التى رسمها القرآن وليس يعلم المسلمون أن ديننا يطلب العلوم التى يجهر بها هذا الفيلسوف وآلاف مثله وأن الطبيعة فوق شعر الشعراء وجمالها فوق كل جمال . ان جمالها من الله وجمال الشعر والتاريخ من صنع البشر وأىّ نسبة بين الجمالين . ثم قال (اسبنسر) وما أكثر صور الطبيعة وما أقرب تمرينها للذاكرة فاذا كانت اللغات كثيرة المناحى واسعة الكلمات والمقاصد فالطبيعة أوسع وأغزر . ناهيك ماترى من عدد النجوم فى المجرّة التى فى السماء وهى البياض الذى يراه الناس فى الليالى الصافية يظنونه سحابا وماهو بسحاب وانما هو نجوم تباعدت عن الأنظار حتى اختلطت على الأبصار تعدّ بآلاف آلاف الآلاف وهكذا الموادّ التى تركبت منها تلك النجوم وقد أظهر تلك الموادّ علماء الكيمياء بنظرهم فى طيف تلك الكواكب بشرح يطول وهكذا اذا نظر الناس لعلوم الضوء والحرارة والكهربائية والتشريح البشرى والبيطرى . وقد أحصى علماء النبات ماميزوه من أجناس النبات فكان (٣٢٠) ألف جنس وعلماء الحيوان وجدوا أن عدد أجناسه (مليونان) أى (٢٫٠٠٠٫٠٠٠) جنس من الحيوان فلاترى عالما واحدا قد أتقنها كلها وانما يتقن فرعا واحدا

(٣) يقول (اسبنسر) إن التضلع من العلوم الطبيعية كما انه أفضل للذاكرة من حيث كثرة علومه . هكذا هو أفضل لها للصلة القائمة بين أجزاء الطبيعة بحيث لايوجد مثلها فى الكلمات . إن العلاقة بين الكلمات و بين المعانى علاقة غير طبيعية . انها علاقة عرضية وأين العرض من الجوهر. ألاترى انك اذا تتبعت اشتقاق الكلمة ودققت تدقيقا فانك وان سرت سيرا طبيعيا فى الاهتداء الى أصولها كارجاع ضارب الى ضرب وكذا مضروب وضراب لايمكنك الوصول فى آخر الأمر الى السبب فى اختصاص الضاد والراء والباء بالعمل المخصوص ولا القاف والميم والراء لهذا الجرم المنير بالليل . ولماذا أوجب أن يكون قمر لهذا الجرم . ولماذا لم يكن (ح ب ر) كل ذلك مجهول عند الناس أى ان العلاقة ليست طبيعية بين الألفاظ و بين المعانى وان كان الاشتقاق فيه العلاقة طبيعية . أما فى الطبيعة فان العلاقة معقولة مقبولة يترسمها الطالب و يتتبعها

(٤) وأيضا ان العلم الطبيعى يقوّى ملكة الحكم . قال وقد أحسن الاستاذ (فاراداى) فى خطبة له عن التربية العقلية إذ يقول ﴿إن أشيع العيوب العقلية هو ضعف ملكة الحكم﴾ وقال ذلك الاستاذ أيضا ﴿لم يقتصر المجتمع الانسانى على جهله من حيث تربية ملكة الحكم حتى أضاف الى ذلك الجهل بأنه جاهل بذلك﴾ قال (اسبنسر) والاستاذ المذكور ينسب هذا النقص الى فقد التربية العامية . قال وقد أصاب فاننا مهما كان مبلغنا من اللغات ومعرفتها لانصل الى صحة الاستنتاج . وانما يكون لنا ذلك بصحة الاستنتاج فما يتعلق بالأسباب والنتائج ولاتستفاد ملكة الحكم الصحيح إلا من التعوّد على استنتاج النتائج من المقدّمات ثم تحقيق هذه النتائج بالملاحظة والتجربة

(٥) ويقول أيضا ﴿انه يهذّب أخلاقنا فاننا بدل أن نخضع لآراء من سبقونا وحفظناها عن ظهر قلب ونقبلها قضية مسلمة نرى العلم الطبيعى يعوّدنا أن نعرف بأنفسنا ونرى الضارّ والنافع بأنفسنا فيكون ذلك أمتن فى اتباعنا واقتناعنا بصحته . ولاريب أن العلم الطبيعى يعلم الاستقلال لأنه مبنى على ملاحظات يقينية والاستقلال فى الرأى أهم وأنفس عناصر الأخلاق

(٦) وهو يعلمنا خلق المثابرة فان الجدّ فى الأعمال الطبيعية العامية يكسب قوّة المثابرة على العمل وهى

اضمن

أضمن طريق للنجاح

(٧) ثم ان دراسة هذا العلم تعلمنا كيف نطلب الأشياء باخلاص فان جمال الطبيعة يبهج الطالب بها وهذا الجمال واللذة يجعلانه مخلصا فى الطلب فدراستها تعلمنا الاخلاص

(٨) ومن أفضل الخصال التى ينالها المغرم بالعلوم الطبيعية نبذ الآراء المدخولة الفانية التى لاتعتصم بالحق وان قبلها الجمهور فدارس علم الطبيعة ينبذ ماليس معقولا وان صدّق به الجمهور ولايبالى بما يقال مما ليس له قبول . فهذه ثمانية خصال ينالها دارس علم الطبيعة نقلتها لك عن (اسبنسر) ولكن مثلت أمثلة تنطبق على عوائدنا وعلومنا ولكن المعانى كلها من كلامه . نقلتها لك لتطلع على أمم الغرب وتوازن بينها و بين أمة الاسلام التى غفلت عن آيات هذه السورة وكيف كانت هذه الامور الثمانية قد تضمنها قوله تعالى ــ قال فما بال القرون الأولى * قال علمها عند ربى فى كتاب لايضل ربى ولاينسى * الذى جعل لكم الأرض مهدا ــ الخ . ألست ترى أن هذه الآية هى عين ماقاله (اسبنسر) الفيلسوف وأن فرعون يقول لموسى أسمعنى علم التاريخ فيقول موسى كفى كفى هلم بنا نقرأ تاريخ الطبيعة . هلم بنا نقرأ ما كتبه الله فى الطبيعة وماخطه فى قراطيس السماء وألواح الأرض وهى العلوم الحقة التى تعطى قوّة الاستبصار والاستنتاج والذاكرة والجمال والاخلاص والحب وهكذا . هذا هوكلام الله وهذا هومقصود القرآن ولهذا أنزله الله فان لم يعرفه من قبلنا من الأجيال المتأخرة بعد عصر الصحابة فسيعرفه الأجيال الغابرون والأمم المتأخرون . وكم ترك الأوّل للآخر . وكم لله على خلقه من فضل وجود والحمد لله ربّ العالمين

﴿ بهجة العلوم الطبيعية ﴾

فاذا كان هذا شأن العلوم الطبيعية ونحن الآن فى دراسة القرآن . فهل لك أن أسمعك مانظمته سابقا لتلاميذ المدرسة الخديوية وان كانت مدارسنا لتسلط الأجانب عليها غير مغرمة بتلك العلوم . فهاك أسمعكها لتكون ذكرى لكل ذى عقل مستبصر وقلب مفكر ــ ولكل نبأ مستقر ــ وستنشر هذه العلوم ــ ولتعلمنّ نبأه بعد حين ــ

هذا النظم من كتاب جمعه التلاميذ من نظم ونثر ألقيته عليهم بالمدرسة الخديوية اسمه ﴿ جوهرة الشعر والتعريب ﴾ وهاهوذا النظم . فى ليلة الثلاثاء ٥ شوّال سنة ١٣٣٥ الساعة الرابعة بعد نصف الليل كتبت مايأتى

﴿ نظمت هذا فى جمال الطبيعة ﴾

قال تعالى ــ أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج * والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ــ

قرأت كتاب الله فى كل سورة * وآنست نور الفهم فى كل صورة
خذوا عنى العلم الذى قد درسته * وهذّبته حتى أضاء ببهجة
فياقومنا هذى العجائب صوّرت * وأبدعها الرحمن فى كل ذرة
وأتقنها حتى تجلت بديعة * مزينة فى رقشها خير زينة
فأنشأ أفلاكا وأبدى غرائبا * وشيدها حتى استقامت بحكمة
ورصع فيها المشرقات ثواقبا * نجوما تراها فى ليالى الدّجنة
تحلى بها جيد الزمان فيالها * عقود جمان زانها حسن صنعة

﴿ فصل فى عدد النجوم (١) ﴾

(١) إن النجوم المنظورة بالعين ستة آلاف فيكون فوق الأفق دائما ثلاثة آلاف وتحته ثلاثة آلاف والنجوم التى ترى بالمنظار المعظم و بالمصوّر الشمسى أكثر من مائة ألف ألف وهناك مايشبه السحاب فى الليالى

وقد عدّها الأقوام رأى عيونهم * بستة آلاف لتقريب حسبة
ولكنهم لما رأوها بمنظر * وتصوير آلات برسم الأشعة
بدت لهم آلاف ألف تعدّها * مئات بلا حصر لصادق فطرة
ألم تر أبواب السماء التى ترى * بأعيننا موسومة بالمجرّة
عدت كل طور فى الحساب لأنها * الى اليوم لم يكشف لها ستر حرة
فلما تناءت صورت لعيوننا * كذوب جمان أوكسائل فضة
بدائع آيات مجالى مناظر * لطائف عرفان تجلى لفطنة

﴿ أشكال النجوم المجتمعة ﴾

فنها نجوم رصعت فى نظامها * كسنبلة صفت بحبات حنطة
وآونة تلقى دوائر نظمت * لتعقلها نفس الحكيم بنظرة
ومنها التى قد صوّرت فى جمالها * مثلثة الأشكال فى حسن بهجة
فهذا جمال ليس يعقله الذى * ينام عن التبيان فى كل ليلة
حياتكم لاتتركوها سبهللا * أسركمو حى كميت بحفرة
ومالى اذا ماقلت ثوبوا لرشدكم * نأيتم وقلتم نحتسى كأس خمرة
و بعضهم فى الجهل مثل نعامة * تصاد فأخفت رأسها تحت صخرة
ففاجأها الصياد مقتنصا لها * كذلكم الجهال ماتوا بحسرة
حياتى حياة العلم فاعجب لحسنها * سكرت بلا خمر فيا حسن سكرتى

﴿ عجائب الأرض ﴾

وفى الأرض آيات وفيها عجائب * من الماس والياقوت فى نحر دمية
وفيها نحاس للمتاع وعسجد * لتقويم مانبتاعه ولزينة
وفيها حديد لم يذر من صناعة * على الأرض إلا قام فيها بآلة
به قطر تجرى على الأرض دائبا * وآلة محراث وصنعة إبرة
وفيها نبات قائم فوق ساقه * يتيه دلالا فى جمال ونضرة
وآخر لا ساق له كحشائش * فهذا لانسان وذا لبهيمة
تحار عقول العالمين لما ترى * عجائب ألوان واحكام صنعة

﴿ فصل (١) فى الجبال والسحاب ﴾

ألا يارجال العلم دونكم اسمعوا * مقالى ولا تنأوا بجنب لغفلة
ألا فانظروا هذى الجبال شوامخا * عظائم كانت مذ قرون قديمة
ملونة حمرا و بيضا لوامعا * وصفرا وسودا كالسحاب الرفيعة
مخازن ماء للبرايا تسوقه * لها السحب أمطارا على كل بقعة

الصافية فى وسط السماء وهى المجرة وأكثر نجومها لم يمكن رصده لبعده جدّا وهى شموس لانهاية لعددها قد تباعدت حتى صغرت فى العين وتضامّت كأنها لبن فى النظر . وهذه المجرّة تسمى فى الشرع (أبواب السماء) وعند الانجليز (الطريق اللبنى) وعند الفلاحين المصريين (طريق التبانة)

(١) السحاب وألوانها وألوان الجبال وانها مخازن للماء يجرى من أعلاها أيام المطر ومن ذائب الثلج إذ يتنزّل بحرارة الشمس بالتدريج ومن العيون التى تجرى من باطنها وتمدّ الانهار

فمن

فمن ذلك النيل السعيد وصنوه * فرات جرى حتى تلاقى بدجلة
وكنغو وزنبيزا وليس يعدها * سوى علم تخطيط ورسم خريطة

﴿ فصل (١) فى عجائب الماء فى الجبال ﴾

ومن عجب ماسوف أذكره لكم * ألا فانظروا هذا النظام بفطنة
تحصل ماء فى الجبال فما الذى * يزجيه لما أن جرى للخليقة
فهذا سؤال ليس يدرى جوابه * سوى عالم حبر بعلم الطبيعة
فيعلم أن الماء من طبعه الذى * به اختص مابين الطباع العجيبة
اذا صار ثلجا زاد حجما مكبرا * عن الماء فى تلك الجبال الصليبة
فيضغطها ضغطا فينفذ صاعدا * وتجرى ينابيع بسلسال فضة
عجيب نظام لم يكن عن جهالة * ولا رمية من غير رام بغفلة

﴿ نظام السحاب (٢) ﴾

فها كم نظام السحب فاستمعوا له * خذوه بعقل وافهموه بفطنة
خذوا مثلا بالقدر والماء غاليا * عليها بايقاد اللظى فوق فحمة
وقد صعد التبخير والماء مسخن * فيرجع ماء ثانيا عند قبة
فان يك صنبور لذلك حاصلا * ترى الماء يجرى قطرة بعد قطرة
ترى الشمس فى التمثيل نارا وانما الـ * جبال وأرض كالقدور الرسية
فأما غطاء القدر فهو ممثل * لما فوق هذا الجوّ وصف برودة
ومثل ماء القدر بحرا مبخرا * بشمس الضحى فى لمحة بعد لمحة
وذلك كالحمام أيضا ومثله * ترى مثل الانبيق أيسر لفتة
فهذى علوم السحب والقطر والندى * عروس تبدّت فى ثياب رقيقة
تزفّ اليكم والجمال يشوقكم * اليها ومامهر سوى صدق نظرة

﴿ علم المعادن والفلزات ﴾

ألا فخذوا علم الفلزات انهم * قد استخرجوها فى الجبال العصية
ففى جبل تلقى الرصاص بجوفه * وآخر تلقاه مشوبا بفضة
وفيها نحاس والرصاص وعسجد * كذلك بلاتين الجبال البعيدة
فذلكم للناس أشرف نعمة * بها أصبحوا والله فى حال غبطة
فان ركبوا كانت لهم خير مركب * وان يتباهوا فهى أنفر زينة
وان خاطبوا بعضا فتلك مسرّة (٣) * وبرق جرى وسط السلوك الدقيقة
وان يحرثوا أو يطحنوا فهى عونهم * وان شيدوا قصرا أغاثت بسرعة

---

(١) الماء فى الجبال يبرد حتى يصير ثلجا ومن خواصه انه يكبر حجمه فيشق الصخر فتتفجر العيون وهذه الخاصية ليست لسائل سوى الماء اذا جمد

(٢) نظام السحاب وتشبيهه بالقدر تحتها النار فغلت وصار لها بخار فاجتمع عند الغطاء وكالحمام وكالانبيق فالشمس كالنار وماء البحر كماء القدر وبخار السحب كبخار القدر والحمام والانبيق وأن نزول المطر كتقطير الانبيق وقطرات الحمام ونحو ذلك

(٣) تليفون

وان هم شربوا يوما تكن خيرها كم * ليعرف منها قدر تقويم سلعة
وان حاربوا كانت حرابا وأدرعا * مدافعها اغتالات نفوس البرية
ليهلك من عاشوا بغير روية * ويحيا أولو التوفيق أهل الروية
ومن لم يشم حسن العوالم عقله * فذلك والله حقيق بخيبة
من الناس من عاشوا ولا علم عندهم * كأنهم فيها سراب بقيعة

﴿ الماس من فحم والعسل من نحل والحرير من دود والجوهر من صدف ﴾

ومن فحمة سوداء جاؤا بجوهر * بهيج فذاك الماس فى صدر قينة
وخير لباس الناس من نسج دودة * وخير طعام الناس من فم نحلة
وأعجب آيات الجمال جواهر * من الصدف المخلوق فى قاع لجة
فهذا على أرض وذلك فى هوا * وآخر فى لج البحار العميقة

﴿ أعمار المعادن [1] ﴾

وفى المعدن المخلوق فى الأرض حكمة * تدق على أهل العقول السليمة
ترى الشب والزاجات والملح أنضجت * كما نضج الكبريت قبل سنيهة [2]
لقد خلقت فى التراب والطين كلها * ومنها الذى يبدو بأرض خبيثة
ومنها التى فى الماء أنشئ خلقها * كدر ومرجان بديع بحلية
على سنة زادا أو اكتملا بها * بتدبير ربّ العالمين وحكمة
ومنها الذى يبقى سنين طويلة * ببطن جبال أو رمال دقيقة
كمثل حديد والرصاص وفضة * كذلكم باقى معادن سبعة
وأطول من هذا العقيق ومثله * الزبرجد والياقوت فى طول مدّة

﴿ عجائب النبات [3] ﴾

ومن عجب أمر النبات كمعدن * من الدمن الخضر الضعاف الضئيلة
يجيء بهاطل الندى فاذا بدت * لها الشمس زالت عند آخر ضحوة
فهذا نبات معدنى مخلق * بفصل ربيع مثل انبات كمأة

(١) تختلف المعادن أعمارا فى بطن الأرض فالملح والشب والكبريت المتكوّنات فى الطين والأرض السبخة تتمّ قبل سنة والدّر والمرجان يتكوّنان فى سنة أوفوقها والحديد والنحاس والذهب وأمثالها فى مئات السنين والياقوت والعقيق والزبرجد فى دهور طويلة والعلم الحديث اعتبر المعادن كالذهب والحديد عناصر بسيطة وجعل المرجان حيوانا

(٢) تصغير سنة

(٣) أقرب النبات الى المعدن خضراء الدمن والكمء . فالأوّل ينبت بطلّ الندى ثم يزول ضحوة لحرارة الشمس والثانى جمع كمأة فالأول نبات معدنى والثانى معدن نباتى لأن الأوّل أقرب الى النبات والثانى أقرب الى المعدن وأقرب النبات الى الحيوان النخل والكشوثى والأخير يعيش على غيره كالدود فهو فى ظاهره أقرب الى النبات ولكن فعله فعل الحيوان . وهكذا كل نبات يتغذى بالمولدات النامية مما كشفه العلماء حديثا مثل الشجر الذى يمتص الحشرات التى تحوم حوله ومثل شجرة فى (مداغشقر) ذكرت المجلات الاوروبية انها متى شرب منها انسان ماءها الحاصل فوقها سكر ثم ضمت عليه أوراقها وشوكها فامتصته وصار غذاء لها والنخل تميز ذكره من أنثاه وان قطع رأسه مات فأشبه الحيوان بعض الشبه

ترى الكم مثل النبت وهى معادن ✻ على الضد مما قبلها عند نسبة
وأعلى مقامات النبات الذى له ✻ صفات يضاهى مبدأ الحيوية
كنبت الكشوثى انه غير ثابت ✻ على الأرض بل يحيا على ذات شوكة
وفوق غصون أو زروع وانه ✻ ليشبه نفس الدود فى بدء فطرة
كذاك حياة النخل تبدى عجائبا ✻ فذكرانها عن كل أنثى استقلت
وان يشا الرحمن أهد الكم ✻ عجائب فى أجسامنا والغريزة
فأعجب هذا الخلق أمر ابن آدم ✻ جسوما وعقلا باحثا عن حقيقة

﴿ ثلاث جواهر ﴾

﴿ الجوهرة الأولى فى قوله تعالى ـ قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ـ ﴾

إنى لما كتبت هذا العنوان حضر صديقى العالم الذى اعتاد أن يحاورنى فى مسائل من هذا التفسير فقال ماذا تريد بعد ما كتبت فى هذا الموضوع . فقلت لقد رأيت اليوم عجبا هو أنسب لهذه الآية . لقد أصبح العلم اليوم يكشف لنا الغطاء عن آيات القرآن . ان فى القرآن قصصا ومن هذا القصص ماقصه الله عن موسى فى سور (طه) هنا . ولقد جعل الله القصص فى الديانات كالأشجار والزروع فى الأرض . ان الكلام مشابه للغذاء . فكما ان من الغذاء مالاينال الناس والحيوان إلا مندمجا فى أوراق النبات وحشائشه حتى يدخل الجسم بلطف فلايهيج أجزاءه التى يدخل اليها ولايعزّقها بقوّته واندفاعه اليها فيكون الانسان والحيوان مشتركين فى حياتهما ويقلّ مرضهما و يطول عمرهما على مقدارحالها بخلاف ما اذا كان الغذاء لحما أو بيضا أولبنا من كل مادّة غزر غذاؤها فانها تعطى قوّة هائلة ويعقبها ردّ فعل فيكون مرض فموت بغتة كبعض الناس بعد حين وعلى حسب ضعف الاستعداد الذى لايعلمه إلا مبدعه . كل هذا فى الطب الحديث الذى يفضل أغذية النبات . هكذا جعل الله فى كل دين وفى علوم الأمم التى يكتبها جهابذة المؤلفين أن يلقى العلم بطريق القصص والحكايات والكلام الجميل البديع المؤثر فى النفوس فلاجرم يحدث له أثر فى النفس لأنه يدخل اليها بلااستئذان . هذه قصة موسى تراها كأشجار وأزهار وأوراق . وهذه يفهمها العامّة كما يفهمها الخاصة ولكن الحكيم يعرف أين الثمرة فيلتقطها . ومن ثمرات هذه القصة هنا قوله تعالى ـ قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ـ فقوله ـ أعطى كل شئ خلقه ـ أصبح اليوم يرى بالمنظار المعظم وأصبحت علوم الطبيعة كلها تطبيقا عليه . فبينما القارئ يسمع قصصا ومحاورات بين موسى وفرعون إذ يراه فجأة أصبح لعلوم الطبيعة دارسا . فقال صاحبى أين علوم الطبيعة هنا . فقلت ألم تسمع الله سبحانه يقول ـ قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ـ فاعطاء الخلق يرجع للتصوير والاحياء والانماء على وجه مخصوص وذلك فى النبات والحيوان والانسان والمعادن وكل شئ والهداية خاصة بالحيوان والانسان . فقال ان هذا التفسير مملوء من هذه العجائب . فما الذى زاد هنا . قلت ستعلم فى هذا المقام علم اليقين معنى قوله تعالى ـ وما كنا عن الخلق غافلين ـ ومعنى ـ أعطى كل شئ خلقه ـ أى بلازيادة ولانقص . وترى الحساب البديع فى خلق الأجنة فى الأرحام وتعلم أن حكاية صصة بن داهر الحكيم الهندى (الذى اخترع الشطرنج وجعل حب القمح الذى فى العالم كله بالحساب لايكفى ليوفى بيوت الشطرنج) قد ظهر اليوم نظير مغزاها فى خلق الجنين فى بطن أمه فانك سترى انه يجرى على مقتضى المتوالية الهندسية . فقال قد تقدّم هذا فى سورة الفاتحة عند تفسير رب العالمين . فقلت إن ما هناك قد جاء قولا بلارسم . وأما ماهنا فانك ستراه مرسوما موضحا أمامك . ألم تسمع قول الله تعالى ـ وقل ربّ زدنى علما ـ وقوله تعالى ـ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ـ الله وعدنا أنه يرينا آياته وهاهوذا يفى بعهده لنا شيأ فشيأ . ألم تسمع قوله ـ ومن أوفى بعهده من الله ـ . الله

وعدنا انه يرينا الآيات وهاهوذا يعرضها علينا فوجب علينا أن نسارع لأخذها • إن الأمم حولنا درست نظام حياة الأجنة فى النبات والحيوان ووازنوا بين الأجنة فى الانسان و بين أجنة الحيوان وأجنة النبات فوجدوا اتحادا واختلافا • اللهم ان العلم اليوم قد فسر القرآن تفسيرا واضحا والقرآن قد نزل ليعرف حق المعرفة فى زماننا و بعد زماننا • جل الله وجل العلم • سترى أيها العزيز أن الله لايعطى إلا على قدر الحاجة ولامعنى للعدل غير هذا • العدل وضع الامور مواضعها • فاذا رأيت العدل فى نظام الأمم والدول (كما تقدم فى سورة النحل عند آية ــ إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى و ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ــ) يرجع الى تكافؤ القوى فى الدولة بحيث يأتمر الجند لحراس الدولة من الحكام و يخضع العامة من الصناع والزراع للطائفتين فوقهما ولاعبرة بالآراء الخاصة ولاالشهوات • هكذا العدل فى نظام الأجنة فى بطون أمهاتها • سترى بعينك أيها الذكى فى صور أجنة السمك وأجنة الانسان وأجنة الدجاج أن صغار السمك ما دامت ضعيفة قد أعطيت كيسا فيه قوتها ومتى قويت على الكسب فرغ هذا الكيس فهذا ستشاهده بعينك فى الرسم الآتى قريبا • أفليس هذا هونفس الآية إذ يقول ــ أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ــ

يخلق لصغار السمك كيسا تعيش منه مادامت ضعيفة ثم يفرغ هذا الكيس وقد قويت • هذا يفسر قوله تعالى ــ وان من شئ إلا عندنا خزائنه ومانزله إلا بقدر معلوم ــ

ونراه فى جنين الانسان فعل غير ذلك فانه ألزم الأم بأن تمده فى بطنها بدمها يجرى فى دورته الدموية وفى خارج بطنها بلبنها حتى يقدر على تعاطى الطعام • فهنا لما جعل له أما وأبا جعل قوته من أمه وهناك لما لم يكن للسمك أم ولا أب أعطاه كيسا يعيش منه لأن السمك يبيض بيضا كثيرا • وهذا البيض هو الذى نسميه ﴿ بطارخ السمك ﴾ ونأكله لذيذا وماهو إلا بيض كبيض الدجاج تبيضه السمكة فى مكان ملائم قرب الشاطئ فيجئ الذكر فيلقى حيوانات صغيرة جدا على بيض الأنثى فيحصل الالقاح إذ تدخل الذرات الصغيرة الحاصلة من الذكر فى بيض الأنثى كما ستراه • ويربى هذا البيض الملقح فى نفس الماء فلاأم ولا أب يعرفان أولادهما • لهذا كله أعطى السمك الصغير ذلك الكيس المقدر تقديرا محكما ولم يعط ذلك طفل الانسان

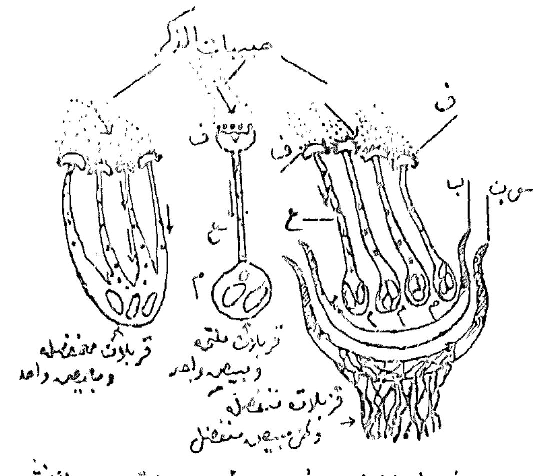
والدجاج يشبه بعض الشبه للسمك و بعضه الآخر لذوات الأربع فهو وان حصل إلقاح بيضه داخل جسمه كما يفعل الانسان والحيوان قد جعل بيضه خارجا والجو لايلائمه فألهمت الدجاجة أن ترقد على بيضها لتعطيه الحرارة اللازمة لنمو الجنين داخل البيضة حتى ينمو ويخرج من البيضة والفرخ حين يخرج من البيضة لايحتاج الى كيس كما احتاجت صغار السمك اليه لأن فراخ الدجاج تخرج قوية على الكسب مزودة بالريش مهيأة لملاقاة خطوب الدهر وكوارث الجو وتحمل أعباء الحياة فتأكل الحب و يساعدها أمهاتها التى رقدت على بيضها أوالقوم الذين يرقدون على البيض و يستفرخونه كما يفعله أهل هذه الصناعة فى بلادنا المصرية إذ يقومون بتدفئة البيض بدل الدجاجة وحضنها • فاذا خرج الفراخ استقبلوها بالغذاء و بالايواء و بالمحافظة عليها فى مساكن خاصة فذكران السمك واناثه لايحصل بينهما اجتماع كاجتماع الانسان والحيوان بل التناسل بتقابل بيض الأنثى مع المواد المفرزة من الذكر خارج جسم الأنثى ولا احتياج لمغازلة ولامهر ولامنزل يسكنانه والماء قام بتربية الأجنة بتدبير العناية الالهية ــ فتبارك الله أحسن الخالقين ــ

فلما سمع صاحبى ذلك • قال لقد شوقتنى الى هذه العجائب التى بها نفهم قوله تعالى ــ وما كنا عن الخلق غافلين ــ • فقلت ماذا تطلب أولا • قال ان العلم يجب أن يكون متدرجا من الأدنى الى الأعلى فأريد أولا أن أعرف نظام الزهرة وكيفية إلقاحها ثم السمك ثم الضفادع ثم الدجاج ثم الانسان • فقلت أما النبات فقد تقدم الكلام عليه فى سورة الأنعام عند قوله تعالى ــ انظروا الى ثمره اذا أثمر و ينعه ــ وهناك ترى رسم الزهرة وكأسها وتويجها وأسديتها ومدقاتها والمبيض والسمة ومايسمى بالقلم فارجع اليه إن شئت وانما أزيدك

الان

الآن بيانا . ذلك أن المبيض الذى هو عادة يكون فى أسفل الزهرة الموضح هناك قد يكون هو واحدا وقد يكون متعدّدا . فاذا كان واحدا فقد يكون متصلا به عدّة أقلام متصلة والمراد بالأقلام الأعمدة التى سميت فى الرسم الآتى (قربلات) وقد يكون متصلا به أقلام منفصلة . واذا كان المبيض متعدّدا كان لكل واحد قلم واحد (انظر الرسم الآتى . شكل ١)

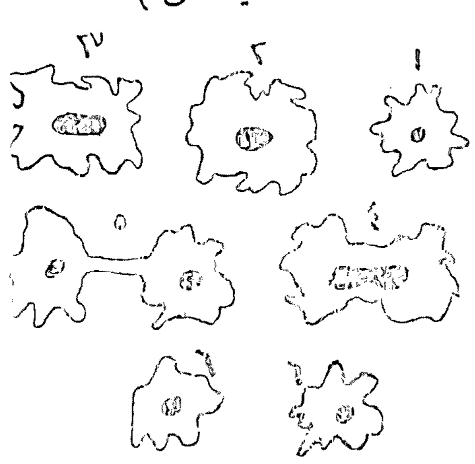
فهذا الرسم فى أعلاه السمة التى تقبل الطلع من الذكر وهذا الطلع ينزل فى القلم الى المبيض أسفل كما رأيته فى نفس هذا الشكل وفيه تتربى البزرة . فافهم هذا وافهم مافى سورة الأنعام



(شكل ١ رسم ثلاث زهرات مختلفة الأعضاء التناسلية الأنثى)

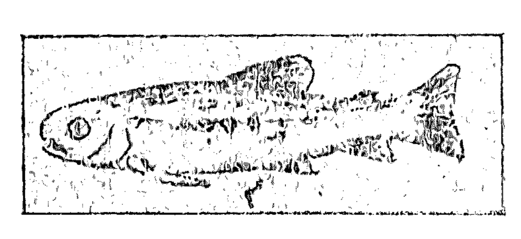
وأما أمر السمك فلأقدّم لك مقدّمة فأقول . اعلم أن أصغر الحيوان يسمونه (الاميبا) نمرة (١) فى الشكل الآتى شكل نمرة (٢) وما هى الالاميبا ان هى إلا خلية واحدة مركبة من محيط خارجى ونواة داخلية فأما المحيط فهو غير منتظم الشكل له تجوفات ونتوءات كثيرة . وأما الداخل فانك تراه فى الرسم نقطة سوداء وهو منبع الحياة ومركز النموّ (انظر الشكل الآتى . شكل ٢)

وطريقة تناسله أن يكبر مركز النموّ أوّلا كما فى (نمرة ٢) من هذا الشكل ثم يعظم الجزء الخارجى (نمرة ٣) من هذا الشكل ثم يصير مركز النموّ أشبه بشكل (نمرة ٤) لهذا الشكل ثم ترى الحيوان الأصلى انقسم الى قسمين وهما متصلان (نمرة ٥) ثم ينفصلان (نمرة ٦) إذن الحيوان الأصلى قد ذهب وخلف حيوانين وكل واحد يفعل فعل الأوّل وهكذا بالانقسام . ها أنت ذا عرفت تناسل أدنى حيوان فقد تكاثر بالانقسام . وهنا حار العلماء فى أمر هذا المخلوق الصغير . هل الأوّل الذى انقسم الى اثنين قد مات وهذان الاثنان ابناه وهذا الرأى



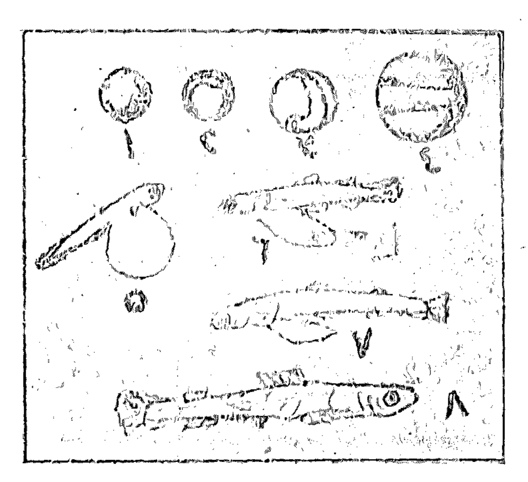
(شكل ٢ – رسم التناسل فى الاميبا)

خطأ لأنا لم نرهنا إلا حياة . فهنا واحد حى ثم رأينا نصفيه كل نصف منهما صار واحدا . فهل الواحد هما الاثنان وهذا لايعقل أم هما ابناه . واذا كانا ابنيه فأين هو وأين جثته . إن جثته هى جثتهما . وكيف يكون الأب عين الابن . وكيف كان الواحد اثنين . هذه المشكلة أشبع الكلام عليها اللورد (افبرى) وقال ان هذا الحيوان خالد إذ لاموت فهى حياة متكاثرة لاموت فيها فربما عاش هذا الحيوان آلاف الآلاف . واذا انتهت المقدّمة فلأبدأ بالكلام على السمك فأقول (شكل ٣)



(شكل ٣ – رسم المبيض فى السمك)

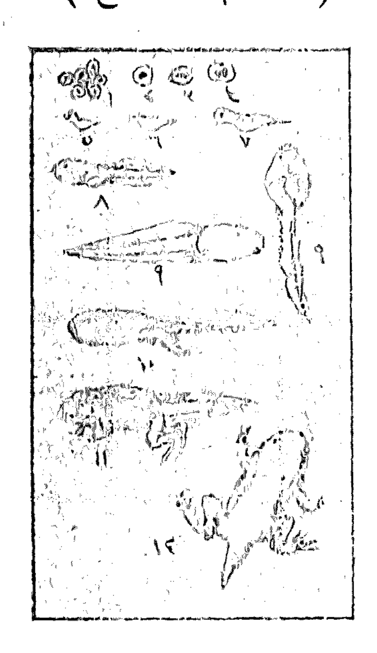
انظر الى حرف (م) فى (شكل ٣) فهو نفس المبيض المسمى بالبطارخ وانظر الى (شكل ٤)



(شكل ٤ ـ الحياة التناسلية فى السمك)

وفى هـذا الشكل (نمرة ١) صورة بيضة السمك ملقحة . وفى (نمرة ٢) صورة البيضة بعد يومين . وفى (نمرة ٣) شكلها بعد أسبوعين . وفى (شكل ٤) صورتها بعد ٢٧ يوما وفى شكل ٥ يبدأ فقس البيضة وفى شكل ٦ يكون عمر الجنين ١٢ يوما وترى الكيس الذى ذكرته لك آنفا معلقا بهـذه السمكة الصغيرة التى لا أم لها ولا أب إلا رحمة الله التى وسعت كل شئ والكيس حرف (ك) وشكل (٧) هو هذا المخلوق بعد ٢٤ يوما من الفقس وشكل ٨ فيه السمكة أصبحت قادرة مستقلة انتهى أمر الكيس

﴿ الكلام على الضفادع ﴾



(شكل ٥ ـ الحياة التناسلية فى الضفادع)

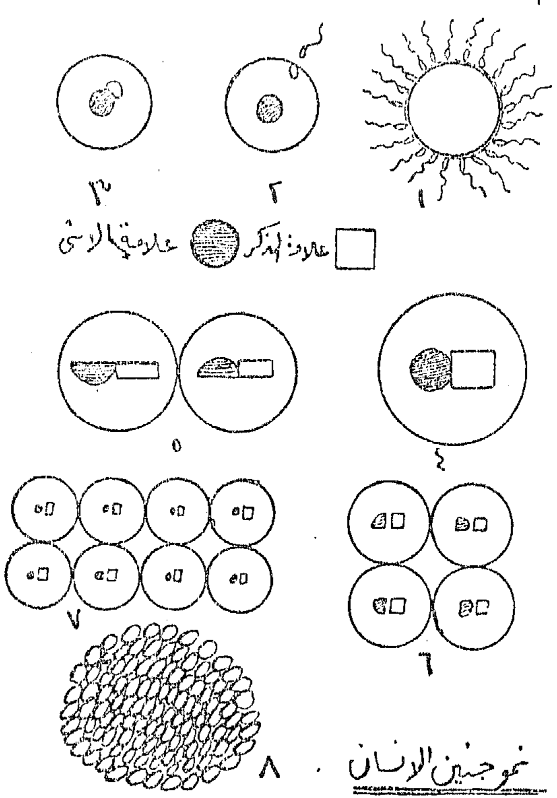
نمرة (١) بويضات الضفدع نمرة (٢) و (٣) و (٤) التطوّرات لهذا البيض قبل الفقس نمرة (٥) و (٦) بعـد الفقس (نمرة ٧) ظهرت فيه زوائد خارجة تسمى (الخيشوم) وهو بالانجليزية (جل) . (نمرة ٨) ظهر فيها الفم (نمرة ٩) المنظر الجانبى (نمرة ١٠) ظهرت فيه الأعضاء الخلفية (نمرة ١١) حاله قبل تغير شكله (نمرة ١٢) طوره الثانى قبل التغير ثم يتم شكل الضفدع . انتهى

﴿ الدجاج ﴾

قد تقدّم شرحه اجمالا

﴿ الانسان ﴾

وهنا بيت القصيد . اعلم أن الانسان فى تناسله أمره عجيب . وهاك رسم صورة النموّ فى الرحم (شكل ٦)



(شكل ٦ ـ رسم صورة نموّ الجنين فى الرحم منقول من كتاب ﴿ التناسل فى النبات والحيوان والانسان ﴾ وهكذا الشكلان قبله فى هذا المقام)

اذا تأمّلت الزهرة المرسومة فى سورة (الأنعام) وجدت هناك الاسديات التى فى الزهرة منتهية بكرة صغيرة تسمى (الانثير) والانثير هناك هو الحامل للطلع ليفيض على عضو التأنيث الخ ماتقدّم . فهكذا هنا هذا الانثير يقوم مقامه (الخصية) فى الانسان والمبيض فى عضو التأنيث الذى فى أسفل الزهر يقوم مقامه فى الانسان مبيضان للمرأة والرحم . فكل مبيض من المبيضين فى المرأة يفرز البويضة كما تقدّم فى السمك والطير والنبات وهذه البيضة تمرّ فى قناة وتصل الى الرحم فتبقى فيه فاذا وصلت الحيوانات التى فى منى الرجل الى ذلك الرحم فانها تقابل البيضة هناك وهذه الحيوانات تجتهد جميعها أن تصل الى تلك البيضة وأخيرا يهجم عليها واحد منها ويدخل فيها . وهذا هو الالقاح . وهذه البيضة هى مبدأ الجنين الانسانى كما فى بذرة النبات وجنين السمك و بيضة الدجاجة . وترى فى (نمرة ٢) صورة حيوان من تلك الحيوانات المنوية اخترق البيضة وصورة (نمرة ٣) تمثل تمام الالقاح وصورة (نمرة ٤) تمثل البويضة بعد التلقيح قد كبرت وابتدأت البويضة فى الانقسام وصورة (٥) تمثلها ذات ﴿ علامتين * احداهما ﴾ مربعة للعناصر المذكرة التى تدخل فى تكوين الجنين ﴿ والثانية ﴾ مستديرة وهى عناصر الأنثى والجنين يكون منهما معا (٦) انقسمت فيه البيضة أربعة أقسام (٧) انقسمت فيه ثمانية أقسام ولايزال الانقسام والتكاثر الذى يصحبه ظهور الأطراف والأعضاء الخارجية والداخلية حتى يتمّ الخلق . فلما سمع صاحبى ذلك قال هذه مناظر يظهر انها من أصول الحكمة . ان هذا الوضع واختلاف أساليب التناسل يعطى علما جما . فهل تفيض فى ذلك بعض الافاضة . فقلت نعم سأبحث ههنا

(١) فى هــذه العجائب، ولمن خلقت أوّلا و بالذات، ولمن خلقت بالتبع أى من الذى يراد أن يفهمها ومن هم الذين دون الفاهمين
(٢) وفى أن كتاب هذه العجائب كتاب كتبه الله بيده صريح لايحتاج الى تأويل
(٣) وفى الموازنة بين جنين المرأة والدجاجة من جهة و بين جنين السمك والضفادع من جهة أخرى ثم بين جنين المرأة وجنين الدجاجة ولم كبرت بيضة الثانية وصغرت بيضة الأولى
(٤) وفى تسارع الحيوانية المنوية من الرجل الى اقتحام بيضة الأنثى وسبق واحد منها اليها وأن أشراف نوع الانسان بالحكمة هم الأقاوون
(٥) وفى عملية الانقسام فى جنين المرأة والابداع فى نظامها والكلام على ما ابتدعه الحكيم الهندى صصة بن داهر (٦) وفى الوحدة العامّة فى التناسل
(٧) وفى المقصود من هذا الوجود أهو الشهوة أم هو الأعلى منها
(٨) وفى أن مرتبة علماء الطب والتشريح والنبات فى هذا المقام كمرتبة علماء النحو والصرف بالنسبة لعلماء البلاغة (٩) وأن الأقوى الأكمل وان كان قليلا أشرف من الأكثر اذا كان ضعيفا
(١٠) وأن الانسان فى هذه الأرض أشبه بالمسجونين المعذّبين
(١١) وذكر آيات من القرآن على هذه العجائب
فهذه إحدى عشرة مسألة أفصلها لك تفصيلا إن شاء الله فأقول

(١) ﴿ الفصل الأوّل . لمن خلق الله هذه العجائب ﴾

إن الناس والحيوان والنبات قدفصلت أجسامهم ونظمت أعضاؤهم وهم جميعا يتمتعون بثمرات هذا النظام إن أكثر الناس لايمتازون عن الحيوان فى فهم هذا الوجود فليس يهمّ أكثر أهل الأرض من الذرّية إلا أن يتشرف بهم ويكونوا عونا له فى حياته وذكرا له بعد مماته . هذا ما يدور بخلد جماهير نوع الانسان . أما ان نظام الأجنة عند السمك يغاير نظامها عند المرأة والدجاجة وأن هنا عجائب وعجائب . فهذا مما لامحصل له ولافائدة لهعندهم بل المفكر فى هذا لايحتاج الى ولد له خاصة وزوجة بل ذلك علم عام فى تشريح الأجسام عامّة ونظامها . واذا كنا نسمع (طيماوس) فى كلامه مع (سقراط) فى المحاورة المسماة (طيماوس) التى ألفها (أفلاطون) فى الطبيعيات على هيئة محاورة بين (سقراط) و (طيماوس) الذى هو من حكماء (الفيثاغورسيين)

أقول اذا رأينا (طيماوس) يقول فى خلق البصر ﴿ ان البصر نار جعله الله فى داخل العين فمن تلاقيه بالنار التى فى الخارج يتولد الابصار ﴾ و بسط القول فى مدح البصر و بيان منافعه فقال ﴿ إن فائدة البصر على ما أرى انه لولم تكن لنا القدرة على ادراك الشمس والكواكب لم نتمكن من الكلام عن السماء والعالم إذ من مراقبة اليوم والليلة وتحوّل الأشهر والأعوام حصل لنا العلم بالأعداد والشعور بالزمان وحدث فينا الشوق الى معرفة الطبيعة والعالم فمنه نشأت الفلسفة وهى أنفس ما أنعم الله به على الناس ﴾

أقول . اذا كان هذا رأى (طيماوس) الذى ألقاه الى (سقراط) فى خلق العين وحكمته . أفلايحق لنا أن نقول فى حكمة خلق الأجنة فى الأرحام وفى البيض وفى الماء مختلفات أن ذلك الاختلاف يقصد به تعويدنا على النظر والفكر لنجتهد فى استخلاص الحكمة من هذه المناظر الحسية الجنينية التى هى أشبه بالحدائق الناضرة كما سأوضحه هنا فانك ترى أن (طيماوس) لم يبال بالمنافع المادّية الشخصية فى العين ولم يهتمّ إلا بجمال الحكمة والعلم فى سير الشمس والقمر والنجوم . فالمقصود بهذه العجائب التى سأبينها لك انما هم طائفة المفكرين فى نوع الانسان وهم قليل جدّا ومن عداهم فليس لهم وزن ولم يقصدوا بل هم متممون لنظام الوجود وليس يعطى الله هذه الدروس و يبدع هذا النظام إلا لأفئدة تهتزّ طربا لما ستسمعه الآن . فمن فرح

بما سأقول فى ذلك فهو من المقصودين بهذا المجال ومن لم يحركه العود وأوتاره والربيع وأزهاره فهو فاسد المزاج يحتاج الى العلاج . انتهى

(٢) ﴿ الفصل الثانى ﴾

أما ان هذه العجائب كتاب كتبه الله بيده فهذا يفهم بما سأذكره فى الفصل الثالث ومابعده

(٣) ﴿ الفصل الثالث فى الموازنة بين جنين المرأة والدجاجة من وجه و بين جنين السمك والضفادع من جهة أخرى ثم بين جنين الدجاجة والمرأة ﴾

علم الله ضعف الانسانية وعلم أن زماننا ستكون المادّة غالبة عليه فأبرز هذه الأعاجيب فى زماننا لندرسها ونشرحها فنستفيد جمالا فى عقولنا كما استفدنا قوى فى أجسامنا وحياة فى مدننا . أبدع الله أمر الأجنة ونوّعها وقال لنا هذا كتابى فاقرؤه وتبينوا أمره . هذا بيض السمك والضفادع قد جعلت رحمه الماء فما على السمك إلا أن يبيض وهكذا الضفادع وعلىّ أنا أن أحفظ الأجنة فى ذلك الماء البارد . فأنا لا يثنينى عن عملى حرّ ولا برد لأنى مقتدر . فاذا ظنّ الناس أن الحرارة شرط لازم لنموّ الأجنة كما فى حمل النساء و بيض الدجاج . فهاأناذا جعلت الماء البارد رحما برحمتى للسمك وللضفادع . ولئن ظنّ الناس أن التقاء الأنثى والذكر أمر حتم لتربية الأجنة . فهاأناذا قد علمت السمك طريقا آخر فالتقى البيضان ولم يلتق الزوجان . ولئن ظنّ ظانّ أن تربية الجنين الذى يحتاج الى الحرارة لابد له من البقاء فى الرحم . فهاأناذا أمرت الدجاجة والحمامة وسائر الطيور فألقت بيضها وحضنته ـ إنّ ربى لطيف لما يشاء ـ وكأنّ الله يقول أنا انما أريد النسل واست أسلك له سبيلا واحدا بل أسلك طرقا مختلفة . هكذا فلتفعلوا فلتكن لعقولكم مذاهب فى أعمالكم واياكم والتقليد فاذا قلدتم فى العمل ربطتم أنفسكم بطريق خاص فأنتم كعباد الأصنام . أنا انما أبنت لكم ذلك لتعلموا أن فوق كل ذى علم عليم . فمن لم ير إلا السمك والضفادع فرضا ظنّ أن طريقهما لا سبيل الى تغييره . ومن لم ير إلا الدجاج فرضا أو النساء وقف عقله عندهما . فقال صاحبى . لماذا رأينا بيضة الدجاجة كبيرة و بيضة المرأة لا تكاد ترى والقياس يقتضى العكس وكان مقتضى القياس أن تكبر بيضة جنين المرأة فتكون كالبطيخة أو تصغر بيضة الدجاجة حتى تكون كذرة لا ترى ولا تحسّ . فقلت ان المرأة قد تكفلت بتغذية ولدها فالجنين حين يبدأ فى نموّه يتصل بسطح الرحم الداخلى فيصله الغذاء بواسطة الشرايين الرحمية وهى تحمل له الدم . و بالجملة ان للجنين دورة دموية تبتدأ من شرايين الحائط الرحمى وتتصل بشرايين الجنين وتنتهى بأوردة الجنين التى تصبّ فى أوردة حائط الرحم . ومتى تمّ نموّ الجنين وولد الطفل صار غنيا عن التغذى بدم أمّه فيجب إذن قطع العلاقة الدموية بينهما والعلاقة بينهما هو حبل طويل (الحبل السرى) وهو حبل يبدأ من سرة الجنين و ينتهى بقرص متصل بحائط الرحم الداخلى وهو (المشيمة) فبعد الولادة يربط ذلك الحبل بجوار سرة الطفل . فهذه التغذية هى التى منعت أن تكبر بيضة الجنين الانسانى . أما الدجاجة فليس من شأنها أن يتصل دمها بجنينها بل هو منفصل عنها فى البيضة فاقتضت حكمة الحكيم أن يجعل مافى البيضة من الغذاء كافيا للفرخ فى البيضة بحيث يكون مقدرا بمقدار قوته ونموّه حتى يقدر على نقر قشرة البيضة فيخرج بنفسه كما ان الأمم المقهورة لا تعطى الاستقلال إلا اذا قدرت على طرد أعدائها من بلادها بقوتها وكسر السور الحديدى المضروب عليها من أعدائها . ذلك قوله تعالى ـ وكل شئ عنده بمقدار ـ وقوله ـ وما كنا عن الخلق غافلين ـ وقوله ـ وأحصى كل شئ عددا ـ وآيات الوزن والميزان وهكذا مما نذكره من الايات فى أمثال هذا

ونظير هذا شجر الجميز وشجر البطيخ فثمر الجميز صغير مع ضخامة الشجر وثمر البطيخ كبير مع ضعف الشجرة فانظر للعجب . صغرت ثمرة الجميز لأنها مرتفعة ولو كانت كبيرة فسقطت لأضرت بأجسام الناس ولتلفت هى

لذلك خلقت صغيرة . وشجرة البطيخ ضعيفة وساقها مملوء ماء فهو لايقدر على حمل البطيخة فحملتها الأرض بدل الشجرة فلم يضر كبرها . الله أكبر . جل الله وجل العلم . هاهوذا كتاب الله الذى كتبه بيده قبل أن ينزل الكتب السماوية . خلقنا الله وقال لنا ادرسوه . فهاأنا ذا أدرس مع الدارسين . فيا الله أنت أفهمتنا هذا الصنع وعرفنا لماذا كبرت بيضة الدجاجة وصغرت فلم تر بيضة جنين المرأة وفهمنا اختلاف الثمار كبرا وصغرا مع أن القياس كان يقتضى غير ذلك . فلمافهمنا الحكمة ثلجت صدورنا . ولكن الذى علمناه قليل جدا . فأما مالانعلمه فهوجميع أحوال هذه الدنيا . هذا غنى وهذا فقير وقصير وطويل وجميل وقبيح وعالم وجاهل وذكى وبليد وهكذا من المتناقضات التى لم ندرك حلها . ولكنك لما أفهمتنا هذا القليل أدركنا حسن نظامك وابتهجنا به وعرفنا انك أنت خبأت الحكمة عنا فى هذه الامورالجزئية وبالذى فهمناه نعرف معنى الرضى ونقرأ - يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية - والنفس لاترضى إلا اذا أدركت أمثال هذه المعانى التى يرمز لها قصة الخضر وموسى عليهما السلام وخرق الخضر للسفينة وقتل الغلام واقامة الحائط . إن الذين يفرحون بهذا النظام الذى ذكرناه هم أكابر الأمم والحكماء وهم هم الذين لهم زينت هذه البدائع والمحاسن وأحبوا مبدعها واشتاقوا اليه وفهموا الحديث ﴿ من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ﴾ وكيف يحب لقاءه إلا اذا عرف انه حكيم حكمته تامة . وكيف تعرف الحكمة إلا بأمثال هذا والعامة تكفيهم قصة الخضر وموسى المتقدمة . ولا يكون المرء سعيدا عند موته مشتاقا للقاء ربه إلا اذا افعم قلبه بهذه الحكمة . وأذكر مثلا نبيا عظيما وفيلسوفا قديما لتدرك أيها الأخ أن الخواص من هذا النوع الانسانى هم الذين يحبون لقاء ربهم . فهاك (سقراط) كان يتبسم وهو يشرب السم ومات وهو مستبشر وهذا نبينا محمد ﷺ قال عند النزع ﴿ اللهم الرفيق الأعلى ﴾ وقال ﴿ إن للموت لسكرات ﴾ وسكرات الانبياء والأولياء والتابعين لهم سكرات الفرح والطرب بلقاء ذلك الحكيم الذى ألقى الحكمة والعلم على قلوبهم أما الفلاسفة الالهيون فذلك شئ جاء عندهم بالعقل لا بالوحى والحمد لله رب العالمين

﴿ الفصل الرابع فى مسارعة الحيوانات المنوية المفرزة من الرجل الى اقتحام بيضة الأنثى وسبق واحد منها اليها وان أشرف نوع الانسان هم الأقلون ﴾

سارعت الحيوانات المفرزة من عضو الرجل وكلها تريد اقتحام البيضة فلم يفز إلا واحد كما شاهدته فى الشكل المتقدم . يظهر لى أن هذا الوجود على هذا المنوال كله حيوانات عددها كثير طلبت الغاية وهى أن تلقح البيضة لتصير إنسانا فأفلح واحد ورجع الباقى . هذا رمز لما فى عالمنا . فكما ان رئيس الجمهورية أو الملك فى الأمة واحد . وكما ان أنبغ المحامين والصناع آحاد يعدون على الأصابع . هكذا أولئك الأفراد الذين زين لهم نظام هذا الوجود هم قليل تمر الأجيال تلو الأجيال والناس يغدون ويروحون وهم جميعا أشبه بالحيوان لايدرون من هذا الوجود إلا أنهم يشبهون الحيوان فى حياته وهم لايذكرون . ولايعقل أمثال ما نذكره الآن إلا أفراد نسبتهم الى هذا المجموع الجاهل كنسبة ذلك الحيوان المنوى الذى لقح البويضة فى رحم الأنثى الى جموع المتسابقين معه الى دخولها فى الرحم كما رأيت وهذه الطائفة هى التى قال الله فيها - إلا من رحم ربك - وهم خلاصة خلقه وسواهم همج

ما الناس سوى قوم عرفوا * وسواهم همج الهمج

﴿ الفصل الخامس فى عملية الانقسام فى الجنين فى الرحم والابداع فى نظامه والكلام على ما ابتدعه الحكيم الهندى صصة ابن داهر ﴾

فقال صاحبى وما للجنين فى بطن أمه ولقضية صصة ابن داهر وما المناسبة بينهما . فقلت المناسبة تامة فاسمع القصص ثم انظر المشابهة فتجد نظام الحساب البديع فى حساب بيوت الشطرنج هونفس الحساب الذى روعى فى خلق الجنين وفى خلق الحيوانات الدنيئة التى تتكاثر بطريق الانقسام . قال فما قصة هذا الحكيم

فقلت يحكى أن صصة بن داهر الحكيم الهندى لما اخترع الشطرنج وأعجب الملك باختراعه قال له تمنّ ما تريد فقال أتمنى أن تضع حبة قمح فى البيت الأوّل و٢ فى الثانى و٤ فى الثالث و٨ فى الرابع و١٦ فى الخامس وهكذا الى ٦٤ فسخر الملك من هذا التمنى وظنّ أنه يكفيه قدح من القمح فلامه على ذلك وقال أتسخر منى فقال الحكيم انى تفكرت فلم أجد فى منزلى برا فتمنيت هذا ولكنى أتمنى على الملك أن يأمر بضبط الحساب فأمر الملك بذلك فأخبر أن مابخزائنه وماعلى الأرض من القمح لا يكفى ذلك فقال الملك تمنيك أعجب من اختراعك

ثم إن هذه المسألة تحلّ بطرق أسهلها (اللوغارتمان) من علم الحساب وهما جداول خاصة يعرف بها الحساب من طريق قوى العدد المضاعفة ويليها أن يحسب الحب الى أن يصل الى جزء من قدح مثلا ثم يضاعف الى تمامه . فهذه البيوت التى فى الشطرنج التى هى (٦٤) قد استنفدت قمح الدنيا وأضعافه كما هو موضح فى كتابى ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ وهذا نص مافيه

تأمّل فيما هو أرقى من ذلك وهى مسألة الشطرنج والأخذ فيها بطريق التضعيف الى ٦٤ عينا . فكيف كانت حبة القمح بالتضعيف تصل الى مقدار مالا يمكن تحصيله من مخازن الدنيا وذلك أن القمح بالتضعيف فى بيوت الشطرنج يصل الى ١٨٤٤٦٧٤٤٠٧٣٧٠٩٥٥١٦١٦ الى أن قلت فيه ان مسألة التضعيف لها قاعدة غريبة وهى أن كل عدد مضاعف فيها يكون جميع المضاعفات قبله اذا جمعت تساوى مافوقه إلا واحدا وتوضيحه أن ثمانية ضعف أربعة واذا جمعت ٢ و٤ و١ كانت ٧ وتضعيف ٨ هو ١٦ فاذا جمعت ٨ على ماقبلها بلغ ١٥ وهو أقل من ١٦ بواحد . وكيفية حسابه أن يكون البيت الأوّل (١) والثانى (٢) والثالث (٤) والرابع (٨) فاذا بلغ ١٦ بيتا كان البيت قدحا وهو (٣٢٧٦٨) حبة واذا بلغ (٢٠) بيتا صار ١٦ قدحا وهو (الويبة) والأردب ست ويبات واذا وصل التضعيف ٤٠ صار مخزنا كبيرا وهوشونة وهى ٢/١ ١٧٤٧٦٢ أردبا . فاذا بلغ (٥٠) بيتا صار مدينة وهى (١٠٢٤) مخزنا (شونة) فاذا بلغ (٦٤) صار (١٦٣٨٤) مدينة وهذا النظم يجمع هذا كله

* إن رمت تضعيف شطرنج بجملته *

وَاوَا هَهْ طَمْجَزْ تَمْ زَسْ دَدَحا

١٨٤٤ ٦٧ ٤٤٠ ٧٣٧٠٩ ٥٥ ١٦١٦

وهنا جاء فى الكتاب أن هذه المسألة يسهلها عمل (اللوغارتم) المشهور فى علم الحساب ولكن ذكرها فى التفسير يصعب فهمه فلذلك تركناه . هذا وقد نقلت فى كتاب ﴿ بهجة العلوم ﴾ فى الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم الحديثة عن أستاذنا المرحوم على باشا مبارك فى كتابه ﴿ خواص الأعداد ﴾ وهو الارثماطيقى ملخصا منه مانصه ﴿ إنه بعمل الحساب فى هذه المسألة نرى أن الحد الرابع والستين من المتوالية الهندسية التى أساسها (٢) وحدّها الأوّل الواحد هو (٨٠٨ر٧٥٨ر٥٤٧ر٣٦٨ر٧٢٠ر٢٣٣ر٩٢) ومن هذه المتوالية التى أساسها (٢) وحدّها الأوّل (١) يكون مجموع الحدود محصورا فى ضعف الحدّ الأخير مطروحا منه واحد وحينئذ عدد الحب من صنف القمح الذى يفى حق المخترع كان هذا العدد وهو نفس العدد الذى قدّمته . ولما كان الرطل الواحد من القمح المتوسط الحبة والتنشيف يحتوى على (٠٠ر١٢٨) حبة تقريبا و بضرب هذا العدد فى متوسط محصول الفدان وهو (١٢٠٠) رطل من القمح يحصل (٠٠٠ر٣٦٠ر١٥) وهو مقدار مافى الفدان من حب القمح و بقسمة عدد الحبّ على هذا المقدار ينتج (٨٨٤ر٤٠٨ر١١٢ر١٩٠ر١) وهو عدد الفدادين المطلوبة لتحصيل القمح المذكور فى سنة وهو قريب من ثمانية أمثال سطح الكرة الأرضية بتمامه لأن سطح الأرض (٠٠٠ر١٧٦ر٨٨٢ر١٤٨) فدانا

وأما ما اعتبره (والين) فهو خلاف ذلك الاعتبار فانه على مقتضى حسابه رأى كمية القمح الذى يلزم

للوفاء بقدر صبرة مساحتها تسعة أميال انكليزية طولا وعرضا وارتفاعا﴾ وقال غيرهما ﴿إن هذا القمح لاينتجه إلازرع أرض مساحتها (٤٧٤ر٨٨١ر٩٣٤ر٣٦٨) هكتارا . وليست مساحة يابس الكرة الأرضية إلا جزأ من ثمانية وعشرين من هذا القدر المذكور أى (٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر١٣) هكتارا (الهكتار من مقاييس المساحة قدر عشرة آلاف متر مربع) وعليه يلزم للوفاء بمطلوب الحكيم أن يزرع هذا المقدار ثمانية وعشرين عاما . هذا اذا فرضنا أن جميع اليابس صالح للزرع . أما ان اعتبرنا الحقيقة وهى أن أكثره غير صالح (ومعلوم أن البحار ٧ من ١٠ من سطح الأرض وهى لاتزرع قمحا فضلا عن أودية وجبال ورمال كثيرة) ثبت لدينا اننا محتاجون الى قرون كثيرة لوفائه﴾ اهـ

هذا ماتقلته ملخصا فى كتاب ﴿بهجة العلوم﴾ المذكور محررا . فاعجب أيها الذكى كل العجب من مسألة المتوالية الهندسية التى دخلت فى نظام الموسيقى كما تقدم فى سورة (مريم) بحيث كانت دواوين الغناء ١٦—٣٢ وهكذا الى تمام العشرة وكانت نتائجها سرور الناس والتئامهم وتعليمهم بقبول وانشراح وكيف كانت خلقة الجنين على هذه القاعدة بل خلق كل نبات وحيوان وكيف كان أمر القمح مع بيوت الشطرنج انتهى الى مقادير تعجز أرضنا عن انتاجها فى قرون كثيرة . إذن هذا العدد سر الوجود واذن نفهم غرام (سقراط) بعلوم الرياضة وقوله ﴿إن التوغل فيها يمرّن النفس على الحقائق و يقربها من عالم الملائكة ومن الله وقد أمر بها الحكام وضباط الجيوش وحض حكام المدينة على الازدياد من علوم الرياضة أكثر مما حض الجنود﴾ وهكذا نفهم قول فيثاغورس ﴿ان أصل هذا العالم العدد﴾ وهذا هو بعض السر فى أن الله أقسم بالشفع والوتر إذ قال — والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر — فالفجر وتر والليالى العشر شفع وهما مثالان للشفع والوتر العام ومسألة المتوالية الهندسية التى نحن بصددها كلها شفع ولكن مبدؤها الوتر فكل شفع رجع الى الوتر كما ان العالم راجع لله . ولاجرم أن فى ذكر الفجر رمزا للواحد وفى ذكر العدد الزوجى بعده وهى الليالى العشر رمزا لكل عدد زوجى وهوهنا (٢) وماتضاعف منها . انتهى

﴿حكاية مسامرة﴾

يحكى أن عبد الملك بن مروان أرسل الى ملك الروم وفدا فيهم الشعبى فلما دخل عليه قال له ملك الروم ﴿لماذا أيها الاستاذ يقول علماء الدين ان الله واحد ليس قبله شئ ومنه جميع هذا الوجود فهل تضرب لنا مثلا لذلك مما نعرفه فى الدنيا . فقال نعم الله كالواحد فى الأعداد ومنه كان هذا العالم كله وليس قبل الواحد شئ فقال أحسنت﴾ ثم قال الملك ﴿يقول علماء الدين ان نعيم الجنة لاينقص مهما أخذ منه الناس فهل لذلك نظير قال نعم السراج توقد منها آلاف السرج ولاينقص نوره﴾ ثم قال له أيضا ﴿كيف تقولون ان أهل الجنة يأكلون و يشربون ولايبولون ولايتغوّطون فهل لهذا نظير فقال نعم الجنين فى بطن أمه لو بال أوتغوّط فى رحمها لماتت . فقال له عجبت للمسلمين كيف جهلوا أمرك فلم يجعلوك ملكا عليهم﴾

فلما رجع الوفد الى عبد الملك ودخل عليه الشعبى قال له عبد الملك أيها الاستاذ يقول لك ملك الروم عجبت كيف جهل قدرك المسلمون فلم يجعلوك ملكا عليهم فقال نعم قال لى ذلك لأنه لم يرك ولكن لورآك لحقرنى فقال له أتدرى ياشعبى لم قالها فقال الملك أعلم فقال انه حسدنى عليك فأراد أن أقتلك فلما بلغ هذا القول ملك الروم قال والله ماعدا قوله مافى نفسى لقد تفطن لها وعجب من ذلك العجب . انتهى والحمد لله رب العالمين .

ولنرجع الى موضوعنا ونقول . انظر الآن فى نظام الجنين واعجب لجمال وحساب بيضة قسمت ٢ ثم ٤ ثم ٨ ثم ١٦ وهكذا . فكيف بها اذا وصلت ٦٤ كقمح ذلك الحكيم . هذا انقسام مستمر فيظن من يراه أنه ليس وراء الانقسام وحسابه شئ اذا هناك عظام مفصلات ورأس ومخ وقلب وكبد وأحشاء مختلفة كما سترى

رسمه

رسمه قريبا أى رسم المعدة والامعاء و بعض الأعضاء الأخرى . فانظر الى أعضاء تبلغ ٢٤٨ عضوا مفصلات بمقاييس لواختلت قليلا لم تكن الحياة ولولم يراع فى الرجلين مفاصل الركبتين ولا فى الأصابع مفاصلها ولا فى الأيدى مرافقها لم يتم نظام الحياة . كل ذلك تمّ وفصل مع مراعاة ذلك الحساب الذى يرجع الى المتوالية الهندسية التى فيها حاصل ضرب الطرفين يساوى حاصل ضرب الوسطين مثل (١ و٢ و٤) ومثل (٢ و٤ و٨) ومثل (٤ و ٨ و١٦) ومثل (٨ و ١٦ و٣٢) وهكذا الى مالانهاية له وأيضا اذا جمعنا حدود هذه المتوالية فان كل مجموع منها يساوى العدد الذى بعده ناقصا واحدا مثل أن تقول (١و٢) يساوى (٤) إلا واحدا و(١و٢ و ٤) يساوى (٨) إلا واحدا ومثل (١ و٢ و ٤ و ٨ و١٦) يساوى (٣٢) إلا واحدا وهكذا الى مالايتناهى ثم ان الجموع تكون هكذا بالفرد وهذا علمه واسع أفرد بالتآليف . إن الله تعالى أبدعنا وخلقنا بهذا الحساب ليفهمنا قوله ــ إنّ الله سريع الحساب ــ و بقية الآيات مثل ــ قل لوكان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ــ الخ وكأنه يقول لنا اذا كنتم دهشتم لأمر الحكيم الهندى وعجبتم من أمر حسابه فى هذه المتوالية فكيف اذا رأيتم هذا الحساب مصحوبا بخلق العين وطبقاتها السبع ورطوباتها الثلاث المشروحة فى سورة (آل عمران) مصوّرة موضحة ومصحوبا بخلق الأذن وخلق المخ وخلق الادراك وخلق الحواس الباطنة والظاهرة . إن حساب المتوالية الهندسية التى احتاجت الى علم (اللوغارتم) عندكم لم تصدّنى عن احكام أجسامكم ونظام أعضائكم الباطنة والظاهرة ــ إنّ الله سريع الحساب ــ انتهى

﴿ الفصل السادس فى الوحدة العامّة فى التناسل ﴾

إن من تأمّل هذا العالم يجد أساو به ونظامه واحدا . وهذا دليل الوحدانية لأننا نجد الأسلوب لايتغير من حيث أصله وانما يتغير بشكله فلقد رأينا تناسل النبات و بيضه لايختلف عن تناسل الحيوان والانسان فكلها ذات بيض وكلها ذات ذكور واناث وهذا معنى قوله تعالى ــ ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون * ففرّوا الى الله ــ وانما نفرّ الى الله لأننا عرفنا الوحدة وأدركنا ما السبب فى حسن هذا النظام فنرى وحدة ونرى الوحدة مصحوبة بالكثرة الجميلة الموزونة التى يصح أن يقال بجمعها نظام حسن . فهذا الجمال وهذا الابداع المفرح الذى رأيته يجعل النفس فى شوق الى المبدع فتحبه فتودّ لقاءه بالموت بعد أن تعلم انها أدّت ما عليها فى هذه الأرض لأبناء نوعها

﴿ ذكر (طيماوس) الحكيم ورأيه فى هذه الدنيا ﴾

قد ذكرت لك سابقا (طيماوس) الحكيم الذى جعل (أفلاطون) المحاورة على لسانه وعلى لسان (سقراط) قال طيماوس ﴿ اتخذ الله صورة الحيوان المطلق المشتمل على صورة سائر الحيوان وعلى هذا فان العالم حيوان عاقل مرئى يتناول سائر الحيوانات ﴾ ثم ذكر تكوين جسد هذا الحيوان من العناصر المعروفة عندهم وهى الأربعة المعلومة وأن العالم صار كرة ثم ذكر تكوين نفس العالم من العقل والمادّة وشئ مشترك بينهما . ثم ذكر أن الله لا يصح أن نقول فيه إنه فى زمان لأن الأيام والليالى لم تكن قبل خلق الليل والنهار فالله أوجدها عند تركيبه السماء وماهى إلا أجزاء الزمان الماضى والمستقبل والحال . فاذن نقول الله موجود لاغير . وأما الزمان فهو بالنسبة لنا نحن وسيأتى لهذا القول بقية فى هذا المقام عند المناسبة الآتية . وليس قصدى من ذكر هذه المسألة من كلام (طيماوس) إلا أن ترى أن ماتبدّى لنا نحن فى زماننا هـذا من أن الوحدة فى التناسل دات على وحدة النظام قد لحظها قبلنا حكماء وقالوا إن العالم كله حيوان واحد كأنه جسم انسان أوحيوان و يشير لذلك قوله تعالى ــ ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ــ وهذه الآية مجرّد اشارة

﴿ الفصل السابع فى المقصود من هذا الوجود أهى الشهوة أم العقل ﴾

لقد استبان لنا فى هذا المقام أن السمك لايتصل ذكره بأنثاه فلالقاء بينهما وانما اللقاح يحصل ولاتعارف

بين الذكر والأنثى . وإنما أرانا الله هذه الصورة فى الوجود ليضرب نظامنا الحالى كلها ضربة فاصلة . يقول لنا أيها الناس أنتم تعلمون أن الزواج والولادة على هذا النسق قد شغلكم عن النظام العام والحكمة . ولقد أنزلت لكم شرائع تعلمكم عقد الزواج والمعاشرة والنفقة والمحبة بين الزوجين وأمرتكم بالمودّة وألقيت المحبة فى قلوبكم فربيتم البنين والبنات وحكوماتكم تساعدكم على هذا ونظام أسراتكم كله مبنى على هذه القاعدة فلا أسرة إلا على هذه الروابط ولا دولة ولا حكومة إلا على هذا البناء . فلولا هذا البناء لاختلّ نظام حياتكم كلها . هذا ما علمتموه فى نظامى الذى وضعته لكم . ولكنى أقول لكم هذا النظام ليس كل شئ بل هو نظام اقتضاه مزاجكم فى أجسامكم ولكن الحياة فى غير بنى آدم لا تتوقف على هذا . فها هو ذا السمك تناسل وألقح بيضه وملأ البحر بالسمك ولا علم للزوجين بما تناسل منهما . إذن هذه التى عندكم صورة من صور الحياة ودور من أدوارها والحياة مداها واسع وطرقها لانهاية لها كما أنى لانهاية لى فأنا المبدع الحكيم والدليل على ذلك انى يوم القيامة أحلّ هذه الروابط وأضع نسبكم وأرفع نسبى — لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم — وإنما أفصل بينكم لأجعل الأشكال منضمة الى أشكالها فقد يكون الابن والزوجة على خلاف أخلاق الزوج فيبعدان عنه . وها هو ذا السمك يشهد بذلك . فإياكم أن تظنوا أن الأمر قاصر على ما ترون واذكروا امرأة نوح وامرأة لوط فى القرآن فى سورة (التحريم) . إذن ليس المقصود من هذا الوجود هو الشهوات وما الشهوات إلا وسائل جىء بها للتوصل بها الى التناسل والحياة ومتى جاء الغرض منها لم يبق لها فائدة وما لا فائدة فيه نزعناه من ملكنا كما ننزع الشهوة من الرجل الكبير والمرأة العجوز لأنه لا يقدر أن يربى الطفل وهى كذلك فنزعنا منهما ما يضرّهما وأبقيناهما الى حين . واعتبروا أيها الناس بأمر الأبوين فهما يجتمعان للشهوة أوّلا حتى اذا جاء الولد اجتمعا عليه ولا يزال حنوّهما يبتعد عن جسميهما الى عاطفتهما نحو الولد حتى تضمر الشهوة البهيمية وتحلّ محلها الشفقة والرحمة والمشاركة فى تربية الذرّية . هنالك تجلت العواطف الشريفة والأنوار المنيفة وأدرك العقلاء أن تلك الشهوة انما كانت وسيلة وأخذت تضعف وحلّ محلها حب أرقى وأشرف وهو حبّ جيل يرجع الى المشاركة المنزلية والعواطف الأبوية وهذا هو الذى خلق له الناس . خلقوا للعطف والمشاركة والمحبة العامّة التى تظهر جلية فى الذرّية وتتعدّاها الى جميع نوع الانسان ويكونون بعد الأمّة كأنهم جسم واحد أو روح واحدة بالاتفاق فى الصفات والأخلاق . ولا يتمّ ذلك إلا بأن ينزع ما فى صدورهم من غلّ . كل هذا نفهمه من مسألة التناسل التى نحن بصدد الكلام عليها

﴿ الفصل الثامن فى أن مرتبة علماء الطب والتشريح والنبات فى هذا المقام كرتبة علماء النحو والصرف بالنسبة لعلماء البلاغة ﴾

اعلم أن هذه الجملة تقدّم نظيرها فى أوائل سورة (آل عمران) ذلك أن عالم التشريح وعالم الطب ينظران الى هذه الأعضاء نظرا ماديا فهما لا يعنيهما ما نقول فى أمثال هذا المقام لأن هذا ليس محط نظرهما ولو أن الطبيب ذكر ما أقوله الآن لم يكن ذلك بصفته طبيبا . كلا . وإنما بصفة انه من علماء الفلسفة العامة والفلسفة علم والطب علم آخر وان كان بينهما علاقة ولكن علاقة الطب بالفلسفة علاقة الفرع بالأصل بل علاقة الفرع الصغير بفرع كبير من الشجرة فان الطب يتعلق بجسم الانسان من حيث يصح و يمرض والفلسفة تبحث عن كل موجود من انسان وغير انسان فالأطباء والمشرحون وعلماء النبات يقرؤن هذه العلوم لما هم بصدده كما يقرأ علماء النحو قواعده ولكن نظام العالم كله هو الذى يظهر فيه الجمال مثل ما ذكرنا فى نظام التناسل كما يظهر ذلك فى الشعر والنظم فى اللغات . فالعالم شعر جميل والقول مقال جميل والبحث فى النحو وفى التشريح والنبات غير الانشاء وغير النظام العام فى العالم

اذا علمت ذلك فهمت كيف رأينا فى زماننا كثيرا من دراسى هذه العلوم ملحدين فهذا سرّه فليس ذلك

لنقص علمهم بالطب والزراعة بل ذلك لجهلهم الفلسفة وعلم الحكمة فاما انهم ليسوا أهلا لها واما انهم لم يجدوا من يعلمهم واما لأن الشهوات أحاطت بهم فأصبحوا جاهلين وهؤلاء لابد منهم لنظام الأمّة وهكذا سائر الصناع والزراع ورجال الحكومات والملوك وهؤلاء جميعا ليسوا هم المقصودين من هذا النظام وانما المقصود هم الحكماء الذين يفرحون بهذا النظام و يعقلونه والذين يكونون ـ عند مليك مقتدر ـ

﴿ الفصل التاسع فى أن الأقوى الأكمل وان كان قليلا أشرف من الأكثر اذا كان ضعيفا ﴾

ذلك ماشاهدناه فى السمك والضفادع والناموس والذباب والحشرات تلد مالاحصر له وكلما ارتقى الحيوان قل نسله والانسان والآساد أقل نسلا من بقية ذوات الأربع وهى أقلّ من سائر الحشرات إذن هنا قاعدة وهى أن كثرة النسل لاتدل على الكمال وأيضا نسل الانسان وان كان قليلا أفضل من الآلاف المؤلفة من نسل غيره والجيش القليل المنظم أفضل من الكثير الذى لانظام له قال تعالى ـ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ـ الخ

﴿ الفصل العاشر ﴾

إن الحشرات والحيوانات الذرّية الفاتكة بالانسان ملأت السهل والجبل والعلوم التى ارتقت بها الأمم عجزت عن إبادة هذه الذرّية الفاتكة بنا المحدثة لأمراضنا فما مثل هذا الانسان إلا كمثل المسجونين المحكوم عليهم بالاعدام فى بلاد ايطاليا فالفاتكون فى ايطاليا لايحكم عليهم بالاعدام كلا بل يوضعون فى سجون مقفلة يصب فيها ماء ومع المجرم دلو يملؤها منه ايزيح الماء حتى لايغرقه ولايزال هكذا ساعات فى النهار متوالية محافظة على حياته فاذا طغى الماء عليه وأغرقه هلك . وانما عمدوا الى هذا لأنهم رأوا أن الموت راحة فأرادوا أن يموت معذّبا . هذا عمل أهل ايطاليا بالمجرمين

أقول . ان هذا الانسان لما خلقه الله فى الأرض رأى بعدله وحكمته أن يعامله هذه المعاملة فاننا رأينا تناسل الحيوان الضار والحيوانات الذرّية قد غلب على الانسان وعلومه وأضرّت الحشرات بقطننا فى مصر و بقطن أمريكا والعلوم لم تساعدنا على إبادتها . وهناك أمراض تحدث كل يوم بالحيوانات الذرية ونحن نجد فى قطع دابرها وهى تتكاثر علينا كذلك المجرم الطلياني . فانظر لجال يحيط بنا من كل جانب فى السموات والأرض وعذاب واصب دائم وأجسام تذوب منا كل سبع سنين مرة وتتجدد للعذاب بعد أن نضجت فحال جسم الانسان فى الأرض أشبه بمن نضجت جلودهم فى جهنم فيبدلون جلودا غيرها وكأن الأرض جهنم الصغرى . ولذلك تسمع الامام الغزالى يقول ﴿ ان جسم الانسان مثل جهنم وله أبواب سبعة كأبوابها ﴾ و يقول الله تعالى ـ ولاتعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذّبهم بها فى الدنيا ـ

إذن نحن الآن فى حال تشبه حال جهنم من بعض الوجوه . فياليت شعرى لم هذا العذاب . فهل كنا فى عالم غير هذا وأذنبنا هكذا يزعم فريق من القدماء من المبتدعة . أما ابن سينا فقد نفى هذا فى الاشارات وقال هذا تناسخ ومنع التناسخ عقلا كما منعه الدين نقلا فاذا كان ديننا وفيلسوفنا لايقولان بالتناسخ فلنرفضه ولنرجع الى ما كان الحكماء قديما يتلمسونه لنظامنا الحالى من الحكم وليس ذلك لنعتقد كلامهم . كلا فنحن كما قدمنا أيقنا بأن الله حكيم و يرى أن هذا اسعاد لنا كما ان صغر البيضة المنوية فى الأنثى من بنى آدم وكبرها فى الدجاجة لم يدلا على حقارة الانسان وعظمة الدجاجة . فالنظام العدل هو القائم فى هذا العالم وقد علمنا منه الكليات وجهلنا الجزئيات فقسناها عليها فهاك ماذكره (أفلاطون) فى رسالة (طيماوس) المتقدمة من تركيب السموات وقد تخيل أن الله خاطبها هى والكواكب والملائكة الموكلة بها قائلا انكم لافساد يلحقكم وسأخلق مخلوقات فيها شعاع من نورى فاجعلوا الجزء الميت مع الجزء الذى هو من نورى أى المادى مع الجزء الالهى وهى الروح ثم ركبت الأجسام البشرية على هذا النحو ثم قال بعد ذلك ﴿ خلق الله الأرواح البشرية من

العناصر التى ركب منها نفس العالم الكلية إلا أنها دونها فى الصفاء والكمال ثم جعل الأرواح فى الكواكب فمنها ماجعله فى الأرض ومنها ماجعله فى القمر ومنها ماجعله فى الكواكب الأخرى فأوقفها على نظام العالم وعلى الترتيب الذى اقتضته حكمته و بين لها أن لجميعها أصلا واحدا لافرق بين روح وروح لكى لاتتظلم من عدم المساواة بينها ثم شرح لها أنها عنداقترانها بالأبدان انما يلحقها التأثير من الحواس ومايتبعه من الشهوة والغضب والخوف فمن قهرها يعيش مستقيما ومن يذعن لها يكون مفقود العدالة ومن انتفع بحياته لاصلاح ضميره انما يرجع كوكبه المختص به فيبقى فيه سعيدا ومن قصر فى ذلك فقد يصير أنثى فى حياة ثانية فاذا دام على الشر فيصير حيوانا على شكل ما اعتاده فى حياته من أنواع الخطأ فلايزال يموت و ينتقل من بدن الى بدن الى أن يرجع الى الصلاح و يسخر مافيه من العناصر و يجعلها منقادة لرئاسة عقله ﴾

هذا كلام طيماوس لسقراط الذى ألفه (أفلاطون) واياك أن تظن أن هذا الرأى كان مبرهنا عليه عندهم كلا . فكما نقول نحن فى ديننا إنه لاتناسخ وهم يقولون أيضا ان هذا فرض فرضوه لاغير . والدليل على ذلك ماقاله فى نفس هذه الرسالة قبل ذلك . قال طيماوس انى ياسقراط غيرقادر أن أشرح لك فعل الملائكة باذن الله ومنشأ الوجود شرحا شافيا متصلا فى جميع أجزائه والأولى أن تقنع بكلامى اذا كان مشبها وأن لاتنسى أن كلا منا المتكلم والسامع من أبناء البشر فلابد لنا أن نقنع فى هذا الموضوع بما هو أشبه ولانطلب مافوق ذلك اه

فعلى هذا يكون هذا القول الذى ذكره ومايضاهيه من أقوال البراهمة فى الهند كله أمر فرضى . فأما ديننا الاسلامى فتعجب من أمره . فهذا المقال فيه ﴿ أمران * الأول ﴾ انهم فرضوا أن الله خاطب أرواحنا قبل حلولها فى أبداننا وهذا أمر عجيب فان هذا الفرض هوالذى جاء بتحقيقه الوحى فكأن العقول البشرية استشفت من وراء حجاب علوما محجوبة عنها وهذه معجزة عظيمة تفسر قوله تعالى ــ بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ــ فهذه آيات فى صدور علماء الأمم قبل مجىء الاسلام ويكون ذلك حقيقة حاصلة لامجازا وهذا جاء به الوحى . إذن ظواهر الآية من خطاب الله لأرواحنا الذى جاء به الوحى قد جاءت به الفلسفة هذا هو الأمر الأول ﴿ الأمر الثانى ﴾ وهو التناسخ . ماهو إلا فرض افترضوه كما عرفته من كلامهم وانما أوردت لك هذا القول لأريك أن الأمم قديما بحثوا هذا الموضوع وفكروا فى أصل خلقنا ولماذا خلقنا ــ ولكل درجات مما عملوا ــ وأصل المقام فى أن الانسان فى الدنيا كالمعاقبين على ذنوب والله يقول لنا ــ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ــ وهذا كاف واف

وأما مسألة الكواكب وسكناها فأمرها مجهول وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة (آل عمران) فى مسألة الجنة والنار وأن الجنة فى السموات والنار ليست فى السموات فارجع اليه ان شئت وهل هى مسكونة إن العقل لايمنع سكنى الكواكب بل هو يؤيدها ولكن لادليل عليه . واذا نظرنا الى بيض السمك و بيض الدجاج والمرأة فى التناسل نستنتج أن الحياة لاتتوقف على حال خاصة . فكما أن بيض السمك يفرخ فى الماء وهو بارد و بيض الأنثى والدجاجة لايفرخ إلا وهو مستدفئ أى ان الحياة تحصل فى الضدين . هكذا القول ان الكواكب التى يخالف جوّها وأحوالها جوّ أرضنا وأحوالها لامانع يمنع من وجود حياة فيها مخالفة لحياتنا هنا لاختلاف البيئة والوسط وتعطيل الكواكب يخالف الحكمة فهذا يرجح سكنى الكواكب ولكن من يسكنها وكيف يسكنونها . كل هذا مجهول قديما وحديثا

فلما سمع صاحبى ذلك قال ان محصل ماذكرت فى هذا الفصل يرجع الى التماس معرفة الحقائق فى مسألة الخير والشر للانسان وأن فريقا يقول ان ذلك لذنوب سبقت من أرواحنا فى عالم قبل هذا وقد منعه ديننا وفلاسفتنا وأن (طيماوس) يقول انا خالفنا أوامر الله التى أمر أرواحنا بها واتبعنا اضلال الحواس والشهوات وان كنا فى أصل فطر أرواحنا متحدين منسوبين للنور الالهى وان كنا أقل من أرواح العوالم العلوية .

و يقول

ويقول (طيماوس) إن عذابنا على ضلالنا يكون بالرجوع الى أجسام منحطة وانك تسلم بمخاطبة الله لأرواحنا لوروده فى الدين ولاتسلم بهذا التناسخ الذى جعلوه هم فرضا لادليل عليه . هذا محصل ما قلته فهل تتذكر قولا للقدماء غير هذا . فقلت نعم سيأتى فى سورة (الأنبياء) عند قوله تعالى ــ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون ــ أن دين قدماء الفرس تضمنه ﴿كتاب الاوستاوزند﴾ ومعنى هذا (المتن والشرح) ويسميه الافرنج (الزندافستا) وهوكتاب منظوم يقال انه كان فيه ألف ألف بيت من نظم (زردشست) وفقد أكثره فى أيام الاسكندر ثم جمع ذلك الأكثر بعد ذلك . هذا الكتاب ألفه (زردشست) المذكور بالرى بالقرب من طهران قبل المسيح بنحوستمائة سنة وقيل قبل المسيح باثنى عشر قرنا أى قبل أن وصل قدماء الفرس الى (ايران) وهذا كلام محققى الافرنج . فهذه الديانة كما ستراه هناك كانت تقول فى أصل الدين كما يقول الاسلام فالاسلام يقول ــ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ــ فالشر والخير مقرونان فى الاسلام فان نلنا خيرا شكرنا وان أصابنا شر صبرنا فالخير للاقتدار على فعل الخير والشر لتعليمنا خلق الصبر وقوّة النفس . هذا ملخص ما فى الاسلام . هكذا دين قدماء الفرس يقولون ان الله واحد ويمقتون عبادة الأصنام ويقولون ان الله عنده ﴿مبدآن﴾ مبدأ الخير ومبدأ الشر وكل واحد منهما ملازم للآخر وهذا معنى المحيى المميت كالنور والظلمة وهكذا . فمبدأ الخير اسمه (أهورامزدا) أى الروح الحكيم أوالجواد ثم قيل (هرمزد) والثانى (انفرومابنيوس) أى العقل المظلم ثم صار (اهرمان) فهذه تعاليم (زردشست) قبل أن يرتحلوا الى بلاد (ايران) ويختلطوا بالمجوس الذين أدخلوا الفساد فى دينهم . فهذان المبدآن بعد أن كانا فعلين من فعل الله الواحد فى دين (زردشست) صارا إلهين مختلفين إله الخير وإله الشر فصار الفرس من الثنوية بعد أن كانوا موحدين وهما إلهان دأبهما الخصام فهذا يعطى المطر والخصب وهذا يرسل القحط والهوام والحشرات والشوك . ثم قلت إذن مسألة كثرة النسل قد جرت الى نسل الحشرات والحيوانات الضرّية وهذه جرت الى مسألة الخير والشر ويرجع شر (طيماوس) الى حواسنا وشهواتنا ودين قدماء الفرس (قبل انتقالهم الى ايران) الى أنه تقدير الله المحيى المميت والمحدثون من الفرس المخالطون للمجوس يقولون ﴿إن للخير إلها وللشر إلها﴾ انتهى الفصل العاشر

﴿ الفصل الحادى عشر ﴾

فى ذكر آيات من القرآن تناسب هذا المقال وقد تقدّم ذكر آيات كثيرة فى فصول متفرّقة فلانعيدها انتهى يوم الجمعة ١٧ نوفبر سنة ١٩٢٨

﴿ الجوهرة الثانية فى نظام نموّ الحشرات ﴾

وقبل أن أغادر هذا المقام اللذيذ والعلم الجميل والحكمة البارعة فى نظام النموّ فى أجنة النبات والسمك والاناث من نوع الانسان لايسعنى إلاأن أريك أيها الذكى أجل حكمة وأبهج علم فى نموّ الحشرات تلك العوالم التى عدّها العلماء بمئات الالوف ولايزالون يكشفون منها أنواعا جديدة . تلك العوالم البديعة التى جعلها الله محيطة بنا لندرسها فمنها ماهو مؤذ لنا كالذباب والناموس والبق وهكذا ومنها ماهو نافع كالنحل ودود القز وهذا صورته (شكل ٧)



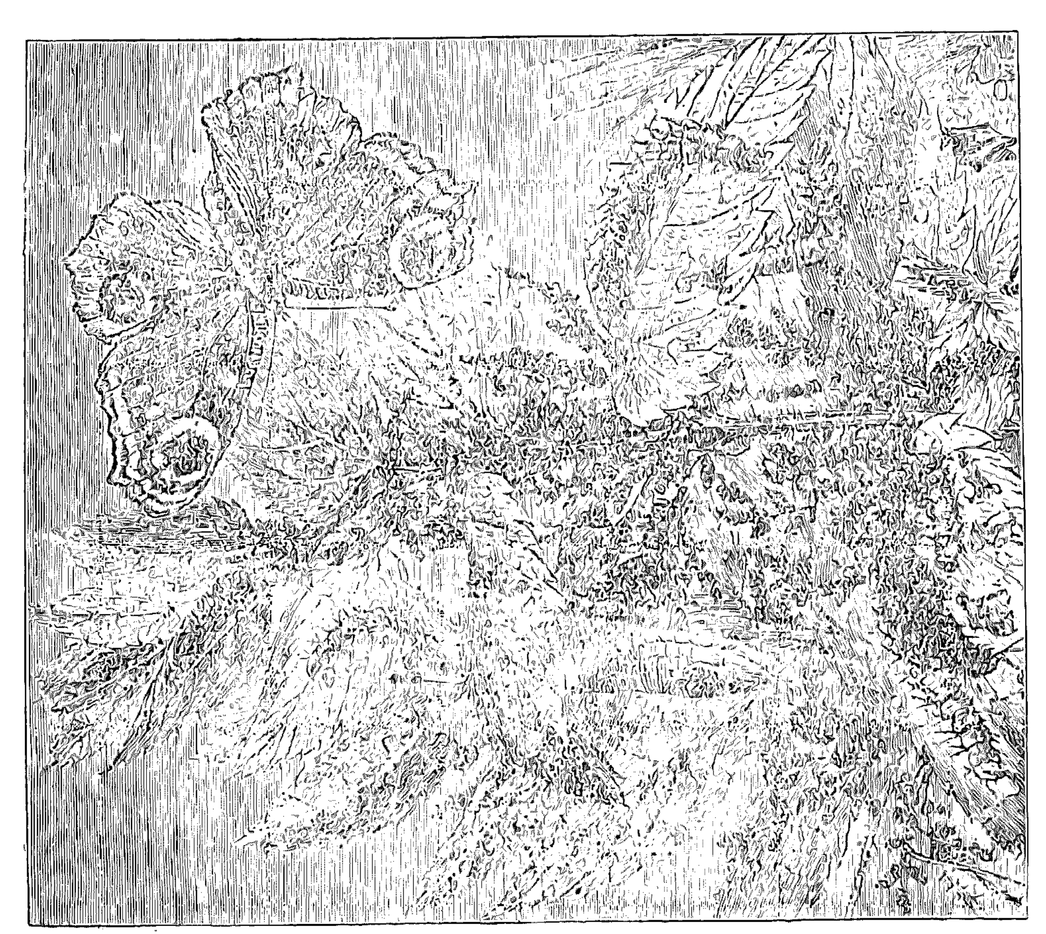
(شكل ٧ ـ صورة دودة الحرير وفيلجتها (كرة الحرير) والحشرة التامّة التى خرجت من الفيلجة)

أيها الذكى . أنا لست الآن فى مقام دراسة هذه الحشرة كأن أقول مثلا إن هذه الدودة التى أمامك منها فى هذه الصورة اثنتان تأكلان ورق التوت أصلها من بيض صغير جدّا مستدير مجوّف الوسط وله قشر صلب وهو سماوى اللون كثير العدد فان حشرة الحرير التى ترى أمامك فى الصورة منها اثنتين أيضا تبيض من ٤٠٠ الى ٥٠٠ بيضة وتجعلها فى صفوف منتظمة قبل أن تموت . هذا أمر ربما أنت كنت قرأته فى المدارس فلأزيدك به علما وأنت تعرف أن هذا البيض لايفرخ إلا عند اشتداد الحرارة فى آخر شهر مارس أوأوّل ابريل فبعد أيام قليلة ترى دودة الحرير تحاول الخروج من البيضة فيقدّم لها ورق التوت الذى أمامك فترعاه وتنمو ثم ان لونها أوّلا يكون أسود ثم يصير سماويا ثم يصير كالقشدة وتبلغ فى الطول خمسة سنتمترات واذ ذاك تصير نهمة على الأكل ومتى تمّ نموّها يظهر عليها انها تعبت من الأكل فتأخذ تزحف ببطء ويكون حلق جسمها مقطعا وجلدها ناعم وفى جانبيها بقع سود ولها أرجل زوجية كثيرة العدد وأكبر أقسام جلدها قرب الرأس وهو منتفخ وجلدها يسقط أربع مرات ويلتف ومتى سقط المرة الأخيرة تبتدئ الدودة فى غزلها وحالها إذ ذاك تخالف حالها حين خرجت من البيضة والحرير عبارة عن مادّة سائلة تخرج من رأسها ومتى لامست الهواء صلبت وتدوم على هذا النسج من ثلاثة أيام الى خمسة وهناك يتم الفيلج وشكله البيضى الذى ترى أمامك فى الصورة اثنتين منه وترى فى داخل كل فيلجة مايسمى (العذراء) أو يسمى (الدودة الحمراء) ومتى نامت تلك الدودة فى الفيلجة أسبوعين تخرج فراشة قشدية اللون ذات أربعة أجنحة كما تشاهدها فى الصورة أمامك وقرنين شعريين وجسم غليظ عند الأنثى وهو دقيق عند الذكر وتمكث قليلا حتى تلقح الأنثى ثم

(١٣)

تموت

تموت . هذا هو تاريخ حشرة (دودة الحرير) فأولا تكون بيضة ثم دودة ثم تنام فى كرة من الحرير وهى الفيلجة ثم تكون حشرة تامّة تبيض ثم تموت ثم يعيد البيض مافعله آباؤه مدى الدهر . أنا أقول لك أيها الذكي انى لست فى مقام أن أكتب هذا وان كنت كتبته واضحا لأن كثيرا من الناس قرؤا هذا فى مدارسهم وترى التلاميذ يشاهدون هذا فى صغرهم ويربون تلك الحشرة . هذا معنى قولى إنى لست فى مقام هذا التاريخ وانما الذى سقت له هذا القول أن أوازن مابين نموّ الحشرات ونموّ الاجنة فى بطون الاناث من بنى آدم ونموّ أجنة السمك الذى تقدّم ذكره . هذه بيضة المرأة أمامك قد عرفتها وفهمت شرحها . هكذا اطلعت على نظام أجنة السمك . فانظر للعجب العجاب . بيض السمك أفرخ ولم يتلاق الذكر والانثى عند اللقاح كما علمت بخلاف بيض المرأة والحشرة . بيض السمك بعد الافراخ نجده ترك كيسا من الغذاء لهذا الجنين يتغذى منه حتى يستقل وذلك بقدر ولكن بيضة المرأة لاتحتاج لذلك ويقوم دم الأم بالتغذية وبيض الحشرة المتقدّمة أعطى ورق التوت الذى يحضره الانسان طمعا فى الحرير . فأما حشرة أبى دقيق فان الانسان لبغضه لها لايحضر ورقا بل الورق حاضر مما عندها بلاعمل الانسان وفيلجتها ليست ذات قيمة حريرية بل هى ضيقة جدا وهكذا فيالج بقية الحشرات لذلك أغناها الله بالورق من أى شجر . أما دودة الحرير فجعل لها ورقا خاصا وأكثر لها من الحرير ليعتنى بها الانسان (شكل ٨)



(شكل ٨ - صور التقلبات لحشرة أبى دقيق من خروجها من البيضة الى أن تكون حشرة تامّة)

فاها الحالات الأربع السابقة بيضة فدودة ففيلجة فحشرة تامّة وهكذا كل الحشرات . وهنا نذكر مايقوله العلامة (أندرو ويلسون) فى كتاب «علوم للجميع» يقول بينما نرى دودة الحرير تأكل الورق بشراهة عظيمة نرى الحشرة التامّة قد خرجت مخالفة لتلك المخالفة التامّة فاننا نرى لها جناحين مستقلين وهى نشطة تريد أن

تذوق لذة الحياة الجديدة ونسيت الأولى نسيانا تاما . وهكذا اذا نظرنا للصور التى تقلبت فيها حشرة أبى دقيق فاننا نرى انها وهى دودة قد أكبت على الأكل بشراهة ولما سمنت نامت ثم نسجت فيلجة ثم خرجت ذات جناحين وفم غير الفم الأول . الفم الأول كان يمزق الورق تمزيقا والفم الثانى خلق مناسبا كل المناسبة لاستخراج ذلك الكنز الثمين والمخزن المكنون فى الزهرات وهو العسل الذى تمتصه فهى تطير من زهرة الى زهرة لتجتنى العسل الرحيق ولما كانت دودة كانت تزحف على الشجر والورق وكان جسمها مساعدا لذلك مناسبا له اهـ

هذا مقال العلامة الافرنجى فى ذلك الكتاب . وها أنا ذا قد جاء دورى فى القول ولكن بطريق غير ماذكرته أوّلا فأقول . ألا حيا الله العلم وأنار ربوعه . هذه حشرة أبى دقيق وحشرة الحرير . فانظر كيف كانت حشرة أبى دقيق مثلا على الأرض دودة . هذه الدودة تزحف على الشجر والورق . ألست تراها كالانسان الآن . ألست ترى أن الانسان جهول وجهول . انظر ماسبق فى آخر سورة (الكهف) من أن الانسان الحالى ينتظر ارتقاؤه آلاف الآلاف أضعاف ارتقائه الآن . الانسان الآن كدودة حشرة أبى دقيق ثم انظر . ألست تراهم على الأرض شرهين يحارب بعضهم بعضا . هذا هو الشره الذى تمثله حشرة أبى دقيق أولست ترى انه ربما يجئ له يوم وربما كان قريبا تسكن شراهته كما سكنت شراهتها وهى نائمة فى الفيلجة ثم يرقى الانسان ارتقاء عاليا كما خرجت الحشرة من الفيلجة فصارت خلقا آخر . أقول ربما كان ذلك وان هذا الانسان تتغير أطواره ويصبح الناس اخوانا فى جوّ الحرية والجمال فى هذه الدار . ربما كان ذلك ويكون هذا الزمان المسمى زمان نزول المسيح . وهنا ﴿ نظرة أخرى ﴾ الانسان فى الحياة جماع مناع وذنوبه تبنى عليه حجابا كثيفا كما قال تعالى — كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون — وهذا الحجاب كالفيلجة فمن الناس من يخرجون مما حبست فيه عقولهم ومنهم من لايخرجون فيزجون فى عوالم جهنم ويمثل لهذا موت الفراشة فى الفيلجة . وأيضا هذه الدروس ترينا أن الانسان حرىّ به ألا يقف على حال إلا طلب أعلى منها وأن الأمم الأرضية ليس مقضيا عليها بحال واحدة فربما يعقب الذلّ عزّ والاستعباد حرية كما ترى فى حشرة أبى دقيق وترينا أن التربية الذرية تكون فى كل شئ بحسبه ومن العجب أن يدخل الغزل والنسج فى تربية الحشرات ولايدخل فى نموّ الانسان والسمك وغيرهما . إن الانسان عليه الجدّ كما جدّت دودة أبى دقيق إن الانسان اليوم فى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . فالعمل بعد العلم الذى مبدؤه مجرّد الايمان هو الذى يخرج الانسان من دور الطفولة الى دور الرجال وتواصوا بالحق فى عملهم والصبر عليه . فالصبر هو الذى يرفع الانسان الى أعلى الدرجات كما رفعت الحشرات الى درجة الطيران فى الهواء

﴿ فائدة ﴾

يقال ان ماينسجه دود القز على نفسه من الخيط يبلغ (٣٠٠) مترا . وقد ألغز بعض الشعراء فى دودة (القز) فقال مايأتى من الأبيات

و بيضة تحضن فى يومين * حتى اذا دبت على رجلين
واستبدلت بلونها لونين * حاكت لها خبأ بلانيرين
بلا سماء وبلا بابين * تثقبه من بعد ليلتين
فخرجت مكحولة العينين * قد صبغت بالنقش حاجبين
قصيرة ضئيلة الجنبين * كأنها قد قطعت نصفين
لها جناح سابغ البردين * مانبتا إلا لقرب الحين
* إن الردى كحل لكل عين *

انتهى من ﴿ علم الدين ﴾

﴿ الجوهرة الثالثة فى صناعات الحيوان وحكوماته وجمهورياته وتقليدالانسان له فى ذلك كله ﴾

اعلم أن الحيوان خلق قبـل الانسان والانسان مقلد له فى سائر ضروب الأعمال الصناعية والسياسية وهاك البيان

(١) عاشت (الجرذان) تحت الأرض فقلدها الانسان الأوّل فعاش فى الكهوف

(٢) ثم رأى الظباء والمها (١) تعيش فى الأدواح والآجام فقلدها

(٣) ثم رأى النمل تتخذ البيوت فاتخذها

(٤) ثم رأى الحيوان المسمى (الكستور) وهوالمسمى (الجندبادستر) أيضا وهوالذى يبنى بيته بالقرب من شاطئ نهرأو بركة و يتخذ له من أغصان الأشجار جسرا متينا على هيئة سد يمنع عنه قوّة السيل بأن ينضد تلك الأغصان بعضها فوق بعض و يلصق أحـدها بالآخر إلصاقا محكما لاينقصه شئ مما يحتاج اليه من هندسة البناء . فهذا الحيوان رآه الانسان انه كما يبنى بيوته بهذه الهندسة يبنى جسورا وقناطرفصنع مثله

(٥) ثم رأى الدّب الذى فى المنطقة الشمالية من الكرة الأرضية يسافر فى البحر على قطع من الثلج الى حيث يقصد (ا) وهكذا رأى (السنجاب) قوى العزيمة يركب خشبة بهيئة مركب و يرفع ذنبه للريح قائما مقام قلع المركب ومقام (السكان) الذى يسميه العامّة (الدّفة) و يقطع بذلك مجارى الماء (ب) وهكذارأى الطوّاف وهوضرب من ذوات الأصداف يسافرفى البحارفيركب صدفته و يرفع مرساته و ينشرأغشيته للريح شراعا و يسافر من مكان الى مكان ثم اذا فرغ من السفر ألقى مرساته وطوى شراعه واستقرّ فى مكانه كأنه سمع قول الشاعر

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى * كما قرّ عينا بالإياب المسافر

فاما رأى الانسان ذلك تعلم فنّ (الملاحة) من تلك الحيوانات . و يعتبرمثل هذا الحيوان سمكة صغيرة تعرف (بالديمورا) فانهاتتخذ لها أقوى السمك وأصعبه وأعظمه مركبا لها وتسير به حيث شاءت . ذلك أن لكل نوع من السمك عوّامة ممتلئة هواء وهـذه العوّامة بها يسيرحيث شاء فهو يضغطها و ينفخها كما يشاء فيجرى حيث شاء ولكن (الديمورا) لم يعطها الله هـذه العوّامة ولكنه أعطاها مايقوم مقامها وأكثر كما أعطى الانسان عقلا يقوم مقام جلود البهائم وقوّتها الخ فلها فى جانبى رأسـها صمامات مستديرات فى صورة شكل البيض فتى أرادت الانتقال الى جهة تريدها عمدت الى حيوان كبيرمن حيوان البحرأيا كان فتلتصق به بواسطة صماماتها المذكورة فلايمكنه أن يتخلص منها بحال ولايقدر أحـد على فصلها بالقوّة وتسافر به الى حيث ماتشاء وهى تفضل كاب البحر فتسافر عليه وكلب البحرالمذكور طوله عشرة أمتار وفه عظيم جدا يبلغ طول فتحته نحوالثلث من طوله ومحيطه ثلاثة أمتار وقطره متر واحد وجلده غليظ لايؤثر فيه الرصاص و يقطع محيط الكرة الأرضية فى ثلاثين أسبوعا وجميع السمك يخشى بأسه وهو يتبع السفن ليلتقط جثث الموتى . وقد اصطاد أهل (مرسيليا) كلبا منه فرأوافى جوفه سمكا كثيرا ورجلا بثيابه . وهنا نقول لماذا اختصت (الديمورا) بأنها تذلل كاب البحر وغيره فيجرى بها . (الديمورا) كالانسان بالنسبة للحيوان من بعض الوجوه ولقد منعت وأعطيت . منعت العوّامة وأعطيت سلطة بها تذلل غـيرها ليجرى بها . وهنا نقول يظهر أن هذا العالم مبنى على علم وعدل غـيرما تعارفه الناس . الناس تعارفوا أن الانسان لايعمل لغيره إلا بأجر وأين الأجر لكاب البحر لما ذلله (الديمورا) . وفوق ذلك نرى كاب البحر يأكل غـيره . إن نوع الانسان الى الآن لم يقف على جلية الحق . إن الطبيعة المنظمة حولنا فيها قضايا غير التى يعرفها العدل فى الأرض . يظهرأن الحقيقة غير ذلك . ألم تر أن السمك وحيوان البرّ والبحرتتغذى كلها بالهواء و بالماء و بالحشائش بلا مقابل . إذن هولاعمل له وجميع حياته وقواه منحة من صانع هذا العالم للحى . فاذا ذلله لغيره كان له ذلك

(١) المها أى بقرالوحش

لأن الهواء والماء والحشائش والأرض كلها له . فاذا أمر (الديمورا) أن تركب كاب البحر فهذا حق . ويظهر لى أن هذه العوالم تؤلف هيكلا واحدا ونظاما واحدا وحيوانا واحدا . فكل حيوان أونبات عضو منه فليكن بعضه لبعض فداء وهذا درس للانسان . يقول الله له بلسان (الديمورا) وكاب البحر ﴿أنت مخلوق للجميع لالنفسك فان عرفت هذه الحقيقة فبها والافليخضعك الله لغيرك كرها كما أخضع كاب البحر لغيره﴾ - إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا -

(٦) ورأى الثعلب البرى والبحرى والكلب والذئب وابن آوى وسائر السباع حرفتها الصيد ولاتعيش إلا به . وهكذا رأى الدب الأسود والكركى يعيشان من صيد السمك فمن ذلك تعلم الانسان حرفة الصيد

(٧) ورأى (العنكبوت) يصطاد بشبكة كما ستراه فى سورة (العنكبوت) فتعلم الصيد بالشباك

(٨) ورأى بعض السمك له (منشار) و (بلطة) أى سلاح حادّ يشبه الفأس من بعض الوجوه فقلده الانسان فيهما

(٩) ورأى للسرطان درعا يقى جسمه العوارض والمهالك فتعلم صناعة الدروع . وهكذا منه أيضا تعلم صناعة (الملاقيط) و (الكماشات)

(١٠) وأخذ صناعة (احقاق الشوق) عن (الاستريديا) وعن (أم الخلول) كما فى كتاب ﴿علم الدين﴾ لاستاذنا المرحوم على باشا مبارك

(١١) ورأى الخنزير يمدّ خرطومه فيشق الأرض فتعلم منه الانسان حراثة الأرض بالمحراث بل ربما كان استخراج الذهب والفضة من الأرض بسبب تقليد الخنزير

(١٢) ورأى (الهرّة) تتوقى الروائح الكريهة المتصاعدة من الفحم فقلدها

(١٣) ورأى الكلب يتعاطى مسهلا عند انحراف مزاجه فأخذ الطب عنه

(١٤) ولما رأى النمل تجند الجنود وتجهز الجيوش قلدها

(١٥) ولما رأى (اللقلق) يعمل بالمشاورة فى الامور تعلم علم الدواوين وجعل له مجالس للشورى للنوّاب وللشيوخ كما هو مشاهد فى هذا الزمان

(١٦) ولما رأى الغراب كثير الحذر قلده

(١٧) ولما رأى النسناس والكلاب تصاحب الناس اتخذ ملوكهم جلساء لهم وكذا الأمراء والعظماء

(١٨) ولما رأى الناس السباع ذات جرأة وظلم جاروا وظلموا

(١٩) ورأى الخيلاء والكبر فى (النمر) فقلده

(٢٠) ورأى النحل مهندسا يبنى بيته مسدّس الأركان بنظام لاخطأ فيه بحيث يبنى مساكن كثيرة فى فسحة صغيرة بسبب حسن الهندسة والاتقان كما أتقن الله أدمغة الناس وأجسامهم وحسن أشكال أجسامهم فقلد الحيوان فى ذلك

(٢١) ورأى الخلد أعلم العلماء فى معرفة أحوال الطقس فتعلم منه ذلك كبار فلاسفة الأرض (والمتيورولوجيون)

(٢٢) ورأى (السمك الرعاد) قديرا على اظهار مقدار عظيم من الكهرباء فاذا لمسه الانسان ارتعد جسمه واهتزّ اهتزازا عنيفا فقلده

(٢٣) ورأى الأطيار تغنى بغناء مطرب وصوت رخيم عجيب التلحين يشجى القلوب بتغريده ويطرد الأحزان فقلدها

(٢٤) ورأى (فأر الجبل) يبنى بناء متقنا فيجعل بيته على أقبية ويحفر له أقنية ليجرى الماء فيها فقلده حتى قال فرعون - أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون - فيقال له لقد سبقك

بذلك

بذلك (فأرالجبل) . وهكذا رأى الضبّ يبنى بيته فى أجود الأماكن وألطفها هواء فقلدها * قال الشاعر

سقى الله أرضا يعلم الضبّ انها * بعيد عن الآفات طيبة البقل

بنى بيته فيها على رأس كدية * وكل امرئ فى حرفة العيش ذوعقل

(٢٥) ورأى كلب الماء ماهرا فى النجارة والبناية كثير القوّة عظيم الهمة والاقدام فيقطع الأشجار وينشرها ويجعلها ألواحا ثم يبنى بها مدنه على جوانب الماء ويسكنها كأهل مصر وباريس وجميع الأمم المتمدينة الذين تعلموا منه الهمة والنشاط فى ذلك

(٢٦) ورأى من (الزنابير) صناعا تصنع الورق فقلدها

(٢٧) ورأى (دود القز) يغزل فتعلم الغزل

(٢٨) ورأى (دود الربيع) نساجا ينسج خيامه فتعلم منه النسج

(٢٩) و بعض الطيور دقيق الصنعة فى الحياكة فقلده فى ذلك

(٣٠) و بعض الطيور خياط يخيط الأغصان والأوراق و يسكن فيها فقلده فى ذلك

(٣١) ورأى (النمل) تكد وتكدح ليلا ونهارا مع الحكمة فتعلم منها ذلك . ولما كان أمر النمل عجيبا أردت أن أذكر هنا نبذة صالحة عجيبة تاركا ماهو أعجب لما سيأتى فى سورة (النمل)

(النمل فى قريته . هندسة عجيبة)

النمل والنحل كلاهما مثل للغريزة الصادقة التى لاتخطئ فكل منهما يعمل أعمالا غاية فى الدقة والتعقيد فيجيد عمله كأنه يعقل وان لم يكن للعقل أثر فى جميع مايعمله وانما هومسوق بغريزته يؤدّى عمله أداء ميكانيا لايتردّد فيه ولايفكر . وقرية النمل التى يعيش فيها مقسمة طبقات منها ماهو خاص بادّخار الأقوات التى يخرجها أحيانا الى سطح الأرض لكى يجف اذا رآها قد رطبت وأوشكت أن تتعفن . ومنها ماهو خاص بالملكة . وليس لهذه الملكة شئ من سمات الملوكية فانها مثل ملكة النحل مقصور عملها وهمها على البيض فهى تبيض مدى عمرها . وتبلغ عناية النمل بقريته أنه يدفن ما يموت حتى لاينتن جسمه و يوبئ القرية والنمل فى القرية منقسم طبقات فمنه الجنودالتى تختص بالقتال والدفاع عن القرية ومنه الاناث العاملات اللواتى يخرجن لجمع الأقوات و ينظرن فى مصالح القرية من رعاية الصغار واخراجهنّ الى الخلاء لتنفس الهواء النقى ثم العودة بهنّ الى العناية بالقرية والملكة . و يعتبر النمل من عجائب الطبيعة فانها تخص نوعا من الصراصير باختزان العسل فتجبر هذا البعض على أن يعب العسل عبا حتى يتورم جسمه ولايستطيع الحركة و يتركه زمن الشتاء فان أراد أن يشرب ذهب اليه وامتصّ منه قطرة كما يحلب الناس البقر وهو يعتنى ببقره ويهيئ له علفه . ويقول الاستاذ (انفرث) وهو من أساتذة جامعة (مونيخ) وقد اختص فى درس طبائع النمل « ان النمل أحيانا ينغمس فى تناول هذا الشراب حتى يسكر وليس للنمل أجنحة ماعدا الملكة والذكور فانها مجنحة . ويقال ان فى العالم نحو ألف نوع من النمل تعيش فى كل مكان عدا الأصقاع الباردة »

ومما يحكى عن غريزة النمل ماجرّبه بعضهم مع أحد أفراده فانه أخذ نملة من قرية وأبقاهامحبوسة عنده عدّة أشهر ثم ردّها الى القرية مع نملة أخرى غريبة فقتلت النملة الغريبة فى المكان وأذن للنملة الأصلية أن تدخل وذلك مع عدم وجود أى فرق بين الغريبة والأصلية من حيث النوع . وللنمل مايشبه الذكاء والتفاهم فاذا وجدت نملة مقدارا من الغذاء ووجدت أخرى مقدارا كبيرا ذهبت كل منهما الى القرية و بعد برهة تعود الأولى بعدد من النمل وتعود الثانية بعدد أكبر من النمل لحمل الغذاء . وللنمل غزوات يقصدمنها الاسترقاق فانه يغير على القرى المجاورة و يخطف صغار النمل و يربيه فينشأ رقا فى القرية يخدم أسياده الذين يستعبدونه وقد ذكرنا الصراصير التى يختزن النمل فى أجسامها العسل . وهناك المن أيضا الذى يعيش أحيانا على اوراق

القطن والذى يسمى الفلاحون إصابة أقطانهـم به (الندوة العسلية) فان النمل يخطف بيضه ويذهب به الى قريته فيتركه حتى يتفقأ البيض فيقدّم البعض لصغاره حين يكبر ويشرب مايفرزه من العسل . ووقت التلاقح تطير ملكات النمل فاذا تمّ التلاقح عادت الى القرية وتقع جناحاها فلاتخرج بل تبقى تبيض حتى تموت .

(انظر شكل ٩ فى الصفحة التالية)

﴿ قرية النمل وطبقاتها ﴾

(١) باب القرية (٢) نملة تدخل القرية (٣) الحرس لمنع دخول الغريب (٤) أوّل طبقة لراحة العمال فى الصيف (٥) الطبقة الثانية لراحة العمال فى الصيف أيضا (٦) مكان تناول الغذاء (٧) مخزن تدخر فيه الأقوات (٨) ثكنة لجنود النمل (٩) الغرف الملوكية حيث تبيض ملكة النمل (١٠) اسطبل لبقر النمل مع علفه (١١) اسطبل آخر لحلب البقر (١٢) مكان لتفقؤ البيض عن الصغار (١٣) صغار النمل وبيضه (١٤) صغار النمل (١٥) مشتى للنمل وفى اليمين جبانة لدفن من يموت (١٦) مشتى الملكة . انتهى

(٣٢) والنسناس يفعل أفعالا مضحكة فقلده الانسان بمـا يسمى (البهلوان) وهو الذى يجرى أو يرقص فوق الحبل وما أشبه ذلك

(٣٣) ورأى القرد يلعب ويمرح حتى يضحك العبوس ويزيل الحزن فقلده وبنى دورا للألعاب والامور المضحكة وهى (دور التمثيل) المسماة (التياترات)

(٣٤) ورأى فى النمل الأبيض بنائين وملوكا وجنودا فجمع الانسان ذلك كله وزاد عليه كثيرا

(٣٥) ورأى كلاب الماء قد عاشت عيشة المساواة والحرية فقلدها الانسان بحكومة (الجمهورية) كفرنسا وألمانيا وتركيا الحديثة وغيرها

(٣٦) ورأى للنحل وللأرضة كما تقدّم فى سورة (النحل) حكومات فقلدها الانسان كما ترى فى مصر والترك والانجليز والأسبان وما أشبه ذلك

(٣٧) ورأى (الأيائل) الهندية تعيش بهيئة مجالس من الشيوخ يحكمها كحكومة بنى اسرائيل قبل أيام سيدنا سليمان عليه السلام فقلدها

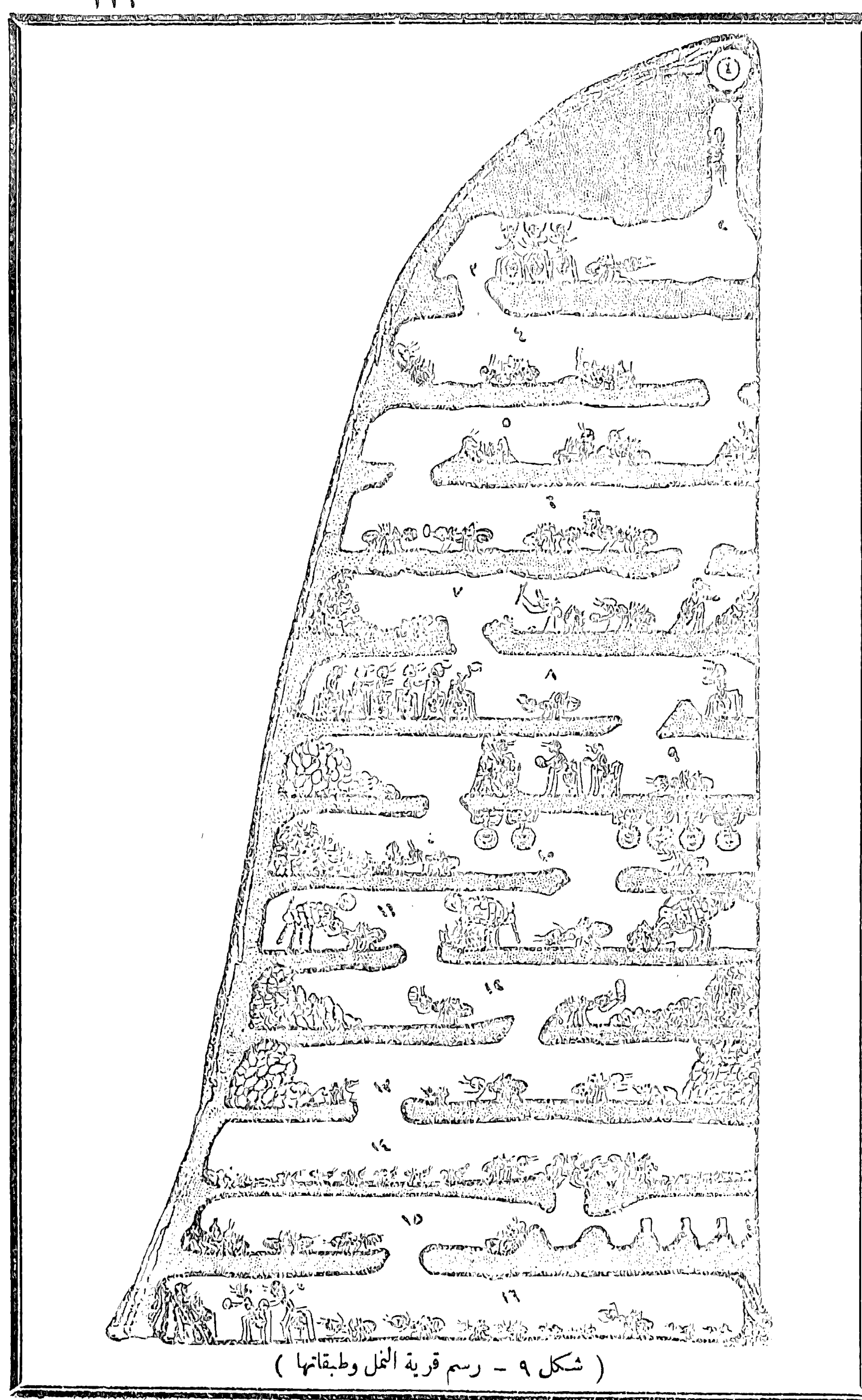
(٣٨) ورأى الأفيال تنقاد للأشراف منها فقلدها الانسان فكانت حكومات الأشراف كما فى جمهورية (أفلاطون) المتقدّمة فى سورة (النحل)

(٣٩) ورأى الخيول البرية تنتخب لنفسها قوّادا منها فتسير أمامها وتهديها فى سيرها وتتسلط عليها فتعلم انتخاب الأعضاء فى المجالس النيابية

(٤٠) ورأى الغنم البرية تقيم عليها كبشا منها يقاتل عنها ويسير فى مقدمتها ويحميها فقلدها فى ضباط جيوشه وفى رؤساء العاملين فى سائر الأعمال . انتهى

فانظر لهذا الجمال فى هذا العالم البهج الجميل ـ فأينما تولوا فثمّ وجه الله إنّ الله واسع عليم ـ وانظر كيف وزّع الله القوى والقدر والأخلاق والصناعات والعلوم على أنواع الحيوان وجمعها فى هذا الانسان وانما جمعها فيه ليدرسها وليفهم قوله تعالى ـ قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ـ فهذا هو الخلق وهذه هى الهداية . فياليت شعرى من أين يعرف المسلمون معنى أمثال هذه الآية إلابدراسة هذه العلوم . اللهم إنك أنت المحمود على نعمة العلم ونعمة الحكمة . اللهم إنك أنت الملهم المعلم وانى أشكرك على ماأنعمت به علىّ ووفقتنى أن أجمع هذه الأربعين خصلة من صناعات وعلوم وسياسات وحكومات مفرّقات فى الحيوان مجتمعات فى الانسان من كتب قيمة حديثة العهد فى هذا الزمان الذى انتشرت فيه بعض أنوارك وظهرت فيه بعض علومك وعجائب صنعك وبعض أسرار كتابك وأن ماكتبته الآن قطرة من بحر من بحور العلم المكنونة

فى



(شكل ٩ - رسم قرية النمل وطبقاتها)

فى غرائز الحيوان ونبذة من العلوم المخبأة تحت كلمات المقدسة فى كتابك . وعلى مقدار ارتقاء العقول فى العلوم يزدادون ارتقاء فى فهم كتابك والحمد لله رب العالمين . انتهى ليلة الأربعاء ٩ مايو سنة ١٩٢٨

﴿ تذكرة ﴾

تقدم فى سورة يوسف وفى سورة المائدة ذكر منافع الطيور وأن الحكومة المصرية منعت صيد طائفة منها وتراها مرسومة فى سورة يوسف وذلك داخل فى قوله تعالى — أعطى كل شئ خلقه ثم هدى — فقد هداها الله لأكل الحشرات لمنفعة الزرع وهدى الناس لمعرفتها . ولقد أصدرت الحكومة المصرية أمرا أثناء طبع هذه الآية بمنع طيور أضعاف مامنعت فى المرة السابقة لأنها اتسعت معلومات رجالها فى ذلك وهاهى ذه

(الطيور النافعة للزراعة)

صدر قرار لمعالى وزير الزراعة المصرية بحسبان الطيور المبينة بعد نافعة للزراعة وتحريم صيدها ومنع اتلاف بيضها وأعشاشها وهى ﴿ القنبرة وعصفور التين وأبو فصاده والقلاق والشعشفوت والجاليل والكروان والسنونو والزرزور والدخلة والزريقة والحسينى والدبح والكركى والوروار والبلشون وأبو قردان وعصفور الجنة والهدهد والبلبل والصفير والخطاف وأبو بليقة وأبو اليسر والزقزاق مطوق والزقزاق البلدى والغراب الزيتوتى وأبو صعر (أبو الحناء) والجيرة والصعو والهزار والقميحة وأم الهوى وزقزاق شامى ﴾ انتهى

﴿ مسامرة فى حديث السحرة مع فرعون إذ قالوا له — إنه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لايموت فيها ولايحيا — الى قوله — وذلك جزاء من تزكى — ﴾

لما وصلت الى هذا المقام حضر صديقى العالم الذى اعتاد أن يناقشنى فى أمثال هذا المقام واطلع على ماتقدم وقال لقد أحسنت صنعا فى الكلام على قوله تعالى — قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى — إذ أبنت أن القرآن يدخل العلوم والحكم فى غضون القصص وتكون تلك هى المقصودة ولكن كيف أبنت تلك المحاورة الموسوية ولم تبين محاورة السحرة مع فرعون . فالمحاورة الأولى قد استبان بها نظام هذه الدنيا فهل من سبيل الى أن تستبين الثانية بطريق مشوق جميل حتى نرى نظام الآخرة بهيئة تسر القلب وتشرح الصدر كما انشرحت صدورنا ببيان المحاورة الأولى وجمال نظام العالم الذى نعيش فيه . فقلت له ان ذلك يتم بذكرى أيام الشباب . فقال ان ذكرى أيام شبابك قد تقدمت مرارا فى هذا التفسير وذكرتها فى كتابك ﴿ التاج المرصع ﴾ واذ كنت تدرس الشجر والحجر والزرع والشمس والقمر وأنت لاعلم عندك وأى علاقة بين هذا و بين أجرام الانسان وجهنم وعمل الصالحات والدرجات العلى فى الجنات . إنى أخال ذكرى شبابك هنا لايكون إلا تكرارا . فقلت لاتكرار فيه فانى سأحدثك حديثا عسى أن يكون شيقا سارا يلذ لى ذكره ومتى كان القائل مبتهجا بالقول ابتهج به السامع . فأما المتكلفون فى أقوالهم وان حسن أسلوبهم بلاقلب حاضر ولاشوق باهرفان القلوب تنفض من حولهم ولا ننتفع الناس بأقوالهم . فأما أنا اليوم فسأعرض عليك ماكنت أجده أيام الشباب فى الحقول وأنا لاعلم لدى ولاهدى ولا كتاب منير إذ كان درسى هذه الدنيا الجميلة بشمسها وقمرها وزرعها وثمرها وكلئها وأنهارها فلأسمعك مايروقك سمعه ويلذ لك وقعه ويكون ذكرى للذاكرين . تلك أيام الثمانية . فقال مامعنى أيام الثمانية . فقلت الثمانية اسم لأرض كان يملك أبى فيها بضعة أفدنة (جمع فدان) وكنت أعمل معه فيها قبل سن البلوغ . ولما دخلت الجامع الأزهر كنت أعمل فى تلك الأرض أيام العطلة الصيفية ونزرع الذرة والقطن ونحوهما وفى تلك الأيام كنت أرى والدى قد اعتراه نوع من الضعف . فهنالك اهتمت النفس ﴿ بأمرين ﴾ أمر الأسرة والاشراف عليها لحفظ كيانها وأمر شغلى بنفسى وجهلها مع النظر العام فى دين الاسلام مع ضعف صحتى وملازمتى للصيام فى بعض الأيام والتهجد ليلا . وههنا بيت القصيد . فلا بين الآن ﴿ مقصدين ﴾ * المقصد الأول ﴾ فوائد الجسم

من

من الأعمال فى الحقول تبيانا لعمل الصالحات فى الآية ﴿ المقصد الثانى ﴾ كيف ضعف جسمى فى باب البحث فى أمر الروح ودرجاتها وانها تكون فى طبقات من الأثير بعد مفارقة هذه الأبدان تبيانا لقوله تعالى ـ فأولئك لهم الدرجات العلى ـ

﴿ المقصد الأوّل ﴾

لقد كنت أعمل فى الحقل وأحسّ بعد الفراغ من العمل براحة ولذّة وسرور وانشراح صدر وكنت إذ ذاك لاعلم لى إلا بكتب النحو وكتب الفقه على مذهب الامام الشافعى فقد تعلمت كتاب ابن عقيل على الألفية وكتاب التحرير فى الفقه على مذهب الامام الشافعى وقليلا من علم التوحيد . وهذا كل العلم الذى تعلمته إذ ذاك من الأزهر . فاذا أتممت عمل الحقل وجلست تحت شجرة آخذ كتاب تفسير الجلالين وأقرأ التفسير وأجتهد أن أستحضر كل ماقرأته فكنت أجد لى فهما لم أعهده فى ذلك الهواء الطلق وتارة كنت فى أثناء ادارة آلة استخراج الماء من النهر أجد نفسى أخذت تفكر فى تفسير ربع من أرباع القرآن فربما قضيت زمنا ليس بالقليل وأنا أستخرج الماء بتلك الآلة ولا أحسّ بتعب من العمل . وبعد الفراغ من العمل أعرض ماجال بفكرى على ماجاء فى التفسير فأجد المطابقة تامّة غالبا فكان ذلك يفرحنى ويشرح صدرى وأذكر انى كنت أغدو وأروح من الحقل الى المنزل ونفسى لاتفتأ تذكر هذا العالم وكيف خلق وكنت أقول هما ﴿ أمران ﴾ إما أن يكون هذا العالم لا أوّل له من نفسه . واما أن يكون الذى لا أوّل له هو الذى خلقه . إذن لابد من واحد منهما يكون قديما . فالقدم لابد منه إما للعالم واما لصانعه . فالقدم إذن من ضروريات هذا الوجود حقا فلاغرابة إذن اذا قلنا ان الله لا أوّل له لأنا اذا لم نصف الله بهذا الوصف وجب أن نصف العالم به اذا قلنا انه لاخالق له . وهكذا من الخواطر التى كانت ترد على النفس صباحا ومساء وطالما كنت أرى فى نومى انى حائر فى أمر الشمس وكيف تكون فى القطبين أيامها ستة أشهر وكذا لياليها وأنا لا أعقل لهذا معنى لأنى كنت أسمع ذلك من بعض قراء الفلك بالطريقة القديمة . هذه كانت رياضة جسمى فى الحقول ويصحبها الفكر الذى لا أقدر على التخلص منه صباحا ومساء ليلا ونهارا . والذى أقصده الآن فى المقصد الأوّل أن أبين صحة جسمى وانشراح صدرى وتوقد قريحتى فى العمل فى الحقل . وما كنت أعمل هذا العمل فى الحقل لأجل الرياضة . كلا . إذ لاعلم لى بأن هناك رياضة مطلوبة . كلا . فلاعلم عندنا بذلك بل كانت عادة أهل بلادى انهم يحقرون العمل ويرون أن الانسان كلما علا مقامه كان أبعد عن العمل فلذلك تجد الأغنياء فى قطرنا يرون العمل حطة قدر فيترفعون عنه ويجلسون فالأغنياء من الرجال والنساء كثيرا ما يصابون بأمراض مزمنة وتعتريهم الأوصاب غالبا ذلك لما وقر فى نفوسهم من أن الكرامة فى عدم العمل وقد كان العامّة من أهل بلادى يعجبون كيف أكون أعلم خلق الله فى نظرهم ولانظير لى فى الاجتهاد فى العلم ثم أتعاطى الفلاحة وأمسك الفأس وأقطع الحشيش وأسقى الزرع . كل ذلك عار ويقولون مثل هذا يجب أن يكون بجانب العمود فى الأزهر وتطلع له جراية ولا يكون فى الحقل . فانظر ماذا جرى . جرى بعد ذلك انى لما رجعت الأزهر ثانيا ودخلت (دار العلوم) وعلمت فى المدارس وقرأت بعض أخبار الأمم علمت مايأتى ﴿ ان أهل الولايات المتحدة يأمرون تلاميذ المدارس انهم أيام العطلة يتوجهون الى القرى فيتعاطون الفلاحة مع الفلاحين . ولما رجع أولئك التلاميذ الى المدارس وازنوا بينهم وبين التلاميذ الذين لم يعملوا زمن البطالة فوجدوا أن أولئك العاملين فى زمن البطالة فى الفلاحة أصحّ أجساما وأحسن أخلاقا وأرقى درجات فى العلوم من أولئك الذين لم يكلفوا بتلك الأعمال ﴾

ثم رأيت أن كبار العلماء يقولون ﴿ ان أعلى الرياضة أن يعمل الانسان فى الحقول والبساتين وأوسطها أن يمشى كل يوم أميالا وأدناها أن يحرّك أعضاءه الحركات التمرينية المسماة الجمباز ﴾ هنالك أخذت أقص على

تلاميذى هذه الأحوال كلها وأنصحهم آخر السنة أن يفعلوا ما كان اتفق لى وأنا مجاور بالجامع الأزهر إذ كنت أعمل فى الحقل وأحس بقوّة عقلية وأخرى جسمية وأذكرهم بأنهم غالبا من أبناء الأغنياء الذين يحبون العمل وكنت أقول هكذا ان هذا العمل يعطى (١) قوّة الجسم (٢) قوّة العقل (٣) انشراح الصدر (٤) النظر فى أنواع النبات (٥) الذكاء والفطنة بالمحاذرة أثناء العمل على أنواع النبات (٦) والبحث عن الضارّ له ثم اتلافه . فذلك كله يجعل للانسان رياضة جسمية وأخرى عقلية (٧) التمتع بالهواء الطلق (٨) التمتع بضوء الشمس وهما الغذا آن اللذان يجهلهما أكثر الناس وان أكثر الناس لا يعملون

هذا مبدأ عمل الصالحات . فالرجل الضعيف الجسم الجالس فى حجرة فاسدة الذى أغمض عينيه عن جمال هذه الأشجار والحشائش والأنهار الساهى اللاهى كيف يعمل الصالحات . الله أكبر . أوّل عمل الصالحات العناية بأجسامنا وعقولنا . فاذا قال السحرة لفرعون — ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات — فهذا مبدأ عمل الصالحات . واذا سمعت الفقيه الاسلامى يقول لك عمل الصالحات الصلاة والزكاة والصيام والحج فلا صلاة لمن لا صحة له والزكاة والحج لمن عنده مال والصحة تساعد على هذا كله وكثير من المرضى لا صوم عليهم . وأيضا كل هذه الصالحات والعبادات أقلّ ثوابا من النظر فى هذا الوجود واتساع العلم ولا نسبة بين العلم والعمل ولا علم لمن لا صحة له ولا عقل . إذن ماذكرته فى هذا المقام هو المبدأ العام لعمل الصالحات الذى ذكره سحرة فرعون . واذن تكون هذه القصة قد جاء فى أوّلها النظر فى العلوم فى محاورة موسى مع فرعون وهنا جاء فيها النظر فى العمل وفى الآخرة فكأنها أدخل فيها كل علم الدين . فقال صاحبى لم يذكر هنا إلا مبدأ العمل الصالح وهو صحة الجسم والعقل فأين الآخرة إذن . قلت فى المقصد الثانى كما قدّمت لك

﴿ المقصد الثانى . كيف كان ضعف جسمى سببا لفتح باب البحث فى أمر الروح ودرجاتها وانها تكون فى طبقات من الأثير بعد مفارقة هذه الأبدان تبيانا لقوله تعالى — فأولئك لهم الدرجات العلى — ﴾

لقد تقدّم فى سورة (الاسراء) تحت عنوان ﴿ كيف كان مبدأ تفكرى فى أمر الروح ﴾ وذلك فى أوائل تفسير السورة قلت انى اعترانى دوار فغشى علىّ وأنا أعمل فى الحقل وذلك لضعف جسمى فأورثنى هذا الدوار شكا فى حياة الروح بعد الموت وقلت ﴿ اذا كان الدوار فى رأسى أو الاغماء قد فقد حسى فكيف بالموت . إذن لا حياة بعد الموت ﴾ و بعد ذلك بأمد توجهت الى الأزهر بعد ترك الدروس ورأيت فى المنام قائلا يقول لى انظر فنظرت فاذا شكل أبيض وسط الزرقة الجوّية فوق المقابر ثم قال هذه هى الروح واتفق أن ذلك ليلة الخميس . ولما طلع النهار وقع فى يدى كتاب (ابن مسكويه) وفى أوّله أدلة الروح فعجبت من علم أدرسه مدّة حياتى موافقا لما رأيت . كل هذا تقدّم هناك فى التفسير والآن أريد أن أبين الحقيقة ناصعة وأذكر ماعرفته فوق ذلك ولكن قبل ذلك أذكر بهجة الحكمة وحسن البشائر التى نلتها فى حياتى وعجائب الأنوار الالهية . ذلك انى أثناء انقطاعى عن العلم وحيرتى وشكى فى أمر الروح وغيرها كنت أجد شوقا عظيما الى أن ألج دور العلم كرة أخرى . وكلما هبت النسمات وتمايلت الأغصان تذكرت العلوم والدراسة . ففى ذات يوم وقت الفجر صليت الصبح ووقفت بجانب شجرة والنسمات تهبّ واشراق الصباح معترض فى أفق المشرق والجوّ لا يزال حالكا مكفهرا والنجوم لا تزال تتلألأ فى آفاق السماء إذ رفعت طرفى الى السماء وقلت يا الله ما هذه الأشواق المنبعثات الى طلب العلم . اللهم إنى قرأت كتب العشاق فلم أجد عاشقا نال جميع مراده فاذا أسعدتنى بطلب العلم مرة أخرى فأنا أسعد العاشقين . اللهم ان كنت قدّرت أنى لا أرجع الى التعلم فاطفئ النار المتأججة فى صدرى وارحمنى . ولما كان اليوم الثانى فى نفس الوقت وقفت بجانب الشجرة وقلت يا الله هذه هى الأشواق لا تزال بل ازدادت فأين قضاء حاجتى . إذن أنت تريد ارجاعى الى الأزهر لطلب العلم فها أنا ذا منتظر . ولقد تمّ ذلك بعد زمن قليل بعد اليأس الشديد

وإذ فرغت من بهجة العلم بهذه المساصرة أرجع لتبيانى حالى بعد تلك الرؤيا وقراءة كتاب (ابن مسكويه) أقول ألفت كتبا كثيرة قبل تأليف هذا التفسير مثل ﴿ جواهر العلوم ﴾ و ﴿ ميزان الجواهر ﴾ و ﴿ النظام والاسلام ﴾ و ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ و ﴿ أين الانسان ﴾ و ﴿ جمال العالم ﴾ و ﴿ نهضة الأمة وحياتها ﴾ و ﴿ جوهر التقوى ﴾

﴿ رؤيا منامية ﴾

و بينما أنا جالس مرة فى متنزه من متنزهات القاهرة إذ أخذتنى سنة من النوم وقائل يقول اسمع ﴿ ان الانسان ينتقل من عالم الى عالم وكل عالم ينتقل اليه تكون أعماله السابقة التى تكلفها ونصب فيها أصبحت له غريزة وطبيعة فيتعلم أعمالا أخرى وهذه تصبح له غريزة فيما بعد ذلك وهكذا طبقا عن طبق . أفهمت ، هل تشك فى كلامى ﴾ فاستيقظت وأنا متعجب من علم لم أسمع به ولا أدرى ماالسبب فيه و بعد ذلك اطلعت على علم الأرواح الحديث . فماذا رأيت . رأيت أن علماء الأرواح يقولون مايأتى

﴿ ان روح الانسان فى هذه الحياة لها فضائل كالحب والقناعة والعلم ورذائل كالحسد والطمع والجهل وهذه أشبه بسوائل تنبع من الجسم الأثيرى الذى ينطبق على هذا الجسم المادى حاضرا معه الآن وهذا الجسم الأثيرى لطيف ألطف من الأنوار وهذه الأشعة المنبعثة من هذا الجسم تؤثر فيمن حوله حبا و بغضا وقبضا و بسطا وصحة ومرضا . ومامثل تلك السوائل الأثيرية إلا كمثل الروائح الكريهة والطيبة . ولاجرم أن آثار الهواء الفاسد يخالف آثار الهواء الصالح . ولذلك يحس الانسان فى الجمع الملتئم بانشراح وفى الجمع المختلف بانقباض لأن لنفوس الجالسين سوائل معنوية تؤثر فى الجالسين معهم ألما لشدة المنافرة أوسرورا لاتحاد الأفئدة . و بتواتر الشعاع الضار على الأنفس الأخرى يحدث فيها مرضا تارة وآراء ضارة أخرى سواء أكانت الروح الضارة مجسدة أم مطلقة ولايمنع ضررها عنا إلا أن ننظف أنفسنا بالفضائل . هنالك لاتؤثر فينا تلك الأرواح كما لايقع الذباب إلا على العين القذرة . و يتفرع على ذلك مسألة العين وأن الرجل العائن يخرج منه سائل كريه ينفذ فى جسم من يقصد ضرره فيؤثرفيه وهكذا التأثير بالسحر . كل ذلك راجع لتوجه النفس . هكذا أولئك الذين يشفون من المرض بنظراتهم أو بوضع أيديهم عليه فيحصل الشفاء إما حالا وهو نادر الوقوع واما بعد التكرار وهوكثير . كل ذلك بسبب السوائل الجيدة الناشئة من قلوب طيبة محبة للناس ومنفعتهم ﴾

إن أرضنا التى خلقنا عليهامغمورة فى ذلك الأثيرالذى هوألطف من النور المحسوس ولكن هذا بالنسبة لما يحيط بالكواكب الأخرى خشن وهكذا كوكب وراء كوكب . فكلما كان الكوكب أرقى كان الأثير المحيط به ألطف وألطف . والروح بعد الموت لاتقدر أن تصعد الى عالم أرقى فى هذا الجو الفسيح إلا اذا استعدت له فانها قد ترى أنوارا بهجة لاتقدر على ولوجها وعظماء أعلى فلايمكنها أن تعيش معهم . إذن هناك فى البرزخ درجات فقلت لعل هذه الحقيقة فيه . ولقد عجبت كل العجب إذ رأيت هذه المعانى فى ذلك العلم وأن القوم يقولون ان الانسان جسمه الروحى الأثيرى (الكوكبى) متصف بالصفات التى ذكرتها لك هنا و يقولون

(١) ان الروح لايصعد الى طبقة إلا اذا استحقها بجهده

(٢) وأن تلك السوائل النابعة منه تكون مانعة له من الاجتماع بمن ليس على شاكلته

(٣) وانه يفرح بأمثاله و يغتم بمن ليس على شاكلته

(٤) وان هذا الجسم الأثيرى تنطبع فيه كل الآراء والعلوم والمعارف والمعاصى والأميال والشهوات فهذه كلها ترتسم فيه وماهو إلا كلوحة المصور الشمسى وما أعمالنا وأميالنا وعواطفنا إلا كالصور المرسومة فى اللوحة ــ إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ــ ووجدوا ماعملوا حاضرا ــ

(٥) ان هناك شموسا أوسع من شمسنا كالجوزاء وما المجموعة الشمسية كلها إلا مثل كوكب واحد من الكواكب العظيمة ولعلّ هناك حياة أرقى بل علماء الأرواح نقلوا عن الأرواح أن الحياة هناك لاحدّ للسعادة فيها وأن النفوس اليها ترتقى كما تقدّم فى ﴿آل عمران﴾ عن روح (غاليلى) الفيلسوف . إذن هذا قوله تعالى ـ لتركبنّ طبقا عن طبق ـ وقوله تعالى ـ وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض ـ فهانحن أولاء قد علمنا كواكب عرض الكوكب منها كعرض المجموعة الشمسية التى تشتمل على سمواتنا وعلى أرضنا . إذن الأمر واضح فلله مخلوقات علمناها لهاهذا الوصف وعرضها عرض السموات والأرض فعلا وربما كانت طبقة من طبقات الجنات وربما كانت تشبهها فى السعة وعلى كل فعلمنا بها جعلنا نتصوّر الجنات العلى وأن أمثالها فى القدر موجود فعلا . ولست الآن فى مقام الادّعاء اننا علمنا هذه الحقائق فان الرؤى لاتكون دليلا ولا كلام علماء الأرواح وانما ذلك يفتح بابا للبحث والتنقيب فى هذه المسائل وشرحها بالعلم والحكمة . واذا كان الصالحون أمثال الخوّاص والشعرانى والشيخ الدباغ يقولون ان أرواح الأموات فى هذه الطبقات العلوية فى الجوّ كما يقول علماء الأرواح وذلك تقدّم فى هذا التفسير نقلا عنهم . فهذا كله لايعطينا اليقين بل يجعل المقام معدّا للبحث . فالوجدان والرؤى وعلم الأرواح كل هذه لاتعدّ برهانا قاطعا وانما تعطى دليلا يعطى بعض النفوس بعض الاقناع لتطمئن للبحث والجدّ عسى أن تصل الى المعرفة واليقين . إن هذين النوعين وهما العمل الصالح والدرجات العلى فى هذا المقال كان مبدأ أوّلهما الرياضة البدنية فى الحقول التى هى أرقى الرياضات ومبدأ ثانيهما فى أمر الأرواح وتركها أثقال الأوزار من العلائق الأرضية باصلاح النفس وتهذيب الخلق وارتقاء المجموع الروحى فى عالمنا الأرضى حتى يستعدّ للاجتماع بعالم أعلى فى كواكب أخرى مسكونة . ولايزال هذا النوع الانسانى الأرضى يرقى فى الكمال وبارتقائه يستأهل للاتحاد بطوائف أخرى وهكذا طبقا عن طبق حتى يكون أهل الأرض متحدين بعوالم لاندرى عددها وعلى قدر الارتقاء وازدياد المتحدين تزداد السعادة والارتقاء الى أن يصل الانسان الى مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر فى عوالم مجهولة لنا كل الجهل . ثم ان ماقلناه فى السعادة والشقاوة فى طبقات الأثير انما هو عذاب ونعيم البرزخ لاعذاب ونعيم الآخرة فذلك له شأن آخر ـ وأن الى ربك المنتهى ـ

وفى ارتقاء الانسان فى هذه الطبقات يشاهد (كما يقول علماء الأرواح) الساحات الواسعة التى لاحدّ لها وفيها تلك الملايين من الشموس البديعة الزمرذية والياقوتية والزبرجدية وسرعة سيرها وتجاذبها ويدهش للعوالم الجديدة التى تبرز فى الوجود ويبقى متمتعا بهذا الجمال البديع وهو ثمل ببهجة تلك المحاسن وعجائبها وهذه هى الحال البرزخية ثم تنتقل الروح الى كوكب أرقى فى أجساد لا كالأجساد الأرضية بل تكون ذات خفة ولطافة فتموج على سطح الكوكب أوفى أرض الجنة موجا بلا كلفة ولامشقة وتلتئم أرواح أهل أرضنا الذين ارتقوا مع أرواح أراضين آخرين وينشؤن من طبقات الأثير روائع المصنوعات الفاخرة بمجرد ارادتهم لابمشقات كأهل الأرض الآن وهم بما أوتوا من علم وحكمة يرجون الأثير رجا فتحصل فيه تموّجات موسيقية تسبى العقول وتسكر الأرواح ثم انهم يقيمون أفراحا عامّة وأعيادا زاهية زاهرة باجتماع الأرواح العامّة من الأقطار المتباينة فيفرحون بانتصارهم جميعا على ماقاسوا من شدائد ومصائب فى الأرضين المختلفات اللاتى تعدّ بالملايين كما يجتمع فى أرضنا المسكينة أهل كل دين من الأديان الأرضية فرحين بكمال العناء فى صومهم أياما معدودات وانتصارهم على شهواتهم المانعة لهم من الخروج من هذا العالم المادّى القاسى العظيم المشقات واذا تفرّقوا اجتمع كل جماعة منهم حول روح عظيم يتلقون تعاليمه وبعد ذلك يتوجه كل منهم الى عمله الجديد الذى يزيده ارتقاء فان لكل روح عملا لايتعدّاه على مقدار قوّته وكفاءته ولادخل للاختصاص أوالتمييز . كلا . بل الكفاءة هى الميزان . فأرقى هذه الأرواح من يوكلون بقيادة الشعوب وحراسة الأفراد وترقى الصناعات

هذا ملخص ما جاء فى كتاب ﴿ المذهب الروحانى ﴾ ملخصا له مؤلفه من المؤلفات الحديثة فى العلوم الروحية بأوروبا . فنحن إذن على الأرض ملزمون أن نقلع عن النقائص وأن نحب الله ونحب الخير لعباده ونحاذر كل الحذر من الخطأ ونستعين بالله ونحن سنرتقى طبقا عن طبق وأرواحنا مستعدة يوما ما أن تتقابل مع أرواح أرقى وأرقى بشرط أن تستأهل لهذه المرتبة بالجد والاجتهاد . ثم ان أرواحنا قد يوكل اليها ادارة العوالم عالما بعد عالم وتكون أجسامنا روحية لامادية ولاتزال تلطف طبقا عن طبق حتى تصل الى الله . ويقولون ان هذه الأرواح كلما ارتقت ازدادت اتحادا فتكون أشبه بأرواح تلاميذ لشيخ صادق قد أصبحوا كأنهم روح واحدة أوكالعاشقين الصادقين اللذين اتحدت نفساهما فصارتا نفسا واحدة بحيث يصبح كل مافى ذهن أحدهما يخطر لذهن الآخر مع الحب والرضا والبهجة . وهذا الذى قالوه لايمنعه علماء الاسلام فقد نقلت لك عن العلامة الفخر الرازى انه يقول ﴿ إن أرواحنا مستعدة لادارة العوالم ﴾ آخذا لها من قوله تعالى ـ فالمدبرات أمرا ـ فى سورة والنازعات . فهذا القول هو نفس قول علماء الأرواح ويقول الله ـ لتركبن طبقا عن طبق ـ وتقدم عن بعض الصالحين فى هذا التفسير أن نفوسنا فى عالم البرزخ تكون فى طبقات هذا الجو فى عوالم السموات المعلومة للناس فأما عالم الآخرة ويوم القيامة فشئ آخر . هذا معنى ما جاء فى

﴿ الفاتحة والتشهد والقنوت فى الصبح ﴾

أفلاترى أن قول المسلم ـ الحمد لله رب العالمين ـ يفسره قول موسى لفرعون ـ قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ـ كأنه يقال لم تحمد الله فيقال لأنه اعطى كل شئ خلقه ثم هدى لأن هذا هو معنى تربية العالمين وقوله ـ اهدنا الصراط المستقيم ـ هو عين قول السحرة لفرعون ـ ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات ـ وقوله ـ صراط الذين أنعمت عليهم ـ لم يخصه بأهل أرضنا المساكين بل جعله عاما يشمل أرواح جميع ملايين الكواكب التى عرفناها والتى لم نعرفها . فقول المسلم الذى سيأتى بعدنا ـ صراط الذين أنعمت عليهم ـ يحضر فى نفسه عوالم وعوالم ويتصور أرواحا عالية تصورا اجماليا فيشتاق اليهم حتى اذا ارتقى بعد الموت فرح بهم . وكيف يفرح بما لم يتشوق اليه فاذا اجتمع بهم صاروا اخوانا على سرر متقابلين ويتصور المسلم بعدنا النعمة المذكورة بأنها درجات بعضها فوق بعض بحيث يرتقى عالما بعد عالم الى مالانهاية له وذلك على سبيل التصور الاجمالى . هذه آراء من بعدنا فى الفاتحة . يرونها منطبقة فى ترتيبها على ترتيب المحاورتين هنا بين موسى وفرعون ثم بين السحرة وفرعون

هكذا يرون معنى التشهد . فأوله ﴿ التحيات لله ﴾ والتحيات لله انما تكون على نعم واصلة من الله والنعم هى قوله ـ الذى أعطى كل شئ خلقه ـ الخ وبعد ذلك يسلم المسلم على نبيه وعلى نفسه وعلى عباد الله الصالحين أى سواء أكانوا فى أرضنا أم فى غيرها وهذا السلام والأمان والسعادة نتيجة لهدايتهم الى الصراط المستقيم صراط المنعم عليهم وهو صراط واحد وهو خلوصهم من أدران هذه العوالم المادية ورجوعهم الى ربهم واتحاد أرواحهم باتحاد صراطهم ولاسلام إلا بالاتحاد الروحى بخلاف أهل الأرض الذين نعيش معهم فهم قوم جهلاء ونحن شاركناهم فى جهلهم لأن الانسان الواحد لايستقل بالسعادة فلابد من المشاركة لغيره ومن أراد السعادة وحده فهو جاهل مغرور . فأرباب الخلوة والمنقطعون عن الناس الذين يحبون ربهم ويتركون عباده قوم لايعلمون فلاسلام لهم بل المسلم يطلب السلام لنفسه ولكل صالح ويسير على صراط المنعم عليهم من كل عالم خلقه الله فى أرضنا وغيرها وهذا قول المسلم أيضا ﴿ اهدنى فيمن هديت الخ ﴾ فى قنوت الصبح ثم إن السلام على عباد الله الصالحين يرجع الى اجتماعهم فى الدرجات العلى فى الآية هنا . فترتيب الفاتحة هو ترتيب التشهد هو عين ترتيب المحاورتين هنا محاورة موسى مع فرعون ومحاورة السحرة معه أيضا

﴿ حمد المؤلف ربه ﴾

أفلايجب علىّ الآن أن أحمد الله الذى وفق وهدى لما أكتبه الآن فالموضوع كله راجع الى أمر عادى

ذلك هو عملى فى الحقل بالفأس فأغمى علىّ لضعف جسمى . فالعمل نفسه فى الحقل انتهى الأمر فيه الى علم الرياضة البدنية فى الولايات المتحدة وان ما اتفق لى من العمل فى حقلنا بلا علم هو نهاية ماقرّره علماء عصرنا فى رقى الأخلاق والعلم . وأما الاغماء فقد فتح لى باب الشك فى بقاء أرواحنا فماذا تمّ بعد ذلك . أريت فى النوم بياضا فى جوّ السماء الأزرق فقيل لى هذا روح ثم قرأت أدلة الروح فى الفلسفة ثم قرأت آراء علماء الأرواح المطابقة لآراء علماء الاسلام ثم انتهى الأمر باجتماع عظيم لأرواح من كواكب لاحصر لها فصارت أمّة واحدة تحبّ ربها وكل له مقام معلوم فعمل جسمى انتهى بالرياضة التامّة والاغماء علىّ فى الحقل انتقلت النفس منه الى عوالم تتحد بلاحصر ـ وأن الى ربك المنتهى ـ

إن نتائج هذه العلوم الروحيـة التى ظهرت حديثا لاحدّ لها فى الاسلام . فالقرآن ذكرت فيه الملائكة وأمرنا نحن بالايمان بها وبهذه العلوم عرفنا أن هـذه الملائكة لايحصرها عدد وانها قائمات بنظام عوالمنا محصيات لأعمالنا وبهـذا تنحل كل مشكلة فى الدين والقرآن فلاوسوسةولا إلهام إلا بما استعدّت له نفوس المتحدين فى الأرض بقبولها آراء أشكالها من الأرواح الخبيثة والطيبة وهـذا قوله تعالى ـ وانّ عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ماتفعلون ـ وقوله ـ إن كل نفس لما عليها حافظ ـ وهنا لاحدّ لثمرات هذا العلم فى الاسـلام والمسلم بعدنا الذى ستفتح له أبواب وأبواب من العلم يصبح من عالم أرقى من عالمنا الاسلامى الحالى الذى لم تفتح لأكثره العلوم فالحمد لله رب العالمين

﴿ بهجة العلم . نور على نور ﴾

لما اطلع على ماتقدّم صـديق لى صالح قال . اذا كان عملك فى الحقل وضعف صحتك إذ أغمى عليك قد اتصل أوّلها بأحسن الرياضات لطلاب الجامعات بأمريكا . وثانيهما بتقابل الأرواح من سائر أنحاء الكرات السموية . فهذا معناه أن المصاعب الجسمية والحيرة العقلية تفتق الأذهان لمعرفة الحقائق . فقلت نعم

﴿ الحيرة والشك وحوادث الدهر موقظات للحكمة والرقى فى أعمال الحياة ﴾

ان ما اعترى هـذا النوع الانسانى من حوادث الدهر وتقلب الأيام هو الذى رفعه الى الرقى . فهاهى ذه أمّتنا المصرية لما قامت الحوادث العرابيـة ودخلت الأمة الانجليزية البـلاد حرّك ذلك من النفوس وجدانها فاستيقظت للسياسة ولتعليم الشبان بعض العلوم فلولا الحوادث العظيمة ماقامت لنا فى هذين قائمة فلقد كان التعليم قبل ذلك يرجع للحكومة وحدها والشعب نائم . أما الآن فالشعب هو الذى اندفع من نفسه لحوز العلوم وهكذا الأمّة الهندية التى كانت تحت حكم ملوك المغول المسلمين فلما ورثها الانجليز وحلوا بساحتها ثم كانت ثورة سنة ١٨٥٧ الشهيرة هنالك استيقظ المسلمون وقام السيد أحمد خان وأسس كلية (عليكره) وأصدر صحيفته ﴿ تهذيب الأخلاق ﴾ باللغة الاردية وظهر فيهم شعراء أمثال الشاعر المشهور (اقبال) الذى ذكر القوم بمجد أسلافهم فى شعره المسمى ﴿ مد الاسـلام وجزره ﴾ ومؤرخون أمثال (السيدشبلى) الذى وضع فى التاريخ كتبا كثيرة منها كتابه ﴿ الفاروق ﴾ ومنها كتابه ﴿ شعر العجم ﴾ فى تاريخ الأدب الفارسى

وهكذا الأمّة التركيـة لما حاربها اليونان والفرنسيون والانجليز وساعدهم الخليفة قامت على بكرة أبيها ونهضت نهضة الآساد وأجلت هذه الدول عن بلادها وأخذت ترتقى سراعا . هكذا أمّة الأفغان إذ جاهدت فأبعدت عنها الانجليز وأخذت ترتقى . ومثل هؤلاء الايرانيون الذين ذاقوا أسوأ الذل من ملوكهم ومن أوروبا هاهم الآن أحرار . هذه نبذة من حوادث الدهر الموقظات للحكمة والرقى فى الأعمال . فأما الحيرة والشك فان أثرهما فى رقى الأمم لايقلّ عن آثار حوادث الدهر ومصائب الأيام . ولقد رأيت فيما تقدّم أن عقيدة التثليث عند الأمم القديمة كانت رمزا لدراسة العوالم المحيطة بنا لا انها عقيدة دينية بحسب أصلها فحرّفتها الأمم وانتحلت لها الصبغة الدينية وحاولت الجمع بينها و بين الوحدانية . هنالك اضطرمت نار الجدل والخصام بين

العلماء فى الأمم فكان من وراء ذلك اتساع نطاق الجدل فارتقت بعض الأمم بالعلم وانحطت أخرى بالخرافات وأزيد هذا المقام تبيانا ثم أتبعه بما جاء فى شريعتنا الغراء من بعض العبادات التى أخذت تلقينا كالسلام الذى نختم به الصلاة . فعلى من يسلم المؤمن والعاقل لايخاطب مالاوجود له

﴿ مسألة التثليث ﴾

يظهر أن الشعوب كانوا يسألون علماءهم عن نظام هذه الدنيا وكيف خلق هذا الحيوان وهذا الانسان وهذا المعدن وكيف جرى هذا النهر وأضاءت هذه الشموس فلايسع هؤلاء العلماء إلا أن يقولوا لهم أمامكم مادّة وفيها ملائكة موكلون بها رأينا آثارهم ولم نر أشخاصهم ومن فوق هؤلاء إله واحد لأننا رأينا نتائج المخلوقات كلها ترمى لأغراض معينة ولايمكن ذلك إلا باتحاد أصل العوالم وتوحيد الخالق ثم ضربوا لهم الأمثال فقالوا لهم الله أشبه بالأب فى المنزل والمادّة أشبه بالأم لأنها محل لتكوين الحيوان والنبات والملائكة أوالقوى المنبثة فى هذه المادّة نسميها ابنا لأن الابن عادة يكون بين الأم والأب . فالقوّة المنبثة فى هذه المادّة والملائكة يشبهون الأبناء فى بيوتنا من بعض الوجوه . ذلك لأن الله هوالذى خلقهم وسلطهم على المادّة ففى الوجه الأوّل سموا عوالم القوّة ابنا . وكما ان ابن الانسان يعمل فى أرضه . هكذا هذه القوّة تعمل فى المادّة التى أشبهت الأم من وجه واحد وهى انها محل الانتاج لاغير . هذا ما كان يقوله العلماء للعامّة . يستنتجون من المادّة ومن القوّة المنبثة فيها معرفة إله واحد . فلما تمادى الزمان أخذت تلك الفكرة تمتدّ الى أصلاب الرجال وأرحام الأمهات . هنالك كان الجهل . ولكن الله يستخرج من الفحم نورا ومن الحنظل سكرا ومن الشرّ خيرا . فاذا فعل بعد ذلك . جعل هذه الحيرة فى الهند وفى مصر وفى بابل وآشور وفى أمريكا قبل كشفها سببا فى بحث علماء منهم وصلوا الى الحقائق فكتموها خوفا على هيبتهم أمام شعوبهم فرقوا علومهم وبحثوا فى الفلك والطبيعة وسائر العلوم ولكن لما علم الله أن الانسانية لابد لها من نهضة جديدة أنزل الدين الاسلامى فقال بالوحدانية ومنع التثليث الذى قامت به النصرانية وشوهته وخرجت به عن أصل الدين المسيحى بل زاد رجال الكنيسة على ذلك انهم لم يبالوا بالرحمة العامّة التى جاء لأجلها الدين المسيحى فانّ أهم خواصه الرحمة وأتباعه هم الذين أثاروا الحرب العامّة فى أيامنا هذه كما قال ذلك فى هذا الشهرأى شهر يوليوسنة ١٩٢٨ (المسترلويد جورج) من عظماء الساسة فى بلاد الانجليز فقد صرّح على رؤس الاشهاد أن رجال الكنيسة لم يحركوا ساكنا أثناء الحرب العامّة التى لم يثرها إلا الأمم المسيحية لاغيرها من الأمم الوثنية قال ولوأنهم رفعوا أصواتهم بمنع الحرب لم يجسر أحد على مخالفتهم . فهذا القول دلّ على أن التثليث عند المسيحيين الذى أوجب الحيرة والشك لاسيما بعد ظهور الاسلام قد دفع القوم الى جمع المال من الأغنياء والمحافظة على العقيدة الموروثة وانتهى الأمر بذلك الى الخروج عن أصل الدين وهى الرحمة وحب الانسانية فبدل أن يكونوا رحمة للعالمين صاروا هم المثيرين للفتن والحروب بشهادة أكبر سواسهم من الانجليز . إذن هذه الحيرة فى أمر التثليث قد انتهت الى مايخالف أصل الدين من الرحمة . إذن فليكن السلام فى الارض يا أمم الاسلام فى مستقبل الزمان

﴿ حيرة المسلمين فى أمر السلام ﴾

ذكرت سابقا أن أمم الاسلام بارتقاء العلوم يزدادون فى الدين وأن الحمد فى أوّل الفاتحة مرتبط بمحاورة فرعون وموسى أى باعطاء الله كل شئ خلقه ثم هدايته فاذا قال ـ الحمد لله رب العالمين ـ استحضر بقلبه سائرالافلاك وسكان الكواكب أجمعين وهذه الكواكب تعدّ بمئات الملايين واذا قال ـ صراط الذين أنعمت عليهم ـ ذكر المنعم عليهم فى مئات الملايين من الكواكب . ذلك لان العلم الحديث أشارالى ذلك واذا قال ﴿ التحيات لله ﴾ علم أن تلك التحيات ليست خاصة بأهل الأرض بل فى كل كوكب مسكون من تلك

الملايين وأضعافها قوم يحبون ربهم . واذا قال ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ علم أن هذا القول توطئة للمستقبل ليستعد المسلم لتلك الأيام التى سيقابل فيها الصالحين من تلك الملايين من الكواكب . واذا انتهى من الصلاة وختمها بالمخاطبة بالسلام لمن حوله إذ يقول ﴿ السلام عليكم ورحمة الله ﴾ فذلك السلام وخطابه قد أشار له علم الأرواح الحديث إذ يسلم المسلم على الأرواح الذين يحيطون به من كل جانب كما رأينا ذلك فى كلام العلامة (أوليفرلودج) فى سورة (آل عمران) وفى كلام غيره منقولا فى هذا التفسير إذ يقولون ان هنا أرواحا تحيط بنا وعقولنا بالنسبة لعقولهم كعقول النمل بالنسبة لعقولنا ويقولون انهم يهتمون بنا اهتماما عظيما فتسليم المسلم من صلاته ليس أمرا خاليا من الحقيقة . كلا . فالمسلم يسلم على أرواح حاضرة فى كل مكان وعليه أن يقصد ذلك وأن يقصد أن تلك الأرواح لاتختص بعالمنا فكل مئات آلاف الملايين من الكواكب يسلم المسلم على سكانها ويستحضرهم استعدادا للمستقبل إذ تذهب الأرض وشمسها ويجتمع الناس كلهم من سائر أقطار الكواكب ويكونون أشبه بالجراد إذ يسيرون كأنهم أمة واحدة على كثرة عددهم . فعالم الأرواح فى المستقبل أولى بذلك . فتبين بهذا أن حيرة المسلم فى أمر السلام والمخاطبة مع انه لامخاطب له كشف سرها العلم الحديث إذ تتحد الأمم فى الكواكب المتباينة وتصير جماعة واحدة صاعدة فى معارج الكمال . إذن السلام فى آخر الصلاة ظهر سره الآن . فعلى المسلمين أن يسعوا ﴿ لأمرين ﴾ أمر السلام فى الأرض بعد أن يرتقوا مثل أهل الأرض وأمر التفكر فى العوالم العظيمة حتى يكون ذلك أسرع لرقى أرواحنا بعد الموت واجتماعها بتلك الأرواح العالية وهذا من أوكد الأسباب فى زهد أرواحنا فى هذه الأرض ومن عليها وتشوقها الى عوالم أجل وأجل والحمد لله رب العالمين

﴿ لطيفة فى قوله تعالى أيضا — قال فمن ربكما ياموسى * قال ربنا — الى قوله — قال فما بال القرون الأولى * قال علمها عند ربى فى كتاب لايضل ربى ولاينسى * الذى جعل لكم الأرض مهدا — الى قوله — منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى — ﴾

يسأل فرعون موسى وأخاه من ربكما فيقول ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه . ومعنى هذا أنه عظيم الرحمة عام الاحسان والجود لم يفرق بين البقة والفيل ولابين الحقير والعظيم فى العطاء فهو عام الرحمة والنظام والجود فقال له فرعون اذا كانت هذه هى صفات الله الجليلة فكيف عمد الى هذه المخلوقات المشمولة بالعناية والرحمة والعطف فمزقها شر ممزق . ألم تقرأ التاريخ . ألم تر أن كل ماخلقه قد أفناه وأهلكه . إذن أين رحمته وعطاؤه . فهل هذا فعل الحكيم . يعطى ثم يمنع ويخلق ثم يمزق شمل خلقه تمزيقا . فأين الحكمة والعناية بل ذلك كله هباء منثور . فأجاب موسى ﴿ بجوابين * الأول ﴾ ان الله هو الذى يعلم الجواب على هذا السؤال وهو كقوله تعالى — فلله الحجة البالغة — وهذا الجواب الاجمالى لعموم الخلق ﴿ الجواب الثانى ﴾ للخواص فهو يقول (١) — جعل لكم الأرض مهدا — الخ (٢) وأنزل من السماء ماء (٣) وأخرج النبات (٤) وأكلت الأنعام وأكل الانسان . والحق أن هذا الجواب مفصل لبعض قوله — أعطى كل شئ خلقه ثم هدى — . إذن هو مقدمة لنتيجة هى مقصود الجواب (٥) وهو انهم خلقوا من الأرض ثم أعيدوا لها ثم أخرجوا منها تارة أخرى وهذا هو نهاية الجواب للحكماء فكأنه يقول له يافرعون إن هذه العوالم التى أهلكها الله انما فعل بها ذلك ليخرجها من الأرض فتترك هذا العالم الارضى الى عالم أرقى منه . فهذا الاهلاك هو عين الرحمة كما يهجر العالم داره وبلده وأهله ويسافر فى الارض ليحصل العلم . فهذا الترك نعمة لا نقمة

الصلاة فى الاسلام والتسبيح فيها يشيران لملخص هذه الآيات فحياة الناس على الأرض وصحتهم أشبه بحال المصلى إذ يقرأ الفاتحة فيقول — اهدنا الصراط المستقيم — الخ ولكنه اذا ركع أو سجد لايقول — اهدنا الصراط المستقيم — بل يرجع الى الله فيقول ﴿ خشع لك سمعى الخ ﴾ ويقول ﴿ سجد وجهى الخ ﴾ ويسبح فى حال

الركوع والسجود والتسبيح تنزيه لله عن قصد الاضرار بكل مايوهم ظاهره أنه إذلال واهانة . فال المصلى فى الركوع والسجود أقرب الى الخشوع والخضوع من حال القائم الذى يقرأ الفاتحة فلذلك ترى المصلى يسبح الله أى ينزّهه عن قصد اذلالنا واخضاعنا كما أنه منزّه عن مذلة الحيوان الذى لم يخلق رافع الرأس بل أشبه بالراكع وهكذا بعضه يشبه الساجد كالدود . فهذه كلها لم توضع بهذه الهيئات إلا لأجل نفس حياتها والمحافظة عليها ولوانها وهى على حالها وجبلتها خلقت على غيرهذا النظام لكان ذلك و بالا عليها كما ترى نظيره مفصلا فى سورة الاسراء عند قوله تعالى ـ تسبح له السموات السبع والأرض الخ ـ فى أمر الألوان واختلافها الذى هو نبذة مما سيأتى فى سورة ـ قد أفلح المؤمنون ـ إذن كل وضع لحيوان لحكمة ترجع الى نفس ذلك الحيوان . فهذا النقص فى نظرنا كمال لنفس الحيوان . هكذا مرض الانسان وموته الذى تضمنه قوله تعالى ـ قال فما بال القرون الأولى ـ فى ظاهر أمره هلاك وفى باطنه ارتقاء . إذن قول المصلى ﴿ سبحان ربى العظيم ﴾ و ﴿ سبحان ربى الأعلى ﴾ فى الركوع والسجود تذكير بهذه العلوم أى علوم خلق الحيوان وهلاكه وهلاك الانسان وأن الله عزّ وجل منزّه عن فعل ظاهر الشرّ الذى لاينتج خيرا كثيرا . فتسبيح المسلم فى الركوع والسجود ظلّ لأنوار قوله تعالى ـ الذى جعل لكم الأرض مهدا ـ الى قوله تعالى ـ ومنها نخرجكم تارة أخرى ـ انتهى الكلام على الفصل الثالث من القسم الثانى

﴿ الفصل الرابع من قوله تعالى ـ ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى ـ الى قوله تعالى ـ إنما إلهكم الله الذى لاإله إلا هو وسع كل شئ علما ـ ﴾

قال تعالى (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) أى من مصر (فاضرب لهم طريقا) أى فاجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهما واضرب مثلا أى اجعل لهم طريقا (فى البحر يبسا) يابسا وهو مصدر وصف به وهو كقتل وسبب (لاتخاف دركا) أى اجعل لهم طريقا حال كونك لاتخاف من الادراك فلايدركك فرعون وجنده من ورائك (ولاتخشى) الغرق أمامك فخرج بهم موسى من أوّل الليل وقد استعاروا حليهم فركب فرعون فى جنده من القبط فقصّ أثرهم فذلك قوله (فأتبعهم فرعون بجنوده) أى خرج خلفهم ومعه جنوده (فغشيهم من اليم) أصابهم من البحر (ماغشيهم) أى غشيهم ما لا يعلم كنهه أحد من الناس ففيه تهويل * وقرئ ـ فغشاهم ماغشاهم ـ أى غطاهم ماغطاهم (وأضلّ فرعون قومه) عن سبيل الرشاد (وماهدى) أى ما أرشدهم اليه وذلك تكذيب لقوله ـ وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ـ ثم أخذ الله يعدّد نعمه على بنى اسرائيل كما عدّدها على موسى اشارة الى أنه منعم على البر والفاجر فالأوّل شاكر كموسى والثانى كافر بها كبنى اسرائيل قومه فقال (يابنى اسرائيل) خطاب لمن فى عهد النبى ﷺ (قد أنجيناكم من عدوّكم) فرعون وقومه (وواعدناكم جانب الطور الأيمن) لمناجاة موسى وانزال التوراة عليه لاقامة شعائركم ونظام دولتكم (ونزّلنا عليكم المنّ والسلوى) فى التيه وقد تقدّم فى سورة البقرة وقلنا لكم (كلوا من طيبات مارزقناكم) من حلالاته (ولا تطغوا فيه) بالاخلال بشكره وتعدّى الحدود كالسرف والبطر والمنع من المستحق (فيحلّ عليكم غضبى) فيلزمكم عذابى * يقال حلّ الدين اذا وجب أداؤه (ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى) فقد تردّى ووقع فى الهاوية (وانى لغفار لمن تاب) عن الشرك (وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) ثم استقام كما أمر * إن الله عزّ وجل وعد موسى أن يأتى جانب الطور الأيمن و يختار سبعين رجلا يحضرون معه لنزول التوراة فاختارهم ومضى معهم الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدّمهم شوقا الى كلام ربه وأمرهم أن يتبعوه قال الله تعالى (وما أعجلك عن قومك ياموسى) استفهام انكار أى أىّ شئ أوجب عجلتك فما مبتدأ وأعجلك خبر وهذه العجلة توهم اغفال القوم فههنا عجلة انضم اليها اغفال القوم فأجابه عليه السلام بأنى لم أتقدّمهم إلا خطوات فلا اغفال لهم وانما أنا كأحدهم وهذه الخطوات محتملة عادة على أن هذه الخطوات مع قلتها كانت

للسارعة الى لقائك شوقا الى كلامك وهذا قوله تعالى (قال هم أولاء على أثرى) أى هم خلفى يلحقون بى (وعجلت اليك ربى) الى الموعد (لترضى) لتزداد رضا عنى (قال فانا قد فتنا قومك من بعدك) ألقيناهم فى فتنة من بعد خروجك من بينهم (وأضلهم السامرى) إذ دعاهم الى عبادة العجل فأجابوه وكانوا ستمائه ألف مع هرون ومانجا منهم من عبادة العجل الا اثنا عشر * والسامرى المذكور منسوب لقبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة . وقيل انه كان علجا من كرمان فاتخذ عجلا وكان اسم هذا السامرى موسى بن ظفر وكان منافقا (فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا) شديد الغضب حزينا (قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) بأن يعطيكم التوراة فيها هدى ونور (أفطال عليكم العهد) أى مدة مفارقتى إياكم والعهد الزمان . تقول طال عهدى بك أى طال زمانى بسبب مفارقتك (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أى يجب عليكم غضب منه بعبادة العجل (فأخلفتم موعدى) وعدكم إياى بالثبات على الايمان بالله (قالوا ماأخلفنا موعدك بملكنا) مثلثة الميم فى قراآت مختلفة أى ماأخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا فلو ملكنا أمرنا وخلينا وشأننا ماأخلفنا موعدك فنحن كما فى المثل ﴿قال الحائط للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى فان من ورائى لم يتركنى ورائى﴾ ولكن غلبنا على أمرنا موسى السامرى وذلك اننا حملنا أحمالا من حلى القبط التى استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر بعلة أن لنا عيدا غدا فقال السامرى انما حبس موسى عنكم لشؤم حرمتها لأننا مستأمنون وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى ولوعددنا ذلك غنيمة لم يجز لأن الغنائم لاتحل لنا . ثم أمرنا أن نحفر حفرة وملأها نارا وقال اقذفوا الحلى فيها فقذفناه فانصاغ عجلا مجوفا نخار * ويقال انه كان خبأ فى الحفرة قالب عجل وله مجار أشباه العروق فكان له خوار منها كخوار العجل * وقيل نفخ ترابا من موضع قوائم فرس جبريل عليه السلام يوم الغرق وهو فرس حياة فخار ومالت طباعهم الى الذهب فعبدوه وهذا قوله تعالى (ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم) القبط (فقذفناها) فطرحناها (فكذلك ألقى السامرى) أى ألقى ماكان معه من الحلى كما ألقينا (فأخرج لهم) السامرى (عجلا جسدا) مجسدا بلاروح (له خوار) صوت إما لأنه صار حيا واما لأن مجاريه المصنوعة بدقة كان يظهر فيها الصوت بمرور الريح فيها (فقالوا) أى السامرى وأتباعه (هذا إلهكم وإله موسى) فأجابه كلهم إلا اثنى عشر ألفا (فنسى) موسى ربه هنا وذهب يطلبه على جبل الطور قال تعالى (أفلايرون) أى أفلايعلمون (ألايرجع اليهم قولا) أى أنه لايرجع اليهم كلاما ولايرد عليهم جوابا (ولايملك لهم ضرا ولانفعا) فهو عاجز عن الخطاب وعن النفع والضر فكيف اتخذوه إلها (ولقد قال لهم) لمن عبدوا العجل (هرون من قبل) أى من قبل رجوع موسى اليهم (ياقوم إنما فتنتم به) ابتليتم بالعجل فلاتعبدوه (وان ربكم الرحمن) لاالعجل (فاتبعونى) كونوا على دينى (وأطيعوا أمرى) فى ترك عبادة العجل ولقد دعاهم هرون بأحسن القول المنظم إذ أزال شبهته وساق الى معرفة الله فالنبوة فاتباع الشريعة وهو ترتيب طبيعى وذلك بالنهى عن العجل ومعرفة الرحمن واتباعه وهو نبى واطاعة أمره وهو الشريعة والتعبير بالرحمن دلالة على أنه يقبل التوبة (قالوا لن نبرح عليه) على العجل (عاكفين) مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) لأنا لانقبل إلا قوله فاعتزلهم هرون ومعه المؤمنون بالله فلما رجع موسى سمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هرون أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله و(قال) له (ياهرون مامنعك إذ رأيتهم ضلوا) أشركوا بعبادة العجل (ألاتتبعن) أى أن تلحقنى وتأتى عقبى ولازائدة كما فى قوله ـ مامنعك ألاتسجد ـ (أفعصيت أمرى) أى خالفت أمرى (قال ياابن أم لاتأخذ بلحيتى ولابرأسى) أى بشعر رأسى وقد أخذ بذؤابتيه (إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل) أى خشيت اذا أنا اتبعتك وفارقتهم أن يصيروا أحزابا يقاتل بعضهم بعضا فتقول فرقت بينهم (ولم ترقب قولى) ولم تحفظ وصيتى إذ قلت لك ـ اخلفنى فى قومى وأصلح ـ والاصلاح انما يكون بحفظ جامعتهم ومداراتهم الى أن

ترجع اليهم فتتدارك الأمر برأيك وها أنت ذا قد رجعت فماذا كنت أفعل ثم أقبل موسى على السامرى منكرا عليه (قال فما خطبك ياسامرى) أى ما أمرك وشأنك الذى حملك على ماصنعت (قال بصرت بما لم يبصروا به) أى علمت بما لم يعلموه يقال بصر علم وأبصر نظر أى علمت مالم يعلمه بنو اسرائيل وذلك أنى رأيت جبريل على فرس الحياة فألقى فى نفسى أن أقبض من أثره فما ألقيته على شئ إلا صار له روح ولحم ودم (فقبضت قبضة) هى مايقبض باليد أوقبصة بالصاد مايؤخذ بأطراف الأصابع (من أثر) حافر فرس (الرسول) جبريل (فنبذتها) فطرحتها فى الحلى المذاب فى الحفرة أوفى جوف العجل (وكذلك سوّلت لى نفسى) زينته وحسنته فأنا فعلته اتباعا لهواى وهذا اعتراف منه بالخطأ (قال) له موسى (إذهب) من بيننا طريدا (فانّ لك فى الحياة) عقوبة على ما فعلت (أن تقول) لمن أراد مخالطتك وهو لايعرف حالك (لا مساس) لايمسنى أحد ولا أمسه فحرّم الله على بنى اسرائيل أن يخالطوه وحرم عليه أن يخالطهم و بلغهم موسى ذلك واذا اتفق أن يماس أحدا حمّ الماس والممسوس فكان يهيم فى البرية و يصيح قائلا ـ لامساس ـ ثم ذكر له عذابه فى الآخرة فقال (وان لك موعدا) فى الآخرة (لن تخلفه) لن يخلفكه الله بل ينجزه لك فى الآخرة بعدما عاقبك فى الدنيا (وانظر الى إلهك الذى ظلت عليه عاكفا) ظلت على عبادته مقيما (لنحرّقنه) بالنار أو بالمبرد يقال حرق اذا برد بالمبرد (ثم لننسفنه) لنذرينه رمادا أومبرودا (فى اليم نسفا) فرقه وذراه فى البحر (إنما إلهكم) المستحق لعبادتكم (الله الذى لاإله إلا هو) إذ لا أحد يماثله (وسع كل شئ علما) وسع علمه كل ما يصح أن يعلم لا العجل الذى يصاغ ويحرق

(١) عجائب القرآن ومامعنى قول العلماء لاتنقضى عجائبه

(٢) ولم أتبعت هذه القصة بقوله تعالى ـ كذلك نقصّ عليك من أنباء ماقد سبق وقد آتيناك من لدنا علما ـ ثم أنذر من أعرض عنه

(٣) وقد ختمت القصة بقوله تعالى ـ وسع كل شئ علما ـ

(٤) كيف تكون مدارس التعليم الدينية فى مستقبل الزمان من اشارة هذه الآيات

لما وصلت الى هذا المقام من التفسير زارنى عالم فاضل من رجال المدارس الذين جاؤا من أوروبا حديثا فقال بعد أن قرأ ماتقدم . ماذاتفيدناهذه الآيات ولقدأضحت الأمم اليوم يطيرون فى الجوّ ويسيرون بالبخار على الأرض وتغطس سفنها الحربية فتفتك بالسفن العائمة وتسمى (الغوّاصة) والأمم كلها ارتقت فأى ارتقاء فى تكرار هذه القصص وما فائدة ذكر عجل السامرى وسحرة فرعون وعصا موسى بعد ما ترقت الأمم وأخذت تجدّ وتنال حظوظها . وهل دراسة هذا إلا ترديد لما كان فى الأزمان الغابرة والأجيال البائدة . ثم ان الناس فى زماننا على ﴿قسمين﴾ قسم يرى أن هذه الامور لم تكن وهؤلاء يكفرون بالديانات و يتركونها للعامّة وقسم يرى انها حق وهم العامّة الذين لاهم فى العير ولافى النفير . فقلت ياصاح إن هذه كنايات والكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز ارادة المعنى الأصلى فلانحن ننكرها ولانقف على مجرّد لفظها وهذا أبلغ ما يكون فان الكناية أبلغ من الحقائق . واعلم أن الباحثين فى أصلها قوم لايعلمون لأن المقام مقام علم وحكمة والعلم والحكمة انما يكونان من الاعتبار بالقصة والأخذ بحقائقها فأما تضييع الوقت فى أنه كيف كانت عصا موسى ويكون المرء بين تصديق وتكذيب فذلك ضلال ووبال قال تعالى ـ يضلّ به كثيرا ويهدى به كثيرا ـ فيضلّ به أولئك الباحثين المضيعين لأوقاتهم إذ لايعلمون المقصود من الكلام ويهتدى المفكرون الذين يبحثون عما يراد من هذه الكنايات . قال ماالمقصود من هذه القصص وماشأن عصا موسى وسحرة فرعون وعجل السامرى

(٢) ﴿العلوم العقلية﴾

فقلت اعلم ياصاح ان الله جعل هذه الامور أمثالا للمسلمين . يريد الله أن ينشئ أمّة اسلامية غير الأمم

المتأخرة الماضية . يريد ذلك . قال وكيف ذلك . قلت انظر . ألست ترى أن عصا موسى بها غلب سحرة فرعون أى غلب الحقّ الباطل . قال بلى . قلت ثم جاء الباطل وهو العجل الذهبى فغلب الحق . قال نعم قلت وما شاع الباطل إلا عند جهال بنى اسرائيل الذين عبدوا العجل ولوكانوا علماء كالسحرة لبقوا على دينهم قال حقا . قلت حينئذ تكون النتيجة أن المعجزات الوقتية فائدتها وقتية . قال نعم . قلت والعلوم الحقيقية فائدتها حقيقية ثابتة تبع ثبات العلم فيكون الايمان ثابتا . قال نعم . قلت حينئذ يطلب الله منا نحن لا من الذين ماتوا لأنهم عنده ولا من موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام لأنهما عنده أيضا أن نكون محققين فى كل شئ . قال نعم

(٣) ﴿ الحجر فى الجبل نبع منه الماء ﴾

قلت أذكرك بما ذكرتك به فى سورة البقرة إذ قلت ان عصا موسى لما نبع الماء من الحجر بسببها ذكر الله بعدها بآيات أن الحجر تتفجر منه الأنهار وان هذا اشارة الى أن الناس يجب عليهم أن يتنبهوا لما فى الطبيعة من عجائب وغرائب إذ ان الحجر تتفجر منه الأنهار بسبب الماء الذى فى باطن الجبل فانه يصير ثلجا فينتفخ بخاصية تخصه فيكسر الحجر . فهذا الثلج والخاصة التى له هى معجزة الله يضرب بها الحجر فى كل حين ويخرج الأنهار فى أمكنة كثيرة . قال نعم قرأت ذلك هناك . قلت فحينئذ يريد الله بذكر الحجر وضرب موسى له بالعصا أن يقرع العقول فتدرك السر المصون فى الطبيعة الكامن فى الأحجار وهذا السرّ هو اختصاص الثلج بأنه يكون أكبر من حجمه اذا جمد وليس سواه من الموائع بهذه الخاصة . وقد فعل الله ذلك ليجعله وسيلة لتكسير الصخور فتفتح فتجرى الأنهار كما وضحته هناك . قال هذا ظاهر لاغبار عليه . قلت هكذا هنا . قال وما هنا . قلت فانه ذكر العصا وقد أوضحنا الكلام عليها وذكر بعدها أمورا تليق بها . قال مامعنى هذا . قلت معناه أن الحجر هناك لما ضربته العصا وانفجر الماء قلنا انه اشارة لما سيذكره هناك من الأحجار المتفجرة فى الجبال . أما هنا فلم يذكر الحجر . كلا . لأنه هنا ذكر أن العصا قلبت حية وجاء فى سياق الكلام انها كانت تورق وتثمر متى أراد ذلك أى انها تنقلب فى صور مختلفة فلم يذكر هنا انها تفجر بسببها نهر بل قال انها هى قلبت حيوانا تارة ونباتا أخرى من سياق الكلام . قال نعم وماقصدك بهذا . قلت قصدى أن الله ذكر هنا أنه أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وانه جعل فى الأرض سبلا وأنزل ماء من السماء وأخرج به النبات والحيوان الذى يرعاه والانسان الخ . قال هذا عرفته فيما تقدّم . وماذا تقصد به . قلت كما انه هناك ذكر مايناسب الحجر المتفجر فأتبعه بحجر فى الجبل يخرج منه الماء به فهمنا انه يقصد اننا ندرس الطبيعة . هكذا فعل هنا فذكر الحيوان والنبات اللذين يصوّران من المادّة كما قلبت العصا اليهما ولم يذكر حجرا هنا ولانهرا خارجا منه مما دلنا على أن الأمر مقصود ولذلك قال تعالى ــ إنّ فى ذلك لآيات لأولى النهى ــ فأصبحت النتائج هكذا

(١) الاتكال على خوارق العادات وحدها لا يكفى لدوام الايمان

(٢) العقل والفكر والتضلع فى العلوم كسحرة فرعون هو الحافظ الوحيد للايمان

(٣) والعلوم التى تدرس لذلك هى العلوم الطبيعية المذكورة فى قوله ــ الذى جعل لكم الأرض مهدا ــ الخ ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ العلوم الطبيعية والفلكية لأنها سلسلة واحدة منظمة . قال الآن قد فهمت . وهل هذه العلوم للدنيا أم للآخرة قلت هى للدنيا والآخرة معا . قال وكيف ذلك . قلت هذه العلوم هى أنفسها علوم التوحيد وعلوم حب الله وعلوم شكر الله وهى أفضل وأنفس العلوم وعلم الفقه ماهو إلا فرعها والفرع أقلّ من الأصل . فعلى المسلمين قاطبة فى أقطار الارض ان يسمعوا هذا و يعملوا به فانه أمر الله والله هو الآمر به بل أقول فوق ذلك ان الله سيتم هذا الأمر وتدرس العلوم كلها فى أمم الاسلام وأنا واثق بذلك كل الوثوق . قال

ما

ما المنهج الذى تظنه سيكون فى التعاليم الاسلامية

(٤) ﴿ المناهج العلمية المستقبلة فى أمّة الاسلام فى التعليم الدينى ﴾

قلت ان الأمم الاسلامية ستقلب التعليم رأسا على عقب وسيصبح التعليم فى علم التوحيد هكذا تؤلف رسائل صغيرة مشوقة جميلة فيها عجائب الحكمة و بدائع الخلقة كالحيوانات الغريبة والجواهر الشريفة والعجائب المدهشة يفرح بها صغار الطلبة فى كتب صغيرة مجلدة تجليدا جميلا مرسوما فيها صور من تلك العجائب بهيئة مشوّقة وتجعل تلك الرسائل متفاوتة المقدار . ففى السنة الثانية أكبر منها فى الأولى وفى الثالثة أكبر منها فى الثانية وهكذا فى الرابعة فما تمضى أربع سنين وقد قرأ الطالب فيها أربع كتب متدرّجة فى الكبر عجيبة العلم إلا وقد أحبّ الله حبا جما لما يذكره الأساتذة عند كل عجيبة من قدرة الله وعلمه وحكمته ونظامه ثم هو أيضا قد أدرك العالم الذى يعيش فيه فأخذت قواه العقلية تنهض وتنتعش واستعدّ للحياة وأصبح رجلا غير رجال اليوم . فاذا انتقل الى القسم الثانوى كما فى الجامع الأزهر وأخذ يدرس فيه وقد نال فى الابتدائى حظا من العلوم الرياضية فحينئذ استعدّ لدرس العلوم الطبيعية فعلا فيدرس التلاميذ تلك العلوم وهم أيضا فى نفس المدارس أوالمساجد يدرسون الفروع الأخرى من الدين وهنا يدرسون الفلك وعلم النبات وعلم الحيوان والتشريح وهذه العلوم تدرس درسا إجماليا مشوقا مبنيا على شوقهم السابق لها فى القسم الابتدائى

هؤلاء التلاميذ متى تخرجوا من القسم العالى وخصص كل منهم لفنّ ففقهى أوارشادى أوطبيعى أوفلكى كانوا قدوة الأمة ومرشديها وأصبحوا أمّة حية حقيقة فيكون عالم الدين إما قاضيا واما مهندسا واما طبيبا واما عالما بطبقات الأرض . فهذه كلها علوم طلبها القرآن بل العلوم الطبيعية هى نفس علم التوحيد وقد ألفت كتبا شتى فى تشويق المسلمين للعلوم ككتاب ﴿ جمال العالم ﴾ وكتاب ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ وكتاب ﴿ النظام والاسلام ﴾ وكتاب ﴿ نهضة الأمة وحياتها ﴾ وكتاب ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾ وفى هذا التفسير عجائب كثيرة مشوّقة أيضا وكتاب ﴿ جواهر العلوم ﴾ وكتاب ﴿ ميزان الجواهر ﴾ وغيرها . قال وماذا نصنع بما يخالف قولك من التعاليم الموجودة الآن فى الاسلام . قلت هذا القول لايخالف طرق المتقدمين البتة . نعم يخالفها فى الأسلوب وفى عدم ضياع الزمن وفى الانتفاع بالعلم دنيا وأخرى وفى توسيع اختصاص العالم الدينى فبدل أن يكون قاضيا فقط يكون طبيبا أوعالم فلك ولاحرج فى ذلك كما فهمت فى هذا المقام

أيها الفاضل الذكى انك قد فرض عليك أن تلقى عصاك فتلقف ماصنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى . فقال لى ذلك العالم . أما قولك فرض علىّ فلم أفهمه وكذلك لم أفهم ما هى العصا التى أستعملها ولاماهو السحر الذى تستأصله العصا وماهذه منك إلا مقالات كمقالات الشيوخ الذين يدعون الولاية وأكثرهم لايفيدون الناس شيأ فأفهمنى ماقلت بطريق واضح فقلت له ماالمقصود من حصول السحر . أليس القصد منه انصراف العقول والأبصار عن الحقائق الى الضلالات . قال بلى . قلت إذن كل ما صرف عن الحق تجب ازالته سواء أكان سحرا أم كان غيره فان النتيجة واحدة وهى الضلال . قال وما الضلال والانصراف عن الحق الذى تعنى . قلت اعلم أن المسلمين لما تولى أمرهم ملوك من أمم غريبة النزعة منحطة المدارك تولاهم الخور فى العزائم والقعود عن العلم وادراك الحقائق . فهؤلاء الملوك حصروا عقول العلماء فى دوائر ناقصة من العلم وأشاعوا كتبا بينهم خاصة و بعضها عديم الجدوى قليل العائدة والفائدة واتسع الجدال بين العلماء فى أمور لاتوصل الى السعادة فى الحياة الدنيا ولافى الآخرة وأطالوا الجدل فى العلوم التى هى آلة لغيرها وانصرفوا عن الحقائق الى المقدمات والى الوسائل دون النهايات فاستيقظت أوروبا لذلك وأخذتهم على غرة وخسفت بنا و بديارنا الأرض فأخذت كثيرا منها صاعقة العذاب الهون بما كسبنا من الجهالات وما أحاط بنا من الخرافات فهذه الطرق العلمية سدّت على الناس طرق العلم الصحيح كأنما سكرت أبصارهم وكأنهم مسحورون وذلك نفر

كثيرا من المسلمين من العلم الصحيح فاذا لم نسم هذا سحرا فان المقصود من السحر قد حصل منه فاذا كانت البصائر قد غطيت عن الحقائق فأى سحر أنجع من هذا واذا كان سحرة فرعون أخذوا بأبصار الآلاف . فهذا العمل قد صرف مئات الملايين عن طرق السعادة حتى اصطادنا الفرنجة فههنا تم مقصود السحر بما هو أعم وأتم . فترى كتب التوحيد لاتفى بالغرض لصعوبتها وعدم تشويقها وكثرة جدلها فى أمور خارجة عن نظام هذه الدنيا التى جعلها الله محل دراستنا فهنا حياتنا وهى لوح دراستنا ونظام مدارسنا فحرم منها المسلمون بقشور ما أنزل الله بها من سلطان إلا بعض شذرات أو كتب قليلة العدد فأما البقية فهى غير صالحة لارتقاء النفوس ولا لمعرفة الله ولا حبه ولا الانشراح به . قال صاحبى ها أنا ذا عرفت السحر

﴿ السؤال ﴾

(٥) فلخص ماتقدم كيف سحر المسلمون

﴿ الجواب ﴾

سحروا بالانصراف عن العلوم النافعة فى التوحيد وفى الحياة الدنيا المرتبطة به لاتنفك عنه . فقال وما العصا وكيف يكون إلقاؤها وكيف تلقف هذا السحر ومن أين تدعى انه فرض علىّ . قلت اذا عرفت ماهو السحر فقد عرفت ماهى العصا . ان موسى أمر أن يلقى عصاه . فالقاء العصا ليس مقصودا بالذات انما المقصود ازالة السحر ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ ازالة الجهالة فاذا رجعنا للحقيقة واضحة ناصعة ظاهرة قلت جهل يزال . فموسى أزاله بعصاه وأنت أزله بما لديك من القوى فالأمر واضح . وكما ان الغذاء يقصد به حياة المغتذى فليس يهم تعيين الطريق الذى به يتناول فالنبات يتناوله بعروقه وأوراقه والحيوان بفمه والدود يمتصه بجلده والانسان بيده ثم فمه و بعض الناس يتعاطاه بملعقة أو بشوكة فلتكن أى طريق فالحياة حاصلة مهما تنوّعت تلك الطرق ومهما اختلفت . فهكذا هنا يراد ازالة الجهالة . أزالها موسى بعصاه فلنزلها نحن بما عندنا . قال أين العصا عندنا . قلت ماذكرته لك الآن من صورة الدراسة والمناهج العلمية والكتب التى تؤلف فى سنين مختلفة مرتبة منظمة جميلة المنظر حسنة الهيئة مجلدة تجليدا جميلا بهية الشكل تفرح التلاميذ بما حولهم من مزارع وما فوقهم من شموس ونجوم ثم يخصص كل امرئ فى علم خاص كقضاء أوطب وتكون مدارس الاسلام حافلة بتلك العلوم و يعرف الناس ربهم معرفة أجلّ وأجل من هذا العمى وحينئذ يظهر الاسلام على الأديان كلها و يؤدّب رجال الشرق رجال الغرب و يطردونهم من بلادهم حتما . وملخص هذا أن تدرس العلوم الطبيعية والرياضية بطرق جميلة وتجعل من علوم الدين وانها أهمها وهى أفضل وأجل وأرقى من علم الفقه لأن هذه أصول التوحيد وتلك فروعها والأصل مقدم على الفرع وكلاهما لازم للاسلام والمسلمين . قال وكيف تقول انى مأمور بهذا ولست نبيا . قلت له لم أنزل الله هذه الآيات ولم قال بعد تمامها ـ وقد آتيناك من لدنا ذكرا * من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا ـ فأين الذكر الذى ذكره الله هنا وكيف خصص هذا المقام بقوله ـ وقد آتيناك من لدنا ذكرا ـ وأنذر من أعرض عنه مع ان القرآن كله ذكر فلم قال هذا القول هنا . أليس ذلك للتنبيه على أن هنا نكتة يجب التنبه لها وفكرة يجب البحث فيها والفكرة هى ما ذكرته لك من القول المتقدم وهو أن نجد فى ازالة الضلالات العالقة بالأذهان . واعلم أن الله علم أن الاسلام سينتشر فى أنحاء المسكونة وسيقعون فى الجهالات فأنزل الله هذا العلم فى هذه السورة وأبان أن معرفة الحقائق ناصعة هى المزيلة لما لحقهم من الجهل والذّل وظلم أوروبا فوصف لهم الداء والدواء وأبان لهم طرق ازالة الخرافات من العقول وأفهمنا أن العلوم الطبيعية هى المرقية للأمم . فأما الاتكال على الظواهر فانه مدعاة للوقوع فى شرك الجهالات . وأما قولك انك لست نبيا فأقول لك ألست تعلم أن النهى عن المنكر واجب على الأنبياء وعلى غيرهم . قال بلى . قلت واذا عرفت أن الأمة اليوم واقعة فى جهالة عمياء أفليس يجب عليك أن تبادر الى

إزالتها . قال بلى . قلت ألم يقل الله لرسوله ﷺ ـ فبهداهم اقتده ـ . قال بلى . قلت هكذا فعل ﷺ فانه ألقى عصاه كما ألقى موسى عصاه وأزال السحر كما أزال موسى السحر . ذلك انه علم القوم وأسمعهم القرآن ثم كسر الأصنام التى كانت تسحر عقول القوم بكثرة المشاهدة والتعظيم والتبرّك حتى صارت شبحا سحريا يسحر العقول و يصرفها عن الحق فهذا تنويم مغناطيسى حقيقة مؤثر تأثير السحر . ألست ترى انه فعل مافعله موسى . قال بلى . قلت ألست أنت الآن مكلفا بذلك بدليل وجوب النهى عن المنكر و بدليل قوله تعالى ـ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ـ . قال بلى . قلت ـ فألق مافى يمينك تلقف ماصنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولايفلح الساحر حيث أتى ـ فان بعض القوم سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم . قال إذن فهمت ولكن أريد أن انصراف العقول الاسلامية الذى قام مقام السحر ناشئ من صعوبة الكتب وحدها . قلت هناك أسباب كثيرة فليست كل الكتب صعبة وليست كل الطرق عقيمة ولكن انصراف العقول اليوم طموعمّ العباد والبلاد فأوروبا أرسلت رسلها ففسست المتنوّرين منا فى اللذات والشهوات وأفهمتهم ضلالات فبغضتهم فى دينهم ودنياهم وطرق التوحيد عندنا عقيمة فأصبح الناس بين نارين نار الجهالة الشرقية ونار الضلالة الغربية وهذا هو الدجل وهذه أشبه بأفعال (المسيخ الدجال) وليس يصرف هذا الدجال أى الذى يشبهه إلا الطريق العيسوى والهدى الاسلامى وقد أبنته لك ـ فألق مافى يمينك تلقف ماصنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولايفلح الساحر حيث أتى ـ كما لايفلح الدجال أمام المهدى وعيسى فعيسى يقتل الدجال والحقّ يغلب الباطل والخير يغلب الشرّ وجند الله هم الغالبون وفضل الله واسع . فاعرف الحقائق وابتعد عن المزالق واسق الناس من الموارد ولا تسقهم من ماء آسن بل اسقهم من كوثر ومن رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

قال وهل أنت بما تقول واثق أم هذه أمانى . قلت أعلم أن الله عز وجل أذن للمسلمين اليوم وغدا أن يتبوّؤا مكانهم فى الأرض ومكانتهم بين الأمم وانه ناظر اليهم . ناظر نظرا عظيما وهو اليوم يبثّ فى نفوس أفراد منهم هنا وهناك طرائق العلم وأزهار الحكمة وثمارا شهية . وهؤلاء الافراد أنبتهم فى أمكنة مختلفة وقد تجلى عليهم بالنور وهم ينشرون ذلك النور فى الاقطار الاسلامية وسيسمع المسلمون أقوالهم وسيكون لهم مجد قد آن أوانه وقرب ابانه فاقرأ إن شئت ـ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد ـ فقد وعد الله أن يرينا آياته فى أنفسنا وذلك بعلم الأرواح وعلم النفس وفى الآفاق وذلك بالعلوم التى ذكرناها وحرّضنا عليها وأعدناها فى هذا التفسير تكرارا وقلناها مرارا . وأقول لك ان ظهور هذه العلوم بهذه الطرق هذا أوانه حتما وهذا هو الوقت الذى وعد الله به وهاهوذا ينجز وعده وفى زمن قريب سيظهر علماء وفضلاء وحكماء فى بلاد الاسلام . ألست ترى أن القرآن الذى كانت الجهلة من المسلمين يعتقدون أنه مبعد عن العلوم قد أصبح اليوم كما تراه محرّضا عليها شارحا لها مهيأ لها وأصبح أمثال هذا القصص ليس أمرا مضى وانقضى فحسب بل هاأنت ذا تراه يصلح لكل زمن سيأتى فللناس أن يقولوا بعد آلاف السنين ـ وألق مافى يمينك تلقف ماصنعوا ـ ويرون أن علم البلاغة يفهمنا أن المأمور الآن انما هو نحن . قد أمرنا أن ننشر العلم ونزيل الضلال والجهالة لا أكثر ولا أقل وهذا قول مقبول بعد مئات الآلاف من السنين . فاذا قال الله ـ ولكن رسول الله وخاتم النبيين ـ واذا قال ـ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ـ فهاهوذا قد ظهر المقصود واتضح الحق وأن هذا القرآن صالح لجميع الأزمنة والأمكنة لأنه مسائل عامة فى غاياتها وان كانت خاصة بالنظر الى ظواهرها . وسيقوم بهذه الامور عقلاء وعلماء يملؤن الأرض نورا وعلما قريبا وقريبا جدا . وانى أطلب من الله أن تكون أيها الذكى المطلع على هذا التفسير منهم فى تذكير الناس بما علمت من هذا التفسير وغيره وأن يكون

مطامح نظرك رقى الأمة الاسلامية التى هى جسم أنت أحد أعضائه والله يتولى الصالحين وهو حسبنا ونعم الوكيل ولاحول ولاقوة إلا بالله العلىّ العظيم . انتهى الفصل الرابع وهو آخر فصول المقصد الثانى من هذه السورة

(المَقْصِدُ الثَّالِثُ)

كَذٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا * مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا * خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا * يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا * يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا * وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا * يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا * يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا * وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا * وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا * وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَى * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى * قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * وَكَذٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى *

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ * وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى * فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ * وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ * وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ * وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ * قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (كذلك نقصّ عليك من أنباء ما قد سبق) أى مثل ما قصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من أخبار الأمم الماضية تكثيرا لبيناتك وعلومك وتبصرة لك وزيادة فى علمك وعلم المستبصرين من أمّتك (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) قرآنا فيه الأخبار والأقاصيص للاعتبار بها والتفكر فيها (من أعرض عنه) عن الذكر وهو القرآن (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) عقوبة ثقيلة والوزر الحمل الثقيل لغة وقوله (خالدين فيه) فى الوزر وهو حال من الضمير فى يحمل وانما جمع على المعنى (وساء لهم يوم القيامة حملا) ساء كبئس أى ساء الحمل حملا وزرهم فالفاعل ضمير مفسر بحملا ووزرهم مخصوص بالذم محذوف وقوله (يوم ينفخ فى الصور) بدل من يوم القيامة أى يوم تنفخ الأرواح فى صورها فالصور هنا جمع صورة * وقد قرئ — فى الصور — بضم ففتح وهو ظاهر فى هذا المعنى (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) أى عميا لأن حدقة من يذهب نور بصره تكون زرقاء وزرقة العين أسوأ ألوانها والروم كانوا أعدى أعداء العرب وهم زرق العيون فوصفوا بوصف مبغض من حيث اللون سيئ من حيث ذهاب البصر فهو أبلغ من عميا (يتخافتون بينهم) أى يتسارّون يقول بعضهم لبعض سرا من هول اليوم (إن لبثتم إلا عشرا) أى ما لبثتم فى الدنيا أوفى القبر إلا عشر ليال استقصارا المدّة لبثهم لما عاينوا من شدّة العذاب وهوله معتبرين ماتقدّم أيام نعم لأن أيام النعيم قصيرة (نحن أعلم بما يقولون) وهو مدّة لبثهم (إذ يقول أمثلهم طريقة) أعدلهم رأيا (إن لبثتم إلا يوما) قصر فى أعينهم بالنسبة لأهوال القيامة (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا) وذلك أن رجلا من ثقيف سأل عنها النبى ﷺ فأجيب بنزول هذه الآية . والنسف القلع من أصولها ثم يجعلها هباء منثورا فأوّلا يجعلها كالرمال ثم يرسل عليها الرياح فتفرّقها (فيذرها قاعا صفصفا) أى يدع أماكن الجبال من الأرض أرضا ملساء صفصفا مستوية لانبات فيها (لاترى فيها عوجا ولا أمتا) أى لا انخفاضا ولا ارتفاعا فلاوادى فيها ولارابية (يومئذ) أى يوم إذ نسفت وهو بدل ثان من يوم القيامة (يتبعون الداعى) داعى الله الى المحشر (لاعوج له) لايميلون ولايزيغون عنه يمينا ولاشمالا (وخشعت الأصوات) أى خضعت (للرحمن) لمهابته (فلا تسمع إلا همسا) صوتا خفيا كصوت أخفاف الابل (يومئذ لاتنفع الشفاعة) عنده (إلا من أذن له

الرحمن) أى إلا شفاعة من أذن له الرحمن أن يشفع (ورضى له قولا) فلايشفع إلا المأذون الذى رضى الله قوله . ثم اعلم أن الشفاعة فى الآخرة تابعة لاذن الله كما هنا وعلامة إذن الله أن يكون المرء مرضى القول ومن رضا القول أن يكون مقبول القول فى الدنيا قد سمع الناس نصائحه لطهارة قلبه وخلوص نيته . وعلى مقدار الآثار الواصلة من الشافع الى المشفوع تكون درجة الشفاعة . فالأنبياء يشفعون والعلماء يشفعون والأساتذة يشفعون والشهداء يشفعون . ولكل منهم فى الشفاعة درجة خاصة وهى مقدرة بمقدار آثاره فى المشفوع لهم وعلامة قبول شفاعتهم فى الآخرة قبول نصائحهم فى الدنيا . فكلما كانوا أبين قولا وأكثر أثرا كانت شفاعتهم على مقدار ماوصلوا اليه من نفوس سامعيهم والله هو العالم بالشافعين والمشفوع لهم (يعلم مابين أيديهم) ماتقدمهم من الأحوال (وماخلفهم) ومايستقبلونه منها فهو عالم بالشافع الذى أثار القلوب بعلمه وبالمشفوع له الذى نال تلك الآثار فيعطى الاذن وقبول الشفاعة فى المشفوع له بقدر (ولايحيطون به علما) أى ولايحيطون بالله علما (وعنت الوجوه) أى ذلت وخضعت (للحى القيوم) أى الذى لايموت القائم بتدبير خلقه (وقد خاب) أيس من رحمة الله تعالى (من حمل ظلما) أى من حمل الى موقف القيامة شركا لأن الظلم وضع الشئ فى غير محله ولاظلم أشد منه (ومن يعمل من الصالحات) الطاعات (وهومؤمن) مصدق بما جاء به النبي ﷺ (فلايخاف) أى فهو لايخاف (ظلما) أن يزاد فى سيآته (ولاهضما) أى نقصا من حسناته (وكذلك) عطف على كذلك نقص أى ومثل ذلك الانزال (أنزلناه قرآناه عربيا) بلسان العرب (وصرفنا) كررنا (فيه من الوعيد لعلهم يتقون) يجتنبون الشرك (أويحدث لهم) الوعيد أوالقرآن (ذكرا) عظة (فتعالى الله الملك الحق) أى ارتفع عن الظنون وأوهام الأفهام ومشابهة المخلوقات الملك الذى يحتاج اليه الملوك وانما كان ملكا حقا لأن ملكه لايزول أما ملك الملوك فانه زائل . ثم أخذ يستطرد لذكر القرآن قائلا واذا لقنك جبريل مايوحى اليك من القرآن فتأن ريثما يسمعك ويفهمك وهذا قوله (ولاتعجل بالقرآن) أى بقراءته (من قبل أن يقضى اليك وحيه) أى من قبل أن يفرغ جبريل من الابلاغ (وقل رب زدنى علما) بالقرآن ومعانيه * ويقال ان الله ما أمر نبيه ﷺ بطلب الزيادة فى شئ إلا فى العلم (ولقد عهدنا الى آدم) أى أوحينا اليه ألا يأكل من الشجرة . يقال فى أوامر الملوك عهد اليه وأوحى اليه وعزم عليه وهذه القصة معطوفة على ـ وصرفنا فيه من الوعيد ـ (من قبل) أى من قبل وجودهم فخالف ماعهد اليه وهم أيضا مخالفون فالمخالفة راسخة فى الاصول منتقلة الى الفروع (فنسى) العهد وهوالنهى والأنبياء يؤاخذون بالنسيان أونسى أى ترك ماوصى به من الاحتراز من الشجرة (ولم نجد له عزما) تصميما فى الرأى وثباتا فى العزيمة (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم) أى اذكر حاله فى ذلك الوقت لتعلم كيف نسى ولم يكن له عزيمة ولاثبات (فسجدوا إلا إبليس) قد تقدم الكلام على كل ماقاله الناس فى الملائكة فى سورة البقرة وعلى أدلة وجودهم * وقال الحسن الملائكة لباب الخليقة من الأرواح ولايتناسلون وهذا القول يرجع الى أحد الأقوال المذكورة فى سورة البقرة التى تشير الى أن الملائكة والشياطين أرواح من ماتوا من الناس فان كانوا أبرارا فهم الملائكة وان كانوا أشرارا فهم الشياطين ويكون الأولون الى النور أنسب والآخرين الى النار أقرب . وتقدم فى حديث مسلم أن النار حجاب الله فهكذا هى التى حجبت الشياطين هى والمادة التى منها أنشئت وحجبا الناس أيضا عن ربهم ولامجال للبحث هنا فارجع إليه هناك . وهنا يقال لم لم يسجد إبليس فقال (أبى) أى أظهر الاباء وتوقف (فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك) لأنه لم يسجد لك ولم ير لك فضلا فاحترسا منه (فلايخرجنكما من الجنة) فلا يكونن سببا لاخراجكما منها (فتشقى) فتتعب فى طلب القوت ولم يقل فتشقيا لمراعاة رؤس الآى ولأن الرجل هوالمكلف بنفقة المرأة فجعل الشقاء عليه خاصا به (ان لك ألاتجوع فيها) فى الجنة (ولا تعرى) عن الملابس فيها (وانك لاتظمأ فيها) لاتعطش (ولاتضحى) ولاتبرز للشمس فيؤذيك حرها لأنه

ليس

ليس فى الجنة شمس . وهذه الأربعة هى مدار الكفاف فالشبع والرى والكسوة والكن هى التى عليها مدار الحياة (فوسوس اليه الشيطان) أى أسرّ اليه (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أى الشجرة التى إن أكلت منها بقيت مخلدا (وملك لايبلى) لايزول ولايضعف . فالله وابليس كلاهما رغبا آدم فى النعيم المقيم . فالله جعله فى الاحتراس من الشجرة وابليس علقه على الأكل منها فاتحدت الغاية واختلف الطريقان . فالرحيم سلك بعبده الطريق المؤدى الموصل والعدوّ سلك الطريق الذى لم يوصل (فأكلا منها) أى أكل آدم وحوّاء من الشجرة (فبدت لهما سوآتهما) أى عريا من الثياب التى كانت عليهما حتى ظهرت عوراتهما (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) أى يلزقان بسوآتهما من ورق التين (وعصى آدم ربه فغوى) وغوى أى أخطأ الطريق الموصل إذ طلب الخلد بأكل مانهى عنه * جا فى حديث رواه البخارى ومسلم قال ﷺ ﴿احتجّ آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا أخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت ياموسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أتلومنى على أمر قدّره الله تعالى قبل أن يخلقنى بأربعين عاما فحج آدم موسى﴾ واعلم أن مثل هذا الحديث يتخذه الضعفاء حجة على فعل المعاصى وهو خطأ بل مثله ينفع الانسان بعد وقوع الذنب ليتسلى به فأماقبل وقوع الذنب فمن الجهالة الاحتجاج به لأنه يكون ذلك وسيلة الى تبديد القوى الانسانية واضاعة الدين والقرآن وهذا هو الضلال المبين (ثم اجتباه ربه) اصطفاه وقرّبه بأن حمله على التوبة (فتاب عليه) قبل توبته حين تاب (وهدى) هداه لرشده حتى رجع الى الندم والاستغفار (قال) الله (اهبطا منها جميعا) الخطاب لآدم ومعه ذرّيته ولابليس ومعه ذرّيته (بعضكم لبعض عدوّ) أى بعض الفريقين لبعض عدوّ (فإما يأتينكم منى هدى) أى كتاب ورسول (فمن اتبع هداى) أى الكتاب والرسول (فلا يضلّ) فى الدنيا (ولايشقى) فى الآخرة (ومن أعرض عن ذكرى) أى الهدى الداعى الى عبادتى (فانّ له معيشة ضنكا) ضيقا وهذا مصدر وصف به * وقرئ ـ ضنكى ـ كسكرى . وهذا الضنك يدركه ذوو النفوس الجاهلة فى الدنيا ولوكانوا أغنياء بسلب القناعة عنهم وحرصهم وجشعهم وسوء ظنهم بالله وفرط انشغالهم بأسباب الاكتساب وهؤلاء لم يدخلوا فى السلام العام الذى يقوله المسلم فى الصلاة فانه لا أمان لهم لسوء ظنهم بالله و بكل شئ فى الوجود فان نزلت المحنة بهم لم يروها إلا تعذيبا وان نزلت بهم النعمة حرصوا عليها وان ذهبت منهم كادت نفوسهم تزهق فاذا ماتوا عذّبوا فى القبور على شهواتهم وحزنوا واغتموا على ماظنوه نعما واذا بعثوا بعثوا على ما ماتوا عليه حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا . هذه هى المعيشة الضنكى . واعلم أن بعض الناس يعيشون فى الأرض و يعذبون وهم لايشعرون أنهم يعذّبون . يظنون أن العذاب نعيم وأن السعير جنات . فيرى الأغنياء الذين لاحظ لهم من عالم الجمال انهم فى خفض وفى دعة وفى سعة وقد فاقهم الفقراء والخدم الذين فى قصورهم والباعة فى الطرق . فهؤلاء فاقوهم فى السعادة والحظوظ الدنيوية وهم لايعلمون وقد اكتفوا بالمظاهر التى لاتحسّ بها قلوبهم وقنعوا بما يتملق به الناس اليهم وهم لايعلمون أنهم أشقياء فى هذه الحياة . وهذا هو المعنى الذى ظهر لشاعر انجليزى ولشاعر آخر اسمه ﴿وليم كُوبر﴾ وقد ترجمت شعرهما وأنا مدرّس بالمدرسة العباسية باسكندرية لتلاميذها وهذا هو الشعر المذكور ذكرته هنا لتعلم أيها الذكى كيف كانت العقول البشرية وأصحاب النفوس الشريفة قد اصطلحت واتفقت على المعانى التى أنزلها الله فى القرآن الكريم لأنه أنزل للناس كافة ـ وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين ـ واذا كان رحمة للناس كافة فاذن يكون موافقا لجوهر أرواحهم مناسبا للفطر الأصلية مستحوذا على المعانى العالية التى اشتركت فيها الأرواح الصافية الخالية من الأغراض البعيدة عن الأهواء التى تغترف المعانى من بحر الأنوار المشرق من وراء الحجب الذين يأنسون بعالم الجمال وهم بعيدون عن التأثر بالأحوال الانسانية العارضة الشاغلة لأهل هذه العصور وان كانوا فى أمم ظالمة ودول جشعة سيقتلها الحرص والطمع ولو بعد حين

أيذوق الفقراء السعادة أكثر من الأغنياء

(من شعر ترنش الشاعر الانجليزى)

قوم صفت الدنيا لهم * وسماؤهم صحو عجب
فيها شمس وبها قمر * لم تحجبهم عنها حجب
فاذا ما اغبرّ بأفقهم * مقدار الظفر له غضبوا
وفريق عاش ودهرهم * ليل فيه السود النوب
فاذا لمحوا من بارقة * فرحوا جذلا وبهم طرب
هذا مثل فيه عظة * لذوى التوفيق اذا ضربوا
فانظر زمرا سكنوا مصرا * و بنوا قصرا ولهم ذهب
ولهم نعم فيها نعم * فاذا راحت فلها لجب
يشكون الدهر وما نصبوا * ان شاكهم و يرصخبوا
فكأن الفضل بما طلبوا * مما منّ عليهم حرب(١)
وكأن المال جهنمهم * وثراء المال لهم عطب
وترى رهطا سكنوا الأكوا * خ فذا شعر هذا قصب
وحياتهم فى مخمصة * ومعيشتهم أبدا وصب
حمدوا الرحمن على نعم * وبه فرحوا وله انتسبوا
فكأنهم لما سلبوا * ما أعطاهم منه كسبوا
فالحب كساهم من حلل * وبكأس سعادته شربوا

﴿ وصف السعداء فى الدنيا ﴾

(من شعر وليم وتون الشاعر الانجليزى)

ألا حبذا من عاش فى الناس ألمعا(٢) * ذكىّ فؤاد لم يكن قط إمّعه(٣)
يصول بسيف الحق والحقّ أبلج * اذا اضطرب الأهواء فى كل معمعه
ولم يك عبدا طائعا كل شهوة * الى الموت تاقت نفسه وهو فى دعه
فلا أوثقته شهوة بوثاقها * الى هذه الدنيا ولا المال أطمعه
ولم يغبط القوم الذين سمت بهم * مصادفة أو يستهانوا مع الضعه
وما غرّه مدح ولا شرع واضع * ولكنّ صوت العدل فى القلب أقنعه
فيأوى الى الركن الشديد ضميره * فنزّه تاريخ الحياة وأبدعه
وصار كفاف العيش لا الخب(٤) طاعم * لديه ولا الطاغى اذا رام ضعضعه
يصلى على حين العشيات والضحى * لوجه جلال الله لا وجه منفعه
ويوم فراغ النفس تلقاه قارئا * كتاب نبىّ أو مسامر من معه
فهذا هو الحرّ الذى عاش مسعدا * فلا خوف يخشاه ولا حرص أوقعه
مليك قياد النفس لا ملك الورى * ولم يك ذا مال بل الملك أجمعه

فانظر كيف وصف شعراء أوروبا حال الأغنياء أولا وكيف بينوا أن السعيد انما يكون سعده بصفات الكمال والقناعة والوقار لا بالشهرة الكاذبة والمدح وكثرة الغنى . هذا بعض مايفهمه علماء الاسلام من قوله

(١) سلب المال (٢) الذكى (٣) الذى لا رأى له (٤) الخبيث

تعالى

تعالى ـ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ـ وإياك أن تظن أن المسلم خارج عن دائرة العيشة الضنك غنيا كان أو فقيرا اذا كان قلبه غافلا عن ذكر الله وعن الصلاة . فكم من المسلمين من يصلون ويصومون ويتعبدون وهم أجسام خاوية ونفوس خالية وعقولهم ذاهبة . إياك أن تغترّ بأنك مسلم أومؤمن . إياك أن يغرّك ذلك فليس لك حظ من الاسلام إلا على مقدار تشرّب نفسك بهذه المعانى وحب الله وحضور الامور العالية فى ذهنك اذا أردت أن تحظى بالعيشة السعيدة بقدر امكانك فى هذه الدنيا فاسمع ماسيأتى بعد آيات فى هذه السورة واسمع قوله تعالى ـ فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ـ ان أسرار القرآن ستظهر عما قريب للمسلمين . انظر لكتاب الله تعالى كيف يقول ان من أعرض عن ذكر الله فإن له معيشة ضنكا ثم يأتى بعد آيات فى نفس السورة ويصف الدواء الناجع لهذه المعيشة الضنك فيقول اصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك الخ ومن آناء الليل فسبح ويقول ـ ولاتمدنّ عينيك ـ ويقول ـ وأمر أهلك بالصلاة ـ فهاأنا ذا أسير فى تفسير الآيات ليتضح المقام فلنسر فى وصف هؤلاء ذوى المعيشة الضنك المذكورين قال الله تعالى (ونحشره يوم القيامة أعمى) البصر والقلب كما كان أعمى القلب فى الدنيا (قال ربّ لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا) فأجابه الله قائلا ليس المدار على البصر الظاهر انما الأمر موقوف على التعقل والتفكر فأنا لم أحشرك إلا على مامت عليه وهذا قوله (كذلك) ثم أخذ يفسره فقال (أتتك آياتنا) واضحة نيرة (فنسيتها) عميت عنها وتركتها اتباعا لأبيك آدم وقد نبهتك بقصته فما ارعويت (وكذلك) ومثل تركك إياها (اليوم تنسى) تترك فى العمى والعذاب (وكذلك نجزى من أسرف) بالانهماك فى لذاته والاستغراق فى أسباب الحياة الدنيا وهو معرض عن آياتنا (ولم يؤمن بآيات ربه) فكذبها (ولعذاب الآخرة) وهو الحشر على العمى وعذاب القبر والنار (أشدّ وأبقى) من ضنك العيش لأن العذاب الفانى أقل من العذاب الباقى . لقد وعد الله المعرضين عن ذكره تعالى ﴿ بعذابين ﴾ فى الدنيا بالضنك والذل وفى الآخرة بعذاب جهنم وبالعمى الحقيقى ثم ختم الآية بأن العمى فى الآخرة وعذابها أشدّ من ضيق العيش فى الدنيا . فما أوضح هذا القول وما أعجبه . ولما كانت حياة الأفراد مقيسة على حياة الأمم كما تنبه لذلك أفلاطون فى كتاب جمهوريته الذى وضعه على لسان أستاذه (سقراط) إذ قال فيه ان الأمم لاتتم مدنيتها إلا ﴿ بأربعة أشياء ﴾ حكام مفكرين بحكمة وعقل وجيوش منظمة مدربة خاضعة لآراء رؤساء المدينة وعامة قائمين بواجباتهم من صناعة وتجارة وعمارة وزراعة وأدب وطاعة تامة فهؤلاء الأقسام الثلاثة اذا قام كل منهم بما أوجبه القانون عليه . فالرؤساء حكماء والجيوش مطيعون والعامة ممتثلون أمر الفريقين كانت هذه الصفة هى العدل واذن لاسعادة لأمة إلا بهذه الأربعة . حكمة فى الرؤساء وشجاعة فى الجنود وعفة فى العامة وعدل بانتظام هذه الأحوال الثلاثة والتئامها وانتظامها . ثم قال بعد ذلك وهذه اذا كانت أحوال الأمة فأحوال الانسان الفرد تقاس على حال المجموع . فلتكن قوّتنا الشهوية للملبس والمطعم والتزوج أشبه بالعامة فى الأمة . وقوّتنا الغضبية طائعة لقوّتنا العقلية فلاتحرك لعمل بطريق الغضب إلا اذا كان العقل يأمر به وقوّتنا العقلية قائمة بالحكمة والعلم دارسة مفكرة . وبانتظام هذه الثلاثة يكون العدل فالانسان لاسعادة له إلا بهذه الأربعة ومنها تفرعت جميع الأخلاق ﴿ العفة . الشجاعة . الحكمة . العدل ﴾ . هذا ملخص جمهورية أفلاطون ذكرتها لك هنا لتعجب كيف ذكر الله الآيات الآتية بعد السابقة ذكرها ليقيس حال الأفراد على حال المجموع . فانظر كيف جاء القرآن بما هو ملخص الفلسفة العالية الموضوعة فى كتاب عظيم ضخم . انظر كيف لخصها فى بضع آيات فقد ذكر الأشخاص الذين عاشوا عيشا نكدا فى الدنيا وسيشقون فى الآخرة . وهذا العيش النكد باعراضهم عن ذكر الله وهذا هو علم الحكمة ويتبعه سائر ماتقدم . ثم أتبعه بذكر أحوال الأمم الجاهلة قال (أفلم يهد لهم) أفلم يبين لهم اهلاكنا من قبلهم من القرون

وهم يمشون فى مساكنهم ففاعل يبين هو المأخوذ من قوله تعالى (كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم) أى حال كونهم يمشون فى ديارهم و يشاهدون آثار هلاكهم . أفلايقيسون أحوال الأفراد على أحوال الأمم . أفلا يفكر كل واحد فى نفسه أن الله الذى أهلك هذه الأمم هو الذى يعامل الأفراد معاملة الأمم والفرد طبعه طبع المجموع مقيس عليه كما يعرفه فلاسفتكم فى الأرض بقولهم وذ كأنهم فكيف غفل الناس عن ذلك . ونحن كما عذبنا الأمم بهلاكها تارة و بتنغيص عيشها بالحرب والضرب والقتال نفعل كل ذلك بالانسان الواحد فتارة نأخذه بغتة وتارة نبقيه ونجعله فى معيشة ضنك . وان الانسان ليسهل عليه أن يدرس الأمم وأحوالها فليقس نفسه عليها . وأنا لم أؤخر العذاب عن هذه الأمم الكافرة من قريش وغيرهم إلا لكلمة سبقت منى فى اللوح المحفوظ وفى علمى القديم أن أؤخر العذاب عن بعض الأمم لأنى أردت أن أبتليهم لعلهم يؤمنون أو تخرج منهم ذرية مؤمنة (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى الحكم بتأخير العذاب عن أمة محمد ﷺ (لكان) العذاب المماثل لما نزل بعاد وثمود وغيرهما (لزاما) لازما لهؤلاء الكفار (وأجل مسمى) عطف على — كلمة — أى ولولا العدة بتأخير العذاب وأجل مسمى لأعمارهم أولعذابهم وهو يوم القيامة أو بدر لكان العذاب لزاما

﴿ فصل فى الكلام على سعادة الانسان فى الدنيا وكيف لايعيش معيشة ضنكا ﴾

اعلم أن الله بعد أن ذكر حال الذى يعيش معيشة ضنكا و بين أن العقل المحجوب الذى فى غشاء عن ذكر الله معذب صاحبه فى الدنيا وان كان غنيا وأن عذابه فى الآخرة تبع لعذابه فى الدنيا وأن حاله مقيس على حال الأمم وأن الفرد كالأمة — ماخلقكم ولابعثكم إلا كنفس واحدة — أتبعه بذكر الدواء لهذا الداء لينبه المسلمين الى الحياة السعيدة . وأن كلمة الشهادتين والاسلام الظاهرى مع غفلة القلب لا يكفيان لها فأمر نبيه ﷺ بأربعة أمور ﴿الأول﴾ الصبر ﴿الثانى﴾ العبادة مع حضور القلب ﴿الثالث﴾ أن لايتعلق بامور الدنيا فيشتهى مثل ماعند الأغنياء ﴿الرابع﴾ أن يأمر أهله بالصلاة و يصطبر عليها . هذه هى الشرائط الأربعة لسعادة النفس فى الدنيا وأن الانسان لا يكون فى عيشة مضنكة

﴿ الأمر الأول . الصبر ﴾

قال تعالى (فاصبر على مايقولون) من الشتم والتكذيب مادمت غير قادر على تأديبهم وتهذيبهم حتى يأتيك الأمر بالجهاد

﴿ الأمر الثانى . الصلوات ﴾

وهى الصلوات الخمس مع صلاة الليل وهى التهجد (وسبح) أى وصل (بحمد ربك) أى وأنت حامد لربك على هدايته وتوفيقه معترفا بأنه المولى للنعم كلها بأن تقول فى صلواتك — الحمد لله رب العالمين — الخ وليكن ذلك (قبل طلوع الشمس) وهى صلاة الفجر التى تكون فى أوقات الصفاء والجمال والبهجة واشراق الجو بنور بهج بديع مشرق مذكر بالنور الالهى المالئ للكون (وقبل غروبها) وقت الظهر ووقت العصر وقد أزفت ترحل من العالم الأرضى الى عالم أرضى آخر فتكون الصلاة فى هذين الوقتين للاعتراف بما حباه الله للناس من النور الذى أكسبهم حياة ومعيشة وسبب لهم الخيرات والنعم وحاطهم بأصناف الكرامات من جنات وأعناب وسحاب وضياء به يبصرون طرقهم (ومن آناء الليل فسبح) الآناء جمع إنى بالكسر والقصر أو أناء بالفتح والمد أى الساعات يقول صل فى ساعات الليل المغرب والعشاء وصلاة التهجد فان هذه الأوقات هى التى يشعر القرب بالله تعالى و يسجد و يقترب منه لأن المشاغل الدنيوية ليس لها سلطان على القلب إذ ذاك كما قال تعالى فى آية أخرى — إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا — أى أشد مواطأة وموافقة وأبين قولا ففيها يوافق القلب اللسان و يخاطب ربه و يفرح به و يفيض عليه الأنوار والبهجة . وليس يعرف ذلك

المسلم إلا بالتجربة أما مجرّد السماع فلا يكفي وأما قوله تعالى (وأطراف النهار) فانه تكرار لصلاتي الصبح وصلاة المغرب وهو معطوف على ـ قبل ـ . يقول الله سبحانه في هذه الأوقات (لعلك ترضى) أي رجاء انك ترضى بالبناء للمجهول أي يرضيك الله بالالهام والمسرات النفسية والأنوار القلبية والهداية والتوفيق وأن تكون هاديا للناس وفي الآخرة بمشاهدة الله الذي كنت تشتاق اليه وأنت حيّ في الدنيا أو بالبناء للفاعل أي تنال عند الله مابه ترضى نفسك ويسرّ قلبك في الدنيا والآخرة

﴿ الأمر الثالث ﴾

قال تعالى (ولاتمدّن عينيك) أي نظر عينيك (الى مامتعنا به) استحسانا له وتمنيا أن يكون لك مثله (أزواجا منهم) أصنافا من الكفرة ثم أبدل منه قوله (زهرة الحياة الدنيا) أي ذوي زهرة الحياة الدنيا . ولاجرم أن الزهرة ذابلة قريبا والثمر هو الباقي (لنفتنهم فيه) أي لنبلوهم ونحشرهم فيه (ورزق ربك) وهو الهدى والتوفيق وثوابهما (خير) مما منحوا من الدنيا (وأبقى) فانه لاينقطع . ثم اعلم أن الرزق الذي جاء في هذه الآية ينتهي الى مشاهدة الله تعالى والاستغناء به عن عالم المادّة لأنه هو المصدر الأوّل لكل نعمة فاذا اقتنع الجهال من سائر الأمم بالمال والمناصب وهي زائلة بل قواهم نفسها مضمحلة ذاهبة في هذه الدنيا قبل الآخرة فان أرباب النفوس العالية لايقرّ لهم قرار حتى يشاهدوا مبدأ هذا الجمال البارع . انهم لايحبون شيأ إلا أن يروا ربهم وهذه الرؤيا لامعنى لها إلا العلوم والمعارف الشريفة التي تنتهي بالمشاهدة اللائقة لذلك المقام لامشاهدة الحواس . ولعلك تقول هذه خطوة كبرى . أقول لك انها من حديث البخاري ومسلم فعن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله ﷺ فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لاتضامّون [1] في رؤيته فان استطعتم ألاتغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ ـ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ـ اهـ

إن هذا الحديث خير مفسر لهذه الآيات . يقول الله تعالى صلوا صلواتكم الخمس وصلوا تهجدا بالليل ذلك لأتجلى عليكم اذا وجهتم قلوبكم اليّ في نفس الصلوات واياكم أن يشغلكم المال واللذات الفانية فانما المال زهرة والعلم ثمرة ولاثمرة إلا أن تشاهدوني فلاالمال الدنيا ولاالجنة في الآخرة بمقنعين ذوي العقول دون أن يروني . وكيف يروني إلا باستحضاري في قلوبهم . وكيف يستحضروني في قلوبهم إلا في خلواتهم ولاخلوة أفضل من خلوة القلب في الصلاة ولاتتم الصلاة وخلوة القلب فيها إلا باحتقار المال وعدم تمني ماعند الناس وعدم الاحتفال بهذه المادّة فان كنت غنيا أوفقيرا فليكن المال عندك كزهرة والعلم كثمرة ومتى دمت على ذلك ومت فانك تراني وتشاهدني أيها العبد مشاهدة حقة ولاتظنّ أن قيامك بأمر أمّتك وعملك لهم يمنعك من ذلك فمن أحسن لعبادي فقد تقرّب اليّ بهذا الاحسان

﴿ الأمر الرابع ﴾

قال تعالى (وأمر أهلك بالصلاة) وأمر أهل بيتك والتابعين لك من أمتك بالصلاة كما أمرت أن تصلي أنت (واصطبر عليها) وداوم عليها (لانسألك رزقا) لانسألك أن ترزق نفسك وأهلك (نحن نرزقك) وإياهم ففرغ قلبك لأمر الآخرة (والعاقبة) المحمودة (للتقوى) لذوي التقوى وكان عروة بن الزبير اذا رأى ماعند السلاطين قرأ ـ ولا تمدّن عينيك ـ الآية ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله . وكان بكر بن عبدالله المزني اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله ورسوله . وعن مالك بن دينار مثله وفي بعض الأسانيد انه كان عليه الصلاة والسلام اذا أصاب أهله ضرّ أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية

واياك أن تظن أن هذا معناه أن نقعد عن الكسب بل معناه أن نسعى في الكسب وقلوبنا مع الله كما

---

(١) لاتضامّون من الانضمام وهو الازدحام فهو بتشديد الميم

ان العاشق المحب يسعى فى جمع كلمة أهل العروس على حبه و يسعى فى جمع المال وكل ذلك لايمنع من الفرح والغرام بنفس العروس فهو يسهر ويكد و يحصل للاجتماع بها فيجمع المال و يلاطف أهلها و يتوسل بأصحاب أبيها وهى فى نفسه الشغل الشاغل بل كل أعماله موجهة اليها . ناهيك ماترى أن المسلمين مأمورون أن يصلوا صلاة الخوف وهم متلبسون بالحرب فتكون المدافع والرشاشات منصبة عليهم وهم مجدون فى التكبير وذكر الله . فاذا سمعت أن النبى ﷺ يصلى اذا أصابه ضر وهكذا ابن دينار وغيره فاعلم أن هؤلاء هم أنفسهم الذين فتحوا البلاد ودوخوا الممالك وما كان ذلك وهم يصلون بل كانوا يحاربون و يصنعون الأسلحة و يشترونها و يفعلون من المؤامرات السرية والاستحكامات العسكرية ما أعجزوا به أهل زمانهم . فالمعنى هنا أن يكون القلب بذكر الله معمورا و بالعمل فى الدنيا مجدا . ولولا تركنا القول بدون هذا التعليق لظن البعض أن ذلك كاف فى الحياة . وأمثال هذا القول والأخذ به وحده هو الذى أضاع على الأمة دينها ودنياها فظن من لاعقول لهم أن الدين ليس فيه إلا هذا مع ان هذا أحد طرفى الدين والطرف الآخر أعمال الحياة من جهاد وصناعة الخ فتأمل . و بهذا تعرف معنى قوله تعالى — يضل به كثيرا — أى من أخذوا بأحد شقى الدين من القرآن — ويهدى به كثيرا — أى من أخذوا بجميع أطراف الدين فلا أعمال القلب تلهيهم عن أعمال الجوارح ولا أعمال الجوارح تلهيهم عن أعمال القلب . هذا هو الحق الصراح . فأما الكسالى منهم فهم الذين فهموا فى الدين غير هذا فعطلوه وعطلوا أهله فأخذتنا أوروبا وأذاقتنا سوء العذاب الهون ومزقتنا كل ممزق وسيلتئم الصدع وينضم الجمع ويتم الأمر ويرقى المسلمون والى مجدهم يرجعون وذلك فى أقرب الأوقات ولما كانت الآيات السابقة التى فيها الشروط الأربعة للسعادة فى الدنيا وتتبعها الأخرى قد جاء فيها الصبر على مايقولون وانه أول الشروط أخذ هنا يبين مايقولون لنتأسى بالنبى ﷺ ولنصبر كما صبر ولانبالى بما يقال فان العاقبة للتقوى فقال (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه) أى هلا يأتينا محمد بآية من ربه تدل على صحة نبوته (أولم تأتهم بينة مافى الصحف الأولى) الهمزة للاستفهام الانكارى للتقرير . يقول لهم يا أيها الكافرون كيف تطلبون آية أوماعرفتم ماجاء فى القرآن لاسيما مافى هذه السورة من قصص الأولين ونبأ المرسلين كموسى وذلك ملخص ماجاء فى التوراة فى مواضع مختلفة وصحف متفرقة . وكيف كانت هذه الزبدة ملخص علوم وآراء لوعمل بما فيها لكونت أمة ولأقامت شعبا كبيرا إذ جاء فيها أن العلم لايبنى إلا على الحقائق وأن معجزة موسى بعصاه و بيده لم يؤمن بها إلا العلماء من السحرة . أما ايمان الجهلة من بنى اسرائيل فقد زلزله السامرى بعجله فكيف تطلبون منى آية على صدق نبوتى تؤمنون بها زمنا ما ثم تنسج عليها عناكب النسيان اذا ظهر فيكم من يدعى نبوة أوولاية وأتى بما هو من قبيل التخييل السحرى فانكم تتبعون ذلك وتتركونى وتكون كل آرائكم موجهة الى من فعل ذلك ولوكان على دينى كما اتفق لبعض المسلمين الذين أظهروا غرائب فظنهم الناس أنهم اتصلوا بالعرش فهم مؤمنون بالنبى ﷺ ولكن قلوبهم معلقة بأولئك الشيوخ لايسمعون إلا لقولهم ولايريدون سواه وان كانوا مؤمنين . فيقول الله هنا أما كفاكم يا أهل مكة ماقرأتم فى هذه السورة من أن ما تقترحونه من الآيات كإزاحة جبال مكة أوتفجير الأنهار أوغيرها لاقيمة له فى اتباع الأنبياء وانما المدار على العلوم العقلية قال تعالى (ولوأنا أهلكناهم بعذاب من قبله) أى من قبل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام (لقالوا ربنا لولا) هلا (أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل) بنزول العذاب (ونخزى) فى العقبى (قل كل) أى كل واحد منا ومنكم (متربص) منتظر للعاقبة (فتربصوا) أى فانتظروا أنتم (فستعلمون) يوم بدر أو يوم القيامة (من أصحاب الصراط السوى) المستقيم (ومن اهتدى) من الضلالة نحن أم أنتم . انتهى التفسير اللفظى للقصد الثالث من سورة طه . وهنا ﴿ أربع لطائف ﴾

﴿ اللطيفة الأولى فى قوله تعالى — وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا — الى قوله — وقل رب زدنى علما — ﴾

اعلم أن الأحكام التي تشتمل عليها الشرائع ومنها القرآن ستة ﴿ الاعتقادات . العبادات . المشتهيات . المعاملات . الزاجرات . الآداب الخلقية ﴾ فالاعتقادات خمسة اثبات وجود البارى جل ثناؤه بصفاته واثبات الملائكة الذين هم السفراء بين الله و بين خلقه والكتاب والرسل والمعاد وقد انطوى على ذلك قوله تعالى ـ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ـ . وأما العبادات فثمانية ﴿ الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والاعتكاف والقرابين والكفارات ﴾ . وأما المشتهيات فهي أربع ﴿ المأكولات والمشروبات والمنكوحات والملبوسات ﴾ . وأما المعاملات فهي أربع المعاوضات كالبيع والاجارة ومايجرى مجراهما والمخاصمات كالدعاوى والبينات . والأمانات كالودائع والعوارى . والتركات كالوصايا والمواريث ﴾ . والمزاجر خمس ﴿ مزجرة عن فوات الأرواح حفظا للنفوس كالقصاص والدية ومزجرة لحفظ الأعراض كحد القذف والفسق ومزجرة لحفظ الأنساب كالجلد والرجم ومزجرة لحفظ الأموال كالقطع والصلب ومزجرة لحماية البيضة للمرتد وقتال البغاة ﴾ . وأما الآداب الخلقية فثلاثة

(١) مايختص به الانسان في نفسه واصلاح أخلاقه كالعلم والحلم والسخاء والعفة والشجاعة والوقار والتواضع

(٢) ومايختص به في معاشرة ذويه ومختصيه كبر الوالدين وصلة الأرحام وحفظ الجار ورعاية الحقوق ومواساة أهل الفقر ونصرة المظلوم واغاثة الملهوف

(٣) ومايختص به أولوا الأمر من سياسة الرعية . انتهى من مقدمة التفسير للعلامة الشهير أبي القاسم الراغب الأصفهاني . وقال في نفس هذه المقدمة أيضا مانصه

﴿ إن الناس لن يتساووا في معرفة القرآن وانما ينالون منه بحسب درجاتهم واختلاف أحوالهم فالبلغاء تعرفه من فصاحته والفقهاء من أحكامه والمتكلمون من براهينه العقلية وأهل الآثار من قصصه مايجهله غير المختص به . وقد علم أن الانسان بقدر ما يكتسب من قوته في العلم تتزايد معرفته بغوامض معانيه وعلى ذلك أخبار النبي ﷺ * قال ﷺ نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها كما سمعها حتى يؤديها الى من لم يسمعها فرب مبلغ أوعى من سامع ﴾ انتهى

وهذا يوضح لنا معنى قوله تعالى ـ وقل رب زدني علما ـ فالزيادة في العلم تزيد الانسان فهما في القرآن وقراء هذا التفسير يعرفون هذا حق المعرفة لأن العلوم في هذا الزمان قد برعت وأظهرت ما كان خافيا على الأمم المتقدمة وهذا سر قوله تعالى ـ وقل رب زدني علما ـ . فعلى المسلم أن يزداد علما حتى يدرك مقاصد القرآن ومراميه

وقال أيضا تحت عنوان ﴿ فصل في انطواء القرآن على البراهين والأدلة ﴾ مانصه ﴿ قال عليه الصلاة والسلام إن لكل آية ظهرا و بطنا ولكل حرف حدا ومطلعا (لاعلى ماذهب اليه الباطنية) ومن هذا الوجه كل من كان حظه في العلوم أوفر كان نصيبه من علم القرآن أكثر ولذلك اذا ذكر الله تعالى حجة على ربوبيته ووحدانيته أتبعها باضافتها الى أولي العقل ومرة الى أولي العلم ومرة الى السامعين ومرة الى المفكرين ومرة الى المتذكرين تنبيها على أنه بكل قوة من هذه القوى يمكن ادراك حقيقة منها وذلك نحو قوله تعالى ـ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ـ وغيرها من الآيات ﴾ انتهى

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى ـ وقل رب زدني علما ـ أيضا ﴾

اعلم أن هذا العالم الذي نعيش فيه يخدم بعضه بعضا ـ إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ـ ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها ـ ومن السجود لله أن يكون المخلوق نافعا لغيره شاء أم أبى و يستنتج من صفات هذا العالم أن النفوس الانسانية لاتنال سعادتها إلا اذا صفت سرائرها وكانت نسبتها الى العالم كله واحدة بحيث يستوى عندها المحبوب والمكروه وتعمل الخير لأجل الخير لا لأجل منفعته

وهذه المقدّمة سقتها لأقول . قد خدم السمك الصغير فى البحار السمك الكبير فأكله . فهذا قدّم جسمه وهو كل مافى مقدرته وقدم السمك كبيره وصغيره أجسامه للانسان وقدمت الغزلان والبقر وغيرها من سائر الحيوانات الوحشية أجسامها قربانا للاسود والنمور وخلفت البقر أظلافها للفراء وجلودها وهكذا جلود الغنم وغيرها لمنافع الناس . وهكذا الصناع فى كل أمّة من أمم الأرض اذا اخترعوا صناعة حديثة يخدمون نوع الانسان كله اذا سار فى سبيلهم شاؤا ذلك أم أبوا . فترى من اخترع البخار والكهرباء والبريد الذى له سلك والذى لاسلك له ومن اخترع قطار سكة الحديد ومن اخترع (الراديوم) والآلة الحاكية (الفونوغراف) كل هؤلاء قدّموا عملهم لنوع الانسان كما قدّم الحيوان لحمه وجلده له . ولعمرى انه لافرق بين صانع أتقن صنعته فقلده سواه وهو لا يقصد ذلك و بين (نمر) مات وترك جلده لنوع الانسان كلاهما لاقصد له . إذن هما سيان . إذن لاخير فى عمل يعمله الانسان للنفع العام إلا اذا قصد ذلك . وهذا معنى الحديث ﴿ انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى ﴾

اذا عرفت هذا فانظر الى النبوّة . إن النبوّة يقصد منها الهداية العامّة وليست كصناعات الصناع أونحوها بل هذه يراد بها قصدا هداية الناس . فاذا رأينا الله عزّ وجل فطر العالم كله على مقتضى صفاته وهى افاضة الخير فان كل موجود مستعدّ لافاضة الخير على غيره ولكن أكثر ذلك بلا قصد فالله هو العالم الحكيم وهذه المخلوقات لاتلحقه فى ذلك الوصف . أما الأنبياء ومن اقتفوا آثارهم فهم يصنعون الخير قاصدين نفع الناس مقتدين بفعل ربهم فى خلقه فهو مفيض للخير وهو عالم وحكيم . والأنبياء درجات فنهم من أرسل لقومه ومنهم من أرسل للعموم فانك تسمع الله يقول ــ والى عاد أخاهم هودا ــ والى ثمود أخاهم صالحا ــ ويقول ــ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور ــ ويقول فى النبى ﷺ فى نفس السورة قبل ذلك ــ كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ــ . إذن رسول الله ﷺ مرسل الى الناس والأنبياء كل رسول مرسل الى قومه . وتسمع الله يقول ــ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ــ ههنا وصلنا الى المقصود . رسول الله ليس كالأنبياء فى الاختصاص بأمة والأنبياء ليسوا كأرباب الصناعات بحيث يتعدّاهم النفع لغيرهم وهم لايقصدون . إذن رسول الله أرسل للناس جميعا ليفهموا وهو يقصد ذلك . فماذا حصل . لما ظهر الاسلام ماجت الأرض واضطربت . لماذا اضطربت لأنه قال انى أرسلت الى جميع الناس وقال ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لااله إلا الله ﴾ . فماذا حصل فتحوا فارس والروم . وماذا حصل امتدّ الفتح الى أقصى الشرق . فهنالك حصل ﴿ أمران عظيمان ﴾ وهما السيل الجارف الذى جاء من أوروبا بالحروب الصليبية ونظيره من الشرق حرب المغول والتتر وهم يأجوج ومأجوج المتقدّم شرحهم شرحا وافيا فى سورة (الكهف) . هنالك تداخل العالم بعضه فى بعض شرقا وغربا . وذلك كله تمّ فى الألف الأوّل من التاريخ الاسلامى . أما الألف الثانى الذى نحن فيه فانه قد ظهرت فيه ثمرات ذلك التداخل بين الشرق والغرب واستنار الناس شرقا وغربا كل بقدره . تقدم فى آخر سورة الكهف أن نوع الانسان مضى له على الأرض (٣٠٠) ثلثمائة ألف سنة . وهذا وان كان أمرا تقريبيا يمكن الائتناس به . وقد جاء أن الرسل فوق ثلثمائة رسول . هذه ثلثمائة ألف سنة أوأقلّ أوأكثر وهؤلاء الرسل الذين أرسلوا لهم لم يأذن الله لرسول منهم فى تلك الأيام أن يعلن صوته للعالم ويقول يا أيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعا ولكن أعلنه آخر رسول ولما أعلن هذا الاعلان ماجت الأرض وهاجت وقرأ الغربى علوم الشرقى وبالعكس فحصلت هذه المدنية التى نحن فيها الآن ولم يتم هذا إلا بالرسالة . إذن رسول الله ﷺ رحمة لأهل أوروبا والصين واليابان وأمريكا لأن هؤلاء جميعا لم تتم لهم هذه المدنية إلا بسبب انتشار الاسلام وتداخل الأمم ولولا هذا التداخل لم يتم شئ من هذه المدنية . والدليل على ذلك انه لم يتم شئ من هذا فى التاريخ الذى بلغنا وربما كان فى أزمان نحن نجهلها الآن

إذن المدنية الحاضرة ثمرة الاسلام والاسلام جاء به رسول الله ﷺ الذى أمره الله أن يدعو فقال له — وقل رب زدنى علما — وفرق بين قوله — رب زدنى علما — وقوله فيما تقدم — الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى — فهناك ذكرت ليعرف الناس حقائق مافى السموات والأرض لأن الله جعل حمده منوطا بمعرفة مافى السموات والارض والظلمات والنور أى اننا نحمد الله على هذه البدائع والعجائب . أما هنا فهو يأمره أن يقول — رب زدنى علما — فأتى بياء المتكلم أى ان الزيادة نافعة لى مباشرة فلذلك طلبها وقال — رب زدنى علما — واذا دعا محمد ﷺ ربه بأن يزيده علما فأمته مأمورة كما أمر هو أن يزيد علما . فاذا أمر بالدعاء بالزيادة فقد أمر بالزيادة تبعا وأمته تبع له ويتبع هذا أن يزيد العلم فى أمة الدعوة كلها لأنه ﷺ جاء للرحمة العامة فكأنه دعا بزيادة العلم لجميع أهل الأرض لأن أمته مأمورة بازدياد العلم كما أمر هو وازدياد علمه هو سيتبعه الانتشار فيعم الأمم وقد حصل هذا كله فان الأمم الاسلامية أولا أثارت ثائرة الكتب اليونانية ثم لما نشرت علومها جاءت أوروبا فأخذتها وزادت عليها ثم جاءت الصين واليابان . كل هذا سر — زدنى علما — . واذا قال نبى — زدنى — فليس ذلك كقول آحاد الناس . ان الجاهل يقصد نفسه والعالم يقصد العموم والأنبياء أعم فهم كالشموس . فاذا قالت الشمس يارب زدنى نورا فليس لهذا معنى إلا أن تفيض النور على غيرها ولو بواسطة القمر فذلك من مقصودها . فاذا رأينا العلم انتقل الى المشرق والمغرب وازداد ثم ازداد فهذا من آثار — رب زدنى علما — ولأذكر لك فى هذا المقام ﴿ ثلاثة أمثلة ﴾ من ازدياد العلم فى العالم الذى نعيش فيه

(١) مثال لما فى قاع البحر من العجائب فى العلم الحديث
(٢) مثال لما فوق الأرض من بدائع علم الحياة
(٣) مثال لما فى عالم الجو والسموات من غرائب الابداع

﴿ المثال الأول فى مسألة المطاط (الكاوتشوك) ﴾

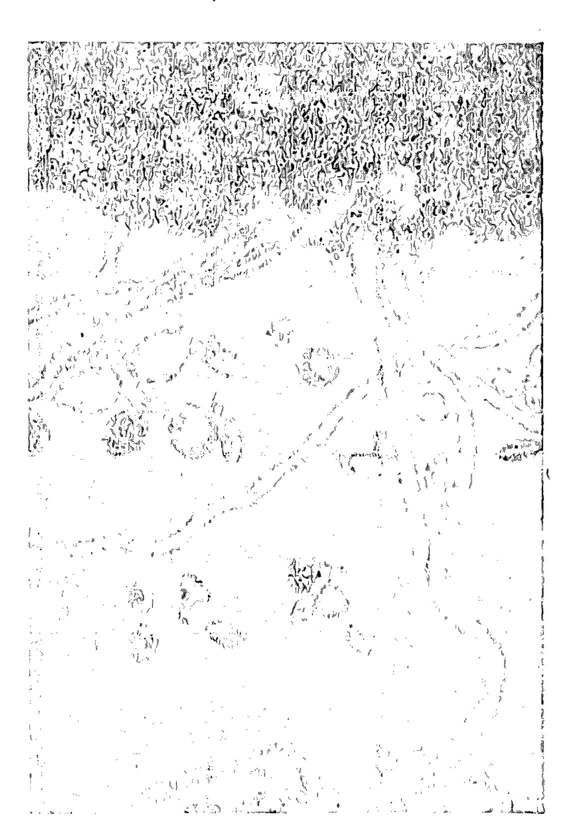
إن المطاط أو (الكاوتشوك) تقدم الكلام عليه فى أول سورة يونس مرسوما موضحا منافعه وخواصه العامة . وقد قلت هناك ان الله جعله قليلا فى الأرض لينصب الناس فى تحصيله الخ وما كنت أعلم ماتم بعد ذلك . فانظر ماذا جرى . رأت أمريكا وألمانيا أن البقاع التى فيها الكاوتشوك تحت سيطرة الانجليز وقد عمت الحاجة اليه . فماذا يصنعون . أخذ أهل أمريكا يجدون عسى أن يظفروا بمادة تقوم مقام (المطاط) كما أمكنهم أن يستعيضوا عن الجلود بمادة أخرى فوفق أحد علمائهم الى مادة فى قاع البحيرة المالحة الكبرى فى أمريكا ورأى انها تصلح بعد مزجها بقليل من المطاط البالى المنبوذ لتكوين مطاط كالمعتاد المستخرج من الشجره وماهى تلك المادة . هى نوع من (النفط الاسود) وجدت تحت قاع تلك البحيرة بعمق يختلف من ١٢٥ قدما الى ١٤٠ قدما وهذا النفط أسود يشبه فى كثافته عسل القصب وفيه ٩٩ من المائة من زيت كبريت جامد نشأ من بقايا حيوانات قديمة مندثرة و بقى مخزونا بين طبقات من الطين فى منطقة تبلغ مساحتها ألفى فدان عند شاطئ البحيرة الشمالى . فهذا النفط ينقى ويمزج بالمطاط البالى وهو أفضل اقتصادا من المطاط الشجرى المتقدم وثمنه أقل من ربع ثمن المطاط المعتاد ويكفى لكل ستين جزأ من النفط المذكور أن يضاف ١٤ جزا من المطاط المستعمل . اما الألمان فانهم يقومون الآن بتجارب أخرى فى ألمانيا لصنع المطاط كله من مواد كيمائية ليسهل وجودها فى كل مكان وتقول الصحف الألمانية انها مستبشرة بالنجاح انتهى

فانظر لهذا الانسان كيف خلق الله له المطاط وقلله ولكنه فى زماننا أكثر له العجلات والأدوات المتحركات التى تحتاج الى المطاط فكأنه قال . أيها الناس . هاأنا ذا خلقت لكم نموذجا وهو المطاط وقد قللته فى الأرض فزيدوا علما واختبروا المواد الأرضية — وان من شئ إلا عندنا خزائنه وماننزله إلا بقدر معلوم —

﴿ المثال الثانى مافوق الارض من بدائع أسرار الحياة ﴾

تقدم فى سورة (الأنعام) عند قوله تعالى — انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه — وصف الذرات الصغيرة

وهى طلع الأزهار وقد رسمت هناك أشكاله مكبرة باعتبار أن لكل نبات شكلا خاصا لهذه الحبيبات الصغيرة التى بها يكون القاح النبات . فههنا نذكر أمرا عجيبا . ذلك أن الناس فى عصرنا لم يوفقوا الى معرفة الشئ الذى يبعث الحياة فى الأحياء ﴿ و بعبارة اخرى ﴾ لم يصلوا لسرّ الحياة ولم يقدروا أن يصوّروا نموّ الحياة وحركتها فى الأحياء . ولكن الأستاذ (أرثر بيلسبورى) يقول انه وصل الى تصوير (الجوهر الحيوى فى الزهر) و يقول انه يشبه تفاعل الحياة فى الحيوان شبها مدهشا . ومتى تمّ هذا الكشف واعتمده العلماء بعد التجربة تجعل الطبيب قادرا على معرفة ماتتعرّض اليه الحياة الأوّلية فى كل جسم من العوامل التى تحدث ضررا فى بعض الأعضاء الحيوية و ينشا عنه مرض معين لان المرض عامل طارئ على الجسم يعطل العمل الحيوى المستمر وتظهر أعراض هذا التعطيل فسمى مرضا معينا ووظيفة الطبيب أن يعرف مكان العلة و يعطى العلاج لازالته . ومتى وقف الناس على ذلك عرفوا دواء الداء ونشطوا الأعضاء الخاملة و يصبح جسم الانسان كأنه آلة ميكانيكية فى نظر المهندس . فالمهندس يعرف مواضع خلل الآلة فيصلحها . هكذا الطبيب فى الجسم و يصبح الطب علما يقينيا بعد أن كانت أعماله ظنية . فهذا الاستاذ أمكنه أن يصوّر ذرات اللقاح وهى متحركة ولم يسبقه أحد الى تصوير ذرات لقاح نباتية حية . وذلك أنه كان فى جزائر (هاوى) فرأى (زنبقة العنكبوت) فكشف بين ذراتها اللقاحية وحدة حيوية حمراء اللون فأدرك أنه توصل الى ما كان يريده وانه رأى الشئ الذى يبعث عملية الحياة فى النبات والشجر فجمع تلك الذرات التى لاتظهر للعين المجرّدة إلا اذا كانت متراكمة ووضع ما اصطفاه منها فى نقطة من سائل خاص ووضعها على قطعة من الزجاج ووجه اليها منظاره الخاص فرأى تطور الذرات بعد بضع ساعات وفتق منها غشاؤها الخارجى وظهر من داخلها ماهو كالعرق يتلوى كالدود و بعد قليل انسلت منه تلك النطفة (وحدة الحياة) . وملخص هذا أن ذرة اللقاح ظهرت من داخلها مادّة الحياة وذرّة اللقاح المذكورة لاترى فبالاولى ماخرج منها وهو سرّ الحياة ولم يمكنه أن يصوّر هذه المادّة إلا بعد أن جعلها مائة ألف ضعف . وهذه صورة سرّ الحياة (شكل ١٠)



(شكل ١٠ - رسم جراثيم حية فى نقطة سائل تمثل نطفات لقاحية تمتزج برأس ورقة أخرى لتكوين الحياة)

المثال

﴿ المثال الثالث . السفر الى القمر ﴾

لعلك سمعت هذا العنوان فاستهجنته كما استهجنته أنا . ولاجرم أن هذا معقول أنه ينبذ . فاذا كان الانسان ليس عالما بأمر فهو ينكره ولكنى اطلعت فى بعض المجلات على مقال واف معقول فذكرته هنا لذكر المثال الثالث لقوله تعالى ـ وقل ربّ زدنى علما ـ فان علم النفط فى قاع البحر وعلم سر الحياة فى النبات والحيوان ازدياد للعلم مستمدّ من قوله تعالى ـ وقل رب زدنى علما ـ وهذان علمان فى البحر وفوق الأرض فلنذكر زيادة العلم فى الجوّ فنقول

أذكرك بما تقدّم فى سورة (الحجر) عند قوله تعالى ـ إنّ فى ذلك لآيات للمتوسمين ـ فقد ذكرت هناك المتوسمين من أمة الاسلام حين يرون أن القوم يريدون أن يستخدموا الفحم الذى فى القطب للأعمال الانسانية وأن يجدّوا فى تقريب المسافات وجميع الأعمال فارجع اليه هناك . فهناك يفكر بعضهم أن يستخدم سرعة دوران الأرض فى تقريب المسافات الخ . أما هنا فان القوم وصلوا الى ما يأتى

ذلك أن القوم فى (برلين) و (مونيخ) بألمانيا جربوا فى معامل (أوبل) الشهيرة طرازا جديدا من المركبات وذلك انهم لايديرونها بالمحركات المعروفة . كلا . بل يديرونها بجهاز من الأسهم الغازية تقذف الغاز من أنابيب خاصة وتسير بقوّة اندفاعه بسرعة عظيمة وقد جربت مركبة من هذا النوع فبلغت سرعتها فى ثمان ثوان مسافة عظيمة وقد تعاقدت معامل (أوبل) مع الطيار الألمانى (راب) المشهور ليركب طيارة صغيرة تجهز بالجهاز السهمى الجديد وترتفع عن الأرض بسرعة (٥٠) كيلو مترا ثم تبلغ سرعتها (٤٠٠) كيلو مترا فى الساعة وستنشأ طيارة أخرى بعد اتمام التجارب الأولى للسير بسرعة عشرة آلاف كيلو مترا فى الساعة وطيارة كهذه تستطيع أن تقطع المسافة من الأرض الى القمر فى أربعين ساعة فقط . ولكن لاشك فى أن المسألة ليست مسألة اجتياز المسافة فقط بل مسألة الصعوبات العلمية العظيمة التى لابد لمحبى السفر الى القمر من تذليلها قبل أن يعزموا على رؤية عالم غير هذا العالم . ويعود الفضل الأول فى البحث عن هذا الجهاز السهمى الى الباحث الألمانى (ماكس فاليه) وقد كان أول من أنشأ الجهاز ثم أخرج فكرة ذلك الباحث الكبير الى حيز العمل المهندس الألمانى (فردريك سندر)

على أن الذين يقومون الآن بهذه التجارب لايفكرون فى السفر الى القمر مباشرة حالما يصنعون طيارة ذات جهاز سهمى بل يريدون أن يعرفوا ما فى جوّ الأرض قبل أن يزوروا جوّ القمر وسيبدؤن مباحثهم بالارتفاع الى علوّ عظيم يبلغ عشرة آلاف متر حتى يستطيعوا أن يعرفوا مقدار ضغط الهواء عنده وطرق مقاومته . ولما كان ضغط الهواء ضعيفا جدا على ذلك العلوّ أملوا أن يستطيعوا انشاء خط جوّى بين أوروبا وأمريكا تطير به الطيارات ذهابا وايابا على ذلك العلوّ فتجتاز المسافة بين القارّتين بسرعة وسهولة عظيمتين بفضل الجهاز السهمى من جهة وضعف مقاومة الهواء من جهة أخرى

واذا جاء الجهاز السهمى بالنجاح المنتظر منه فان الاحتمالات التى تفتح أمام العلم وأمام حركة النقل فى العالم ستكون عظيمة جدا لأنه لابد من أن يحل هذا الجهاز فى المستقبل محل المحرك ذى الاحتراق الداخلى الذى تسير به الطيارات والسيارات والسفن الحديثة اليوم كما حلّ هذا المحرك محل المحرك البخارى الذى تقدمه . وهكذا يسير علم النقل من الحمار الى البخار فالزيت ثم الغاز . ومتى كشف الانسان أسرار الكرة الهوائية المحيطة بالارض فلاشك انه سيشرع فى استكشاف ماوراءها و يفكر عندئذ فى رحلة الى القمر تبدأ أوّلا بحب الاستطلاع العلمى وتنتهى عند ظهور نتائج حسنة منها بالسعى الى الحصول على الفوائد المادّية . وستظهر النتائج الأولى لتجارب الجهاز السهمى فى هذا الصيف و يتلوها درس طبقات الهواء العليا على الأثر فاذا نجحت كلها فان فكرة السياحة الى القمر التى حلم بها (جول فرن) لاتبقى حلما بل تصير حقيقة مشهودة ليطمئن علماء

الاحصاء وقالوا إن الأرض لن تضيق بسكانها بل قبل أن تمتلئ بهم وتعجز خيراتها عن اشباعهم سيكشفون أرضا أخرى فى الكواكب السيارة و ينتقلون اليها لتخفيف الضغط على هذه الأرض المسكينة . قالوا وفى ذلك الحين تصدر ادارة البريد اعلانات تنبه بها على الناس أن يذكروا اسم الكوكب الذى يقيم فيه الشخص المرسل اليه الخطاب فلا يكتفون بكتابة لفظة (مصر) أو (ألمانيا) أو (انكلترا) للدلالة على المملكة التى يقيم فيها الشخص بل يضيفون اليها الأرض أوالقمر أوالمريخ . انتهى

أقول أنا لم أذكر هذه المسائل على انها حقائق ولكن ذكرتها لأبين للمسلمين كيف أخذ العلم يزداد عند الأمم وكيف يفكرون فى تلك الزيادة . ذكرتها هنا لقول الله تعالى ـ وقل رب زدنى علما ـ فكأن هذه الدعوة ظهر أثرها فى أمّة الدعوة . أما أمة الاجابة وهم نحن المسلمين فهم خلو من حب تلك الزيادة . فأما مسألة العروج الى القمر وقولهم انهم يسكنون هناك أوفى كواكب أخرى فهذه أمور خارجة عن الطور الانسانى الحالى وتراهم يقولون انها حلم (جون فرن) . وأنا أقول وأنا أيضا حلمت هذا الحلم وذلك انى رأيت فى المنام انى طلعت أرض القمر وصرت أقول فى نفسى حسن حسن أهل الأرض اذا أرادوا الاستعمار فهاهوذا القمر يسعهم وكنت مشغولا بأمر الأشجار وزرعها فى مصر لأجل الطيور المتقدّم ذكرها فى سورة يوسف فرأيت فى أرض القمر شجرا فقلت الحمد لله هنا شجر تعيش فيه الطيور النافعة للزراعة ـ وماتحن بتأويل الأحلام بعالمين ـ وهذه خطرات للأنفس . واعلم أن سكنى الكواكب لأهل الأرض غير معقولة لأن لكل كوكب جوّا يخالف الآخر كما ان لكل حيوان نموا يخالف الآخر كما تقدّم فى هذه السورة وقد أشارت لذلك الأرواح فى استحضارها فليس من المعقول أن يعيش أهل الأرض بأجسامهم فى كوكب آخر والحمد لله رب العالمين

﴿ بيان أن آية ـ وقل رب زدنى علما ـ ميزان الأمم ارتقاء وانحطاطا ﴾

وتبيان ما قاله العلامة ابن خلدون فى ذلك . و بيان مجالس العلم والأدب فى العصر العباسى على يد العباسيين فى بغداد و بنى بويه فى العراق وفارس و بنى سامان فى الدولة السامانية فى تركستان وهكذا الدولة الزيارية فى طبرستان والدولة الغزنوية بأفغانستان والهند والدولة الحمدانية فى حلب والموصل والمروانية بالأندلس والفاطمية بمصر وأن هذه الدول رفعت شأن العلماء فبقيت ولما زال احترام العلم والعلماء انحطت الأمم الاسلامية و بيان انحياز العلم الى بلاد أوروبا ونصر الملوك هناك للعلماء من أى أمّة كانوا . وتبيان أن عالما كمثل (باستور) الآتى ذكره بفرنسا يبنى لأمّته مجدا وسعة فى الرزق لاحدّ لأمده . فهكذا يجب أن يكون ذلك فى مستقبل الاسلام امتثالا لقوله تعالى ـ وقل رب زدنى علما ـ

(١) هذا بيان ماقاله العلامة ابن خلدون فى مقدّمته تحت عنوان ﴿ فصل فى أن علامات الملك التنافس فى الخلال الحميدة و بالعكس ﴾ ذكر هنا أن خلال الخير أغلب على الانسان من خلال الشر وأقول إن هذا حق لأن عالم المادّة كله غلب خيره على شره ولولا ذلك لم يبق فى الوجود . ثم قال ﴿ إن العصبية لها غاية وما غايتها إلا الملك ﴾ ثم قال ﴿ ان وجود العصبية من غير خلال حميدة نقص فكيف يكون حال الملك اذا كان بلاخلال حميدة . إذن الخلال الحميدة لابد منها للملك وحفظه ﴾ ثم قال ﴿ فاذا وجدنا أن الذين يتغلبون على كثير من النواحى والأمم يتنافسون فى الخير وخلاله من الكرم والعفو عن الزلات والاحتمال من غير القادر والقرى للضيوف وحمل الكل وكسب المعدم والصبر على المكاره والوفاء بالعهد و بذل الأموال فى صون الاعراض وتعظيم الشريعة واجلال العلماء الحاملين لها والوقوف عند مايحددونه لهم من فعل أوترك وحسن الظنّ بهم واعتقاد أهل الدين والتبرك بهم ورغبة الدعاء منهم والحياء من الأكابر وتوقيرهم واجلالهم والانقياد الى الحق مع الداعى اليه وانصاف المستضعفين من أنفسهم والتبذل فى أحوالهم والانقياد للحق والتواضع للمسكين واستماع شكوى المستغيثين والتدين بالشرائع والعبادات والقيام عليها وعلى أسبابها والتجافى عن الغدر والمكر

والخديعة ونقض العهد وأمثال ذلك . قال فاذا علمنا ذلك فى المتغلبين علمنا أن هذه أخلاق السياسة قد حصلت لديهم واستحقوا بها أن يكونوا ساسة لمن تحت أيديهم أوعلى العموم وانه خير ساقه الله تعالى اليهم مناسب لعصبيتهم وغلبهم وليس ذلك سدى فيهم ولاوجد عبثا منهم والملك أنسب المراتب والخيرات لعصبيتهم فعلمنا بذلك أن الله تأذن لهم بالملك وساقه اليهم وبالعكس من ذلك اذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طرقها فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة ولاتزال فى انتقاص الى أن يخرج الملك من أيديهم ويتبدل به سواهم ليكون نعيا عليهم فى سلب ما كان الله قد آتاهم من الملك وجعل فى أيديهم من الخير — واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا — ﴾ ثم قال ﴿ واستقر ذلك وتتبعه فى الأمم السابقة تجد كثيرا مما قلناه ورسمناه ﴾ ثم قال ﴿ واعلم أن من خلال الكمال التى يتنافس فيها القبائل العصبية وتكون شاهدة لهم بالملك اكرام العلماء والصالحين والأشراف وأهل الأحساب وأصناف التجار والغرباء وانزال الناس منازلهم سوا أكان هؤلاء من أهل العصبيات أم كانوا ضعافا . ولهذا يكون أوّل مايذهب من القبيل أهل الملك اذا تأذن الله بسلب ملكهم اكرام هذا الصنف من الخلق . فاذا رأيته قد ذهب من أمة من الأمم فاعلم أن الفضائل قد أخذت فى الذهاب عنهم وارتقب زوال الملك منهم — واذا أراد الله بقوم سوأ فلامردّ له — والله أعلم ﴾ انتهى بالحرف من ابن خلدون مع قليل من الاختصار . وانما ذكرت هذه المقالة مع طولها لأنها هى القاعدة التى سأبنى عليها ما سأذكره من أن حبّ العلم والعلماء واكرامهم هو محور الرقى . وبضدها تتميز الأشياء . فهاك العصر العباسى الذى ابتدأ سنة ١٣٢ هجرية وانتهى سنة ٦٥٦ هجرية أى من سقوط الدولة الأموية الى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦ وقد جعلها المؤرخون المعاصرون لنا ﴿ أربعة أدوار * الأوّل ﴾ الى سنة ٢٣٢ والثانى من ابتداء خلافة المتوكل الى استقرار الدولة البويهية فى بغداد سنة ٣٣٤ ﴿ والثالث ﴾ ينتهى بدخول السلاجقة بغداد سنه ٤٤٧ هـ ﴿ والرابع ﴾ الى سقوطها فى يد هولاكو والتتار كما تقدم

لقد كان الرشيد والمأمون وقبلهما المنصور والهادى والمهدى كل هؤلاء كانوا يكرمون العلماء ويحرصون على نشر العلم وهذا أمر مشتهر . فلنذكر ما كان من أمر العلم واكرام العلماء بعدهم أيام هرون بن محمد بن هرون الواثق ويكنى بأبى جعفر قد بويع بالخلافة سنة ٢٢٧ قال المسعودى كان الواثق محبا للنظر مكرما لأهله مبغضا للتقليد وأهله محبا للاشراف على علوم الناس وآرائهم ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة والمتطببين . وهنا ذكر هيئة المجلس الذى كان يتذاكر فيه الطب مع العلماء مثل (ابن ماسويه) و (ابن بختيشوع) و (حنين ابن اسحق) إذ أخذوا يتباحثون معا بمشاركة الخليفة لهم فى الطريق الذى يدرك به الطب هل هو التجربة فقط كأن يرى الناس الرعاف والاسهال والقئ ونتائجها . وكأن يرى الانسان فى المنام انه عالج مريضا بدواء ففعل ذلك فشفى . أو يخطر بباله ذلك فى اليقظة فيفعله فيشفى . وهكذا ذكروا أن جمهور الأطباء يجرون على القياس وللقياس مقدمات أوّلية مثل معرفة طبائع الأعضاء والأبدان والأهوية والأعمال والصناعات والعادات والاطعمة والأشربة ثم بحثوا فى الأسنان وأقسامها وانها ٣٢ سنا . وهكذا ذكر (حنين) أن خمسة تغير الهواء وهى أوقات السنة وطلوع الكواكب وغروبها والرياح والبلدان والبحار وأن أحوال البلدان ﴿ أربعة ﴾ ارتفاع وانخفاض ومجاورة الجبال والبحار وطبيعة تربة الأرض . ثم قال ان ارتفاع البلدان يجعلها أبرد وانخفاضها يجعلها أسخن . فأما مجاورة الجبل فان كان الجبل جنوبه كان البلد أزيد برودة وان كان الجبل فى الشمال كان البلد أسخن . ثم قال واذا كان البحر من البلد من ناحية الجنوب فان ذلك يسخن ويرطب وان كان فى ناحية الشمال كان ذلك البلد أبرد . ثم قال واذا كانت البلدان أرضها حجرية كان ذلك البلد أبرد وأخف وان كانت طينا جعلته أبرد وأرطب . واذا جاورت البلاد نقائع ماء أوجيفا أو بقولا عفنة وغير ذلك مما يتعفن

تغير هواؤها . انتهى ما اخترته منه

هذه سيرة الواثق وكان يتشبه بالمأمون فى حركاته وسكناته فلما توفى الواثق وخلفه أخوه جعفر المتوكل انحرف بعض الانحراف على العلماء فقد قتل ابن السكيت وغضب على بختيشوع الطبيب وقبض ماله ونفاه الى البحرين وسخط على عمر بن مصرح الراجحى وكان من علية الكتاب وأخذ منه مالا وجواهر وأمر أن يصنع به ذلك فى كل يوم ولما قتل المتوكل اضطربت الأحوال واستفحل شأن الاتراك ونفرت قلوب طلبة العلم وأكثرهم من الفرس والعرب فتفرقوا من بغداد رويدا رويدا الى فروع المملكة العباسية

أفلاترى عقاب الله للدولة . أفلاتراه أنزل العقاب صارما على الأمة على مافعله المتوكل . قتل بعض العلماء ونفى بعضا وصفع بعضا فقتل هو أولا ثم اختلت المملكة وقويت شوكة العامة على الملوك وهاجر العلم من بغداد فالمتوكل وأمثاله لم يقولوا — رب زدنى علما — كما أمروا بل قالوا رب زدنى جهلا . وهذا كقوله تعالى فى سورة (سبأ) — قالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم — . إن أهل سبأ لم يطلبوا من الله أن يباعد بين أسفارهم بل كان فعلهم من التخريب والسلب والنهب أوجب ذلك تفويت البلاد وطالت مسافات السفر فى القفر بعد اتساع نطاق العمارة . هكذا هنا لم يقل المتوكل رب زدنى جهلا وانما جرى على أسلوب لايوافق ازدياد العلم كما أمر فى الآية فتمت كلمة العذاب فهذا مصداق ما قاله ابن خلدون فيما ذكرناه وأن احترام العلماء علامة الرفعة والعكس بالعكس

﴿ الدول التى تفرعت من الدولة العباسية ورغبتها فى العلم ﴾

اسم الدولة	مقرها	مدة حكمها	جنس مؤسسها
المروانية	الأندلس	من سنة ١٣٨ — ٤٢٢	عربى
السامانية	وراء النهر	من سنة ٢٦١ — ٣٨٩	فارسى
الزيارية	جرجان	من سنة ٣١٦ — ٤٣٤	فارسى
الحمدانيه	بين النهرين وحلب	من سنة ٣١٧ — ٣٩٤	عربى
البويهية	العراق وفارس وغيرهما	من سنة ٣٢٠ — ٤٧٤	فارسى
الغزنوية	أفغانستان والهند	من سنة ٢٥١ — ٥٨٢	تركى
الفاطمية	مصر	من سنة ٣٥٧ — ٥٦٧	عربى

﴿ عز العلم فى ظل الدولة البويهية ﴾

أنصار هذه الدولة الديلم من الجيلان وراء خراسان وآل بويه يرتفعون فى نسبهم الى ملوك الفرس القدماء وجد آل بويه اسمه (بويه) ولقبه أبو شجاع له ثلاثة أبناء هم على ولقبه عماد الدولة وحسن ولقبه ركن الدولة وأحمد ولقبه معز الدولة . كان آل بويه هؤلاء يحبون العلم والأدب وكان وزراؤهم من العلماء والشعراء والكتاب كابن العميد والصاحب بن عباد وسابور بن أزدشير المهلبى بل نفس ملوك آل بويه اشتهر بعضهم فى العلم والأدب مثل عضد الدولة وقد قرب اليه العلماء واستحثهم على تأليف الكتب فألف له أبو اسحق الصابى كتابا فى أخبار (آل بويه) . وألف له أبو على الفارسى كتاب ﴿ الايضاح والتكملة ﴾ فى النحو وقصده المتنبى والسلامى وغيرهما . ومن شغفه بالشعر تمنى أن يكون هو المصلوب بدل ابن بقية الوزير لتقال فيه قصيدة محمد بن عمران الانبارى التى مطلعها

علو فى الحياة وفى الممات ❊ لعمرك تلك احدى المعجزات

وقد كانت عظمة دولتهم كلها ترجع لنصرهم العلم وشدة رغبتهم فيه . فانظر كيف كان ركن الدولة (ابن

بويه) فى الرى وهمذان وأصبهان مستوزرا ابن العميد الكاتب المشهور . وهكذا بهاء الدولة بن عضد الدولة فى العراق والأهواز استوزر سابور بن أردشير فأنشأ هذا الوزير فى كرخ بغداد خزانة كتب وقفها على افادة الناس . قال ياقوت لم يكن فى الدنيا أحسن كتب منها كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحرّرة . وقد كان الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة بن ركن الدولة ثم وزر لفخر الدولة أخيه وكان له عشرات من أهل العلم والأدب يقيمون عنده وعشرات يفدون عليه

﴿ الدولة السامانية فى تركستان ﴾

رأس هذه الدولة سامان من أشراف بلخ وأعقابه أنشؤا دولة عظيمة فى خراسان وتركستان وزهت فى أيامهم بخارى فكانت مجمع الأدباء والعلماء والشعراء واشتهرت نيسابور وقد انشئت فيها أقدم المدارس الاسلامية وملوك هذه الدولة عشرة واشتهر كثير منهم بالعلم والأدب ومنهم منصور بن نوح الذى استوزر البلعمى العالم الفارسى فترجم له تاريخ الطبرى الى اللغة الفارسية وخلفه ابنه نوح وهو الذى اقترح نظم الشاهنامه (الياذة الفرس) فى الفارسية اقترح ذلك على شاعره الدقيقى فنظم له بعضها . ولما قتل أتمها الفردوسى بعده باشارة السلطان محمود الغزنوى . ولما سمع نوح بشهرة الصاحب بن عباد وزير البويهيين كتب اليه سرا يستدعيه الى بخارى ليفوّض اليه وزارته وتدبير مملكته فاعتذر الصاحب بأن كتبه تحتاج فى نقلها الى ٤٠٠ جمل والكتب التى جمعها نوح هى التى ذكرها ابن سينا فى تاريخه انه استفاد منها فى صباه وأن منها كتبا نادرة الوجود

﴿ الدولة الزيارية فى طبرستان ﴾

أول ملوكها مرداويج بن زيار وأشهرهم بحب العلم ونشره شمس المعالى قابوس بن وشمكير سنة ٣٦٦ – ٤٠٣ هـ كان كاتبا عنده معرفة بالفلسفة والنجوم والنجامة . وقد ألف رسالة فى الاسطرلاب وكان يراسل الصاحب بن عباد وهو القائل الأبيات الآتية

قل للذى بصروف الدهر عيرنا * هل حارب الدهر إلا من له خطر

أما ترى البحر تعلو فوقه جيف * وتستقرّ بأقصى قعره الدرر

وفى السماء نجوم ما لها عدد * وليس يكسف إلا الشمس والقمر

﴿ الدولة الغزنوية بأفغانستان والهند ﴾

مقرّها غزنة وأعظم ملوكها السلطان محمود سنة ٣٨٨ – ٤٢١ صاحب الفتوح العظيمة فى الهند وناشر الاسلام فيها وكان يلقب بيمين الدولة . فتح بخارى وخلف الدولة السامانية فيها وغلب على الزياريين وحكم أفغانستان وتركستان وخراسان وطبرستان وسجستان وكشمير وشمال الهند . والذى يهمنا أن مجلسه كان حافلا بالعلماء والشعراء وتلك كانت عادة ملوك عصره . وقد اقترح على الفردوسى اتمام الشاهنامة فأتمها كما تقدّم

﴿ مسامرة ﴾

كان محمود هذا لايسمع بعالم أوشاعر إلا استقدمه اليه فعلم أن فى مجلس مأمون بن مأمون أمير خوارزم جماعة من رجال العلم والفلاسفة . وفى جملتهم ابن سينا الطبيب والبيرونى الرياضى المؤرخ وأبو سهل المسيحى الفيلسوف وأبو الحسن الخمار الطبيب وأبو نصر العرّاق الرياضى وغيرهم فتاقت نفسه الى احرازهم فى مجلسه فكتب الى مأمون كتابا أرسله مع بعض خاصته خلاصته مايأتى ﴿ علمت أن فى مجلسك جماعة من العلماء المبرزين مثل فلان وفلان فأرسلهم الىّ ليتشرفوا بمجلسى ونستفيد من علمهم فلم يكن للأمير مناص من اجابة الطلب لكنه كان حريصا عليهم فتلا عليهم الكتاب وقال لهم انه لايقوى على ردّ طلبه فقبل البيرونى والخمار (بتشديد الميم) والعرّاق بالذهاب وفرّ ابن سينا والمسيحى . ان اكرام العلماء كان فى نظر أهل ذلك العصر من أسباب الأبهة وأدلة الحضارة . فهذا وأمثاله من الأمم الفارسية أكرموا العلماء وعظموا العلم

وتنافسوا فيه لأن لهم سابقة فى ذلك وهم الأكاسرة ملوك الفرس أولئك الذين شادوا للعلم منارا ورفعوا له قدرا . وهؤلاء الملوك على آثارهم يهرعون وبهم يقتدون وعليهم يقومون وبسيرهم يقتدون . فهل يعلم ذلك أمراء العرب بالجزيرة اليوم ولآبائهم دولة كانت شامخة الذرى رفيعة القدر . فهل يشرفون آباءهم باحتذائهم حذوهم كما فعل أولئك الفارسيون

إن هؤلاء الملوك الفارسيين سواء أكانوا من الزياريين أوالبويهيين أوالسامانيين قد نزعوا فى اكرام العلماء الى مانزع اليه كسرى إذ أرسل برزويه الطبيب الفارسى الى بلاد الهند ليترجم كتاب ﴿ كليلة ودمنة ﴾ فتوجه الطبيب المذكورخفية الى الهند وترجم الكتاب ورجع وقرأه على الملك ووجوه القوم فأكرم مثواه وأنزله المنزلة السامية وخلع عليه وقال له خذ ماتشاء من المال فقال . كلا . ثم كلا ولكنى أريد أن يكتب وزيرك تاريخ حياتى فى مقدمة الكتاب تشريفا لى ففعل وكتب تاريخ حياته وانه كان من أبوين شريفين وانه طلب العلم لله والدار الآخرة لا للجاه ولا للمال وانه كان يأخذ على التطبيب أجرا عظيما من الأغنياء ويصرفه على الفقراء المرضى ويواسيهم من جيبه الخاص وانه كان يعتقد أن من طلب العلم لأجل العلم ولله نال الدنيا مع العلم ومن تعلم العلم للدنيا فقط لم ينل حظ الآخرة . فطالب العلم إما أن يكون عمله كالحنطة أوكالكلأ فزرع الحنطة ينفع للإنسان والحيوان وزرع الكلأ لايفيد إلا البهائم . فمن طلب الأعلى نال معه الأدنى ومن طلب الأدنى لم ينل الأعلى . اه

﴿ حب الدولة الحمدانية فى حلب والموصل للعلم ﴾

هؤلاء من قبيلة تغلب وهذه الدولة حكم منها أربعة أمراء فى الموصل وخمسة فى حلب حتى خرجت الموصل منهم الى البويهيين سنة ٣٨٠ واستولى الفاطميون على حلب سنة ٣٩٤ وكان سيف الدولة أبوالحسن على صاحب حلب ممدوح المتنبى ونفس سيف الدولة كان شاعرا نقادا للشعر محبا للعلم مقربا للعلماء

﴿ الدولة المروانية بالأندلس ﴾

إن الناصر وابنه الحكم كانا محبين للعلم وهذا تقدم فى هذا التفسير وأمرهما مشهور وكان الفقهاء والأدباء يحضرون مجالسهما . وكان الناصر مولعا باقتناء الكتب فجمع منها ما لم يجمعه أحد قبله . وأنشأ فى قرطبة مكتبة جمع اليها الكتب من أنحاء العالم كان يبعث فى شرائها رجلا من التجار ومعهم الأموال ويحرضهم على البذل فى سبيلها لينافس بنى العباس فى اقتناء الكتب وتقريب الكتاب . وكان أبوالفرج الأصبهانى صاحب الأغانى معاصرا له وهو أموى فبذل ألف دينار ذهب على أن يرسل اليه كتاب ﴿ الأغانى ﴾ قبل اخراجه الى بنى العباس . وفعل نحوذلك مع القاضى أبى بكر الأبهرى المالكى فى شرحه لمختصر ابن عبد الحكم وغيره وكانت فهارس الدواوين وحدها (٤٤) فهرسا فى كل فهرس عشرون ورقة . قال بعضهم فاذا قدرنا للصفحة (٢٥) اسما فقط كان مجموع عدد الدواوين (٤٤٠٠٠) كتاب فكيف بسائر الكتب . ويقول ابن خلدون ان مجموع ماحوته تلك المكتبة (٤٤٠٠٠٠) ونبغ من ملوك الطوائف بعدهم جماعة مثل اسماعيل بن ذى النون المتوفى سنة ٤٣٥ ﻫ

﴿ الدولة الفاطمية بمصر ﴾

استولى الفاطميون على مصر سنة ٣٥٧ ﻫ وقد نبغ فى تنشيط العلم منهم اثنان العزيز بالله سنة ٣٦٥ — ٣٨٦ والحاكم بأمر الله سنة ٣٨٦ — ٤١١ فأنشأ خزائن الكتب فيها مئات الآلاف من المجلدات فى العلوم فى مكتبته التى كانت تسمى (دار الحكمة) أو (دار العلم) وقد أباح فيها المناظرة للمترددين اليها وسهل لهم المطالعة والنسخ وهى التى قلدها أستاذنا المرحوم على مبارك باشا فقال لاسماعيل باشا ﴿ إن مصر كانت فيها دار العلم يحضر اليها رجال يتناظرون فى أنواع العلم فأذن لى أن أحضر طلابا من الأزهر نسميهم طلبة (دار العلوم) فأذن له فدار

العلوم

العلوم هى المكتبة الخديوية بدرب الجماميز إذ ذاك . ثم استأذن فى أن ينشئ مدرسة يسميها (مدرسة دار العلوم) المعروفة الآن بمصر ﴾ وهى المدرسة التى تعلمنا فيها ولولاها لم نكن نعرف شيأ من العلوم والفضل فى ذلك للقدوة الحسنة بالحاكم بأمر الله فجعل أستاذنا المكتبة الخديوية كأنها دار الحكمة وتحيل فى أن يجعل لها مدرسة وقد مضى لها ٥١ سنة الآن وحسن التحيل من وزير المعارف أستاذنا المتقدم . وهكذا صارت هذه المدرسة نبراسا لمصر ولغيرها من البلدان فى هذا القرن العشرين . وهكذا أنشأ الحاكم (المرصد الحاكمى) وبناه على جبل المقطم وبقى عمدة الراصدين حتى بنى نصير الدين الطوسى مرصده فى مراغة بتركستان سنة ٦٥٧ هجرية

﴿ تذكرة فى أحمد بن طولون ونصره للعلم ﴾

لقد كان أحمد بن طولون يفعل مافعله أولئك الأمراء فقد كان له مجلس عام يحضره العلماء من كل حدب وصوب . وأذكر انى قرأت للمسعودى المؤرخ انه يوما قال هل بقى من العلماء أحد فى مصر لم أره فقالوا له هناك فى أقصى الصعيد عالم قبطى تبلغ سنه ١٣٦ سنة يسكن فى منزل على شاطئ النيل فأمر باحضاره مكرما معظما فلما حل بساحة الأمير بمصر ووضعت أمامه المائدة الملكية أخرج ما كل من حقيبته وقال دعونى آكل مما اعتدت عليه فان هذه البنية اذا غيرت طعامها اختلت واعتلت وأسرعت للزوال فبقاؤها خير لكم لتنتفعوا بها فلما بلغ الأمير ذلك أذن فيه وأباح له ذلك . ولقد أدهش علماء المسلمين والنصارى واليهود حين تباحثوا معه . وقد سألوه عن الهرم وبنائه وعن الكتابة التى عليه وعن بعض جزائر البحر الأبيض المتوسط وعن بعض البحيرات القريبة من البحر الأبيض المذكور فكان يجيبهم أجوبة ظهر صدقها فى الكشف الحديث وأذهل القوم علمه وحكمته فسأله المسلمون كيف اتبعت دين المسيح وأنت حكيم فيلسوف وهذا الدين مضطرب فقال هذا الدين حق لأنه يخالف العقل . ذلك انهم يقولون إن الإله رأى ابنه يضرب ويصفع ويحقر ويصلب ويجعل أضحوكة ويذل وهو يستغيث وإكليل الشوك والقتاد فوق رأسه وأبوه القادر على كل شئ لايرد عليه ولايغيثه ولايرحمه . فمن هذه الوجهة عقول بنى آدم لاتصدق هذا الدين . ولكنى وجدت أناسا من القديسين قد اهتدوا بهذا الدين وصاروا صلحاء فاتبعته واهتديت بهديهم . إذن هذا الدين فوق العقل . فلما سمع المسلمون والنصارى ذلك رضى الطرفان بقوله . وخاطبه يهودى فى المجلس كالمعترض عليه فقال له أيهودى أنت قال نعم قال أيها الأمير انه مجوسى فغضب اليهودى فقال أيها الأمير سله أليس فى التوراة أن الانسان يتزوج ابنة أخيه فقال بلى قال أوليس الانسان اذا مات أخوه وجب عليه أن يتزوج زوجته قال بلى قال له إذن يتزوج بنته أفليس هذا دين المجوس بعينه فدهش الحاضرون من قوله وزاد الرجل احتراما واعظاما واجلالا . انتهى

ولأختم هذا المقام بذكر موفق الدين عبد اللطيف البغدادى الذى ذكر فى تاريخ حياته وكيف قرأ كل علم وكل حكمة من أدب وفلسفة . وبالجملة لم يدع فنا إلا عرفه . فمثلا يقول حفظت اللمع فى ثمانية أشهر وتقويم اللسان فى ١٤ يوما . وهكذا قال وحفظت كتاب النجاة وكتبت الشفاء وبحثت وهكذا . ولما كان المقام مقام البحث فى تعاون الأمراء على العلم وتنافسهم فيه وحبهم للعلماء ضربت الذكر صفحا عن تاريخ حياته كله فلأخص الكلام بما كان من أمره مع صلاح الدين الأيوبى . قال ثم إنى توجهت الى زيارة بيت المقدس ثم الى صلاح الدين بظاهر عكة فاجتمعت ببهاء الدين بن شداد قاضى العسكر يومئذ ثم جمعه على عماد الدين الكاتب . قال وذاكرنى فى مسائل من علم الكلام ثم قاموا الى القاضى الفاضل قال فرأيته يكتب ويملى على اثنين قال وسألنى القاضى الفاضل عن قوله تعالى — حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها — الخ أين جواب اذا وأين جواب لو فى قوله تعالى — ولوأن قرآنا سيرت به الجبال — الخ وعن مسائل كثيرة ومع ذلك لم ينقطع عن الكتابة والاملاء فأرسله الى مصر وأوصى عليه بها وعاش بها أمدا طويلا ودرس فى الجامع الأزهر

ثم توجه الى القدس ثم الى دمشق سنة ٦٠٤ والى هنا انتهى ماأردت من ذكر تعاون أمراء الاسلام وملوكهم على نصر العلم وحب العلماء وأن ذلك كما قال ابن خلدون هو رأس الأمر وملاكه

فحب العلم وتعظيم العلماء اذا حل بأمة فتح لها باب الفضائل وسائر أخلاق الكمال وذلك ايذان من الله بأنهم يملكون زمام السياسة . واذا أدبر عن الأمة هذا الحب أى حب العلم نفرت منهم سائر الفضائل و يتبعها ذهاب الدولة . فهذا القدر من التاريخ يثبت لك بيانا لقوله تعالى هنا ـ وقل رب زدنى علما ـ ولم يبين نوع العلم بل جعله عاما كقوله تعالى ـ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ـ وانى لأعجب من هذه الآية واقول إن الله لوأرسل رسولا وأيده بالمعجزات فصدقه الناس ولم ينزل عليه سوى قوله ـ وقل رب زدنى علما ـ لكفت فى اظهار أمم وأجيال وملوك وحكماء وعلماء وان لم ينزل غير هذه الآية . ولقد عجبت لأمم الاسلام المتأخرة كيف ضلوا وجهلوا ولله عاقبة الامور . هذه هى الصورة الواضحة الظاهرة الباهرة الجلية من تعاون أمراء الاسلام على العلم وعلى احترام العلماء وحبهم وكيف رأينا المجد يصاحب العلم . فلما أن نسوا ـ وقل رب زدنى علما ـ انحطت الأمم الاسلامية . وأذكرك بما جاء فى سورة (الأنعام) عند قوله تعالى ـ تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ـ

﴿ انحطاط التعاليم فى بلاد الاسلام ﴾

لقد استبان هذا المقام فى سورة (الأنعام) وذكرت لك مافعلوه فى القرن السادس إذ أحرق ابن المارستانية كتب الركن عبد السلام الجيلى بموضع يقال له (الرحبة) ببغداد وهذا الاحراق بمشهد من الناس فاقرأه مفصلا فى سورة الأنعام وذلك سنة ٥٨٩ فانظر كيف أحرق المسلمون فى هذا التاريخ ماجمعوه من العلوم فى العصور الأولى واعجب من صنع الله عز وجل كيف رأيت المتوكل العباسى شرد العلماء من بغداد وقتل ابن السكيت فمات هومقتولا وانتقل العلم من جذع الدولة الى أطرافها وتولاه أمراء من الفرس والترك والعرب غير العباسيين ـ إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ـ فقد تغيرت عقول المسلمين فى القرن السادس وقالوا ربنا لاتزدنا علما بل قالوا . كلا . أنقص علومنا . فماذا فعل الله . لم يمض أقل من قرن حتى دخل هولاكو بغداد . لماذا . لأن المسلم اذا كان غبيا جاهلا يذله الله ولايرضى للمسلم أن يكون غبيا لأن نبيه ﷺ أمر أن يقول ـ رب زدنى علما . أى وهو يزداد علما فاذا أخذ علمه فى النقص أذله الله . ولقد كان على بن على الملقب بالسيف الآمدى مبرزا فى علوم الأوائل فلما دخل بغداد جفاه الفقهاء ووقعوا فى عقيدته ففر الى مصر سنة ٥٩٢ وظهر وعلم ثم حسده الفقهاء بها أيضا ففر منها أيضا هاربا . وهكذا قد أحرق القوم كتب الغزالى بالأندلس وفى المغرب الأقصى . فلما كره المسلمون العلم سلط الله عليهم الحروب الصليبية وهجم المغول والتتار فاكتسحوا مابالمكاتب من الكتب لاسيما ما كان منها فى بخارى وسمرقند وما كان منها بحلب لما دخلوها سنة ٦٥٨ فقد مزقوا الكتب وأحرقوا ألوفا لاتحصى . وهكذا تذكر أيها الذكى ماتقدم فى سورة (ابراهيم) من اضطهاد ابن رشد فى الأندلس وكيف كان حاجب هشام بن الحكم يضطهد العلماء ويحرق الكتب . وكيف كانت دولة الموحدين فقد نصر العلم أولا عبد المؤمن ولكن يعقوب المنصور نفى ابن رشد وأمر بحرق الكتب فهى كالتى قبلها نصر للعلم أولا واضطهاد آخرا . هناك تقرأ المنشور الذى نشر لتنفير الناس من الفلسفة والعلوم والحكمة . انتهى

﴿ التجاء العلم الى أوروبا ورجوعه اليناثانيا ﴾

انتقل العلم الى أوروبا وتنافس ملوكها فى عصرنا على حب العلماء كما كان ذلك فى الدول الاسلامية المفرعة من الدولة العباسية سواء بسواء ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ أن العلم لما حماه المسلمون بقى عندهم وأعز دولهم ولما أهانوه وأهانوا حامليه وحرقوا كتبه التجأ الى الأمم المسيحية وقرت عينه هناك بهم . وهاهوذا يمد يده

الينا . وهاأناذا وآلاف مثلى فى المسلمين يمدّون أيديهم له ليرجعوه الى نصابه فى بلاد الاسلام ومقرّه الأوّل تلبية لقوله تعالى ــ وقل رب زدنى علما ــ

اذا قلت هرب العلم من بلاد الاسلام وقلت انه آوى الى الأمم المسيحية فليس معنى هذا انهم لم يحاربوه كلا . بل كان حربهم لهم أشد فتكا وأعظم وقعا وأكثر صرعى . اقرأه فيما تقدّم فى سورة التوبة عند قوله تعالى ــ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ــ الخ فأنا لا أعيد ماذكرته هناك فقد قدّر المؤرخون عدد الذين قتلوا بأوامر من ديوان التفتيش الذى أسس فى سنة ١١٨٤ فى مجمع فيرونا وصادق عليه البابا (اينوشنسيوس الثالث) سنة ١٢٠٤ وثبته نهائيا البابا (غريغوريوس التاسع) ببراءة خصوصية . أقول قدّرهم المؤرخون بالملايين ولست أعيد ماذكرته هناك بالتفصيل فارجع اليه . فهذه الملايين المقتولون بأمر البابوات لم يقتل مثلهم ولا جزء من آلاف من عددهم عند المسلمين ولكن العجيب أن العلم هرب من بلاد الاسلام مع قلة ضحاياه ولكنه وطدت أركانه وثبت بنيانه واشتدّ ساعده ونصر على أعدائه فى أوروبا المسيحية مع كثرة ضحاياه وقتلاه * وفى المعنى * ومن طلب الحسناء لم يغلها مهر * وقال المتنبى

على قدر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قدر الكرام المكارم
وتعظم فى عين الصغير صغارها * وتصغر فى عين العظيم العظائم

إن السعادة على مقدار النصب . تغلب العلم فى تلك الأصقاع الباردة على أعدائه بعد أن جندل من أصدقائه آلاف الآلاف . أتدرى ماذا حصل . عمّ أقطار أوروبا ثم حلّ بساحات أمريكا واليابان والصين وهاهوذا يحاول فتح عقول أمم الاسلام فدخل ايران و بلاد الترك وقد دخل ظاهرا بلاد مصر ويحاول الرجوع الى بلاد العرب . أتدرى أيها الذكى لماذا صبر العلم هذا الصبر فنجح ذلك بدعوة رسول الله ﷺ

﴿ الكلام على الشمس والأرض والأمم الاسلامية عليها والعلم والنبى ﷺ ﴾

الشمس أشبه ببرتقالة بالنسبة لعوالم الكواكب التى عظم عددها جدا . فاذا قدّرنا شمسنا ببرتقالة فلنقدّر سائر الكواكب مجتمعة كالكرة الأرضية بل أكثر من ذلك وأرضنا بالنسبة للشمس أقلّ من حبة رمل . فاذا قام على هذه الحبة من الرمل أمم وأمم فان صورهم جميعا لاترى بأقوى المناظير . فاذا تصوّرنا أمّة من تلك الأمم التى لاترى على قبة تلك الحبة من الرمل . وقال قائل منهم أيها الناس ان ربنا الذى خلق هذه العوالم كلها الذى شمسه عظيمة وأرضنا بالنسبة لها صغيرة جدا قال لى أدعنى أن أزيدك علما . اذا قال ذلك قائل منهم فلاجرم يقولون جميعا بلسان واحد . اذا كان ربنا قال لك هذا فمعناه أن أعداءك وأعداء أمتك وأحبابكم جميعا يتعلمون فيقول لماذا هذا فيقولون لأن حبة الرمل التى نحن عليها بالنسبة للعوالم صغيرة جدا ونحن عليها قليل جدا بالنسبة لغيرنا . فاذا قال الله لنا ذلك واعتنى بنا مع عظمته فان هذا علامة على رقينا جميعا

﴿ ايضاح هذا المقام ﴾

لما قال النبى ﷺ والمسلمون ربنا زدنا علما أجاب الدعاء فنشر العلم فى أوروبا والصين واليابان ونشر العلم فى تلك الأقطار هو عينه زيادة علم للمسلمين لأن علم الأمم دخل علينا بلادنا وصناعاتهم وكتبهم قد أثرت فينا فزدنا علما ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ أن موجة العلم أوّلا ماجت من الحجاز فعمت أمما فى الشرق وحاربوها فعمت أوروبا و بلاد الشرق كرة أخرى . وهانحن أولاء نتعلم من علومهم التى كان أصل التحريض عليها من ديننا فبالاختصار أن رقى العلم فى الشرق والغرب رقى للمسلمين منه . إذن الحركة الفكرية فى العلم فى الأمم استجابة لدعوة نبينا محمد ﷺ وأمته لأننا الآن ننقل فى هذا التفسير من علوم الأمم فزدنا علما وسيزيد قراء هذا التفسير علما . كل ذلك بنقل علوم الأمم فزيادة علمهم زيادة علم لنا إجابة لدعوة نبينا ودعوتنا بازدياد العلم

فاذا رأينا الصين فى هـذا الاسبوع (يوليو سنة ١٩٢٨) ارتقت وأصرت الأورو بيين أن يسيروا على قوانينها فهذا من دعوته ﷺ . ياعجبا كل العجب . اننا لم نسمع فى التاريخ أن الأمم كلها على نمط واحد فى التعليم إلا فى هذه الأعصر ولم يحصل ذلك إلا بعد نزول نبى من عند الله و يلغ الأمم قائلا إن الله أمرنى أن أدعوه أن يزيدنى علما ولم ينقطع العلم بعد أن نزلت هـذه الآية وقد عمّ العلم الأمم كلها ولم يرد فى التاريخ نظير هذا . اللهم انك أنت الذى جعلت الأمم كلها كأنها فرد واحد . فاذا علمت واحدا فقدعلمت العموم ـ ومن قتل نفسا بغير نفس أوفساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ـ اللهم ان أهل الأرض أمة واحدة بل هم كشخص واحد ـ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ـ

﴿ كيف يتعاون ملوك أوروبا وعلماؤها على رقى العلم ﴾

لقد تقدم فى سورة (ابراهيم) عند قوله تعالى ـ وذكرهم بأيام الله ـ كيف تعاون القوم فى أوروبا على العلم . وكيف نرى أن (تيخو براهى) العالم بالأجرام السماوية قد أعانه ملك (الدانمارك) وملك الانجليز وأمبراطور ألمانيا وهكذا غيره وغيره فارجع اليه هناك . وأقول هنا فوق ما ذكرت هناك . تقدم أنى ذكرت هناك (ديدرو) الذى ألف دائرة المعارف الفرنسية وكانت هى السبب الأعظم فى الثورة الفرنسية وهى التى زلزلت عقائد الشعب فى رجال الدين فهذا المؤلف قد كان رقيق الحال فقيرا فى فرنسا . ولما كبرت ابنته وأراد تزويجها لم يكن عنده مهر لها وعلمت بذلك الامبراطورة (كاترينا) فأرسلت رسولا اشترى منه مكتبته بألف جنيه وأبقتها فى باريس وأقامته حافظا لها براتب سنوى . فهذه أمبراطورة (الروسيا) ساعدت عالما فرنسيا . وانظر الى الآمدى المتقدم ذكره كيف اضطهد فى مصر وفى بغداد لما أراد الله انحطاط العلم فى الاسلام . وانظر الى مجالس العلم عند الأمراء فى القرن الرابع الاسلامى فيما تقدم كيف تعاون العلماء على رفعة شأن العلم عند ارادة الله رقى الاسلام والمسلمين

﴿ اعظام ملوك أوروبا وعلماؤها للعلامة (لويس باستور) المتوفى سنة ١٨٩٥ ﴾

أذكر هذا العالم الآن لأرى المسلمين الحاليين تعاون الأمم المسيحية الآن على رفع منار العلم وكيف كان هذا العالم قد نفع فرنسا وزاد ثروتها بعلمه بحيث يقوم مقام مئات الالوف من الأغنياء (١) أرسل له أستاذه (ديماس الكيماوى) الشهير وتوسل اليه توسلا أن يبحث فى أسباب (ضربة دود القز) التى فشت فى فرنسا سنة ١٨٥٣ لأن (ديماس) كان ساكنا فى المكان الذى اشتدت فيه الضربة وفعلت فعلها الذريع ولم يكن (باستور) رأى دود الحرير قط فاعتذر اليه بعدم اختباره فى ذلك وطلب منه أن يعفيه فجاءه الجواب من ديماس يقول فيه انى لواثق بك و بقدرتك على اجابة طلبى رحمة لبلادى المسكينة فان الرزء يفوق التصور وكانت ظواهر هذا الداء نقطا سوداء تعلو جسم الدود فيتأخر نموه وتختلف أقداره وتبطؤ حركته . وهكذا فعمل تجارب نجح فيها نجاحا باهرا (٢) ثم بحث مباحث أخرى مثل مبحث الاختمار فأثبت بعد تجارب لا محل لذكرها أن الأجسام الذائبة اذا عرضت للهواء امتلأت من الذرات الحية التى فيه . ومتى ماتت الجراثيم التى فى تلك السوائل ولم تدخلها جراثيم أخرى من الهواء لم يتولد فيها شئ (٣) وهكذا بحث أمراض الدجاج والغنم والبقر وتوصل الى ذلك ومنع تلك الأمراض باضعاف الجراثيم المعدية وتطعيم المواشى بها . ولقد كان قبل ذلك يموت فى فرنسا وحدها من المواشى مايقدر ثمنه بعشرين ألف ألف فرنك سنويا . ولقد أثنى عليه المسيو (بولى) فى اجتماع المجامع الخمسة السنوى فقال ﴿ انظروا كيف ان الطبيعة قد كاشفته دفعة واحدة بسر من أغمض أسرارها (سر العدوى) وكيف ان العلم قد خوله تحويل مسبب الموت الى دافع الموت الخ ﴾

وقال الاستاذ (هكسلى) ﴿ إن ما كشفه (باستور) يساوى المليارات الخمسة التى أعطتها دولة فرنسا لدولة ألمانيا غرامة ﴾ (٤) وقد قلده مجمع انكلترا الملكى نشان (رمفرد) سنة ١٨٥٦ وهكذا وزير الزراعة فى

انما أجازه بعشرة آلاف (فاورين) على كشفه علة مرض دود القز . فانظر كيف تعاونت أوروبا على نصر العلم فحفظت أموالهم ومواشيهم بنفس العلم . وكيف تعاون معاصروهم من الأمم الاسلامية للجهل فطرد الفرس جمال الدين الأفغانى . ولما جاء الى مصر طردوه منها فالتجأ الى الاستانة وكان معه نديم الكاتب المصرى فاحتال فى قتلهما بمكروب السرطان السلطان عبد الحميد . هذا ولما حاربت ألمانيا فرنسا وكان (باستور) من متخرّجى مدارس ألمانيا ورأى ظلمها لقومه أرسل شهادة الدكتورية الألمانية الى ألمانيا قائلا انه لايقبل اكراما من أمّة تحارب بلاده فأراد أهل بلاده أن يقلدوه نشانا و يقيموا له احتفالا فأبى فعظم مقامه اهـ

هذه حياة (باستور) وأنا لم أكتب باستور فى تفسير القرآن رمية من غير رام . كلا . وانما كتبت هذا لأريك أن أستاذه (ديماس) يقول له انى واثق بك و بقدرتك على اجابة طلبى رحمة لبلادى المسكينة . فاعجب لعالم يخاطب عالما كلاهما عالم بالكيمياء يقول له ﴿ رحمة ببلادى المسكينة ﴾ ما أحسن هذا العلم وما أحسن هؤلاء العلماء . عالم يرجو عالما أن يرحم البلاد من ضربة دود القز لأجل صنع الحرير . فتى نسمع أن علماء الاسلام بالمعاهد الدينية يفقهون أن الأمّة تحت اشرافهم وهم قوّامون عليها على هذا النحو

فانظر كيف عبر بالرحمة . وانظر كيف كان نشر العلم فى الشرق والغرب جاء بعد البعثة المحمدية والله يقول ـ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ـ فالرحمة التى جاءت لدود القز والغنم والبقر بعض الرحمة التى أرسل لها ﷺ وهى الايقاظ للعلم . إياك أيها الذكى أن تظنّ بى التعصب لدينى فهذه حقيقة ظاهرة لاتحتاج الى دليل أو برهان

إن الهداية ﴿ ثلاث مراتب * المرتبة الأولى ﴾ هداية الأنبياء وهى هداية عامّة لاتتعدّى الارشاد بدون دخول فى العلوم الجزئية والتفصيل ﴿ المرتبة الثانية ﴾ مرتبة الحكماء والهداة فى الأمم . ينزل الله فى كتاب سماوى على نبى فيقول له ادعنى أن أزيدك علما فيتبعه بعض العلماء وهم حكماء الأمّة فيفهمون قوله فيقرؤن هذا التفسير وأمثاله . فماذا يقولون . يقولون ان هذا كلام الله الموجز ولكن نحن لانقتصر على خطاب الناس بهذه الآية بل نخاطب الناس بما يعلمون ونشوّقهم للعلم بما يألفون ونوضح لهم فيعقلون ونذكرهم فيذكرون ﴿ المرتبة الثالثة ﴾ هم العلماء المختصون الذين يختصون بعلوم أوصناعات فيتقنونها فينفعون الناس بعلمهم كأمثال (باستور) المذكور فهؤلاء قد شوّقهم للعلم الحكماء والحكماء فى الاسلام شوّقهم للعلم نبينا محمد ﷺ فاذا قلت لك أيها الذكي ان (باستور) قد أفاد فرنسا مالا قدر الذى بذلته لألمانيا فى الغرامة وأفاد جميع أوروبا وأفاد المسلمين لأن دوابنا قد حفظت ونفوسنا من الطاعون بالاحتياطات الصحية . فليس معنى هذا أن هذا أرقى مايصل اليه العلماء فى الاسلام بعدنا . كلا . بل ان قراء هذا التفسير وأمثاله سيؤلف بعضهم و ينشر كتبا تشوّق المسلمين للعلم على نحو ما كتبناه أوأحسن أوأقل . فهذا التشويق يحدث شوقا فى بعض النفوس فيتخرج علماء فى مدارس ومدارس وينفعون الأمم لا المسلمين وحدهم فى علوم وصناعات مختلفات كما فعل (باستور) وغيره . إذن حكماء الاسلام الذين يسوقون العلماء لحوز علوم الكيمياء والطبيعة والفلك أفضل ألف مرة من العلماء الذين تأثروا بأقوالهم . وهؤلاء الحكماء ماهم إلا جنود الأنبياء . فالأنبياء كشموس والحكماء كالأقمار . والعلماء كالنجوم وهؤلاء العلماء أشبه بباستور المذكور وهذا معنى قوله ﷺ ﴿ أصحابى كالنجوم ﴾ فهذا معناه . أما الحكماء فكالأقمار وهو ﷺ شمس ـ يا أيها النبيّ إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ـ انتهى يوم الجمعة ١٣ يوليو سنة ١٩٢٨

﴿ تذكرة للأمم الاسلامية فى تعاليم أوروبا ﴾

قضى الله عزّ وجل أن يكون الخير مقرونا بالشرّ والمرض يتبع الصحة * قال الشاعر

ودعوت ربى بالسلامة جاهدا * ليصحنى فاذا السلامة داء

(وقال آخر)

والخير والشرّ مقرونان فى قرن * فالخير متبع والشرّ محذور

قال تعالى — وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى — وفى آية أخرى — وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة — الخ * وفى الآثار ﴿ اللهم إنى أعوذ بك من قلب لايخشع ومن علم لاينفع الخ ﴾ . أقول هذا بمناسبة ذكر (باستور) العالم الفرنسى وتحريض الأمّة الاسلامية على علوم أوروبا فان هذا القول اذا أطلق على علاته أدّى الى ترك الديار بلاقع فما جنى الناس الورد إلا من خلال الشوك ولا أكلوا لحما إلا وجدوا معه عظما ولاسمكا إلا اجتهدوا فى اجتناب شوكاته والابتعاد عن مضراته فهذا العلم الأوروبى خير كثير يحيط به شرّ مستطير . أما كونه خيرا كثيرا فهو الذى أعتق تركيا وايران والأفغان واليابان والصين من ظلم أوروبا . فهؤلاء كلهم استقلوا ولبسوا لأوروبا ثوب النمر وقاوموها مقاومة الاباة الفوارس . كل ذلك كان لما قابل القوم عتوّهم بنظيره وسلاحهم بسلاح مثله فتكافأ الشرق والغربى ورجع الظالمون الغربيون بخفى حنين . ذلك لأن حاملى العلم غيرمغلوبين على أمرهم . أما أمّتنا المصرية وأمثالها فانهم تعلموا ولكن احتلال الأجنبى أغرق العلم فى بحر من المفاسد والفسوق والخلاعة فما رأيت ذكيا من الأذكياء إلا انقلب على عقبيه وضلّ سواء السبيل فى زمن الشباب ولاجمالا جميل الصورة إلا استحوذ عليه الرجال والنساء ففتنوه وأنزلوه عن منازل الأشراف الى دركات الزعانف والسوقة الجاهلين . وأكثر من تراه من المتوسطين فى العلم والذكاء من يمسى و يصبح ولاهمّ له إلا المقام على وظيفته والمحافظة على سمته و بزّته . فاما العلم فانما هو مطلب المكاسب سلم المعاش . فتى وصل الشاب بهذا السلم الى معاشه رضى بحاله ولم يزدد علما بل رجع فيه القهقرى واذا مات فسوف يرى . سألت ناظر مدرسة من المدارس المصرية وكان من تلاميذى بالمدرسة الخديوية . فقلت له إن المتقدّمين من أمم الاسلام كانت لهم فى العلم طريقة شيقة وحب عجيب وذكرت له بالتطويل أسلوب موفق الدين عبد اللطيف البغدادى وكيف كان يحفظ الكتب فى أيام معدودات على ماسرّ بك ولم يذر علما إلا قرأه ولاحكمة إلا درسها . فقال وهو مخلص فى خطابه ﴿ نحن الآن فى قبضة الانجليز والمدار عندنا أن تكون بزّتنا وهيئتنا منمقة وننطق بالانجليزية كما ينطقون . بهذا نرتقى . فأما العلوم فان الناس عنها معرضون . فلو أن الوسط الذى نعيش فيه والبيئة التى تجمعنا كانت مغرمة بالتحصيل مداومة على العلم معمورة بمجالس الأدباء ومسامرة الحكماء لكنا أسرع الناس الى المزاحمة فى المعارف وأقربهم زلفى الى التنافس فى العلوم وأشدّهم رغبة فيه . فالمرء إذن موقوف على الرغبة العامّة وعلى حال الوسط . فالناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم ﴾ . فقلت له قد صدقت وقلت قولا سديدا

كل ذلك لانشر المفاسد فى البلاد وعدم قدرة الفضلاء على تغيير المنكر لشدّة شيوعه ومساعدة المحتلين وامتيازات الأجانب فى البلاد فلتحذر الأمم الاسلامية أن يتعاطوا السم فى الدسم كما تعاطينا نحن المصريين . فهاك ماجاء يوم الاثنين ١٦ يوليو سنة ١٩٢٨ و٢٧ محرم سنة ١٣٤٧ منشورا فى جرائدنا المصرية تحت عنوان

﴿ القديم والجديد ﴾

عقدت احدى صحف لندن فصلا فى موضوع القديم والجديد قالت فيه مايأتى

بينما تظهر مصر فى عيون الغربيين غريبة أو بالأحرى روائية لما يحيط بها من هالة الشفق التاريخى نرى المصريين يطمحون الى أن يكونوا من أبناء العصر بل أن يبلغوا أسبابا (فوق العصرية) ونسمع اليوم من كل حدب وصوب عن التقدم فى مصر . تقدم العلوم والمعارف . تقدم النهضة الفكرية . تقدم الافكار الجديدة . تقدم اقتباس الآراء الغربية ونبذ كل شئ قديم ورجعى . هذه صورة حقيقية ولكن الى حدّ معلوم ونقطة معينة . نعم ان أمورا جسيمة تحدث فى مصر اليوم . ولكن هنالك ناحية أخرى تظهر فيها حاشية الرقى تلك الناحية الخافية التى تؤثر فى حياة الناشئة المصرية وتحط من شأن السجايا والطباع . فكم من الاحداث

والشبان يجد ما يأخذ بيده و يهوى به الى أسفل الدركات فى تلك البدع التى يسمونها المدنية الغربية كأشرطة السينما القذرة المخلة بالآداب التى يرونها يوما بعد يوم فى دور السينما والمؤلفات البذيئة التى يطالعونها والمعاشرة الرديئة التى يلاقونها فلا يتخرج الطالب من المدرسة إلا وهو عبد لعادات وشهوات شنيعة يظل أسيرا لها بقية أيام حياته وتكون عبئا ثقيلا يرزح تحته ومذلة تذله وتضع أنفه فى الرغام وتسمه بوصمة عار لا تمحى مازال حيا

هذه حالة البنين . أما حالة البنات فأنكد وأضل سبيلا فان زوبعة الحمية التى هبت على مصر والاندفاع الشديد فى تعليم الاناث وتحرير المرأة واقتباس الملابس والأزياء الأوروبية ومعظم ضروب الرياضة البدنية والألعاب والرقص وما الى ذلك قد أوجدت طفرة فى البلاد كان لها أشد مساس بالآداب وعبث بالفضيلة

فاذا أرادت مصر أن تصل الى مصاف الأمم الراقية فعليها أن تحرص على الحياة الأدبية ولاسيما بين الناشئة والأحداث وأن تحسن تربية البنين والبنات وتغرس فى قلوبهم التقوى ومخافة الله والحشمة والنزاهة ومبادئ الشرف والأمانة . وخير التربية هى التى يوضع أساسها فى البيت و يشاد صرحها فى المدارس . انتهى

﴿تذكرة﴾ إن ظهور هذا التفسير اليوم فى بلاد الاسلام موافق لحركة الاصلاح فيها فقد ألهم الله رجال الاصلاح أن يضعوا بذوره ليتخرج رجال فى المعاهد الدينية على مشرب هذا التفسير . فانظر الى ماقدمه صاحبنا الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر الحالى فى ١٩ صفر سنة ١٣٤٧ الموافق ٦ أغسطس سنة ١٩٢٨ لحكومتنا المصرية وهذا نصه

﴿ اصلاح الأزهر الشريف ﴾

(مذكرة الاستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر)

أوجب الدين الاسلامى على أهله أن تختص طائفة منهم بحمله وتبليغه الى الناس ـ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ـ وأوجب الله على نبيه ﷺ أن يدعو الناس الى السبيل الموصلة اليه ـ أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ـ وقواعد العلماء كلها متفقة على وجوب السعى الى نشر الدين واقناع العباد بصحته وعلى وجوب حمايته من نزغات الالحاد وشبه المضلين . وفى الكتاب الكريم آيات كثيرة تحث على النظر فى الكون وعلى فهم مافيه من جمال ودقة صنع . وقد لفت النظر الى مافى العالم الشمسى من جمال باهر وصنع محكم ولفت النظر الى مافى الحيوانات من غرائز تدفعها الى الصنع الدقيق والأعمال التى لها غايات محدودة . وأشار الى سير الأولين وحث القرآن على العلم وفاضل بين العلماء والجهال وأعمال السلف الصالح وسير العلماء لاتدع شبهة فى أن الدين الاسلامى يطالب من أهله السعى الى معرفة كل شئ فى الحياة . وقد تولى سلف علماء الأمة القيام بهذه المهمة على أحسن وجه وأكمله فخلفوا تلك الثروة العظيمة من المؤلفات فى جميع فروع العلم ودرسوا أصول المذاهب فى العالم ودرسوا الديانات ودرسوا الفلسفة على ما كان معروفا فى زمنهم وكتبوا المقالات فى الرد على جميع الفرق . وكانت للعقل عندهم حرمته وله حريته التامة فى البحث وكان الاجتهاد غاية يسعى اليها كل مشتغل بالعلم متفرغ له . ولكن العلماء فى القرون الأخيرة استكانوا الى الراحة وظنوا أنه لامطمع لهم فى الاجتهاد فأقفلوا أبوابه ورضوا بالتقليد وعكفوا على كتب لايوجد فيها روح العلم وابتعدوا عن الناس فجهلوا الحياة وجهلهم الناس وجهلوا طرق التفكير الحديثة وطرق البحث الحديث وجهلوا ماجد فى الحياة من علم وماجد فيها من مذاهب وآراء فأعرض الناس عنهم ونقموا هم على الناس فلم يؤدوا الواجب الدينى الذى خصصوا أنفسهم له وأصبح الاسلام بلا حماة و بلا دعاة بالمعنى الذى يتطلبه الدين . فى الدين الاسلامى عبادات وعقائد وأخلاق وفقه فى نظام الأسرة وفقه فى المعاملات مثل البيع والرهن وفقه فى الجنايات . وقد عرض الدين الاسلامى لغيره من الأديان وعرض لعقائد لم تكن لأهل الأديان (كذا) وأشار الى بعض الامور الكونية فى النظام الشمسى

والمواليد الثلاثة من جماد ونبات وحيوان

وقد هوجم الاسلام أكثر من غيره من الديانات السابقة ، هوجم من أتباع الأديان السابقة وهوجم من ناحية العلم وهوجم من أهل القانون ، لهذا كانت مهمة العلماء شاقة جدًّا تتطلب معلومات كثيرة ، تتطلب معرفة المذاهب قديمها وحديثها ، ومعرفة مافى الأديان السابقة ، ومعرفة ماجدّ فى الحياة من معارف وآراء ، ومعرفة طرق البحث النظرى وطرق الاقناع ، وتتطلب فهم الاسلام نفسه من ينابيعه الأولى فهما صحيحا ، وتتطلب معرفة اللغة وفقهها وآدابها ، وتتطلب معرفة التاريخ العام وتاريخ الأديان والمذاهب وتاريخ التشريع وأطواره ، وتتطلب العلم بقواعد الاجتماع والأمة المصرية أمّة دينها الاسلام فيجب عليها وهى تجاهر بذلك أن ترقى تعليمه لترقى حملته ويكونوا حفاظا ومرشدين يدعون الناس اليه ، ولايوجد دواء أنجع من الدين لاصلاح أخلاق الجماهير فان العامة تتلقى أحكام الدين والأخلاق الدينية بسهولة لاتحتاج الى أكثر من واعظ هاد حسن الأسلوب جذاب الى الفضيلة بعمله ويحسن بصره فى تصريف القول فى مواضعه ، ولذلك كان الدعاة الى الفضيلة قديما وحديثا يلجؤن الى الأديان يتخذونها وسائل للاصلاح بل إن كل دعاة المذاهب السياسية وحملة السيوف لم يجدوا بدا من الرجوع الى الأديان وصبغ دعواتهم بها ، كل ذلك لأن حياة المجتمعات لاتدين لنوع من أنواع الاصلاح إلا اذا صبغ بصبغة دينية يكون قوامها الايمان ، والأمة المصرية بل والأمم الشرقية جمعاء تدهورت أخلاقها فضعفت لديها ملكات الصدق والوفاء بالوعد والشجاعة والصبر والاقدام والحزم وضبط النفس عن الشهوات وضعفت الروابط بين الجماعات فلم يعد الفرد يشعر بآلام الآخرين ومصائبهم وقد أثرت الحياة الفردية فى حياة الجماعة أثرها الضار فانحطت منزلة الأمم ورضيت من المكانة بأصغر المنازل

الى أن قال «يجب أن يدرس القرآن دراسة جيدة وأن تدرس السنة الشريفة دراسة جيدة ، وأن يفهما على وفق ماتتطلبه اللغة العربية فقهها وآدابها من المعانى وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة وأن يبتعد فى تفسيرهما عن كل ما أظهر العلم بطلانه وعن كل مالايتفق وقواعد اللغة العربية»

«يجب أن تهذب العقائد والعبادات وتنقى مما جدّ فيها وابتدع وتهذّب العادات الاسلامية بحيث تتفق والعقل وقواعد الاسلام الصحيحة»

«يجب أن يدرس الفقه الاسلامى دراسة حرّة خالية من التعصب لمذهب وأن تدرس قواعده مرتبطة باصولها من الأدلة وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالأحكام المنصوص عنها فى الكتاب والسنة والأحكام المجمع عليها والنظر فى الأحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصور والأمكنة والعرف وأمزجة الأمم المختلفة كما كان يفعل السلف من الفقهاء»

«يجب أن تدرس الأديان ليقابل مافيها من عقائد وعبادات وأحكام بما هو موجود فى الدين الاسلامى ليظهر للناس يسره وقصده وامتيازه عن غيره فى مواطن الاختلاف ، ويجب أن يدرس تاريخ الأديان وفرقها وأسباب التفرّق وتاريخ الفرق الاسلامية على الخصوص وأسباب حدوثها»

«يجب أن تدرس أصول المذاهب فى العالم قديمها وحديثها وكل المسائل العلمية فى النظام الشمسى والمواليد الثلاثة مما يتوقف عليه فهم القرآن فى الآيات التى أشارت الى ذلك»

«يجب أن تدرس اللغة العربية دراسة جيدة كما درسها الأسلاف وأن يضاف الى هذه الدراسة دراسة أخرى على النحو الحديث فى بحث اللغات وآدابها»

«يجب أن توجد كتب قيمة فى جميع فروع العلوم الدينية واللغوية على طريقة التأليف الحديثة وأن تكون الدراسة جامعة بين الطرق القديمة فى عصور الاسلام الزاهرة والطرق الحديثة المعروفة الآن عند علماء التربية ، وعلى الجملة يجب أن يحافظ على جوهر الدين وكل ماهو قطعى فيه محافظة تامّة وأن تهذب الأساليب

ويهذب

و يهذب كل ما حدث بالاجتهاد بحيث لا يبقى منه إلا ما هو صحيح من جهة الدليل وكل ما هو موافق لمصلحة العباد ﴾
﴿ يجب أن يفعل هذا لإعداد رجال الدين لأن رسالة النبي ﷺ عامة ودينه عام ويجب أن يطبق بحيث يلائم العصور المختلفة والأمكنة المختلفة وان لم يفعل هذا فانه يكون عرضة للنفور منه والابتعاد عنه كما فعلت بعض الأمم الاسلامية وكما حصل فى الأمة المصرية نفسها إذ تركت الفقه الاسلامى لأنها وجدته بحالته التى أوصله اليها العلماء غير ملائم ولو أن الأمة المصرية وجدت من الفقهاء من جارى أحوال الزمان وتبدل العرف والعادة وراعى الضرورات والحرج لما تركته الى غيره لأنه يرتكن الى الدين الذى هو عزيز عليها ﴾ ثم قال بعد كلام
﴿ وقد بدل الله هذه الأحوال وأصبح قانون الأزهر مشتملا على ضعف العلوم التى كانت تدرس من قبل وأصبح يدرس فى الأزهر التاريخ الطبيعى وتدرس فيه الطبيعة والكيمياء و يدرس فيه الجبر والهندسة وقبل الأزهر فى قسم تخصص القضاء الشرعى دروسا فى وظائف الأعضاء ودروسا فى التشريح . قبل الأزهريون كل جديد وأعدوا أنفسهم له وزالت كل العقبات التى كانت من قبل ولم يبق إلا اصلاح طرق التعليم وايجاد المعلمين الأكفاء وتوزيع العلوم على الأقسام توزيعا صحيحا . واذا كانت هناك بقية تعترض الجديد فلم يبق لها من الشأن ما تستطيع معه أن تكون عقبة فى طريق الاصلاح ﴾ انتهى

هذا ما أردت نقله من ذلك التقرير المرفوع من صاحبنا شيخ الاسلام الحالى الذى هو موافق لروح هذا التفسير . كتبته هنا لتعلم أيها الذكى مبلغ ما أخبرتك عنه فى هذا التفسير مرارا وفى كل سورة من أن لهذا التفسير وأمثاله أثرا محمودا ان شاء الله فى الاسلام وأن الأمة قد استعدت له ولأمثاله . ولقد نشأت فى الأزهر وعاهدت الله على أنه اذا علمنى بعض حقائق هذا الدين التى كنت أجهلها بالأزهر نشرتها بين المسلمين لئلا يقع أذكياؤهم فى حيرة مثل ما اتفق لى . ثم إن ما كتبه شيخ الجامع الأزهر فى هذا التقرير الذى رفعه للحكومة المصرية قد خطا خطوات واسعة فيما يطلبه الأزهر والمسلمون . لقد طلب أن يكون التعليم فيه على ﴿ قسمين ﴾ قسم لا يحدد عدده ولا ترتب درجات التعليم فيه ولا يكون له شئ من الحقوق فى أعمال الدولة وانما يراد منه التفقه فى الدين . وقسم يحدد عدد تلاميذه وترتب درجات التعليم فيه الى ﴿ ثلاثة أقسام * القسم الأول ﴾ مدته خمس سنوات وهكذا الثانى والثالث . فالأول والثانوى تدرس فيهما العلوم كالمدارس المصرية ماعدا اللغات الأجنبية وكذا علوم الازهر الأصلية . والقسم العالى يدرسون فيه المنطق والتوحيد والأخلاق والفلسفة قديمها وحديثها وآداب اللغة والقرآن وعلم التربية و بعض اللغات وتاريخ التشريع الاسلامى ومايلزم للقاضى والمحامى من نظم القضاء والادارة وقوانين المرافعات وهكذا . وهؤلاء يكون منهم علماء اللغة العربية وعلماء الفقه وعلماء الارشاد والدعوة و يوظفون فى الوظائف المناسبة لهم . هذا ملخص مافى التقرير . ثم اعلم أيها الذكي أن هذه خطوة تتبعها خطوات . فتى تم ذلك تلتها خطوة أخرى فسيقوم فريق من هؤلاء العلماء بعدنا و يقولون لانقف عند هذا الحد وأى فرق بين اللغة العربية و بين الطب والكيمياء والطبيعة وعلم النبات والحيوان . فلم لا يكون منا السياسى المحنك الماهر والطبيب النطاسى والمهندس الذكى وعالم الكيمياء والنبات والحيوان وهذا ما سيكون بعد حين وإذن يكون الأزهر والمعاهد الاسلامية قد سارت على منهج قوله تعالى ـ لا تكلف نفس إلا وسعها ـ فيخصص كل طالب لما استعد له والله هو الولى الحميد

﴿ العلم علمان علم ضائع وعلم نافع ﴾

أما العلم الضائع فهو مالا يفيد الأمم فى حياتها ولا فى أخلاقها ولا سمو نظامها . لقد تقدم فى سورة الكهف مانقلته عن علماء أممنا الاسلامية انهم كانوا يعمدون الى مافى القرآن من الآيات ويحسبونها بالجمل و يستنتجون منها نتائج . وهذا الحساب يرونه سرا مصونا وجوهرا مكنونا و يقوى ذلك اطلاعهم على علوم الحساب والهندسة والجبر وأمثالها فينوعون فيه و يشغلون الحياة به . فهذا فيه فائدة ولكن مضاره لاحصر لها . أما فائدته

فان المسلم حين يطلع عليه تذعن نفسه للدين ولايشك فيه لأنه يرى أن هذه العجائب و بدائع الحساب قد حواها دينه فيتمسك به وفى الوقت نفسه يقف عقله عند هذه ولايتخطاها . فهذه العلوم أشبه ببعض شيوخ الصوفية الذين ليسوا كاملين . فهؤلاء يكون اعتقاد تلاميذهم فيهم سببا لوقوفهم فى العلم عند حد خاص لايتعدونه . وأذكر أنى فى أيام شبابى كنت أقرأ ذلك فى بعض الكتب فكنت أدهش من ذلك الحساب وعجائبه مثل ان جمل محمد اللفظى (بحيث تكون الميم حرفين) يساوى (١٣٢) وحروف الفاتحة اللفظية عددها يساوى (١٣٢) أيضا فلما قرأت هذا أخذت أعد الحروف اللفظية فكانت تقرب من هذا العدد أو تتحد به فكان هذا عندى دليلا على صدق القرآن . وقد تقدم أن هذا وأمثاله يقبل المعارضة وليس فيه من العلم ولا الحقائق شئ وكنت أنظر فى الأوفاق وأعدادها ونظامها وأدهش وأقول . ياعجبا . لماذا لايجعل الله فى الطبيعة نظاما كنظام الأوفاق كهذا المثلث وأقول . يالله إننا نرى هذا المثلث كل ضلع من أضلاعه (١٥) سواء أكان أفقيا أم رأسيا . واذا كان هذا النظام جميلا فلماذا لم نجد الله فعل فى الطبيعة مثله . هذا كان غرامى وأنا

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

شاب بمثل هذا . وسبب ذلك وقوع أمثال تلك الكتب فى يدى . جل الله وجل العلم . غلب على الحساب وغلب على عقلى حب نظام الأعداد وصارت هذه طبيعتى وليس الآن لى متسع أن أفيض القول فما عرفته بعد ذلك لافى مدرسة دار العلوم ولافى الأزهر قبله بل فى كتب الغربيين وستراه مسطورا فى سورة (العنكبوت) أن العلماء فى زماننا لما رتبوا العناصر بعقولهم وجدوا بينها نظاما مدهشا يعتبر فى جانبه علم الاوفاق نسيا منسيا وأن النظام هناك والخواص وتناسبها أمر يفوق الحصر كمالا وجمالا حتى ان الأوفاق العددية لاقيمة لها فى النظام إلا كقيمة الشمعة فى ضوء الشمس . هذا هو الذى كان يخطر لى وأنا شاب وأقول يارب لم لم نر نظام الاوفاق فى عالم الطبيعة . هذه هى النتائج التى علمتها فى حياتى واياك أن يصدك هذا عن أصل الموضوع فانا نتكلم فى العلم الذى لاينفع وقد قلنا ان هذا العلم لاينفع لأنه وان أفاد بعض فائدة يضيع على المسلمين فوائد لاحصر لها وانه ان أفاد اطمئنان بعض صغار العلم فانه يصد عنه ويحجب العقول عن التفكير . وسبب ذلك أن الذين يقرؤن تلك الكتب لايعرفون العلوم التى اشتقت منها هذه الامور فيظنون أن ذلك سر القرآن وسر الأولياء فيرون أنه من طبقة فوق متناولهم ومن عقول فوق عقولهم فيذلون ويخضعون ويموتون ولاهم يذكرون . ستقول لى أيها الذكى أسمع جعجعة ولاأرى طحنا فاضرب لنا مثلا حتى نعرف به ماتقول أقول لك . انظر المثلث السابق فقد جعلوه من أسرار (طه) وهذا هو السبب فى ذكرى له هنا . المثلث السابق كل ضلع من أضلاعه عدده (١٥) كما تقدم ومجموعها كله (٤٥) ويقولون ان هذا لسر عظيم من أسرار القرآن . ألاترى أن (٤٥) هى جمل (آدم) . إذن هذا المثلث هو سر آدم أبينا واذا كان (٤٥) حاصل ضرب ٩ فى ٥ فله ﴿ضلعان﴾ ضلع ٩ وضلع ٥ و ٩ أكبر من ٥ فيكون آدم وهو (٤٥) ضلعه الأكبر (الضلع أحد المضروبين) ٩ لأنه آخر الأعداد البسيطة التى هى أمهات الأعداد كلها وآدم آخر المكونات وهى التسعة ﴿العقل . النفس . الفلك . الكوكب . العنصر . المعدن . النبات . الحيوان . الانسان﴾ وضلعه الآخر (٥) فالأكبر نسميه أيمن والأصغر نسميه أيسر فاذن آدم له ضلع أيمن وضلع أيسر وحواء خلقت من الأيسر ولاشك أن حواء فى الجمل (١٥) وهى مخلوقة من ضرب ٥ فى ٣ وحواء تلد انسانا تاما كما ان ٥ بضربها فى نفسها تأتى بمربع (٢٥) ومربع (٢٥) يكون ظاهرا فى جميع مضروباتها مثل (١٢٥) ومابعدها الى مالايتناهى فالخمسة هذا شأنها وحواء هذا شأنها كل منهما قد تم ماتولد منه

واذا كانت (طه) مركبة من (٩) ومن (٥) فيكون معناها هكذا ـ طه ما أنزلنا عليك القرآن

لتشقى

لتشقى ــ يعنى يا آدم ويا حوّاء يعنى أيها النوع الانسانى ــ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ــ أى ما جعلناك جامعا لجميع مراتب الوجود لتشقى بل لتسعد بمطالعة حقائق الموجودات بسبب وجود نموذجها فيك وهذا المعنى على أن القرآن هو القرآن التكوينى أى هذا العالم ونظامه وان أريد به الوحى فيقال ما أنزلنا عليك القرآن بالوحى إلا لتسعد بالعمل بما فيه الخ

أنا أيها الذكى نقلت لك عبارة القوم وأنا أعلم أن أكثر من يقرؤها يتعب فى فهمها إذ يرى أن مسألة عدد (٥) عدد كروى مثلا وأن هناك ضلعا أصغر وضلعا أكبر وألفاظا من علوم مختلفة فأمثال هذا كان يقرؤه المتعلمون فى الاسلام فيظنون أن هذا من علم أعلى وتقف العقول وتحصر الأفكار . ذلك لأن مسألة العدد الكروى وهو (٥) وأن (٢٥) ظاهرة فى كل مضروباتها . هذا من علم الارتماطيق (خواص الأعداد) الذى ذكرته فى كتاب ﴿ بهجة العلوم فى الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم العصرية ﴾ واذا رأى ذلك متفقا مع حديث خلق حوّاء من الضلع الأيسر ويدخل على الأذكياء لفظ ضلع مع انها أحد المضروبين فى العدد وآدم ليس له ضلعان اثنان أيمن وأيسر . كلا . بل له (٢٤) ضلعا لاضلعان ولكن القارئ الذى يفهم هذا فى كتب القوم يظنّ أن هذه حقائق ذات قيمة فتهلع نفسه وينخلع قلبه ويرى أن هذه العلوم عالية جدّا فيعيش فى تلك الكتب ويقف عقله فيكون أشبه بالذباب اذا وقع فى العسل وهذه حال أكثر الأذكياء من رجال العلم والصوفية فى الأمم المتأخرة الاسلامية . أتدرى من أين نقلت لك هذا . نقلته من ﴿ سفينة الراغب ﴾ نقلا عن شرح العلامة الشيخ ابراهيم المصرى الحلبى على لغز اسم كتاب ﴿ الزبدة ﴾ لبهاء الدين العاملى سنة ١١٦٥ فهذه كانوا يعدّونها أسرارا للقرآن وماهى بأسرار . كلا . بل هذا التمحل يضل العقول ويضيع عليها الوقت ويخرجها الى عالم الخيال ويجنبها عالم الحقائق . هذا هو العلم الضائع

﴿ العلم النافع ﴾

إن من قرأ هذا التفسير وأمثاله رأى أن هذه السورة مشحونة بعجائب الخلق وذكر عجائب السموات والأرض وما عليها من نبات وأنعام ويقول الله ــ قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ــ وهذه الآية مثلا مفسرة بالعلوم التى أحاطت بنا من كل جانب وبها سعادتنا وسعادة الأمم حولنا بل فوق ذلك جعل فى هذا التفسير أن الطاء والهاء يشيران لنفس هذه الجملة وقد فسرت بما ذرأه الله فى عالم الحيوان مشروحا شارحا للصدور . فما نتيجة ذلك الحساب الذى جعلوه سرا إلا أن يقال إنك أيها النوع الانسانى جامع للحقائق تطالعها فى نفسك . فهل هذا هو السرّ . اللهم لاسرّ هنا ولامعنى فهذا المعنى جزء ضئيل من المعنى المخبوء فى آية واحدة من السورة فان قوله ــ أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ــ شملت الانسان ولم تقتصر عليه بل جمعت كل حيوان وكل نبات وكل فلك وكل جماد . فما هذا السر إذن ــ إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان * إن يتبعون إلا الظنّ وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ــ فأمثال هذا الحساب قد أوقف العقول فى الأمم الاسلامية دهرا طويلا . فلعمرى أين هؤلاء العلماء ممن يعدّهم الله الآن للأمم الاسلامية ليرشدوهم ويعلموهم . انّ الله أعدّ للمسلمين عقب ظهور هذا التفسير وأمثاله من مؤلفات علماء زماننا رجالا فى ظهور آبائهم وآخرين فى بطون أمهاتهم سيدرسون هذه الدنيا على حقائقها ويقولون انما مثل هذه التى سميت أسرارا انما هى أشبه بتدريب الأطفال فى المدارس تدريبا عضليا جسميا لتقوية العضلات فى ساحات المدارس وهذا فائدته لتقوية الجسم وحده ولاينتج فائدة مادّية أخرى

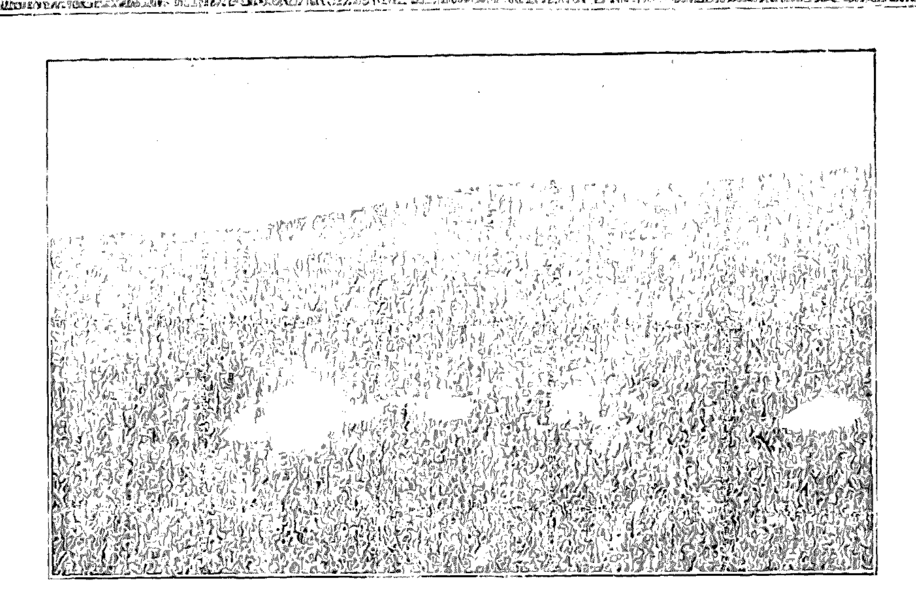
أما العمل فى الحقول وفى الصناعات الذى سنه الله لخلقه فانه يفيد ﴿ الأمرين ﴾ يفيد قوّة البدن ويفيد نموّ العمران وارتقاء الأمم وينتج الاغذية والملابس وسائر الصناعات . فنحن اذا وجدنا السابقين من متأخرى المسلمين أضاع بعضهم وقته فى هذه التى سموها أسرارا وقد مرنت عقولهم عليه ولكن مانفعت أممهم فعلينا نحن

أن نمرّن عقولنا على ما يكسبنا ﴿ أمرين ﴾ رقى عقولنا ورقى أحوالنا المعاشية والمعادية . فاننا اذا فعلنا كما كانت أوائلنا أيام الدولة العباسية وكما تفعل الفرنجة بعدهم من تحويل أرضنا من حال الى حال واحداث مالم يكن موجودا من المزارع واستخراج مالم يستخرج من المعادن وأنواع السوائل المخزونة في الأرض نلنا الامرين رقى عقولنا بعجائب هذه المخلوقات وارتقاء مدنيتنا بالمنافع العامّة . ففى عجائب تلك المخلوقات من النظام والجمال والبدائع مايدهش العقول ألف مرة بخلاف ذلك الوهم الذى لايعجب به إلا المبتدؤن فى العلم ثم يقولون أمر الله نبينا ﷺ أن يدعوالله أن يزيده علما . ولاجرم أن العلم الذى لافائدة منه لايطلبه نبينا ﷺ ويقولون ان العالم الذى يكون على قدم رسول الله ﷺ هوالذى يستخرج منافع هذه الدنيا ويكون كالنجم به يهتدى ومستحيل أن يكون كالنجم إلا اذا عمّ نفعه . ويقولون يقول الله تعالى ـ لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة ـ فجعل الله التفكر فى الدنيا قبل الآخرة . ثم يقولون فلنبتدئ بالفكر فى الدنيا ونقرأ آيات الصدقات . يقول الله تعالى ـ فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فك رقبة * أواطعام فى يوم ذى مسغبة * يتيما ذا مقربة * أومسكينا ذا متربة ـ فيفكرون إذن ويقولون إنّ إطعام المسكين والفقير له منزلة سامية واذا كان آلاف آلاف من الأغنياء أطعموا ملايين من الفقراء وأغنوهم فهؤلاء لهم أجرعظيم ولكن ربما ظهر عالم فى الأمّة فابدع ما شاء الله أن يبدع فى هندسة الأرض بأن بنى قناطر حفظت الماء فسقت آلاف الفدادين (جمع فدان) . فهذا بعلمه نفع أمما لا أشخاصا فقط فهو وحده أفضل من هؤلاء الأغنياء كلهم وهكذا اذا ظهر من اقتحم العقبات العلمية ودرس طبائع الأرض وفهم خواصها فأدرك بعلمه ما فيها من معادن ومنافع كالنفط والقار التى ببلاد العراق فان من يتأمّل فيها يجد الألمان والانكليز لهم الحظ الأوفر فى استخراج مابها من النفط والقار ويقطرونه وكان المسلمون أحق بتلك العلوم والمعارف لأن الله يأمرنا بالازدياد من العلم . الله أكبر ما أجمل العلم وما أبدع الحكمة . يا الله أدهشت عقولنا وأنرت بصائرنا بحكمتك فى أرضك . يا الله أريتنا أرضك جنة واسعة . وكيف لاتكون جنة وقد رأيناها عروسا زينت للناظرين . عروسا قد حليت بأنواع الحلى

فلاتدوم على حال تكون به * كما تلون فى أثوابها الغول

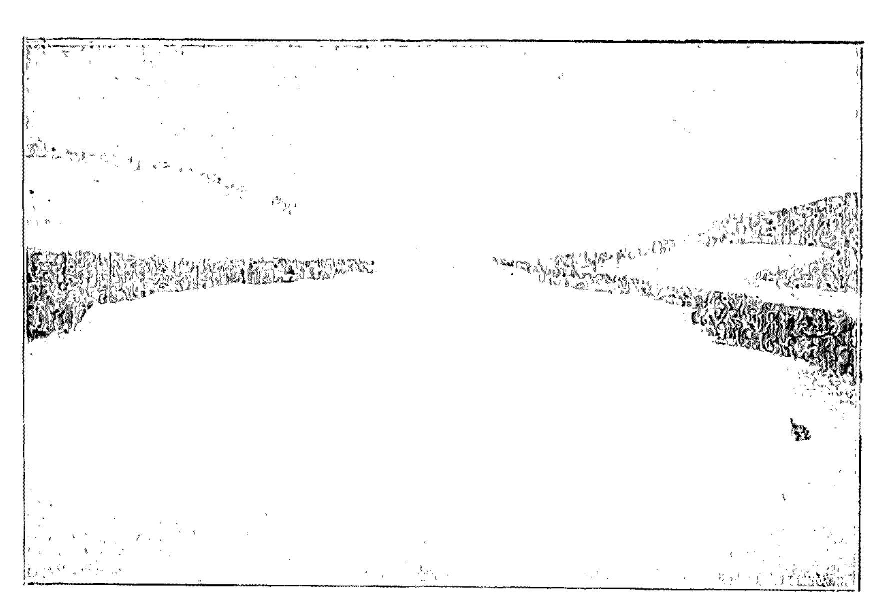
كيف لا وقد رأينا عيونا تنبع من الأرض بالماء الباردتارة والحار أخرى كما مرّ مصوّرا فى سورة الكهف وهكذا قد أخرجت عيونا كبارا وصغارا تنبع بالقار وهوفى حال الغليان وهناك يجتمع أشبه بالصلصال على الأرض أسود أملس صقيلا رطبا عطر الرائحة وذلك على بعد أربعة وأربعين ميلا الى الجنوب من بلاد الموصل على الجانب الغربى من (دجلة) فى مكان يسمى (بالقياره)

وهناك بالعراق أيضا آبار يستخرج منها (النفط) كما يستخرج الماء من الآبار . ولقد فتحت بئر هناك فى زماننا فقذفت فى الجوّ ألوفا من القناطير من (النفط) فى مدينة (كركوك) التى تبعد عن بغداد بنحو (٢٠٠) ميل الى الشرق . وهناك مكان يقال له (بابا قرقر) يخرج منه غاز يتقد نارا متى لامس الهواء فاذا نكشت بأصبعك أو بعود رأيت اللهب يخرج من الأرض . واذا حاولت سدّه بالتراب خرجت النار من مكان آخر وأرض النار هذه أربعة أمتار مربعة فيها بضعة عشر ثقبا يخرج من كل واحد منها نار ملتهبة كلهيب المصباح فى لونها (انظر شكل ١١ فى الصفحة التالية)

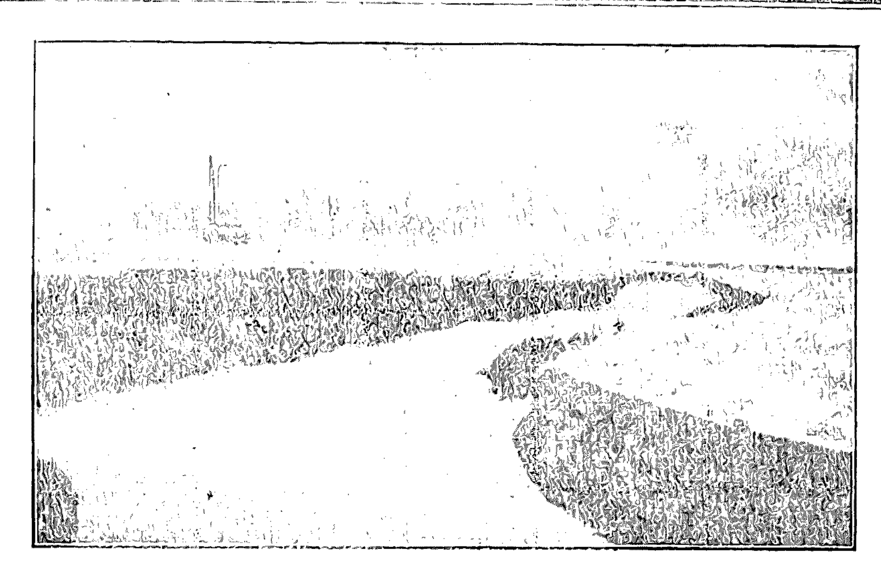


(شكل ١١ – رسم أطمة فى (كركوك) وهى عين من النار يقال لها (بابا قرقر) يظن انها اتون النار المتقدة التى ألقى فيها الفتية الثلاثة على ماجاء فى سفر دانيال)

ويقال ان المجوس عبدوها لما رأوها تخرج على هذه الحال فى (باكو) وهو قول لم يحقق ولقد انفجرت بئر فى سنة ١٩٢١ بالقرب من (بابا قرقر) فجأة وارتفع فى الجوّ بضع مئات من الأمتار وكان يقذف (النفط) فى اليوم الواحد (٣٥٠٠٠٠) صفيحة من الصفائح المعروفة وذلك فى شهر اكتوبر من تلك السنة وجرى نهر من (النفط) وصار بحيرة وخشى على (كركوك) من الغرق وانهزم المهندسون والعمال ثم عادوا فردموا البئر ومات منهم ثلاثة خنقا بالغاز أحدهم مهندس أمريكى والآخران عراقيان . وبالجملة أن (النفط) و(القار) فى العراق كله (انظر شكل ١٢ وشكل ١٣)



(شكل ١٢ – رسم بحيرة من النفط حيث نفجرت البئر بقرب (بابا قرقر) فى (كركوك) ولعل البحيرة التى رآها الاسكندر كانت هناك)



(شكل ١٣ - رسم صورة أخرى لآبار (النفط) على مقربة من (كركوك) حيث تفجرت بئر واندفقت تجرى (النفط) نهرا واشتعل بعضه كما ترى فى الصورة ولايزال مشتعلا)

﴿تنبيه﴾ هذه الصورة واللتان قبلها منقولة مع ملخص المعنى من مجلة (المقتطف)

خبرنى أيها الذكى هلا تخرج من بلاد الاسلام علماء يخصصون لذلك بالتعليم فى الأقطار الأوروبية ويشرحون الطريقة التى بها تستخرج تلك المواد من الأرض وننتفع بها . فهؤلاء لم يكن عملهم قاصرا على نفع مئات الالوف من الناس . كلا . بل العالم منهم ينفع أهل الأرض كلهم لأن ذلك (القار) أو (النفط) ينتقل بالتجارة الى أقطار الأرض كلها فهو إذن قد نفع جميع الناس . فاذن العالم أفضل ألف ألف ألف ألف مرة من الغنى وانفاقه من علمه أفضل ألف ألف ألف ألف مرة من انفاق الغنى من ماله . هذا هو سرّ قوله تعالى - وقل ربّ زدنى علما - . انتهى يوم الجمعة ٣ صفر سنة ١٣٤٧ و ٢٠ يوليو سنة ١٩٢٨

﴿ اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى - ولقد عهدنا الى آدم - الى قوله - ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى - ﴾

هذه الآيات ذكر الله فيها آدم ونسيانه وانه ليس له عهد وذكر الجوع والعرى والظمأ الخ ووسوسة الشيطان والأكل من الشجرة وظهور عورتيهما لهما . اعلم أن هذه القصة أنزلها الله ليجعلها مرآة لبنى آدم فاذا تأملها الناس عرفوا أن ما جاء فيها منطبق عليهم تمام الانطباق * وفى المثل ﴿أسر حسوا فى ارتغاء﴾ وأنت لك القصد والقرآن لا يواجه الناس بحقائق أحوالهم بل يكنى لهم ويرمز ليكون أدعى الى التفكر وأقرب الى التأمّل ولو أن الحقائق التى تضمنتها هذه القصة وحواها صرّح بها القرآن ليئس بنو آدم من الرقى واليأس يمنع الرقى الى الكمال . ان بنى آدم يعيشون فى هذه الأرض وقد أحاطت بهم المثلات واستبانت الحقائق . فهذه الطيور والبهائم تعيش بلا طبخ ولا عجن ولا خبز ولا اسراف فى مأكل ولا مشرب ولا يقرب الذكر أنثاه إلا عند الحاجة الى الحمل ثم لا يقربها الى أجل مسمى . فالطبيعة المحيطة ببنى آدم قد برزت مكتوبة بخط جميل ظاهر . إن السعادة والهناء والسلامة والصحة فى القناعة والرضا وعدم الاسراف . فماذا فعل هذا الانسان . طغى وبغى وتعدّى حدّه فى مأكله ومشربه وملبسه وهذه كلها مذكورات فى هذه الآيات وجهل ماخطه الله على لوح الطبيعة من النظام . هذا الانسان خلق له الجوع والعطش والتألم من الحرّ والبرد فأمد بكل غذاء للجوع وبالماء للعطش وبالملابس لمنع آلام الجوّ ولكنه لما تناول الغذاء جهل أصل المقصد منه فتفنن فى ضروبه وألوانه ولما تعاطى الماء ظهر جهله فيه فتفنن فى ضروب اللذات فأصبح صريع شهوته قتيل جهالته . ولما استعمل اللباس لم يقف عند الحاجة بل أخذ يتزين به ونسى كمال نفسه فأصبح بنو آدم بهذا عبيد العصا

وأدخلوا فى جهنم دار المذلة والهوان وقد نسوا نسيانا تاما سعادة الطير وقناعته بريشه واكتفاءه بالحب يلتقطه وهو مغرد طرب . وهكذا الأنعام لها جلودها وأشعارها وأوبارها لم ترد زيادة عنها . وهكذا الماء تشربه قراحا لاتمزجه بحلوى ولاتجعله خمرا . فهذه المحن التى وقع فيها بنو آدم هى المضاهية لماقيل فى آدم ان الشيطان وسوس له وانه أكل من الشجرة وأن السوأة بدت لهما وانهما أخذا يخصفان من ورقة الجنة . فذكر الأكل وذكر الخصف راجع للجوع وللعرى والأكل يتبعه الشرب ثم ذكر العداوة والاسراف ونسيان العهد ولاجرم أن الانهماك فى هذه المطالب اسراف وهو يورث العداوة . إن النسيان المذكور فى الآية قد عم هذه الكرة الارضية . كلنا نجهل أصل المقصود من الجوع ومن العطش الخ . ولقد ذكرت نبذة فى هذا الموضوع فى سورة (البقرة) عند قوله تعالى ــ أتستبدلون الذى هو أدنى ــ الخ وفى سورة (الأعراف) عند قوله تعالى ــ وكلوا واشربوا ــ وفى سورة (الحجر) عند ذكر آدم فى أوّل السورة وفى هذه المقامات الثلاث ذكرت أهم الشروط الصحية فى الملبس والمأكل والمشرب . وأن الأمم والأفراد الذين انهمكوا فيها ذلوا فى الدنيا بالضعف والذل ــ ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى ــ وهاأناذا الآن أقرأ فى كتاب الصحة تأليف زعيم الهندوس الأكبر (مهاتماغاندى) الذى ترجمه الأستاذ الشيخ (عبد الرازق المليح) آبادى فعجبت كل العجب أن يكون هو قد اصطفى من الطب الحديث مايقوّى ماذكرته سابقا فى هذه المواضع الثلاثة ولكنه هو زاد أمرا عجبا ذلك أننى كنت أتوخى فيما أكتبه أن أبين المآكل الضارّة مثل الدقيق المنخول والسكر وكذلك مايشرب مثل القهوة والشاى والخمر . وهكذا قد أبنت المضار الناجمة من ترك الرياضة البدنية التى جهلها كثير من المسلمين فضعفت أبدانهم ورقت عظامهم وقصرت آجالهم . أما هو فقد أطنب فى ذلك وأبدع فيه ثم أنبعه بما كنت أودّ أن أعرفه أنا ويعرفه قراء هذا التفسير . ذلك أنى كنت أقرأ فى المادّة الطبية للطبيب المصرى وهو الشيخ الرشيدى بعض أعمال طبية عجيبة تداوى من أكثر الأمراض بلا استعمال دواء وذلك هو الاستحمام بالماء البارد أو الحار . وهكذا قرأت فى كتب أخرى أن الهواء وضوء الشمس والطين . كل هذه تقوم مقام الأدوية وهكذا كنت أقرأ فى الكتب القديمة والحديثة أن استعمال الأدوية التى ملئت به الصيدليات فى زماننا مادخلت معدة أو منزلا إلا كانت سببا فى تسلسل الأمراض كما قدّمته فى سورة (البقرة) مفصلا ولكنى كنت أتمنى أن أرى طرق المداواة بهذه الموادّ ممهدة سهلة بحيث لايحتاج الانسان فيها الى مرشد سوى الكتاب . فلما اطلعت على هذا الكتاب ألفيت المؤلف قد أوضح طرق العلاج ايضاحا تاما وذكر أنه قد جرّبها فعلمت أنّ الله عزّ وجل قد أذن لذوى الجدّ من قراء هذا التفسير أن يستغنوا عن الأطباء غالبا متى قرؤا ماسأنقله عنه من تلك الكيفيات الصحية التى شملت الأمراض الظاهرة والباطنة اللهم إلا قليلا . فهاأناذا أنقل من ذلك الكتاب القسم الأوّل منه وهو مايحفظ الصحة هنا وأرجئ قسم المداواة الى سورة (الشعراء) فأكتبه عند قوله تعالى ــ والذى هو يطعمنى ويسقين ــ فانّ حفظ الصحة بمقامنا هنا أليق والمداواة بآية (الشعراء) أنسب وسأنقل من الكتاب فى المقامين عيون كلامه وأهمّ مايناسب التفسير وليس هذا خارجا عن التفسير بل هو من صميمه واذا كنت فى سورة (آل عمران) أذكر نبذة جميلة من علم التشريح بمناسبة قوله تعالى ــ هو الذى يصوّركم فى الأرحام كيف يشاء ــ وأذكر عند قصة ابراهيم الخليل فى سورة (الأنعام) أجمل مافى علم الفلك وأذكر عند قوله تعالى فى سورة (المائدة) ــ وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم ــ الخ خلاصة ماجاء فى الكشف الحديث من ظهور حقائق جديرة بالاعتبار بها عرف الناس أن كثيرا من عبارات الأناجيل منقولة بالحرف من كتب الهنود

وهكذا ترى أيها الذكى أن الآية قد يكتب عليها نحو عشرين ورقة أو أكثر أو أقل ثم ذلك كله فوائد علمية تشوّق للعلم فمابالك بما يقوّم صحة الأبدان ويزيح عللها ويجعل المرء قوىّ البدن صحيح الجسم قوىّ العقل والذاكرة ليربح السعادة فى الدنيا ويعم نفعه أهل بلاده وأهل دينه . لاجرم أن هذا أحقّ بالعناية وكل علم رسم

فى ذهن سقيم يسقم تبعا للعالم به والسقم يتبعه الموت * وفى الأثر ﴿ العقل السليم فى البدن السليم ﴾
ولنبدأ الآن بذكر قسم حفظ الصحة هنا ملخصا أجل ماذكره لتستيقن بما كتبته سابقا لأنه ما كتب ذلك إلا بعد التجربة وقراءة كتب الطب الغربية العصرية المطوّلات ولنذكر ماجاء فيه على ترتيب ما فى الآية فقد جاء فيها الجوع والعرى والظمأ فلنذكر الكلام على الغذاء ثم اللباس ثم الماء ثم الهواء تبع ترتيب الآية فنقول
قد ذم اكثار الأكل الذى يوجب تعاطى المسهلات والحبوب الهاضمة وذكر أنه هو قد كان وقع فى ذلك إذ كان يشرب الشاى صباحا ثم يفطر بعد ساعتين ثم يتغدّى الساعة الواحدة ثم يشرب الشاى ثانية ثم يجلس للعشاء بين الساعة السادسة والسابعة . قال فلا تسأل عن تعاستى وسوء حالتى فى تلك الأيام فكان حشو جسمى الكثير من الشحم يوجب أن يكون عندى قوارير للأدوية تلازمنى . قال وكانت مقدرتى العقلية ونشاطى ثلث ما أحس به اليوم مع انى كنت فى عنفوان الشباب ثم أخذ يذكر الطيور وقناعتها وهكذا جميع الحيوانات وتعجب كيف نعدّ أنفسنا أفضل المخلوقات وقد سبقنا الحيوان الى هذه السعادة . ثم بين أن الغش والسرقة وغيرها من الذنوب مبنية على هذه الشراهة والطمع وأخذ يضحك من هذا النوع الانسانى المسرف فى لذة الاعراس والأفراح والأعياد ولا يخجل الناس من هذه الفضائح لشحن بطونهم . قال وهذا إثم كبير انقلب مفخرة فبدل أن الناس فى الأعراس حين يقتلون أنفسهم بالبطنة يلومون أنفسهم نراهم يفتخرون بهذه المذبحة والمهلكة والموت الزؤام فأصبح مايوجب الخجل والخزى بابا من أبواب الفخر والشرف وكأنه بهذا يعبر عن قوله تعالى ـ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق و بما كنتم تفسقون ـ
أقول . الحمد لله قد أصبح علم الطب فى العصر الحاضر كتفسير للقرآن . ذلك أن الله علم أن الأمم سيزداد عددهم على الأرض فيستبحر العمران و يزدحم السكان و يكثر الطاعون والوباء فذم فى القرآن الاسراف أوّلا وعمم الأطباء فى العالم الانسانى ثانيا وزاد الطب رقيا على مقدار ازدياد الأمراض انتشارا . ثم أفاد أن هذا النوع الانسانى يكره اللصوص والغشاشين ولكنه لا يعد البطنة ذنبا مع أنها إثم كبير وأصحابها أهل للمقت والسخط وذكر مايتبع ذلك من الخمر والحشيش والأفيون وأخذ يقبح التبغ وعادة تعاطيه كما قدّمت الكلام على ذلك كله فى سورة (البقرة) عند آية الخمر وفى سورة (الأعراف) وأخذ يقول إن الناس لا يعلمون الدسائس المتنوّعة التى يستعملها صناع السجاير إذ يرشون التبغ بحامض الأفيون وغيره من الحوامض المعطرة لكيلا نقدر على تحرير أنفسنا من قبضته اذا أردنا ذلك . ثم قال والمدخن يصبح عبدا خاضعا للتبغ الى درجة يفقد فيها كل شعور للحياء والخجل وهؤلاء اذا لم ينالوا التبغ يرتكبون الجنايات للحصول عليه وحكى حكاية (ليون تولوستوى) الروسى إذ قال ﴿ أراد رجل لسبب ما قتل زوجته فاستلّ مديته وهمّ بالجناية ولكنه أحسّ حالا بالندامة فأعرض وأخذ يدخن فلم يلبث أن غشى على مشاعره تأثير التبغ فقام من فوره وقتل المرأة ﴾ قال فاستدلّ الحكيم بهذه الحكمة على أن الدخان أشدّ تأثيرا على المخ من الخمر وأكبر خطرا منها . ثم أبان أن التدخين يوجب انحطاطا كبيرا فى قوّة الهضم لأن المدخن لا يشعر بالميل الى الغذاء ولذلك يستعمل المربيات والبهارات والمعوقات بكثرة ونفسه يتعفن و يظهر فى بعض الحالات على وجهه البثور والنفاطات وتسودّ الأسنان واللثة وقد يقع بعضهم فى أمراض خطرة والدخان (التبغ) يعفن الهواء و يفسده و بهذا تستضر الصحة العامّة ضررا كبيرا . وقال مثل ذلك فى الشاى وأشدّ وهكذا القهوة والكاكاو . وأبان أن هذه المنبهات مضرّة . وأنا أقول فأنا أحمد الله إذ نقل عن الأطباء واصطفى من أقوالهم ما اصطفيته سابقا فى المقالات التى ذكرتها لك قريبا وقال انها تحتوى على نوع من السم ثم كرر القول وأكده أن القهوة والشاى والكاكا كلها رديئة لاحتوائها على مواد كلها مضيعة لقوى الهضم ومن تعوّد على شئ منها لم يقدر على تركه إلا بعسر . وذكر أن شاعرا هنديا وصف القهوة بأنها

تزيل البلغم والنفاخ ولكنها تضعف قوّة الرجولية وترقق الدم وترقق المنى • ثم قال وقد صدق فيما قال فالأضرار الثلاثة حق ولكن البلغم والنفاخ يمكن الاستغناء عنها بسائل الزنجبيل فهو أنفع فيها لهذا الغرض • ثم قال ان إثم القهوة أكبر من نفعها • فاذا كان شئ يفسد المادّة المنوية ويسمم الدّم أفلا يجب اجتنابه وقال ان الكاكاو فيه مادّة تضعف احساس الجلد وفيه مضارّ كالشاى وكالقهوة • ثم اخترع قهوة تقوم مقام الشاى والكاكاو ولكنها قهوة صحية نافعة ويجد الذين يشربون القهوة فيه طعما لايفرقون بينه و بين طعم القهوة • وذلك أن يوضع قمح جيد منقى فى مرجل فوق النار فيقلى حتى يحمر ويضرب الى السواد ثم يسحق كالبن ثم تأخذ من المسحوق ملعقة وتضعها فى فنجال وتصبّ فوقها ماء فاترا وان وضعتها على النار نحو دقيقة فهو أحسن وتضع عليه اللبن والسكر ان شئت فهذا شراب لذيذ أرخص وأصح من القهوة • ثم ذكر أن الأغذية إما لحم لأهل المناطق الباردة كالاسكيمو واما نبات لأمم كثيرة واما مخلوط فيهما لأقوام • ثم أثبت بالبحث أن الجسم الانسانى أقرب الى مناسبة الغذاء بالفاكهة • ذلك لأنه ليس كجسم البقر والجاموس مثلا فتلك لها أربع معدات كما تراه مرسوما بالشكل فى سورة (النحل) • أما الانسان فله معدة واحدة • إذن ليس طعامه كطعامها فهى تأكل النبات • نعم الانسان أقرب اليها من الآساد والنمور آكلات اللحوم ولكن تركيب المعدة مخالف ولكن الانسان أقرب الى الحيوانات آكلات الثمار كالقرد مثلا فهو يشبهه فى شكله وتركيب بنيته • فاذن الانسان أبعد عن نحو الأسد جدّا وعن نحو البقر نوعا ولكنه أقرب الى القرد آكل الثمر كالموز والبرتقال والتمر والعنب والتفاح واللوز والجوز والفول السودانى والجوز الهندى • ونقل عن الأطباء أن الانسان لاينبغى له أن يعالج الطعام بالطبخ فهو يقدر أن يعيش على ماتنضجه الشمس بحرارتها كالحيوان وأيضا ان أكثر المواد الغذائية تضيع بالطبخ • فأما التى لاتؤكل نيئة فانها لم تخلق لغذائنا • وبعد أن ذكر هذه الآراء قال ان قراء الكتاب سيسخرون من هذا الرأى ولكن علىّ أن أقول المثل الأعلى لهم وماجرّبته بنفسى وأنا واثق أنه لا أحد من القراء يعمل به ولكن علىّ أن أظهر لهم حقيقة العلم ومن أراد ذلك فليسر فيه بالتدريج • هذا كلامه هو ثم قال ﴿ إن كثيرا من الناس فى انكلترا اقتصروا على الفواكه ودوّنوا نتائج تجاربهم • قال وقد ألف الدكتور الألمانى (جست) كتابا ضخما فى الموضوع أثبت فيه قيمة غذاء الثمار بكثير من الدلائل والشهادات وهكذا عالج كثيرا من الأمراض بوصف هذا الغذاء مصحوبا بالمعيشة فى الهواء الطلق ﴾ قال ﴿ وقد توسع حتى قال إن أهالى كل قطر يقدرون أن يستغنوا بثمار بلادهم ﴾ ثم قال المؤلف نفسه انه جرب الثمار وحدها ستة أشهر فاقتصر على الموز والفول السودانى والتمر وزيت الزيتون معه بعض الفواكه الحامضة كالليمون • قال وقد نجحت تماما • قال ولقد بقيت صحيحا وغيرى قدمرضوا وقواى العقلية والجسمية أقوى الآن بكثير وأنا أكثر فيه ثباتا وعقلا وحزما • وهكذا جرّبت غذاء الثمار فى كثير من المرضى • وبالجملة أقول ان تجاربى الشخصية وقراءتى لكتب الطب زادتنى رسوخا فى الاعتقاد بأن غذاء الثمار أحسن غذاء للانسان • وبعد أن فرغ من هذا قال ﴿ إن غذاء النبات أحسن غذاء بعد غذاء الثمار • والمراد بالنبات مايشمل أنواع الخضراوات والحبوب ويلحق بها اللبن ولكن النباتات تغذيتها أقل من الثمار لأنها تفقد جزأ من قوتها أثناء الطبخ ولابد منه لأنه يتعذر أكلها نيئة • وههنا ذكر أحسن النبات فقال ﴿ القمح أحسن أنواع الحبوب ويمكن أن يعيش الانسان عليه وحده ففيه جميع المواد المغذية • وقد تقدّم هذا فى سورة الحجر موضحا وأقل منه الدخن والذرة • وههنا أخذ يذم الدقيق والخبز فى السوق وأنا أكتفى من هذا بما تقدّم فى سورة (الحجر) فانه هناك واضح كل الايضاح • وهنا استحسن فى القمح أن يجرش ثم يطبخ ويخلط معه اللبن والسكر فيكون طعاما لذيذا • أقول وأنا أخالف فى أمر السكر لأنه مضرّ بالصحة وأخالفه فى اللبن لأنى سأنقل عنه أن تركه أفضل من تعاطيه • ثم ذمّ غذاء الارز وقد تقدّم هذا فى سورة (الحجر) • ومن العجيب انه أخذ يذم البقول ويقول

انها وان كانت تساعد فى تنظيف الدم فهى عسرة الهضم جدّا فيجب الاعتدال فيها وذم العدس واستشهد بكلام الدكتور الانجليزى (بق) والقاف تنطق أشبه بالكاف إذ قال ﴿ إنّ العدس يجلب الشيخوخة قبل أوانها ﴾ وقال ﴿ فالأحسن لمن لايقدر على ترك البقول والعدس أن يقتصر منهما على القليل . ثم أخذ يذم البهارات مرة أخرى والتوابل . وذكر أن السودانيين حقروها ومتى أكلوها أفسدت معداتهم وظهرت بثور على وجوههم ثم كرر القول أن البهارات والتوابل لايقصد الناس منها إلا انها تهضم طعامهم لكنها لاتحدث لهم إلا جوعا كاذبا و ينتهى لهم ذلك بفقر الدم و بالاسهال . قال وقد مات رجل انجليزى بسبب أكل الفلفل الأحمر ثم زاد على ذلك أن الملح أيضا ملحق بالبهارات ومن ترك الملح نظف دمه حتى لايؤثر فيه لدغ الثعبان والمصاب بالبواسير وضيق النفس يشفى اذا ترك الملح . قال ولما تركت الملح استفدت فوائد منها عدم كثرة شرب الماء . ومن يترك الملح لابد أن يترك معه النبات والعدس . إن الخضراوات والعدس لا يمكن هضمها بدون الملح . قال والذى يترك الملح بتاتا يشعر فى أول الأمر بفتور واسترخاء ولكنه اذا ثبت على ذلك استفاد فائدة تامّة . ثم أخذ يذم اللبن ولما ذمّه كرر القول انه واثق أن قراءه لايوافقونه ولكن عليه أن يقول الحقيقة والمثل الأعلى ذلك لأن العجل يرضع لبن أمه فاذا كبر استغنى بالحشائش . ومعنى هذا أن الكبير منا لا يصلح له اللبن كما فعل الثور تماما لأن هذا هو درس الطبيعة المشاهدة واستدلّ بقول الأطباء ان اللبن يورث نوعا من الحمى وأن هناك فى الجوّ جراثيم تسقط على اللبن فتسممه وفوق ذلك مايعلمه الناس أن المرأة المريضة لبنها يمرض ولدها هكذا البقرة المريضة يفعل لبنها معنا كذلك . ومن أين لنا البهيمة السليمة والأطباء يعطون الدواء للأم ليصح رضيعها . فاذا كان هذا شأن اللبن فلنستعض بدله بزيت الزيتون . واللوز الحلو بدل قوى جيدا للبن فيوضع فى الماء الساخن ويزال قشره ثم يسحق جيدا و يمرس و يمزج مزجا فهو يهيئ شرابا محتويا على جميع مزايا اللبن وسالما من جميع مضارّه . ثم قال اذا كان العجل عند ظهور أسنانه يكتفى بالحشائش و يترك اللبن فهذا معناه أننا نحن اذا جاوزنا سنى الطفولية نعيش على الموز والتفاح واللوز وهكذا سائر الثمار أو على خبز القمح قال و بترك اللبن نجنى فوائد اقتصادية . قال وعرق الليمون الحامض بدل جيد للبن الحامض وأما السمن فألوف مؤلفة من اليهود يستعملون بدله الزيت . ثم عقد فصلا للحم فقال قد ثبت بالفحص انه ليس غذاء طبيعيا للانسان والدكتور (بق) المتقدم ذكره والدكتور (كنجزفورد) أظهرا بكل وضاحة مضارّه فى أجسامنا وأثبتا أن الحمض الذى يولده العدس يولده اللحم واللحم يولد الأمراض فى الأسنان والروماتيزم فى الجسم ويحرّك الأميال الرديئة كالغضب . وما الغضب وسائر الشرور إلا صور من صور الأمراض . قال وقد أخذ بعض آكلى اللحوم يهجرونها و يرجعون الى الغذاء النباتى . ثم أبان أن المقتصرين على اللحم حالتهم رديئة ثم أتى بهذه النتيجة أن الذين يعيشون على الثمار قليل و يسهل أن يعيش الانسان على الثمار مع القمح وزيت الزيتون . فهذا غذاء يساعد مساعدة كبيرة فى تقوية الصحة ثم رتب الفواكه هكذا الموز و بعده التمر والعنب والبرقوق والبرتقال وأمثالها . قال ويمكن تناولها مع الخبز ثم قال ان الخبز لايفسد طعمه اذا بل بزيت الزيتون . قال وهذا الغذاء لايحتاج فيه الى الملح والفلفل واللبن والسكر وتحضيره سهل ورخيص ثم قال إن أكل السكر وحده حماقة والاكثار من الحلويات يضعف الأسنان و يضرّ بالصحة والمأكولات المصنوعة من البر والثمار جامعة بين الصحة واللذة

﴿ مقدار الغذاء . ذكر أن الأطباء يسلمون بأن تسعين فى المائة من الناس يأكلون أكثر من حاجتهم ﴾

وهنا أطال فى أمر مضغ الطعام وجعل له المقام الأوّل ونقل عن الأطباء أن مضغ الطعام جيدا يفيد موادّ غذائية كثيرة من طعام قليل حتى بالغ كاتب خبير فقال ﴿ لومضغنا الطعام جيدا لم نحتج إلا الى أوقتين أوأربع أوقيات من الغذاء ﴾ . قال الدكتور هذا القول بعد أن جرّب تجارب لاتحصى وقد بيعت نسخ كتابه ألوفا

مؤلفه . و برازالذى يأكل طعاما نافعا غيركثير يكون قليل المقدار متماسكا بعضه ببعض ولينا ذا لون قاتم وخاليا من كل رائحة خبيثة . ومن يرى أن برازه ليس كذلك فليعلم أنه يأكل طعاما كثيرا غير نافع ولايمضغ جيدا وهكذا من يشكو الأرق أو ينام نوما متقطعا مقلقا بالأحلام أويجد صباحا على لسانه اللعاب متجمدا فهومكثر من الأكل والعفونة فى نفس الأسنان تدل على أن طعامه لم ينهضم تماما وظهور البثور فى الوجه وفى داخل الأنف وتولد الريح فى البطن كل ذلك من كثرة الأكل . و بالاختصار يقول ان أصل المصائب اننا جعلنا بطوننا مزابل . وهنا أخذ يحسن فرض الصيام وأوجب أن يصوم الانسان كل أسبوعين يوما على الأقل لأجل الصحة قال وقد تأسست فى انكلترا وأمريكا جمعيات تحضّ على الاقتصار على الأكل مرّتين فى اليوم فلايفطرون صباحا ولايأكلون إلا بعد ثلاث ساعات من استيقاظهم . وهناك دكتور اسمه (ديوى) ألف كتابا جليلا فى الصوم وأثبت فوائد ترك الفطور . قال وأنا جرّبت فى مدّة ثمان سنين أنى قد اكتفيت بمرّتين فى اليوم وهذا خير لمن جاوز سنى الشباب

﴿ الرياضة ﴾

قال انها ضرورية فى الهواء الطلق كضرورة الماء والهواء والغذاء . ومن لايواظب عليها لايكون صحيحا وأفضل الرياضة العمل فى البساتين والحقول ساعات فى النهار فهذه رياضة جسمية وعقلية معا ويليها رياضة المشى وهى وان كانت أقلّ من العمل فى الحقول والرياض قد سميت (ملكة الرياضات) وأنا أقول اننى أثناء تأليف هذا التفسير كنت لا أكتب مطلقا إلا بعد المشى على قدمى نحو ستة كيلومترات كل يوم وأنا أعتقد أن هذا قليل ولكنه نفعنى والحمد لله وأنا الآن مواظب على الرياضة غالبا ولكن ممارسة الكتب العلمية تزيد الانسان رغبة فى العمل . ثم ذكر المؤلف ما كتبه الكاتب الأمريكى الكبير (تورو) الذى أطنب فى فوائد الرياضة ثم قال ما نصه ﴿ إن كتابة أولئك الذين يعيشون فى البيوت ولايخرجون منها أبدا فى الهواء الطلق تكون ضعيفة كأجسامهم وان أحسن مؤلفاتى كلها هى التى ألفتها فى الزمن الذى كنت أمشى فيه كثيرا ﴾ وقد كان يمشى أربع أوخمس ساعات كل يوم . ثم قال ﴿ إنّ المشى ميلا أوميلين ليس بمشى لأن مشى عشرة أواثنى عشر ميلا ضرورى للرياضة فان لم يكن كل يوم فليكن يوما فى الاسبوع ﴾ ثم ذم لاعبى كرة القدم والصولجان فقال انهم لايملكون قوى عقلية تامّة

﴿ اللباس ﴾

أما اللباس فقد حدّثتك عنه فى سورة (الأعراف) وكذلك الماء هناك موضحا وسأزيدهما هنا ايضاحا من كلامه وأزيد عليهما الماء فأقول

يقول ان الانسان خلق فى الأصل عاريا مكشوف الجسد فكان جلده متينا قويا يتحمل (حرارة القيظ) و (صبارّة) الشتاء ووابل المطر ونحن لانتنفس بفمنا فحسب بل بجلدنا كذلك فتغطية الجلد تمنعه من أداء وظيفته فلما شاعت عادة اللبس أخذ أهل البلاد الباردة يغطون أجسادهم لأنهم لايتحملون البرد ثم صار اللباس للزينة ثم صار عنوانا على الوطن والجنس ونحوهما . والحق أن جلدنا خلق كسوة لنا وتوهم الناس أن جسمنا العارى غيرجميل توهم باطل . ثم قال ان الجسم العارى أجمل من اللابس وأخذ يذم الحلى فقال إنّ منها ما يكون سببا فى تراكم الأوساخ كزينتى الأنف والأذن . وذم الملابس الافرنجية فى غير البلاد الباردة فيجب أن يكون واسعا فى غيرها وقال ان اللباس الأسود يكون أحرّ من الشمس بخلاف الأبيض لأن الأوّل يشرب الحرارة ويجمعها والثانى ينبذها ولايقبلها وسمى الرجلين سماسرة الأمراض لأنها تتوسخ وتعرق وتتعفن تعفنا شديدا فيجب تغطية باطن الأقدام دون ظواهرها واختار هولاء القبقاب وذلك كما فعل قدماء المصريين من لبس نعال كنعال أهل الحجاز ولم يقتصر على ذلك حتى أمر الناس أن يمشوا حفاة

﴿ الزواج ﴾

ولقد منع الاسراف فى هذه الشهوة وبالغ حتى حرم أكثر تمتع الناس بها لأن حفظها يقوّى عقولنا ويحفظها اذا كبرنا فننفع الناس بعقولنا ولانموت إلا وقد أدّينا ماعلينا للناس . إذن يكون موتنا سعادة لأننا أرضينا ربنا بمنفعة عباده ولانقدر على ذلك إلا اذا صحت عقولنا وأجسامنا وهما لاصحة لهما إلابحفظ هذه الشهوة وعدم خطورها بالبال . واذا كان لابد منها فليكن ذلك لطلب النسل لاغير (أقول وذلك كما يفعل الحيوان سواء بسواء) ثم انه بعد ذلك يقول ﴿ إن هذا القول لن يقبله أحد من الناس ولكن أنا ألفت الكتاب لأشراف نوع الانسان النافعين للأمم أولئك هم المتقون — وقليل من عبادى الشكور — ويقول ﴿ من غلبته الشهوه من هذه الطائفة فليستحم بالماء البارد ﴾ وقال ﴿ إنى وقعت فى الاسراف فى هذه الشهوة عشرين سنة وهاأناذا الآن أحمد الله إذ أحافظ عليها وأحفظ عقلى وجسمى مدّة الحياة ﴾

هذا ما قاله فى الغذاء والغذاء لابد له من الرياضة ويتبعهما أمر الشهوة ثم مجمل ماذكره فى اللباس وقد وعدت أن أذكر الغذاء لأجل ذكر الجوع فى الآية ثم اللباس وأتبع ذلك بالماء مراعاة لنظام الآية هنا إذيقول تعالى — إنّ لك ألا تجوع فيها ولاتعرى * وانك لاتظمأ فيها — الخ فلأختم القول بالماء وأتبعه بالهواء

أما الماء فقد وضح فى سورة (الأعراف) أى وضوح كما ذكرته هنا فلنذكرشذرة مما قاله هنا . يقول ان الماء يفسد بسببين سبب المكان الذى هوفيه وسبب أنفسنا . فالماء الذى فى مكان قذر نحذرمنه عادةولكن ماء الأنهار والمجارى النظيفة نلقى فيها القاذورات نحن ثم نشرب منها فليحذرالناس من شرب الماء من الأنهار التى فيها القذرفلتخصص الجهة العليا من النهرللشرب والسفلى للاغتسال وغسل الأشياء مثل الملابس والأوانى وهناك بلاد تعوّدوا أن يحفروا بجانب النهر حفرة فى الرمل ويأخذوا منها الماء لشربهم وهذا الماء يكون نظيفا جدًا لأنه مصفى بالرمال ومنع شرب ماء الآبار إن لم تكن مبنية بناء محكما حتى لايقطر الماء الوسخ فيه وسقوط الطيور والهوام وتعفنها فيه واتخاذ الطيور أوكارها فيه . كل ذلك يفسد الماء وكثيرا مايتسرّب اليها الماء الوسخ من باطن الأرض فليحترس من شرب ماء الآبار . وهكذا من خزن المياه فى الحوض المكشوف فليغطّ ولينظف حينا بعد حين . ثم قال وقليل من الناس من يراعون الأحواض والآبار فلايصح الاغتسال فى النهر ولاغسل الملابس فى موارده العامة للشرب خاصة أوقضاء الحاجة والبول على شواطئ الأنهار فالماء الصافى نادر . لذلك هيأ الأطباء الماءالمقطر لمرضاهم . فمن شكا الامساك يشفى غالبا بشرب الماء المقطر . وفى كتاب حديث فى هذا الشأن مبالغة عظيمة فى الماء المقطر أن استعماله بطرق خاصة يمنع جميع الأمراض وهذه مبالغة ولكن تدل على فائدته

﴿ الهواء ﴾

ثم ذكر أن الانسان لايعيش بدون الهواء خمس دقائق . نحن نعرف الماء القذرفنجتنبه ولكننا نتنفس فى الهواء الفاسد وكأننا نتعاطى القئ ولانحس به . فاذا تنفس الناس فى حجرة فقد أصبح هواؤها كالقئ ولكننا لانعرف ذلك . وأخذ يتعجب ممن ينامون أويجلسون طويلا فى حجرة مغلقة . ثم قال إن الهواء الفاسد قد قضى على صحة (٩٩) فى المائة من الناس . فالسل وحمى الدق وسائرالأمراض العفنة سببها الهواء . وقال إنّ المراحيض اذا لم تبن على طريق صحى أفسدت الهواء . والسنانيرتدفن البراز فى التراب وكذلك الكلاب . يجب أن ننظف المراحيض بايدينا ولانخجل ونمنع البصق فى الطرق لأنه يعدى الناس اذا كان صاحبه مريضا ونمنع التنفس بالفم وهكذا . وأفاد أن ينام الانسان ليلا تحت ضوء القمر فى ساحة طلقة الهواء ويكون فى النهار فى مكان طلق بقدر الامكان . واذا نام الانسان فى حجرة فليترك بابها مفتوحا واستنشاق الهواء البارد لايحدث الزكام . نعم يحدث عند الذين أفسدوا رئاتهم بالنوم فى الحجرات المقفلة وغيروا

عاداتهم

عاداتهم جفأة ولكن لاينبغى لهم أن يخافوا من البرد لأنه ان أصابهم لايلبث أن يزول قريبا وكشف الوجه فى أثناء النوم ضرورى والا تنفس الانسان فى الهواء الذى قذفه وهكذا يقول فى النور لابد منه . قال وقد شفى كثير من المرضى على يد علماء أوروبا بالاستحمام الهوائى والاستحمام الشمسى بدلا من الادوية . وقد شفى ألوف من المرضى بتعرّضهم للهواء وللشمس ولم يستعملوا أى دواء . فعلينا إذن أن نترك جميع أبواب بيوتنا ونوافذها مفتوحة ليدخل فيها النور والهواء بكثرة . هذا ما أردت أن أذكره من قسم المحافظة على الصحة من ذلك الكتاب . ولقد لخصته لك تلخيصا لايضيع عليك وقتك مع الايضاح وأرجأت كيفية المداواة لجميع الأمراض غالبا بدون شرب دواء الى سورة (الشعراء) كما ذكرت سابقا . وهنا اعتراض قربّ قائل يقول لى انك فى هذا التفسير قد أتيت بالمتناقضات لأنك فى سورة (الأعراف) قد جمعت بين أنواع اللحم وأنواع الخضراوات وجعلتها مرتبة فى طرق استعمالها وهضمها . وهنا نقلت أن اللحم والخضراوات لالزوم لها وفى سورة (البقرة) أيضا منعت اللحم . فإذن أنت انما تنقل الكلام على عواهنه والقارئ لا يعرف لك رأيا وهذا أمر لايقبله العقلاء أقول . هذا حصل فعلا ولكن الأطباء عند المرض وظيفتهم كوظيفة الوعاظ والمصلحين للعقول . فالطبيب عادة يجد الناس يأكلون كل شئ فعليه هو تنظيم مايأكلون . وهكذا المصلحون ينظمون أحوال الناس وعاداتهم وليس فى استطاعة هؤلاء ولاهؤلاء أن يغيروا العادات تغييرا تاما . فما ذكرته فى سورة (الأعراف) هو الطب المعتاد بين الأمم . وماذكرته هنا لطبقة ترفع به عن طبقات الناس وتحظى بسعادة وصحة غير ماعرفه الناس من السعادات . ثم إن ماذكرته أنا فى سورة (الأعراف) مناسب لها لأن الله تعالى يقول — وكلوا واشربوا ولاتسرفوا — فوجب تنظيم الأكل هناك . أما هنا فالله يقول قولا آخر . يقصّ علينا قصة أبينا آدم ومن هذه القصة نرجع الى تاريخ حياتنا نحن . نحن كنا نعيش فى الغابات ونأكل من الثمرات فهذه جنتنا الصحية كجنة آدم أبينا . ثم اننا قلنا لابد من لذات وزينة فانتقلنا الى مانحن فيه الآن فعاقبنا الله بالخروج عن سنن الطبيعة . فاذا كان آدم نسى عهد الله وأكل من الشجرة فنحن خرجنا عن سنن الطبيعة فأكلنا فوق طاقتنا ولم نفعل فعل الحيوان فى أمر الشهوة البهيمية فلم نجعلها مثله لأجل الذرّية . لهذا عوقب الناس بالمرض من سائر وجوهه كما عوقب آدم بالخروج من الجنة . واذا قال الله فى آدم انه لما أكل هو وحوّاء من الشجرة أخذا يخصفان عليهما من ورق الجنة . هكذا لما خرجنا عن سنن الطبيعة أخذنا نجدّ فى طلب اللذات والزينة فى القوت واللباس . واذا قال الله لهما — ألم أنهكما عن تلكما الشجرة — الخ فهاهوذا النداء فى كل وقت نسمعه بلسان الدين والطب يقرع أسماعنا كل يوم ﴿ اتركوا الشهوات لتصحوا ﴾ . هذا قول الدين وقول الطب والعلم معا لتصح العقول والأجسام . واذا أجاب أبوانا ربهما بأنهما ظلما أنفسهما فهانحن أولاء نكتب جميعا فى الشرق والغرب ونعترف على رؤس الأشهاد بأننا معاشر بنى آدم تنزّلنا عن الحيوان فى أكلنا وشربنا وهوائنا وشهواتنا التناسلية فكل كاتب يقول ذلك عن نفسه وعن نوع الانسان فهذا الاقرار يكرّر كل يوم كاقرار أبوينا . واذا أجابهما الله بأن يهبطا بعضهم لبعض عدوّ . فهاهوذا نوع الانسان بعضه لبعض عدوّ . واذا قال الله لهما ان من اتبع هداى لايضلّ ومن أعرض عن ذكرى يكون فى معيشة ضنكى . فهاهوذا تذكير الله لنا بالكتب السماوية والكتب العلمية كل يوم فمن اتبع فاز ومن ضل هلك فى صحته إن خالف المثل الأعلى وفى عقله أيضا بترك الصحة أو بترك التقوى . ثم إن هذه الآراء التى تكتب هنا وأمثالها تذكر قوّاد الأمم بالرجوع الى حال الصحة التامة ليكونوا قادة للنوع الانسانى — وقليل من عبادى الشكور — . اللهم إنى أحمدك حمدا كثيرا إذ وفقتنى لكتابة هذا وتفسير الآية به . كتبت هذا يوم الاثنين ١٨ يونيو سنة ١٩٢٨

(زيارتى لمتحف فؤاد الصحى بمصر)

أقول لما اطلع على ما كتبت أحد الفضلاء قال إن فى هذا القول لمبالغة وشدة وتضييقا وليس هـذا إلا أن يكون من المذكرات للعقلاء بل ان المؤلف نفسه قد قال ذلك . فهل لك أن تسير معى الى جهة عابدين لأريك ماحدث بالقاهرة على كثب منك أنت . هـذا كلام (غاندى) ولـكن بعض القراء يقولون إن (غاندى) رجل أشبه برجال التصوف والزهاد . وهذه الطائفة مشددون فاذا أردفت كلام هذا العالم بما شيد فى مصر بعابدين وهو المتحف المذكور ثم ثبت ماتراه هناك وما أعد لمشاهدة الجمهور كان ذلك أحسن وقعا وأدق صنعا وأقرب الى العقول فهما لأنهم يعلمون أن هذا المتحف قد أنشئ فى مصر على منوال ماصنعه أهل أوروبا الذين روى الفساق من أبناء الشرق عن فساقهم أحاديث الخلاعة والشهوات القاتلات مسلسلة مصححة فاتبعوها بأمانة واخلاص فعسى أنهم اذا سمعوا أحاديث الطب المروية عنهم يتبعون أحسنها و يهديهم الله و يجعلهم من أولى الألباب . فقلت إن ماذكرته عن (غاندى) منقول عن أوروبا . فقال ولـكنه مقرون بعفته هو فيظن فيه التشديد والمبالغة فتوجهت معه الى « متحف فؤاد الصحى » فأول مافاجأنى فيه بهو متسع وفيه تماثيل وصور شتى تمثل أنواع الأعضاء الجسمية

(ا) فهناك صورة تمثل المصارع وقوته تحريضا على الرياضة البدنية

(ب) وهيئة آلة كالمسواك موضوعة على الأسنان ترى الداخل أن الأسنان يكون التنظيف فيها طولا وعرضا

(ج) وصورة الرأس متصلة بالرقبة و بيان عملى أن لها « حركتين » حركة تنثنى بها الى الأمام والخلف وحركة جانبية

(د) صورة فقرة من فقرات العنق مكبرة وفيها النخاع الشوكى والأعصاب واضحة فيها

(هـ) صورة تبين قوة عظام الفك

(و) و بيان أن وزن جسم الانسان اذا كان (٧٠) كيلوجراما فان الماء فيها يكون (٤٥) منها والمواد الصلبة (٢٥) وهذه منها مواد زلالية (٤) ومواد دهنية (٧) وأملاح غيرعضوية ½ ٣ ومواد نشوية ٧ر٠ ك ج

(ز) وصورة العمود الفقرى الخ . و بالجملة يرى فى هـذا البهو العظام والألياف العضلية مفصلات وهناك فى ذلك الدور الأرضى يتفرع من هـذا البهو « ثلاث حجرات * الحجرة الأولى » فيها (١) جهاز الدورة الدموية (٢) وجهاز الأوعية اللمفاوية (٣) وجهاز التنفس (٤) والغدد ذوات الافراز الداخلى وقد كتب فيها هذه النصائح

(١) ابتعد عن الخمور والتدخين وحاذر من عدوى الزهرى تسلم من كثير من أمراض القلب والأوعية الدموية « الحجرة الثانية » فيها

(ا) الجهاز العصبى (ب) صورة الانسان قبـل التاريخ وهيكله العظمى نفسه (ج) نفس الأدوات التى استعملها الانسان قبل التاريخ (د) الجلد الانسانى وفيها ألواح مكتوب فى أحدها مايأتى

(١) النظافة من الايمان (٢) الصحة تاج على رؤس الأصحاء لا يراه إلا المرضى (٣) لو تسنى لك رؤية مايتربى تحت أظافرك من القاذورات بالمجهر (المكرسكوب) لبذلت عناية كبرى فى قصها ونظافتها . وقد كتب فى لوحة ثانية مانصه

(١) « العقل السليم فى الجسم الصحيح »

(٢) بعض أنواع الجنون وراثية فيجب العناية بانتقاء الأزواج

(٣) المخدرات كالكوكايين والمورفين والخمر من أهم أسباب الجنون

(٤) « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » وكتب تحته هكذا (حديث شريف)

(٥) حجم مخ الانسان منسوبا الى وزن جسمه يفوق مخ أى حيوان آخر
(٦) الأمراض الطفيلية المزمنة فى الأطفال تؤخر نموّ عقولهم
﴿ الحجرة الثالثة ﴾ فى الدور الأرضى المفرّعة من هذا البهو فيها
(١) الجهاز الهضمى (٢) المأكولات ومصدرها وطرق استعمالها (٣) الجهاز البولى
(٤) الأمراض التى تنشأ عن نقص فى بعض موادّ الغذاء (٥) الأذن . وفيها لوحة كتب عليها ما يأتى
﴿ المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء ﴾ ولوحة أخرى كتب عليها ما يأتى
(١) ﴿ الجاهل يعيش ليأكل والعاقل يأكل ليعيش ﴾
(٢) اشرب كثيرا من الماء القراح فانه ينقى الدم و يساعد على إفراز البول
(٣) لاتركن الى الأدوية الملينة لمعالجة الامساك إلا بارشاد الطبيب
(٤) التدخين يسبب مرض القلب والأوعية الدموية وفقد الشهوة وضعف الابصار
ولوحة ثالثة كتب عليها ما يأتى
(١) ﴿ نحن قوم لانأكل حتى نجوع واذا أكلنا لانشبع ﴾ وكتب تحتها (حديث شريف)
(٢) ﴿ ربّ أكلة حرمت أكلات ﴾
(٣) سوء التغذية يودى بحياة آلاف من الأطفال
(٤) لبن الأم هو الغذاء الطبيعى للطفل حتى الشهر التاسع
(٥) لاتدخل الطعام على الطعام
و بعد أن اطلعت على الدور الأرضى صعدت الى السلم المؤدّى الى الدور الذى فوقه فرأيت أمرا عجبا .
رأيت صورا ووجوها مزعجة وأعضاء محزنة مشوّهة تشويها فظيعا لأقوام أصيبوا بالزهرى وزهقت أرواحهم ضحيته
وقد كتب تحت هذه الصور المشوّهة ألواح فيها نصائح مثل قولهم
(١) إنّ التعوّد على العادات الصحية فى الصغر أمر مهم . أما قراءة علم الصحة بلا تعوّد فلا فائدة منه
(٢) ومثل ﴿ انى لا أبصق على الأرض ﴾
(٣) انى أمضغ طعامى جيدا
(٤) انى أغرف لنفسى الطعام بملعقة خاصة ولا أستعمل لذلك ملعقتى الخاصة بى
(٥) انى أذهب الى المرحاض فى ساعة معينة كل يوم
(٦) انى لا أعود المرضى إلا اذا كنت مضطرا لتمريضهم لأن كثيرا من الأمراض سهلة الانتقال
(٧) أنا أنام عشر ساعات كل ليلة ونوافذ غرفتى مفتوحة
(٨) انى أغسل يدىّ بالماء والصابون وأنظف أظافرى قبل أن ألمس الطعام
(٩) انى أنظف أسنانى مرّتين كل يوم على الأقل مرّة فى الصباح ومرّة فى المساء
(١٠) انى استحم استحماما كاملا مرّة على الأقل كل أسبوع
(١١) انى أضع منديلى أمام أنفى اذا سعلت أوعطست . وقد كتب أيضا أن هذه اللوحات مستحضرة من بلاد الصين . ثم إن هذه النصائح المجملة قد فصلت فى ألواح أخرى وشرحت . ففى لوحة كتب ما يأتى
(١٢) الأطعمة المعروضة فى الأسواق بلا وقاية من الأتربة والذباب خطر تناولها . كذلك الطبيخ الذى يمسكه البائع بيده القذرة الخ . وفى لوحة أخرى كتب ما يأتى
لا تأكل الخضراوات إلا بعد طبخها أوغسلها جيدا مثل الفجل والكرات والخسّ لأنها قد تكون مصابة من ماء البرك بالمكروب . هذا ما قرأته وأنا صاعد فى السلم على اللوحات المعلقة على الحائط . فلما دخلت الدور

العلوى وجدت فيه ﴿ ثلاث حجرات ﴾ أيضا . فأما الحجرة الأولى ففيها الأعضاء المشوّهة من مرض الزهرى بهيئة تقشعر منها الأبدان بحيث لواطلع عليها شاب لايسمح لنفسه بالزنا مرة واحدة فى حياته فكأن الأعضاء المشوّهة بالسلم مقدّمات لهذه الحجرة . وهذه الحجرة قد كتب على بابها فى لوحة مانصه ﴿ الأمراض السرّية — ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا — والحقّ أن مايشاهده الانسان فى هذه الحجرة لايدع سبيلا للشك فى اهلاك الزنا للنفوس البشرية . وجوه كالحة وأنوف مائلة ورقاب ذابلة وقروح دامية وشفاه سائلة وآذان حائلة وعيون جاحظة وسوآت مفتتة وعورات مخرقة وفروج منقطة أومقطعة وهيئات جهنمية وعظام ألوانها بنية (بتشديد النون والياء) فى أجسام بلية منظرمهول ومظهر كالغول ووصف أعجز القول فليس لى بوصفه حول ولاطول . لذلك أنتقل من هذا الى باب بقية الحجرات فى هذا الدور العلوى فأقول

هناك على باب بقية الحجرات لوحة قد كتب عليها ﴿ إن الذى فى البهو هى . الامومة . الطفل . الاسعافات الأوّلية ﴾

﴿ غرفة نمرة ١ ﴾

الأمراض المعدية . الأمراض الطفيلية

﴿ غرفة نمرة ٢ ﴾

أمراض العيون . الأدوات الصحية . السرطان . الحياة التناسلية . إذن دخلت البهو وهناك فيه رسمت الزهرة ولها أعضاء تذكير عددها خمسة صفراء اللون محيطة بخمسة أخرى داخلها وهى أعضاء تأنيث خضراء وكلها مجسمة واضحة . وهناك شاهدت أطوار النطفة من أوّل يوم الى تمام كمال الجنين فى الشهر الأوّل وليس واضحا . أما فى الشهر الثانى والثالث فانه يرى مخلقا بعض الخلق . أما فى الشهر الرابع فانه يرى تام الخلقة نائما على ظهره ولكنه فى الثانى والثالث يرى نائما على جنبه الأيسر وفى الشهر الخامس يكون أكبر وهو نائم على جنبه الأيمن وفى السابع يكون نائما على ظهره وهكذا الى الثامن . أما فى التاسع فانه يكون نائما على جنبه الأيسر كالشهر الثالث . وفى الأيام الأولى يرى تكوينه مبتدئا بجعل النطفة قسمين ثم أقساما ثم يظهر شكل العلقة ثم يكون له مايشبه الذيل ثم يرى أن هذا الذيل قد زال وأصبح أشبه بحيوان لاذيل له فلأدخل إذن الحجرة الأولى نمرة ١ هناك ثلاثة أنواع من الألواح . ألواح كتب عليها نصائح للرجال وألواح كتب عليها نصائح للشبان وألواح كتب عليها نصائح للبنات

﴿ نصائح الرجال ﴾

ألواح نصائح الرجال كثيرة فنها جندى مدجج بالسلاح مكتوب تحته ﴿ اذا أردت أن تكون جنديا شجاعا فيجب أن تكون مخلصا مطيعا سليم البنية . وقد أمر أن ينظر فى اللوحات التى بعده مثل ﴿ بيان كيف يمكن كبح جماح الشهوة البهيمية وذلك بعدم قراءة النوادر ورؤية الصور المبتذلة وكل مايوقظ الشهوة وينصح أيضا بالابتعاد عن النساء المبتذلات وعن شرب المشروبات الروحية ويؤمر بضبط النفس وبالاهتمام بالأعمال الخاصة وبالألعاب الرياضية ونحوها ﴾ ثم هناك بيان كيفية إصابة الزهرى وبيان مايطلب من الرجل ومن المرأة من العفة والشرف وشرح المرض التناسلى وضرره . فكأن هذا شرح لما فى الحجرة الأولى التى يدخلها الانسان قبل دخول البهو المملوءة صورا محزنة . فهذا شرح لها . وهناك لوحة كتب عليها ما نصه ﴿ هل الجماع ضرورى . ليس الجماع ضروريا لحفظ الصحة لأن الطبيعة (يريد رب الطبيعة) تتصرف فى السوائل التى تفرزها الغدد التناسلية أثناء النوم . لاتصدّق من يقول لك ان (الاستحلام) مضرّ ويجب معالجته بالجماع . فهذا ليس حقيقيا فان المدرّبين الرياضيين يمنعون المصارعين من الجماع قبل المسابقة لأنهم يريدون أن يكونوا فى أحسن صحة ممكنة . القبطان سكوت وجماعته فى ارتيادهم القطب الجنوبى وجماعات كثيرة غيرهم أمضوا وقتا طويلا حيث لاتوجد امرأة ولاينكر أحد انهم كانوا رجالا أشداء ﴾ هذا ما أردت

ذكره

ذكره من لوحات نصائح الرجال

﴿ لوحات نصائح الشبان ﴾

كتب فيها ما يأتى ﴿ المحافظة على الصحة . نصائح للرجال والأولاد نشرتها مصلحة الصحة بالولايات المتحدة باتحاد الجمعية الأمريكية للصحة الاجتماعية ﴾ وهذه صورتها

(١) هل أنت صحيح (٢) هل يمكنك أن تمشى عشرين ميلا فى اليوم (٣) هل يمكنك أن تشتغل فى الحقل ثمان ساعات فى اليوم (٤) هل يمكنك أن تجرى (١٠٠) ياردة فى (١٢) ثانية . مستلزمات الصحة . (١) القوة العضلية (٢) الاجهاد (٣) النشاط (٤) قوة الارادة (٥) الشجاعة (٦) ضبط النفس

﴿ ماهى حدود مدة التمرين البدنى ﴾

وهنا أمر بالمحافظة على قوانين الرياضة البدنية فقال حافظ على صحتك لتقوم بالألعاب الرياضية أولتعلم العلم أوالأشغال التجارية أولأى عمل فى ميدان الحياة باتباع القوانين الآتية

(١) تريض والعب بلا افراط (٢) تناول الأطعمة الصالحة (٣) استنشق الهواء الطلق كلما أمكن ذلك (٤) نم وقتا كافيا (٥) اعتن بنظافة جسمك وثيابك . ثم بعدها لوحة كتب عليها ما يأتى

﴿ تشرب بالروح الرياضية ﴾ (١) السباحة (٢) كرة القدم (٣) كرة المضرب (٤) ركوب الخيل (٥) المشى فى الهواء الطلق والصحارى . كل هذه أنواع الرياضة الشيقة . وفى لوحة أخرى أيضا ما يأتى

﴿ ريض بدنك بعمل نافع . الاشتغال فى الحديقة والتجارة . أنواع الرياضة المنزلية النافعة . تريض عند اليقظة من النوم . تريض أمام نافذة مفتوحة وأتبع ذلك بحمام ودلك جسمك بنشاط بمنشفة خشنة . قف معتدلا واجلس وامش معتدلا . الوضع الطبيعى للجسم يلفت النظر لجماله ويدعو الى الاحترام والثقة بالنفس ويساعد على الهضم . أحن رقبتك الى الخلف حتى تمس طوق الرقبة . أكثر من الاستحمام . كيفية الاستحمام . الماء الدافئ والصابون لمدة ثلاث دقائق ويعقب ذلك شعور بارتياح وحرارة فى الجسم ونشاط ان كان الانسان صحيح البدن . الاستحمام يوميا والاكثار من غسل الوجه بالماء والصابون والتجفيف بمنشفة نظيفة يساعد على منع الدمامل ولكن لا يشفيها فاذا اصبت بالدمل فاستشر طبيبا ﴾ انتهى ما أردته من نصائح هذه الدار

﴿ ظهور آثار ما تقدم من علم الطب فى الأمم وبيان بعض السر فى قوله تعالى — وعصى آدم ربه فغوى — ﴾

اللهم إنك خلقتنا فى هذه الأرض وأودعت أرواحنا فى هذه الأجسام الأرضية وحكمت عليها أن تتبع فى صحتها ومرضها وذكائها وبلادتها طبيعة الأغذية والأهوية التى تتناولها وتستنشقها . خلقت يا الله فى الانسان شهوة وجعلت له عقلا ومكنته فى الأرض فجعلته خليفة وقلت له ﴿ ياعباد فاتقون ﴾ فزلت قدم هذا الانسان بما سولت له الشهوة البهيمية فاخطأ فى تقدير الطعام والشراب واللذات ونسى أصل المقصود من الحياة واتبع اللذة وما هى إلا وسيلة للحياة والصحة فعكف على الوسيلة ونسى الغاية . نسى الغاية لأنه ظلوم جهول قال تعالى — نسوا الله فنسيهم — ومن نسيان الله نسيان حكمته فى بريته ونظامه فى خليقته

يقول العلامة ابن خلدون فى مقدمته ما ملخصه ﴿ إن الأقاليم المعتدلة ليست كلها على وتيرة واحدة فى الخصب والعمران . فمنها ما يكون لأهلها خصب العيش من الحبوب والادم والحنطة والفواكه لوفور العمران ومنها ما لا تنبت زرعا ولا عشبا وسكانها فى شظف العيش مثل أهل الحجاز وجنوب اليمن . ومثل المسلمين من صنهاجة الساكنين بصحراء المغرب وأطراف الرمال فيما بين البربر والسودان فان هؤلاء يفقدون الحبوب والادم جملة ولا يتغذون إلا من الألبان واللحوم . وهكذا العرب الجائلون فى القفار وهم لا ينالون إلا النزر اليسير من الحبوب والادم وعماد أغذيتهم الألبان القائمة مقام الحنطة . فهؤلاء الفاقدون للحبوب والادم من أهل

القفار أحسن حالا فى جسومهم وأخلاقهم وأبعد عن الانحراف وأذهانهم أثقب فى المعارف والادراكات . ثم أبان السبب قائلا ﴿ ان كثرة الأغذية ورطوباتها تولد فى الجسم فضلات رديئة ينشأ عنها عدم انتظام أقطار الجسم فى نسبة الخلق وانكساف الألوان وقبح الاشكال من كثرة اللحم وتغطى الرطوبات على الأذهان بما يصعد الى الدماغ من أبخرتها الرديئة فتجيء البلادة والغفلة والانحراف عن الاعتدال بالجلة . ثم وازن ما بين الناس و بين الحيوان . وأن الغزال والنعام والمهر والزرافة والحمر الوحشية والبقر إذا وازناها مع أمثالها من حيوان التلول والأرياف والمراعى الخصبة وجدنا البون شاسعا فى صفاء أديمها وحسن رونقها وأشكالها وتناسب أعضائها وحدّة مداركها . فالغزال أخو العنز والزرافة أخو البعير والحمار والبقر أخو الحمار والبقر والبون بينها ما عرفت فالحيوانات الاهلية فى أبدانها رطوبات وفضلات رديئة وأخلاق فاسدة ظهرت آثارها على أبدانها وفى ادراكها والجوع لحيوان القفر حسن فى خلقه وأشكاله . هكذا فى الآدميين . فأهل الأقاليم الخصبة العيش الكثيرة الزرع والضرع والادم والفواكه يتصف أهلها غالبا بالبلادة فى أذهانهم والخشونة فى أجسامهم وهذا شأن البربر المنغمسين فى الادم والحنطة مع المتقشفين فى عيشهم المقتصرين على الشعير أو الذّرة فهم أحسن حالا فى عقولهم وجسومهم مثل المصامدة وأهل غمارة والسوس . ووازن هنا ما بين أهل بلاد المغرب المنغمسين فى الادم والبر مع أهل الاندلس المفقود بارضهم السمن جلة وغالب عيشهم الذّرة . فالآخرون أذكياء العقول خفيفوا الأجسام يقبلون التعليم والأوّلون أقلّ منهم فى ذلك . ثم ذكر أن المعوّدين على الجوع من أهل البادية لا فضلات فى جسومهم غليظة ولا لطيفة . ثم ان أثر الخصب وأحواله يظهر فى حال الدين والعبادة فان المتقشفين من أهل البادية أو الحاضرة الذين يتجافون عن الملاذ أحسن دينا واقبالا على العبادة من أهل الترف والخصب بل أهل الدين قليلون فى الأمصار لما يعمها من الاكثار من اللحوم والادم ولباب البر . وهكذا اذا نزلت بهم السنون وأخذتهم المجاعات يسرع الهلاك الى أصحاب الملاذ والترف والانغماس فى طيبات المآكل والمشارب مثل برابرة المغرب وأهل مدينة فاس ومصر . فأما أهل القفر والصحراء و بلاد النخل الذين يعيشون على التمر وهكذا أهل أفريقيا فى عهد ابن خلدون الذين غالب عيشهم الشعير والزيت وأهل الأندلس فى زمانه الذين غالب عيشهم الذّرة والزيت فان هؤلاء لا تأخذهم السنون والمجاعات فلا يكثر فيهم الهلاك . قال بل ولا يندر قال لأن المنغمس فى النعم والملاذ كسبت أمعاؤهم رطوبة فوق رطوبتها الأصلية فاذا حيل بينها و بين ما ألفته أسرع اليها اليبس وتبعه الهلاك . فالهالكون فى المجاعات انما قتلهم الشبع السابق لا الجوع اللاحق فالمدار إذن على العادة ﴾

هذا ملخص ما ذكره ابن خلدون فى مقدّمته . فهذا هو العجب العجاب . أنزل الله فى القرآن قصة آدم وأكله من الشجرة وكررها فى القرآن . كررها ليلفت اليها أذهاننا نحن أبناء الاسلام . نحن الذين نزحنا من جزيرة العرب الى شمال أفريقيا والأندلس والعراق وغيرها وقال الله لنا إن أباكم آدم أغراه إبليس فأكل من الشجرة فكشفت عورته فاخذ يخصف من ورق الجنة ليوارى تلك العورة . وهانحن أولاء الآن قد نهانا الله عن الاسراف فى المآكل والمشارب وحذرنا فقال ــ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون ــ فلما تفرّقنا فى أقطار الأرض ولكنا نسينا عهد الله لنا كما فعل آدم سواء بسواء ولكن آدم تاب فتاب الله عليه . أما نحن أبناء العرب ومن معنا من أمم الاسلام فأكثرنا ناسون لعهد الله فأخذنا فى البطنة وسوء التدبير واستكثرنا من تلك اللذات وقد علمت أن اللذات والبطنة والاستكثار منها قد أورثت الناس قلة الجمال فى أجسامهم والخفة فى أرواحهم وفقد الصحة فى أبدانهم وذهاب الذكاء فى عقولهم وفقد الحية فى شرفهم وتعرّضهم للموت اذا حلّ الوباء وقلة العبادة والعلم وحبّ الله . فهذه ﴿ سبع خصال ﴾ تقدّم البرهان عليها من تاريخ ابن خلدون و بضدها تميز الأشياء . إنك يا الله حشرتنا فى هذه

الارض

الأرض وأريتنا طريقى الشهوات والعفة فاتبع أكثر الناس الأولى وذلك لما أكثرت لهم الخيرات والمنافع وفتوح البلدان التي خاف منها رسول الله ﷺ علينا إذ قال ﴿ إنّ أخوف ماأخاف عليكم مايفتح عليكم الخ﴾ والحديث تقدّم فى سورة الأنفال وغيرها . والذى خافه رسول الله ﷺ قد تحقق فعلا وصار المال الذى فتح الله به على الناس سببا فى ضرر الأجسام والعقول وضياع الدول والأنساب والشرف . أفليس من العجب أيها الذكى أن يتفق العلم الحديث الآن وماجاء فى التاريخ . أفليس من أجل النعم الالهية أن نرى مايقوله أطباء العصر الحاضر الذى عقله أمثال (غاندى) الزعيم الهندى وعمل به وزهد ورأى فى نفسه خفة وذكاء وعقلا بعد أن كان كثير البطنة قليل الذكاء هو عين مايقوله ابن خلدون سواء بسواء

اللهم إنى أحمدك على نعمة العلم وعلى نعمة التوفيق وأسألك أن توفقنى فيما بقى من أيام حياتى أن أعمل صالحا وأقتدى بالصالحين . اللهم انى أحمدك إذ استبانت الحقيقة لى ولاخوانى قراء هذا التفسير إذ يرون الحقائق ناصعة جلية المحيا بهجة المنظر وأن ماقرّره ابن خلدون عملا فى زمانه من اختلاف الأجسام والعقول باختلاف المآكل عفة وشهوة هو عينه الذى يقوله علماء زماننا حرفا بحرف ثم يظهر فى الهند عالم فيقرّرهذا فى نفسه . فحال (غاندى) المتقدّمة قبل الهداية للقناعة هى حال أهل الأمصار التى ذكرها ابن خلدون وحال (غاندى) بعد القناعة هى حال أهل القفر الذين لا يكثرون من الأغذية المورثة عفونة فى أجسامهم

هذا بعض أسرار قوله تعالى ــ ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ــ وقوله ــ فقلنا يا آدم إنّ هذا عدوٌّ لك ولزوجك فلايخرجنكما من الجنة فتشقى ــ وقوله ــ فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى * فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما ــ وقوله ــ ومن أعرض عن ذكرى فانّ له معيشة ضنكا ــ الى قوله ــ وكذلك نجزى من أسرف ــ والحمد لله رب العالمين . انتهى صبيحة يوم الخميس (٢) أغسطس سنة ١٩٢٨

﴿ فصل فى ايضاح ماتقدّم ﴾

تبين مما تقدّم فى هذا المقام أنّ الانسان اليوم تنطبق عليه قصة آدم بحذافيرها إلاقليلا . وهنا لما وصلت الى هذا المقام حضر صديقى العالم المفكر واطلع عليه فقال ما هذا الفصل الذى تريد شرحه الآن ولقد أطلت المقال والشرح . أفما كان يكفى ماتقدّم فى هذه القصة . قلت إن الاطالة فى أمثال هذا ايضاح لأولى الابصار وتبصرة لهم ولئن أطلنا فى هذا لنكوننّ أهدى ممن يطيل فى مقدّمات بلانتائج . فقال مامعنى مقدّمات بلانتائج . فقلت ان المسلمين اليوم محتاجون الى الافصاح عن الحقائق الدينية والعلمية . وأكثر الكتب المشتهرة فيما بينهم كانت الاطالة فيها فى الآلات المعدّة للاستنتاج ولكننا اليوم فى زمان يجب علينا فيه أن نشرح الحقائق ونختصر المقدّمات ونطيل فى النتائج والمقاصد . وأكثر مافى هذا التفسير مقاصد وموارد يردها المسلمون فيصدرون عنها وقد انشرحت صدورهم إذ قرؤا فى التفسير ما كانوا يشتاقون الى معرفته من نظام هذه الحياة الدنيا ومابعدها . فقال لقد ذكرت ملخص ماقاله (غاندى) ومارأيته أنت مكتوبا فى المتحف الصحى وماذكره ابن خلدون فى المقدمة ففى هذا المقام اجتمعت موارد النصائح الطبية من تجاريب الأمم فى المتحف الصحى وخلاصة تجارب الأطباء فى كلام (غاندى) ونتائج ذلك كله قديما فى أحوال الأمم أيام ابن خلدون المؤرخ . فماذا تبتغى بعد ذلك . قلت أريد أن أوفى المقام حقه . فقال من أى ناحية . قلت من ناحية استعداد الانسان . قال إذن تريد مقالا عاما ينطبق على جميع ماتقدم . قلت نعم . قال فما هو . قلت ﴿ اللهم إنك خلقتنا على هذه الأرض ومنحتنا غرائز بها قوام حياتنا وعقلا به نظام هذه الغرائز فأبى أكثر الناس على الأرض إلا اتباع خطوات اللذات وعصيان نصائح العقل والحكمة حتى قلت فينا ــ قتل الانسان ما أكفره ــ فوالله لقد ظهر القتل فى نوع الانسان أيام حياته . كيف لا وقد جعل سطوة الحكومات مناسبة لمشارب الأمم وظلم الملوك على مقدار جهل الرعية واحتدام

وطيس الحروب بين الدول على مقدار مافى نفوسهم من الجشع ومافى قلوبهم من الطمع وهكذا اهلاك الأطباء للمرضى مقدر بمقدار انهما كهم فى لذاتهم وحبهم لما اعتادوه . فقال صاحبى أنا لم أفهم معنى قولك ان الأطباء يهلكون المرضى . ان الأطباء يشفونهم لا انهم يقتلونهم . فقلت نعم الطبيب أعد للشفاء ولكن لما رأى أن المرضى يميلون الى شهواتهم نوع الدواء على مقتضى دواعى نفوسهم فأصبح الدواء من مسببات أمراض جديدة وأوصاب حادثة . ألم تر رعاك الله أن علماء الطب اليوم قد نصوا على أن خير الدواء ما كان أبعد عن العقاقير وأقرب الى الأغذية والهواء والماء وهكذا . ألم تر الى ما ذكره (غاندى) المتقدم ذكره مما سأذكره ان شاء الله فى سورة (الشعراء) عند قوله تعالى ــ واذا مرضت فهو يشفين ــ من القسم العملى فى الطب الذى لا يعوّل إلا على البسائط . قال فهل جرّبت شيأ من ذلك . فقلت نعم . فقال وماهو . فقلت قد جرّبت ﴿ مسألتين اثنتين ٭ الأولى ﴾ انى بعد ما قرأت كتاب (غاندى) فى الصحة اعترانى ليلة (أرق) فرأيت فيه أن الأرق يزول بالاستحمام بالماء الحار ثم البارد ثم أن ينام الانسان فى الهواء الطلق ففعلت ذلك ولكن لما أردت النوم فى الهواء الطلق تدثرت بالدّثار نحو دقيقة فلم أحس بهجوم النوم فكشفت الغطاء وجعلت جسمى ملاقيا للهواء فأسرع النوم الى عينى فى لمح البصر ﴿ المسألة الثانية ﴾ انى فى يوم من الأيام اعترانى مرض معدى وهو المسمى (بالزحير) وهو أن تستعصى الطبيعة عند قضاء الحاجة وتكون الفضلات مخاطية ملوّنة بمادّة دموية وقد كان هذا المرض يعتورنى منذ سنين وكنت أتعاطى له أدوية وعقاقير فيبرأ بالتدريج فلما اعترانى هذا المرض مرة أخرى رجعت الى الكتاب المذكور فرأيت فيه ماملخصه إن المريض عليه ألا يتعاطى الطعام ٣٧ ساعة وأن يشرب فى أثنائها الماء الدافئ مع الليمون ويؤمر المريض أن يمشى ساعتين فى اليوم ويستحم الاستحمام الخاص بالماء البارد ويدلك البطن بخرقة خشنة وهكذا يضع لبخة الطين على معدته ليلا وهكذا فما قرأت ذلك حتى تركت الطعام وتعاطيت الماء الدافئ مع الليمون ومشيت مدّة فى الهواء الطلق . فمن عجب أن المرض وقف وانقطع . وانى أذكر هذا فى التفسير شكرا للنعمة وتذكرة لأولى الألباب . إن هذا النوع الانسانى كله فى جهل مركب وأنا أعجب من نوع الانسان هذا النوع الذى اتفق فيه العالم والجاهل والطبيب والمريض . اتفقوا جميعا ــ إلا من رحم ربك ــ على انتهاج خطة اللذات واتباع الشهوات . ان الطبيب المعتاد لا يمكنه أن يداوى المريض بما تداويت به . ويمنعه من ذلك ﴿ سببان ٭ السبب الأوّل ﴾ أن المريض لو أمره الطبيب بالمشى ساعتين ليشفى من هذا المرض وبأن يجوع ٣٧ ساعة لم يتسنّ للمريض اتباع مشورة الطبيب لأن المشى عمل شاق والجوع صعب على النفس ﴿ والسبب الثانى ﴾ أن المريض لا يعطى الطبيب أجرا إلا اذا أعطاه دواء لأنه يجهل أن الشفاء قد يحصل بالمشى وبالجوع . إذن يضطر الطبيب أن يجارى المريض لذلك عمرت (الصيدليات) وفتكت بنوع الانسان فتكا ذريعا . ذلك لأن هذا الانسان فى الأرض يتبع الشهوات والعادات . هو حيوان مقلد ــ وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون إلا الظنّ وان هم إلا يخرصون ــ عصى آدم ربه فغوى ولكن آدم تاب الله عليه . أما بنوه فهم عصوا بداعى شهواتهم وتقليدهم وقلة تبصرهم . وهاهو القرآن يذكرهم والأمراض توقظهم ويقول الله ــ ومن أعرض عن ذكرى فانّ له معيشة ضنكا ــ الخ أنا سطرت هذا ليفكر أهل العلم فى الاسلام أن الله عزّوجل ما أنزل بلاء لأهل الأرض إلا كان سببه الجهل فلولا الجهل ما أضعت فى الأيام الماضية أياما وليالى فى مداواة هذا المرض بل كنت أقطعه بما قطعته به هذه المرة . إن المانع للانسان من الرقى هو الجهل . إن المانع للأمم عن الرقى هو الجهل ــ إن الله لذو فضل على الناس ولكنّ أكثر الناس لا يشكرون ــ

اللهم إن العذاب مقدّر على مقدار الذنوب والذنوب هنا أن بنى آدم يقدّمون لذاتهم فى مرضهم على صحتهم وسعادتهم فيعاقبون بازدياد المرض . ألا ترى رعاك الله أن الأطباء فى زماننا اذا رأوا مريضا بهذا المرض فى

الشرق أو فى الغرب فان الطبيب يقول له إن أفضل علاج أن أحقنك بالحقن وهنالك يدخل الابرة فى جلده و يدخل العقاقير فتجرى مع الدم و يقول له إن هذه العقاقير تقتل الحيوانات الصغيرة المنتشرة فى الجسم المؤدّية الى استعصاء الطبيعة ولا يزال المريض يواظب على ادخال تلك الابر فى جسمه ولايزال هو ناعما هادئا ساكنا ظانا أن هذا آخر علاج و يتغذى بالأغذية التى يصفها له الطبيب . أما العلاج بالجوع و بالمشى و باليمون الذى لم أعرفه ولم أعمل به أنا إلا فى مرضى الأخير للزحير فقطع المرض حالا فانّ الطبيب لايصفه لأحد حتى لنفسه ولا لأخيه ولا لأمّه ولالأبيه ولالصاحبته ولالبنيه لأنه هو نفسه مسوق بالعادة وأكثر الناس عبيد العصا مسوقون بالغرائز والعادات و يعاقب المريض على ذلك بطول مدّة الشقاء و بحدوث أمراض خفية فى جسمه بسبب تلك العقاقير التى أدخلها الطبيب فى جسمه كما قال تعالى ــ وجزاء سيئة سيئة مثلها ــ فهو استحلى الراحة ووافقه طبيبه بالعادة فلم يستعمل الحمية وتعاطى الدواء فأدخل لها بذور الأمراض الخفية تفعل فعلها و يظهر مرض جديد بعد حين . إذن الآلام المرضية التى تنتاب الانسان مقدّرة بمقدار اللذات التى وضعت فى غير موضعها واذن صدق قول الله ــ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون ــ وهذا القول وان كان فى الآخرة فآثاره فى الدنيا واضحة . اذا علمت هذا فانتظر ماستقرؤه فى سورة (الشعراء) من الأدوية التى لاعقاقير فيها وانصح للمسلمين وقل لهم حافظوا على الصحة وتداووا بالبسائط لا المركبات اهـ

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

اعلم أن ملخص مافى هذه السورة يرجع ﴿ لمقامين * الأوّل ﴾ توحيدالله مع اشتغال القلب به ﴿ الثانى ﴾ أن جميع الآيات الخارقة للعادة لاتصلح لاقامة الأمّة بل لابدّ معها من العلم لأن عالم المادّة متشابه والضلال مختلط بالحق . وهذان المقامان جمعهما الله فى آخر السورة هنا كملخص لها . فاذا قال فى أوّل السورة انه خلق السموات والأرض واستوى على العرش وطلب من موسى الصلاة لذكره فقد قال هنا وأمر يامحمد أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك . واذا ذكر معجزات موسى من العصا واليد وأن عجل السامرى قد غطى على المعجزة عند الجهلة وأن العلوم العقلية هى المقصودة قال هنا ملخصا لذلك ــ أولم تأتهم بينة مافى الصحف الأولى ــ . انتهت اللطيفة الرابعة و بها تمّ تفسير سورة (طه) والحمد لله رب العالمين

سورة الانبياء مكية وهى مائة واثنتا عشرة آية

إقرأ مناسبتها لما قبلها فى اللطيفة الأولى من لطائف القسم الأوّل

﴿ وهى قسمان ﴾

﴿ القسم الأوّل ﴾ فى حقيقة النبوّة وفى البعث ودقة الحساب وفى الاستدلال على الله بالعوالم المشاهدة من السموات والأرض ومابينهما وذكر عبادة الملائكة ودوامها من أوّل السورة الى قوله ــ وكفى بنا حاسبين ــ

﴿ القسم الثانى ﴾ من قوله تعالى ــ ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان ــ الى آخر السورة وفيه ذكر (١٤) قديسا وهم الأنبياء المشهورون للاتعاظ بأحوالهم والاقتداء بسيرهم أوّلهم موسى ويليه ابراهيم فاسحق فيعقوب فلوط فداود فسليمان فأيوب فاسماعيل فادريس فذوالكفل فذوالنون فزكريا فيحيي وأتبعها بذكر مريم وهى أم نبى ٠ ثم أكمل السورة بذكر الوعيد على الكافرين وأن سيدنا محمدا ﷺ رحمة للعالمين فهو قائم مقام هؤلاء جميعا فى آخر الزمان ٠ هذا ملخص السورة

(الْقِسْمُ الأوَّلُ)

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ)

أُقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هٰذَا إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ * مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِى إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ * وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لاَ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ * ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ * لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ * لاَ تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ * وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاَتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ

مِمَّا تَصِفُونَ * وَلَهُ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا
يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ * أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ
يُنْشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللّٰهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللّٰهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * لَا
يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ * أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هٰذَا ذِكْرُ
مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ
قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ * وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا
سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَنْ يَقُلْ
مِنْهُمْ إِنِّي إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ
كَفَرُوا أَنَّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا
يُؤْمِنُونَ * وَجَعَلْنَا فِى الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ
* وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ * وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ
الْخَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ * وَإِذَا
رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ
الرَّحْمٰنِ هُمْ كَافِرُونَ * خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ * وَيَقُولُونَ
مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ
النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ * بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا
وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ * وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ * قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمٰنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ *
أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ * بَلْ
مَتَّعْنَا هٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ

أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ * قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ * وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ *

﴿ التفسير اللفظى ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال تعالى (اقترب للناس حسابهم) أصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم (وهم فى غفلة) أى عن الحساب (معرضون) عن التفكر وهما خبران للضمير والجملة حال (ما يأتيهم من ذكر) يوقظهم من سنة الغفلة (من ربهم) صفة لذكر (إلا استمعوه وهم يلعبون) يستهزؤن به ويسخرون والجملة حال من الواو وقوله (لاهية قلوبهم) حال أخرى فهم يستمعون الذكر وقد جمعوا بين الاستهزاء والتلهى (وأسرّوا النجوى الذين ظلموا) أى بالغوا فى اخفاء التناجى والذين ظلموا بدل من الواو فى ـ وأسرّوا ـ وقوله (هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) هذا كله بدل من النجوى يقول الله أسرّوا المناجاة وهى هذا الحديث وقوله ـ تبصرون ـ أى تعلمون انه سحر ـ (قال ربى يعلم القول فى السماء والأرض) هما قراءتان ـ قال ـ أى محمد ﷺ فى جوابهم و ـ قل ـ يا محمد الخ ـ ربى يعلم القول ـ سرّه وجهره فى كل مكان ومنه مناجاتكم (وهو السميع) لها (العليم) بما فى نفوسكم فهو يحاسبكم على ما أسررتم من هذه الأكاذيب (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر) ثم أضربوا عن قولهم سحر وقالوا انه تخاليط أحلام رآها فى نومه فتوهمها حقيقة ووحيا ثم أضربوا عن هذا أيضا الى أنه افتراه من عنده قصدا وهو عالم بافترائه ثم أضربوا عن هذا أيضا الى انه شاعر كأولئك الذين يمقون القصائد ويختلقون فيها ضروبا من الخيالات كما فى المعلقات السبع وغيرها وهى مشهورة عند العرب فليكن هذا مثلهم على انه ان كان صادقا فى دعواه ولم يكن كما ذكرنا (فليأتنا بآية) بمعجزة تبهرنا كما أتى موسى وعيسى وكما اقترحنا عليه أن يزيل جبال مكة عنا ويجرى أنهارا فيها (كما أرسل الأوّلون) وفعلوا ذلك كابراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى وكالعصا وما أشبه ذلك فقال لهم الله ردّا عليهم (ما آمنت قبلهم من قرية) من أهل قرية (أهلكناها) صفة لقرية (أفهم يؤمنون) لو جئتهم بها . كلا . لا يؤمنون كما تقرّر فى سورة طه ووضح هناك واذا قلتم هل هذا إلا بشر مثلكم فالأنبياء لم نرسلهم للناس إلا من جنسهم فنجعلهم من جنس الرجال هكذا أرسلنا من قبله من الرسل لقومهم . فالرسل ليسوا من الملائكة إذ الملائكة لا يمشون مطمئنين على الأرض بل هم عالم روحانى غريب النزعة عنكم لا يستقرّ بينكم فالنبى إذن يكون من الرجال ويأكل الطعام كما تأكلون ويموت كما تموتون ولا يكون خالدا وذلك ليشعر بما تشعرون به ويحس بما تحسون به فيلائم طباعكم فيعلمكم وهذا قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر) أهل التوراة والانجيل فانهم وان أنكروا نبوّة محمد لا يستطيعون أن يقولوا ان أنبياءهم كانوا ملائكة (إن كنتم لا تعلمون) ذلك (وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام) حتى تنكروا أن يأكل كما تأكلون ويمشى فى الأسواق كما تمشون (وما كانوا خالدين) فى الدنيا بل يموتون كما تموتون ولكن هؤلاء رجال ميزناهم بصفات استحقوا بها أن يوحى اليهم ووعدناهم بالنصر (ثم صدقناهم الوعد) أى فى الوعد كقوله ـ واختار موسى قومه ـ أى من قومه (فأنجيناهم) من الهلاك انجازا لوعدنا وتصديقا لوحينا (ومن نشاء) وهم الذين آمنوا بهم (وأهلكنا المسرفين)

الذين جاوزوا الحد فكفروا بهم . هذه هي قضية الأنبياء كلهم وقصتهم فهم بشر لهم ما للبشر وعليهم ماعليهم وعدناهم فصدقناهم في الوعد . واذا كان هذا فعلنا معهم فهكذا فعلنا مع محمد . إن محمدا أنزلنا له قرآنا فيه صيتكم وذكركم بين الأمم فيعرفكم به أهل الشرق الاقصى من الصين واليابان وجزائر الهند الشرقية وأهل أوروبا وأمريكا . كل من هذه الأمم يعرفون أمة العرب وأن لها دينا وقرآنا ويدرسه المستشرقون منهم ويسلم من هؤلاء كثير بعد أن كنتم لا أنتم في العير ولا في النفير ـ مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس ـ وكذلك في هذا الكتاب مايعلي صيتكم وشأنكم بمكارم الأخلاق التي يتحلى بها ذوو الشهامة والمروءة منكم وهذا هو قوله (لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم) أيغيب عنكم ذلك (أفلا تعقلون) مافضلتكم به على غيركم فتؤمنون وكان من حقكم أن تكونوا أسرع الناس اليه لما فيه من مزايا الشرف الدنيوى فوق ما هو موضوع له من الكمال الأخروى فان أبيتم إلا التمادى في الضلال فاننا نهلك الأمم الظالمة ولا نبقى في الوجود إلا ما هو نافع وندع ماليس بصالح له ولا دافع عارا ولا مُورٍ نارا ولا نافع جارا فان لم تنتهوا أهلكناكم وأنشأنا غيركم فان العالم في قبضتنا ولا نخلق إلا لمنفعة ومصلحة واضحة جلية عندنا فان لم تقبلوا هذا الدين أقصيناكم وأحللنا غيركم محلكم وهذا قوله (وكم قصمنا) أي أهلكنا (من قرية كانت ظالمة) أي من أهل قرية كانت ظالمة بكفر أو بغيره (وأنشأنا بعدها) بعد اهلاك أهلها (قوما آخرين) مكانهم (فلما أحسوا بأسنا) أي عذابنا أي أدركوه ادراك المشاهد المحسوس (اذاهم منها يركضون) يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو كالراكضين لها فيقال لهم (لاتركضوا) لاتهربوا (وارجعوا الى ما أترفتم فيه) أي تنعمتم فيه من العيش (ومساكنكم لعلكم تسألون) أي تقصدون للسؤال والتشاور في المهامّ والنوازل فيسألكم عبيدكم وأنتم على الأرائك في خفض من العيش يقولون بم تأمرون ويسألكم الناس في مجالسكم لتعاونوهم وتفد عليكم الوفود وأنتم في أبهتكم يستمطرون سحائب أكفكم وأنتم في بحبوحة العزّ وسعة الجاه وغنى عظيم أي يقال لهم ذلك استهزاء بهم كما في قوله تعالى ـ ذق إنك أنت العزيز الكريم ـ (قالوا ياويلنا إنا كنا ظالمين) فاعترفوا بانهم فرّطوا أيام مجدهم وكفروا بالنعمة حيث لايفيد الاعتراف بعد فوات الفرصة (فمازالت تلك) أي قولهم ـ ياويلنا ـ الخ (دعواهم) دعاءهم وهي خبر زال وتلك اسمها وانما سميت دعوى لأن المولول كأنه يدعو الويل ويناديه (حتى جعلناهم حصيدا) مثل الحصيد كما يحصد الزرع أي المحصود وهو يستوى فيه المفرد والجمع (خامدين) ميتين من خمدت النار وهذه الحال هي حال الأمم الشرقية الآن من المسلمين فانك تسمع في كل وقت قول أهل الهند وأهل مصر وسوريا وأهل شمال افريقيا يدعون بالويل ويقولون فرّطنا فلا علم عقلنا ولا دين اتبعنا ولا مجد أسسنا فنزل بنا الفرنجة فاحتلوا بلادنا ياويلنا إنا كنا ظالمين وان شاء الله لايحل بهم العذاب لأن هذا القرآن أنزل لذكرهم وعزّهم فسيعرفون العلوم ولا يكونون خامدين فان هذا القول وان صدق على أمم مضت فلا يصدق على هذه الأمم لأنهم نزل القرآن لاعلاء شأنهم فكيف يكونون حصيدا خامدين . ومن عجب أني أكتب هذا التفسير وقد استقلّ أهل الأناضول من الترك وأمة الأفغان وأمة الفرس وهم قوم مسلمون وليسوا من العرب . أما أبناء العرب أي الذين نزل القرآن بلغتهم فهم الآن بين براثن الآساد الأوروبية وهم يريدون نهش عظام أبناء العرب وسواهم من الأمم الاسلامية الأخرى غير الذين استقلوا ولكن الله يقول لأمة العرب أيضا لستم خامدين لأن القرآن أنزل لذكركم ولصيتكم فليرجعن مجدكم قريبا ومجد أمم الاسلام فان القرآن نزل بلغتكم وأنذرنا الأمم به كما أنذرناكم وحذرناكم وكيف نترك الناس بلا تحذير ولا نرسل فيهم منذرين (وماخلقنا السماء والأرض ومابينهما لاعبين) ماخلقنا هذا الجمال للعب واللهو وانما خلقناه لحكمة وأبدعناه لمنفعة وزوّقناه لنربي نفوسا ونطلعها على عجائبنا ويدركون جمال الوجود ويكون ذلك لهم جناحا يطيرون به الى العالم الأعلى (لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا) من عندنا أي من العوالم

المجرّدة من المادّة كالملائكة ولا تتنزّل لملابسة ماهو من شأنكم المادّى كالزوجة والولد ولم نخلقكم لنتلهى بكم كما تتلهون أنتم بالصور المادّية الأرضية بل يكون اللهو بمن عندنا من العوالم المجرّدة . على أن ذلك أيضا لايليق بنا لأن هذا خارج عن نظام حكمتنا وقوانين نظامنا ورفعة قدرنا (إن كنا فاعلين) ماكنا فاعلين ذلك فلا نلهو بالصور الجسمية ولا بالنفوس الروحانية بل نحن خلقنا كم لحكمة وقدّرنا كم وصوّرنا كم وجعلنا لكم السمع والأبصار لغايات قدّرناها لكم لالاهونا ولعبنا وعلى ذلك نحن لانترككم سدى بل نحاسبكم ونؤاخذكم لأن الجدّ مطلبنا واللهو واللعب شأن العبيد المخلوقين لارب العالمين فإذن ليس اللهو شأننا (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) بل أمرنا فوق ذلك فاننا من شأننا أن نرمى الحق الذى من جملته الجدّ على الباطل الذى منه اللعب فيكسر دماغه بحيث يشق غشاءه المؤدّى الى زهوق الروح فاذا هو هالك وقد شبه بانسان كسر دماغه . هذا هو شأننا فكيف نترككم بلا انذار كأنا خلقنا كم لنلهو بكم . كلا . واذا كنا نغلب الجدّ على اللهو وننصره عليه فنحن أولى أن لا نتخذ ماحقرناه وأقصيناه صفة لنا ثم ان نتيجة هذا كله أن الناس ينشرون ويحاسبون لأن الله خلقهم لحكمة ولغاية . فهذه الأرواح الانسانية سيصير قوم منها فى العالم العلوى مع الملأ الأعلى ويلحقون بهم فى الجنة ويساوون عليهم ــ ولذلك خلقهم ــ . فالله إذن يربى الانسان فى الأرض ليلحق بالعالم الأعلى ولم يخلق للهو واللعب ولذلك أعقبه بذلك فقال (ولكم الويل مما تصفون * وله من فى السموات والأرض ومن عنده) يعنى الملائكة (لا يستكبرون عن عبادته) لا يتكبرون ولا يتعظمون عنها (ولايستحسرون) ولا يعيون وليس كنوع الانسان الذى يربى ليلحق بهم فان هذا الانسان منه من تكبر عنها وهم الكافرون ومنهم من يعبد ويعيا وهم المؤمنون . أما الملائكة فهم دائما فى العبادة فهم أشبه بالقلب الانسانى فانه دائما يعمل ويدفع الدم فى الشرايين الجسمية دائبا ليلا ونهارا نام الانسان أواستيقظ . وكالكواكب الدائرة ليلا ونهارا . وكالنموّ النباتى والحيوانى ليلا ونهارا . هكذا سيكون هناك قوم من هؤلاء المؤمنين يرون الله ويرتقون عن أهل الجنة أويكونون فيها وهم مع الملائكة أويصيرون أشبه بهم ثم وصف هؤلاء الملائكة فقال (يسبحون الليل والنهار لايفترون) أى ينزّهون الله دائما لايضعفون والجملة حال من الواو فى ــ يسبحون ــ هذه أوصاف الالوهية وهى أن يكون الاله عظيما يعبده أهل الأرض والملائكة المبرّؤن من المادّة لا كتلك الآلهة المزيفة المكذوبة التى اتخذوها فى الأرض وهذا قوله (أم اتخذوا) أى بل اتخذوا (آلهة من الأرض) صفة لآلهة (هم ينشرون) أى يحيون الموتى فانّ الاله من لوازمه أن يحيى الموتى فاذن هؤلاء الآلهة المكذوبة يحيون الموتى . وليس الأمر كذلك فانهم هم أنفسهم أموات فكيف يحيون الأموات على أنه (لو كان فيهما آلهة إلا الله) غير الله فإلا وصف لآلهة وليس يجوز أن يقال انه بدل مرفوع لأنه لا يمكن إلا اذا كان الكلام غير موجب ولايجوز نصبه على الاستثناء لأن النكرة فى الاثبات لاعموم لها فإذن لم يدخل فيه المستثنى فكيف تخرجه إلا وهولم يدخل فيماقبلها ولو بمنزلة ان فلانا فى هنا . يقول لو كان فى السموات والأرض آلهة مغايرون لله (لفسدتا) لخربتا وهلك من فيهما أى لو كان فيهما جنس الآلهة غير الله أى أىّ إله غيره لاختلفا أواتفقا فاختلافهما يستلزم أن يصح العدم والوجود على شئ اختلفا فيه وهو محال واتفاقهما يوجب توارد خلقين على مخلوق واحد وهو مستحيل فيكون وجود الالهين محالا . على أن هذا البرهان اذا سلمنا جدلا أنهم آلهة ولكن الاله كما قلنا يسبح له من فى السموات والأرض والملائكة فكيف نجعل هناك موازنة بينه وبين الأحجار والصور الأرضية (فسبحان الله رب العرش) المحيط بجميع الأجسام والملائكة حافون حوله يسبحون بحمد ربهم فلامعنى للتنزّل والموازنة المذكورة لأنه أجل وأعلى وهو منزّه (عما يصفون) من الشركاء ونحوها . وكيف يقارن بتلك الآلهة وهو (لايسأل عما يفعل وهم يسألون) فأين العظيم الذى يجلّ عن السؤال والضعيف المعرّض للسؤال ثم أعاد الكرّة للانكار مرة أخرى بعد هذه

الحجج فقال (أم اتخذوا من دونه آلهة) بعد ماظهر الدليل (قل هاتوا برهانكم) فقد ثبت الاله الواحد عندنا وعندكم وقد اتفقنا عليه . فأما الزيادة عن الواحد فنحن ننكره وأنتم أثبتموه فعليكم البرهان ولادليل على الزائد (هذا ذكر من معي وذكر من قبلي) من الكتب السماوية فهي كلها متطابقة على التوحيد متباعدة عن الشرك (بل أكثرهم لايعلمون الحق) لايميزون بينه و بين الباطل (فهم معرضون) عن التوحيد لغباوتهم . ثم بين ذكر من قبله فقال (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلانوحي اليه أنه لااله إلاأنافاعبدون) أي فوحدون . ولما كان الولد نقصا كالشريك لأنهما معا من صفات المحدثين قال (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) تنزيها له عن الولد وهؤلاء خزاعة قالوا الملائكة بنات الله (بل عباد مكرمون) مقربون (لايسبقونه بالقول) لايقولون شيأ حتى يقوله لأنهم يدبرون أمر العالم كما يلهمهم لا أنهم عصاة مثل هؤلاء الذين جعلوهم أبناء الله (وهم بأمره يعملون) لايعملون إلا مايأمرهم به (يعلم مابين أيديهم وماخلفهم) ماقدموا وماأخروا (ولايشفعون إلا لمن ارتضى) أن يشفع له مهابة منه (وهم من خشيته) عظمته ومهابته (مشفقون) مرتعدون إن العالم كجسم الانسان وقد جعل الله روحنا وتصريفها لأجسامنا تمثيلا لتصرفه في العالم . فاذا كانت روحنا واحدة فهو واحد . واذا كانت لنا حواس مختلفة فله ملائكة مختلفة . واذا كان في الحواس أعلى وأدنى كالعين وكاللمس ففي الملائكة كذلك سكان عالم السموات وسكان عالم الأرض كل له درجة . واذا كانت حواسنا تطيع ارادتنا فالملائكة الله مطيعون ارادة الله . ولما سأل العلماء الأرواح التي حضروها وصفت الله والعالم هكذا ثم قالت ﴿ إن أرواح الناس كلما ارتقت بعد الموت تضامت مع الأرواح العالية وصارت معها رأيا واحدا لأنها كلما ارتقت في المقامات العالية وطهرت ماتت الفوارق بينها فيصبح الفكر واحدا والخلاف يسقط لأن الصفاء يجمعهم والفكر متحد وكأن أهل الأرض اذا ارتقوا الى عالم آخر يكونون وحدة متلائمة الأطراف ذات درجات مختلفة . هذا في قسم الصالحين . أما الطالحون فهم نوع آخر ويكون القسمان أشبه بالعالم المحسوس بعضه نار و بعضه جنات كالأرض ففي داخلها نار وفي خارجها جنات على سطحها . وهؤلاء الملائكة المقربون لاتصل بهم الجرأة أن يدعوا الالوهية فانهم من خشيته مشفقون (ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم) كابليس إذ دعا الى نفسه . أما الملائكة فلم يدعوا هذه الدعوى ودخوله معهم فيه تجوز (كذلك نجزي الظالمين) الذين وضعوا الالوهية والعبادة في غير موضعهما متبعين في ذلك وسوسة إبليس

﴿ فصل في نبذة من علم الفلك وعلم طبقات الأرض للاستدلال على الوحدانية في هذه الآيات وذلك من (وجهين * الوجه الأول) جهة الاحكام وحسن التصوير والتقدير (الوجه الثاني) من جهة القرآن إذ أخبر بأمور لم تعلم إلا في القرن التاسع عشر ﴾

يقول الله (أولم ير الذين كفروا) أي أولم يعلموا (أن السموات والأرض كانتا رتقا) ذواتي رتق أو مرتوقتين فهو مصدر بمعنى اسم المفعول أي ملتحمتين متصلتين (ففتقناهما) ففصلناهما وأزلنا اتحادهما كما ثبت عن أهل أوروبا في هذه العصور إذ هم الذين قرروا هذا العلم وقالوا ان الشمس كانت كرة أشبه بالنار دائرة ملايين من السنين والأرض والسيارات وتوابعها كانت معها . ثم ان أرضنا انفصلت كما انفصل غيرها من السيارات انفصلن جميعا من خط الاستواء الشمسي أثناء سرعة سير الشمس وجريها حول نفسها فتباعدت أرضنا والأرضون الأخرى وهي السيارات فان شمسنا والسيارات الأخرى كلها سيارات وكلها أرضون وهكذا كل الشموس التي نراها كأنها كواكب ثابتة على هذه الحال لها سيارات وقد اشتقت منها وقد قدروا على سبيل الظن أن الأرضين في العوالم كلها لاتنقص عن ثلثمائة مليون أرض مسكونة ويقولون ليست جميع السيارات حول شمسنا يظن أنها مسكونة بل المسكون منها أرضنا وربما كان المريخ وسيار آخر الخ

فثبت أن أرضنا مشتقة من الشمس والشمس أيضا من شمس أكبر منها وتلك من شمس أكبر منها

وهكذا وكل شمس من هذه دائرة حول ما اشتقت منه الى مايقف عنده الفكر ويدهش العقل . هذه قصة العالم الذى نسكنه . وهذا هوالقول المشهورالآن فى العالم الأوروبى الكافر بسيدنا محمد ﷺ جهلا به فقوله تعالى على سبيل الاستفهام التقديرى - أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما - من المعجزات لأن هذا العلم لم يعرف عند العرب ولا عند الأمم المعاصرين لهم وانما عرف فى عصرنا الحاضر فعلىّ أن أعلن المسلمين به وأقول لهم إن هذه معجزة واضحة فى القرآن فان الله قد استدلّ بحسن صنعه واتقانه على تفرّده بالقدرة والحكمة إذ جعل الحرارة سببا فى حركات تلك العوالم التى كانت نارا محترقة ثم بواسطة هذه الدورات أزمانا برد ظاهرالشمس فانفصلت منه الأرض وغيرها من السيارات وأرضنا منها وكان هذا الحساب المدهش فى سيرها والخلق البديع على ظهرها واتقان كل شئ عليها . هكذا كان ذكره فى القرآن مع جهل المسلمين وغير المسلمين من فرس وروم وأمم أخرى بهذه النظرية التى لم تكن إلاحديثا معجزة مدهشة فان أهل أوروبا وهم الكافرون بنبينا محمد ﷺ عرفوا هذا الرأى فالله تعالى يوبخ الأمم الذين كانوا فى زمن النبى ﷺ ويوبخنا أيضا لجهلنا . يقول أولم يعلم هؤلاء الكافرون بقولهم أن العالم الأرضى قد فصل من العالم السماوى أى ان العقل البشرى مستعدّ لمعرفة هذا من اتباع الأسباب ومن قراءة الكتب ومن درس العجائب فكيف لايؤمن الناس بالله واحد . وسيأتى ايضاحه قريبا لأن هذه المعجزة مهمة جدّا ثم قال (وجعلنامن الماء كل شئ حى) أى وخلقنا من الماء كل حيوان كما قال تعالى - والله خلق كل دابة من ماء - وكذا كل نبات لأنه بحيابه . ويقول أيضا علماء العصر الحاضر ان كل حيوان خلق أوّلا فى البحر وأصل جميع الطيور والزواحف وحيوانات البرّ من البحر قد تطبعت بطباع حيوان البرّ على مدى الأزمان وتنوّعت ولهم فى ذلك كلام كثير فتكون هذه أيضا فى حكم مارآه الذين كفروا و يعتبر معجزة للقرآن وسنوضحه قريبا ثم قال تعالى (أفلايؤمنون) مع ظهورالآيات ثم أتى بمعجزة ثالثة فقال (وجعلنا فى الأرض رواسى) أى جبالا ثوابت كراهة (أن تميد) أى تميل (بهم) وتضطرب فانك سترى أن الأرض لها ﴿ ستة أدوار ﴾ تقدم ذكرها فى سورة هود وهذه الأدوارالستة مقسمة الى ٢٦ طبقة والدورالأوّل منها كان عبارة عن الزمن الذى كوّن فيه على الكرة الأرضية النارية قشرة صوّانية صلبة قدّر زمنها بنحو ثمانمائة مليون سنة . ومعلوم أن الأرض كانت نارا ملتهبة فبردت قشرتها وصارت صوّانية وهى الغلاف الحقيق لتلك الكرة النارية ولاتزال الأرض تخرج لنا من أنفاسها المتضايقة ونارها المتقدة فى جوفها كل وقت نارا بالبراكين التى شرحناها سابقا فى هذا التفسير فى سورة ﴿ آل عمران ﴾ فهذه البراكين أشبه بأفواه تتنفس بها الأرض لتخرج بعض النار من باطنها ثم يخرب ذلك البركان وينفتح بركان آخر . وهذه البراكين تخرج نارا وموادّ ذائبة تدلنا على أصل أرضنا وما كانت عليه قبل الدهر . فهذه القشرة الصلبة لولاها لتفجرت ينابيع النار من سائر أطرافها كما كانت بعد ما انفصلت من الشمس كثيرة الثورات والفوران وهذه القشرة الصوّانية البعيدة المغلفة للكرة النارية هى التى نبتت منها هذه الجبال التى نراها فوق أرضنا كما يقوله علماء طبقات الأرض . فمن هنا ظهر أن هذه الجبال جعلت لحفظها من أن تميل لأن الطبقة الصوّانية هى الحافظة لكرة النارالتى تحتها والكرة الصوّانية هذه نبتت لها أسنان طالت وامتدّت حتى ارتفعت فوق الأرض فلوزالت هذه الجبال لبقى ماتحتها مفتوحا واذ ذاك تثور البراكين آلافا مؤلفة وتضطرب الأرض اضطرابا عظيما وتزلزل زلزالا شديدا لأن البراكين وثورانها زلزلة فما بالك اذا كانت الجبال كلها لم تسكن وخلت أماكنها ثم إن هذه الجبال قطعة من نفس القشرة غاية الأمرأنها ارتفعت فما هى إذن إلاحافظة للكرة النارية التى لوتركت وشأنها لاضطربت فى أقرب من لمح البصر فأهلكت الحرث والنسل . هذه هى المعجزة الأخرى للقرآن لأن السابقين ومن عاصروهم كانوا يؤمنون به فقط فظهور ذلك اليوم من المعجزات القرآنية . ولقد أجمع العلماء قديما وحديثا أن الجبال على الأرض لاقيمة لها بالنسبة

للكرة الأرضية فلو فرضنا أن هذه الكرة الأرضية كرة قطرها ذراع لم تكن الجبال فوقها إلا كنحو نصف سبع شعيرة فوقها . ولو أن الأرض كرة قطرها متر واحد لم تزد الجبال عليها ملليمترا واحدا ونصفه فقط فما هذا الجزء الحقير بالنسبة لتلك الكرة حتى انه يمنع ميلها وسقوطها فكأن الناس يؤمنون بهذه الآية وقد ظهرت هذه النبوّة فعلا فى العلم الحديث ولم تظهر إلا على يد من كفروا بسيدنا محمد ﷺ والمسلمون لايعلمون إلا من الفرنجة وأنا أكتب عنهم ومن كتبهم فصدق الله وجاءت المعجزات تترى فى هذا التفسير . فالله هو الذى فصل الأرض من الشمس وكانتا ملتحمتين والله هو الذى خلق كل الدواب فى البحر ثم ارتقت الى أن ارتفعت فى الهواء وان كان هذا المعنى فيه نظر ان حملنا الآية عليه والله هو الذى جعل الجبال حافظة للكرة الأرضية أن تهتز وتضطرب لأنها نار والجبال متصلة بالطبقة الصوّانية المحيطة بالنار فالله هو الحافظ لها . كل ذلك دال على وحدته . ولكن الأهم من ذلك أن القرآن ورد به ولم يعرفه الناس بل لم يفسر به القرآن على وجه علمى برهانى إلا فى هذا العصر وانما كان يفسر قديما بمجرّد الايمان . فهذه هى المعجزة الثالثة . واعلم أن الكرة الأرضية بعد أن تمت أدوارها الستة المذكورة فى سورة ﴿ هود ﴾ وفى سورة ﴿ الأنعام ﴾ ومضى دور الطوفان العام ثم الدور الحالى ونظمت الأحوال على ماهى عليه الآن ظهرت فيها ﴿ الفجاج ﴾ وهى المسالك الواسعة وكما نظمها الله وأخرج زرعها ونوّع حيوانها حتى وصل النبات الآن على مايقول ﴿ اسبنسر ﴾ ٣٢٠ ألف نبات والحيوان أيضا مليونى نوع وخلق الانسان وأبدع كل شئ فيها هكذا نظم السماء وجعلها سقفا محفوظا لحفظ الشموس فى مداراتها بحيث لاتختلط ولاتختبط بل حفظها سالمة فى أماكنها الخاصة بها و بقوّة الجاذبية بالاصطلاح العلمى فالقمر والشمس والكواكب الأخرى متجاذبات حافظات لمداراتها لاتخرج عنها والا لاختلّ هذا العالم و بهذا الحفظ ونظام الدوران كان الليل والنهار الحادثان من جرى الأرض حول الشمس وقوله — كل فى فلك يسبحون — راجع للأرض والشمس والقمر وهذا هو قوله (وجعلنا فيها فجاجا سبلا) وهو بدل من — فجاجا — (لعلهم يهتدون) الى مصالحهم وقوله (وهم عن آياتها معرضون) أى غير متفكرين وقوله (يسبحون) أى يسرعون فى المدارات المخصصة لها ، أجراها مجرى العقلاء فهى تسبح كما يسبح السمك فى الماء وهذا هو الرأى الحديث وهو أن الأرض تجرى وأن هذه كلها تجرى فى عالم الأثير المالئ لهذا الفضاء فهنا معجزات

(١) الأرض كانت ملتحمة مع السماء

(٢) الأحياء خلقوا أوّلا من الماء

(٣) الجبال قد ثبت انه لولاها لتشققت الأرض بالنار

(٤) الأرض تسبح لاساكنة

(٥) جريها وجرى الكواكب كسبح السمك فى الماء

كل هذا هو العلم الحديث وهذا أمر عجب . هذا هو النظر العام فى السموات والأرض فالشمس تجرى والأرض تجرى وهما تسبحان والقمر معها و بينهما المخلوقات الحية فما هذه العوالم إلا كآلة طابعة والمخلوقات كلماتها وسطورها أوكدار صناعة تخرج كل يوم أدوات وآلات ومصنوعات مختلفة الأشكال فهى كل يوم تأتى بأشكال حديثة بعد هلاك القديمة . فلما فرغ من الكلام على دار الصناعة أخذ يصف ماصوّر فيها من الصور والأشكال التى أعدّت لأن تخرج الى عالم أرقى من هذا العالم متى تمّ كمالها وأعلى هذه المخلوقات الانسان فأخذ يصف الصنعة بعد وصف آلتها فأبان أن البشر لابقاء لهم فى الدنيا فأنت وهم ميتون على قاعدة التحليل والتركيب الذى اقتضاه نظامنا فى هذه الدار العظيمة الصناعية فاذا تربصوا بك ريب المنون فالمنون ليس خاصا بك بل هم خاضعون لقانونه فكلكم تذوقون الموت وانما خلقناكم على هذا النظام لنعاملكم معاملة المختبرين

ونرقيكم فى عالم الجمال والكمال وهذا قوله تعالى (وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد) الى قوله (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) مصدرمؤكد لنبلوكم من غير لفظه (والينا ترجعون) فنجازيكم على مقتضى شكركم وصبركم

﴿ فصل فى استبعاد هذه العلوم وأمثالها والاستهزاء بها ووعد الله للناس بأنه سيريها للناس فى زماننا هذا كما اتضح لك تكميلا للمعجزة للقرآن فى آخر الزمان ﴾

اعلم أن الله تعالى أشار للأول بقوله (واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك) أى مايتخذونك (إلاهزوا) سخريا قائلا بعضهم لبعض (أهذا الذى يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون) أى منكرون فهم أحق بالاستهزاء . وأشار للثانى بقوله (خلق الانسان من عجل) لأنه يكثرمنه والعرب تقول لمن يكثرمنه الكرم ﴿ خلق من الكرم ﴾ ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد واستبعاد ماجاء فى هذه الآيات من الامور العلمية التى أوضحها علماء العصرالحاضرفهو يستبعدها طبعا لأنه لايعقلها فقال الله لاتستبعدوا أيهاالناس (سأريكم آياتى فلاتستعجلون) والآيات أمور عامة منها العلوم الطبيعية المثبتة لما تقدم وعلم طبقات الأرض وغيرها فاذا لم يفهمها أمم سابقة فانى سألقيها على قوم بعدهم . وقد ورد فى قول النبى ﷺ ﴿ رب مبلغ أوعى من سامع ﴾ وذلك فى حجة الوداع ورفع طرفه الى السماء وقال ﴿ ألاهل بلغت . اللهم اشهد ﴾ ومن العلوم التى غيبت عن الناس واستعجلوها أمر القيامة حين تشقق الأرض وتظهر النار التى فى داخلها التى هى إحدى نيران جهنم وقد كشفت فى العصرالحاضر وهذا هوقوله (لو يعلم الذين كفروا حين لايكفون عن وجوههم النار ولاعن ظهورهم ولاهم ينصرون) أى بحيث لايقدرون على دفعها مااستعجلوا العذاب ولكنهم لجهلهم يستهزؤن و يظنون أن هذا لاحقيقة له مع أنهم لوحفروا تحت أرجلهم لوجدوا أن الحرارة ترتفع درجة واحدة فى كل ثلاثين مترا من العمق . ففى عمق ثلثمائة متر عشر درجات وفى عمق ثلاثة آلاف مترمائة درجة وهى درجة الماء المغلى وفى عمق ثلاثين ألف كيلو متر ألف درجة وفى عمق مائة ألف كيلو متر أكثر من ثلاثة آلاف وثلثمائة درجة . وهذه حرارة تذوب فيها كل الجوامد والموادّ المعروفة وقطرالأرض نحوثلاثة عشر ألف كيلو متر . فالأرض ماهى إلا نار متأججة وليس عليها إلا قشرة جامدة يبلغ سمكها مائة كيلومتر فنسبتها الى الأرض كنسبة قشرة التفاحة الرقيقة للتفاحة نفسها . إن الأرض كانت فى أول أمرها نارا متاججة مشتقة من الشمس فبردت شيأ فشيأ وكان كل شئ نراه الآن فيها سائلا فلاحجر ولاشجر ولاغيرهما وهى الآن على ماهى عليه كما جاءت من الشمس ونحن على تلك القشرة الرقيقة . فاذا انشقت الأرض انشقاقا عظيما أكثر من انشقاقها منذ بضع سنين حوالى سنة ١٩٢٣ فى بلاد اليابان إذ زلزلت زلزلة شديدة وطفحت بنارمن باطنها فأهلكت خمسمائة ألف انسان وأهلكت قرى كثيرة . أقول فاوانها شققت أكثر من هذا لانهدمت هذه القشرة كلها اذا كان الانشقاق فى كل مكان وحينئذ يسقط الناس فى النار فعلا وليست نارا وهمية بل هى نار حقيقية يحترق الناس بها فعلا . هكذا فلتكن المعجزات . وهكذا فليكن الصدق وهذا على الرأى المشهور الآن وان كان ظنيا . نبى أمى يأتى منذ ألف وثلثمائة سنة و يأتى العلم الحديث بما يقوله بحذافيره ثم يقول الله (بل تأتيهم) أى النار حينما تهدم قشرة الأرض بانفجار عام أشبه بانفجار اليابان المتقدم ذكره (بغتة) فجأة وهو مصدر (فتبهتهم) فتغلبهم كما شوهد غلبتها لليابان (فلايستطيعون ردّها) أى صرفها (ولاهم ينظرون) يمهلون للتوبة والمعذرة فكيف ساغ لهم أن يستهزؤا بك يامحمد وهذه العلوم غائبة عنهم سيعرفها من بعدهم لأنهم ليسوا أهلا لها فكان يجب عليهم التصديق بها ايمانا و ينقلون هذا العلم الى أبنائهم من بعدهم وخلفهم و يكون التصديق بك لما شاهدوا من الآيات العجيبة التى تناسبهم وقد ادخرنا هذه الامور لأمم ستأتى لتكون لهم آية علمية على صدقك فتكون الآيات دائما متجددة فتسل على استهزائهم بما حصل للرسل قبلك (ولقد استهزئ برسل من قبلك) كما استهزأ بك قومك (فحاق) فنزل (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن)

أى عقوبة استهزائهم . هكذا سيحيق بهؤلاء ذلك وقد تم ذلك فهلا يوم بدر وغيره . على أن العذاب الذى أعد لهؤلاء ليس قاصرا على يوم القيامة بل الناس على سطح هذه الأرض معرضون لخطر فى قيامهم وقعودهم تحيط بهم حوادث مزعجة قد منعناها عنهم برحمتنا وهم لايشعرون بذلك . فنحن الذين لم نسلط عليهم الحيات مثلا فتلدغهم وهم نائمون . ولم نسلط عليهم الحر الشديد ولا البرد الشديد فيموتوا . وهاهم أولاء يرون الآفات العارضة لزرعهم فلولا أنا كثرناها لم يبق لهم زرعهم . فالناس أينما حلوا أو ارتحلوا يرون أصنافا من المهلكات ولكنا نحن نمنعها عنهم . فالعذاب محيط بالناس الآن وهم غافلون . وانما نحن لما متعناهم ومتعنا آباءهم ومنعنا عنهم جميع الآفات المحيطة بهم حتى طال عليهم العمر ظنوا أنهم يفلتون من عذابنا دائما مع انهم لو فطنوا لكرتهم الأرضية وتأملوا سطحها لوجدوا انها قد انكمشت من جهة القطبين بسبب دورانها أيام كانت سائلة . فهذا دليل على أن أرضهم نار ملتهبة وكل مافوقها سريع الذهاب والتقلب فلا أمان للتقلب عليها . وهاهم أولاء يرون الأقوام تخطف من حولهم والأمم تؤخذ بذنوبهم من جيرانهم . فهلا اعتبروا بنقص أطراف الأرض و بنقص الأمم حولهم وأخذهم بحرب وضرب وتنكيل كما حصل فى زمن النبوة بعد هذه السورة ونزولها لانها نزلت بمكة فسلط الله المسلمين على أطراف البلاد وكما يجرى الآن من تسلط الفرنجة على أطراف بلاد الاسلام . فكل هذه آيات للناس ليستيقظوا ولايقفوا و يفكروا فى أمر دنياهم وآخرتهم . أقول وانما لم ينصر المسلمين فى الأزمان القريبة لأن الأخلاق معطلة . ألاترى أن أهل أمريكا يبلغون نحو مائة مليون وهم من أمم شتى وقد كونوا مملكة واحدة . أما المسلمون فان العنصر العربى منهم الذى يقطن ﴿جزيرة العرب﴾ لايزيد عن عشرة ملايين وفيه بضع ممالك وقد منعهم الحسد والجهل وسوء التربية وسوء الخلق والشره وقلة الدين أن يكونوا مملكة واحدة فكل منهم يحذر الآخر فأدبهم الله بالفرنجة وسلطهم عليهم فأذلوهم وسيكون لهذا الأمر آخر وسيهديهم الله و يصلح بالهم و يؤدبهم و يسعدهم و يلهمهم الاتحاد إن شاء الله تعالى فهؤلاء يقول لهم الله ــ أولا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها ــ وأمم الفرنجة تقص البلاد من حولكم قصا . فكيف جهلتم هذا ولم تصدوا كما يأمركم دينكم . إنكم إذن جاهلون صم بكم لاتعقلون وهذا قوله تعالى (قل من يكلؤكم) يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) من بأسه وعبر بالرحمة لما عرفت أن العذاب يكون بالآفات وهو يمنعه دائما ولما عرفت أن قشرة الأرض رقيقة ونحن عليها فبرحمته حفظها من الفرقعة (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) لايخطرونه ببالهم (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) أى بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب (لايستطيعون نصر أنفسهم) أى لايقدرون على نصر أنفسهم فكيف ينصرون عبادهم (ولاهم منا يصحبون) أى ينصرون و يجارون (بل متعنا هؤلاء وآباءهم) فى الدنيا وأمهلناهم (حتى طال عليهم العمر) أى امتد بهم الزمان (أفلا يرون) أى هؤلاء المشركون وغيرهم ممن يغترون بالسلامة (أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) وهذا فى الحقيقة من اقتراب العذاب لهم فكيف لايعتبرون بنقص الأمم حولهم و بغير ذلك (أفهم الغالبون) انما الغلبة لله ولرسوله وللقائمين بالحق (قل إنما أنذركم بالوحى) أى بما أوحى الى (ولايسمع الصم الدعاء اذا ماينذرون * ولئن مستهم نفحة) أصابهم شئ قليل (من عذاب ربك) وأصل النفح هبوب رائحة الشئ (ليقولن ياويلنا إنا كنا ظالمين) أى لدعوا بالويل على أنفسهم واعترفوا عليها بالظلم كما تقدم فى أول السورة (ونضع الموازين القسط) أى ونحضر الموازين ذوات العدل توزن بها صحائف الأعمال والقسط مصدر يصح الوصف به مبالغة وهذا تمثيل لحال العدل (ليوم القيامة) أى لجزاء يوم القيامة (فلاتظلم نفس شيأ) من حقها أومن الظلم (وان كان مثقال حبة من خردل) أى وان كان العمل مقدار حبة منه (أتينا بها) أحضرناها (وكفى بنا حاسبين) أى عالمين حافظين . انتهى تفسير القسم الأول من السورة . وفيه لطائف

﴿ اللطيفة الأولى ﴾ فى مناسبة السورة لماقبلها وفى قوله تعالى ــ اقترب للناس حسابهم ــ الخ مع قوله ــ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ــ الى قوله ــ وكفى بنا حاسبين ــ ﴾

﴿ اللطيفة الثانية ﴾ فى قوله تعالى ــ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ــ الخ

﴿ اللطيفة الأولى فى (فائدتين * الفائدة الأولى) فى مناسبة هذه السورة لما قبلها ﴾

لقد علمت أن الدائرة العلمية فى علم الطبيعة قدجاء ذكرها فى (الحجر) وفى (النحل) مرّتين ثم ذكرت قصة موسى وقومه مجزأة فى (الاسراء) وما بعدها الى (طه) وجاء فى هذه الأخيرة يؤيد العلوم العقلية بحيث انتهينا من عجل السامرى وعبادة القوم له وتفضيله على عصا موسى جهلا وغباوة وأن ذلك داع حثيث الى الرجوع الى العلوم العقلية والطبيعية والفلكية وأن الأمم لاتقوم إلا بها كما ان العقائد لاتصح إلا بالتكمل بها وظهر من هذا التقرير أن معرفة الله ليست مسألة ذات حلّ واحد بل هى مسألة كثيرة الحلول كهيئة الغنى ونحوها . فكما ان الناس مختلفون أخلاقا وغنى وقوّة وفضلا وجمالا وألوانا لاعدّ لها بل كل امرئ له مرتبة ليست للآخر . هكذا هنا معرفة الله هى أن يتكمل الانسان بالعلوم العقلية والأخلاق بقدرطاقته والجاهل من اكتفى بقشور العلوم وظواهر الديانات . فالقرآن جاء لهدم نظريات جميع الديانات وتأسيس أساس آخر وهو أن الناس يجب عليهم التكمل بالعلوم العقلية بقدرطاقتهم أى أن يكونوا ناهجين نهج الحكماء والفلاسفة هذا هوالمقصود من السور التى سبقت هذه السورة . ولعمرك لقد أوضحت هذا المقام ايضاحا تاما فى هذا القول وماقبله وعليه . فكما أن الدين أمرنا أن نصلى الصلوات الخمس للتذكر ولم يكتف منا بصلاة يوم واحد أو بشهادة أن لا إله إلا الله هكذا طلب منا أن نزداد علما دائما . فبالعبادة نتذكر وبالعلم تثبت العقائد ويكمل نظام الأمم وكما قال الله لرسوله ــ قم الليل إلا قليلا ــ قال له ــ وقل رب زدنى علما ــ ومن عجب أن تذكر هذه الآية فى سورة (طه) بعد الكلام على أن الايمان لايتمّ إلا بالعلم . فكأنه يقول . يامحمد هاأنت ذا رأيت أن خوارق العادات لم تؤثر إلا زمنا قليلا فى بنى اسرائيل فاطلب من ربك ازدياد العلم تعليما لأمّتك فقل لهم يزدادوا علما أزدهم هدى وعمران بلاد وأجعلهم خلفائى فى خلقى وقد قلت لهم ــ كنتم خير أمّة أخرجت للناس ــ فبهذا تكونون ــ خير أمّة أخرجت للناس ــ كما وعدكم ربكم . وقد تبين بهذا أن معرفة الله ليست مسألة حسابية أوجبرية أوفلكية وانما هى غذاء للنفوس . فكلما غذينا النفوس علما ازدادت بصيرة بربها ﴿ وبعبارة أصرح وأوضح ﴾ ان الله يطلب منا أن نلم بالعلوم الطبيعية التى لاتكون إلا بالرياضة وهذه العلوم يتبعها معرفة الله ومعنى معرفته الانتقال بالتدريج من النقص العلمى الى الكمال العلمى وذلك درجات كدرجات الغنى والقوّة الجسمية والقوّة العقلية وقوّة الحرارة وما أشبه ذلك . هذا مافهم من القرآن وماظهر فى سورة (طه) وماقبلها

اذا علمت هذا فاعلم أن سورة (الأنبياء) أكملت ماتقدّم . فاذا كانت السور قبلها قدكررت ذكر العلوم النباتية والحيوانية وسلسلة المواليد فهذه السورة قد أتت بنظام الأرض نفسها ومن أين اشتقت وأشارت الى أنها فصلت من الشمس كما أوضحناه . فالسور قبلها علمت علم المواليد وهذه أشارت الى اشتقاق السموات والأرض وتبطيط القطبين وأن الجبال متصلة بالطبقة الصلبة حافظة للكرة الأرضية النارية أن تميد فيهلك من عليها وهكذا . هذه هى المناسبة بين هذه السورة والتى قبلها فهى تتمة لها . وقد أظهرت أيضا أن العلوم ستجدد فى الأزمان المقبلة أى كزماننا هذا وأن الناس سيعلمون غوامض علوم القرآن كما تبين لك ايضاحه هنا اجابة لرسول الله ﷺ إذ قال ــ رب زدنى علما ــ فى آخر سورة (طه) وازدياد علم أمته تبع له وازدياد علمنا يكون بتجدّد العلوم على مدى الأزمان كما سيحصل لأمّة الاسلام المستقبلة . انتهت الفائدة الأولى

﴿ الفائدة الثانية من اللطيفة الأولى ــ اقترب للناس حسابهم ــ ﴾

اعلم انى لما وصلت الى هذا المقام جاءنى ذلك الفاضل وأخذيحاجنى فقال . ان اقتراب الساعة أمر مشكل

ان

ان هذا القول قيل لآدم وادريس ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم كل هؤلاء يقال لهم اقتربت الساعة ولم تقترب ولم تقم فأين الساعة وانى أقول لك بصريح العبارة أن القيامة بعيدة علينا كما بعدت على من قبلنا . فاذا مضى علينا الآن ألف وثلثمائة وسبع وأربعون سنة بعد نبوّة سيدنا محمد ﷺ ولم تأت القيامة وقد كان الصوفية فى الألف الأولى يحسبون حساب القيامة وانها آتية فى زمانهم وهكذا من قبلهم ومن بعدهم ولاقيامة الى الآن . وهكذا الأمم قبلنا كانوا يحسبون والى الآن لم تقم القيامة . فما هذا الوعد إذن . فيظهر أن هذه القيامة طويلة المدى بعيدة جدًا وهذا البعد يورث التراخى والعاقل الحازم لايضيع يومه للمستقبل البعيد . فماذا ترى . قلت ان القيامة الكبرى لاتكون إلا عند تفكك الكرات الأرضية والشمسية أى ان النظام الشمسى كله يحترق ويذهب ثم يرجع الى المصنع الكبير السماوى ويصنع مرة أخرى ونذهب نحن فى عالم آخر . هذا هو عالم القيامة الكبرى . ولكن ليس العذاب قاصرا على القيامة الكبرى فان الدين الاسلامى جعله عند النزول فى القبر . وورد فى الشريعة أن النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيا وهناك أحاديث كثيرة فقال وضح مسألة الحساب فى القبر . فقلت له ان الشريعة أتت بها مبهمة لأنها أمور تأتى فى عالم ألطف من عالمنا فذكر الشرع عذابا ونعيما مجملين وأبان أن الحجاب يكشف ويطلع الانسان على أخلاقه وأعماله بعد الموت وأن الملائكة يسلمون والشياطين يقرنون كل بما يناسبه وذكر نارا ونعيما وهكذا . قال فهل أتى العلم الحديث من هذا بشئ فى علم الأرواح . قلت اقرأ ﴿ كتاب الأرواح ﴾ الذى ألفته فى هذا واقرأ كتب اخواننا الذين كتبوا فى هذا . قال فاذكر لى قولا مجملا فيما قالته الأرواح مع العلم بأن كلامها لم يقم عليه دليل فاذكر بعض ماقرأته من المجلات عن أحوال الأموات مما ذكرته الأرواح والمسلمون فيما بعد يحضرونها ويبحثون الموضوع . فقلت إن الأرواح تقول اننا بعد الموت نعيش على ماكنا عليه بحيث يبقى الانسان بأخلاقه ومعه جميع مواهبه الأخلاقية والعلمية ويوضع فى مركزه المعدّ له فى الآخرة ويعيش مع من هو مناسب لهم فى الأطوار والأحوال ويجد الانسان جميع أعماله حاضرة عنده فيعذّب بها أو ينعم والمرء له ﴿ ثلاث حالات ﴾ حال وطنية . وحال منزلية . وحال شخصية . فقد يكون كاملا فيها جميعها فيرتقى . وقد يكون ناقصا فى الأخلاق الشخصية فاضلا فى الوطنية والمنزلية وبالعكس . فبعد الموت يؤمر أن يكفر عن ذنوبه بأن يعيش مع من ظلمه ويؤدّى له كل ماعليه ويكون تحت أمره فى أعمال يرضاها وهذه الامور لاندركها الآن وقد يكون صالحا فى نفسه نافعا لأهله ولكنه يظلم هو وأمّته قوما آخرين فبعد الموت يعيش عيشة فردية لاظلم فيها وهكذا حياته مع عشيرته ولكنه هو ومن معه من المشتركين يلزمون بأعمال يقهرون عليها لمن ظلموهم . ثم إن الأرواح تقول ﴿ إنّ القصاص عندنا عدل لاعوج فيه وهو من هذا القبيل . وعندهم أن البخيل معذّب بماله والحريص مقطع القلب على أعماله ﴾ وهكذا . فقال صاحبى هذا كلام لست أدرى أحقٌّ أم باطل فقد يكون هذا من الأرواح أشبه بنصائح اخترعوها لأجل هدايتنا بما يناسب عقولنا فى العصر الحاضر وربما كنت أنت لما نقلتها تركت أشياء تراها غير موافقة لعقائدنا فأعرضت عنها وخاطبتنا بما نفهمه . واذن المسألة كلها المخاطبة على مقتضى الافهام سواء أكان المؤلفون أم الأرواح أم الديانات . فقلت له قل ماتشاء فلاضرر وأن حرص الارواح التى تكلم الناس وحرص الأنبياء وحرص الحكماء دليل على أن هناك عالما غير عالمنا نعيش فيه بعد الموت ونجازى . قال فهل تذكر لى شيأ مما نقلته فى كتاب ﴿ الأرواح ﴾ مما تقوله نفس الأرواح مع الاختصار حتى ان المسلمين يحققونه فى المستقبل وينظرونه بأنفسهم . قلت نعم أذكر لك من صفحة ١٠٥ من كتاب ﴿ الأرواح ﴾ الطبعة الثانية وهاهوذا

﴿ الحديث الحادى عشر مع حذف كثير من الأسئلة الخارجة عن موضوعنا ﴾

روت المجلة الروحانية فى عدد شهر (آب) سنة ١٨٦٠ خبر حوادث مزعجة جرت فى مدينة (باريس) شارع

(نو يه) والاجوبة التى أعطاها الروح محدثها عند ما استحضرته إحدى الجماعات الروحانية ماتعريبه

(س) . (الى الروح الموكول اليه حراسة الجمعية) . هل من صحة للحوادث التى تمت فى شارع (نو يه)

(ج) نعم وقد عظمتها مخيلة البعض إما من باب الخوف واما من باب السخرية . أما محدثها فهو روح طائش يقصد اللهو وارعاب سكان الناحية

(س) ألالأرواح تعلق بالأشخاص فقط أم بها و بالأشياء أيضا

(ج) هذا منوط بدرجة ارتقائهم فلبعض الأرواح السفلية تعلق شديد بالأشياء الأرضية كالبخيل مثلا الذى لم يتجرّد بعد من المادّيات فانه يلازم الكنز الذى خبأه تحت الأرض و يحافظ عليه

(س) هل للأرواح التائهة أماكن تسرّ بالاقامة بها

(ج) المبدأ واحد أى ان الروح الذى تجرّد من الأرضيات يذهب حيثما تجذبه المحبة . وأما بعض الأرواح السفلية فتستحب أحيانا الاقامة بمكان تسرّ به لداع من الدواعى

(س) هل تألف الأرواح القبور المدفونة فيها أجسادها

(ج) إن الجسد كساء مؤقت فلاتكترث الروح به أكثر من اكتراث السجين بسلاسله انما الشئ الوحيد الذى يميل الروح له هو ذكر أحبائه له

(س) ألا تسرهم الصلات التى تقام على لحودهم

(ج) ان الصلات استحضار يجذب روح الميت . وكلما كانت الصلات حارّة نقية ازداد سروره بها فمشهد القبر يزيد المصلى خشوعا وهيبة كما حفظ أثرا للميت يحرّك فيه الذكر والمحبة . وعليه فالفكر هو الذى يفعل بالروح لا الأشياء المادّية وتأثير هذا عائد على الحى أكثر مما على الميت

(س) فعلى هذا المبدأ قد يمكن لبعض الأرواح أن يميلوا بزيادة الى بعض الأماكن

(ج) نعم وقد يدوم مكثهم فيها طالما دواعى الاجتذاب عاملة فيهم

(س) ماتكون هذه الدواعى

(ج) أخصها محبتهم لبعض الأشخاص المتردّدين الى تلك الأماكن ورغبتهم فى مناجاتهم . وان كان الروح شريرا يقصد الانتقام من عدوّ له مقيم بتلك النواحى ويكون أحيانا مكثه فى مكان مخصوص اضطراريا حكم عليه به قصاصا عن جرم اقترفه فى ذاك المكان نفسه حتى تكون خطيئته دائما نصب عينيه فيحصل له من ذلك عذاب لايطاق

(س) كثير من أهل الصلاح يكونون مع هذا عرضة لازعاجات الأرواح الشريرة . فما الداعى لذلك

(ج) ان كان هؤلاء حقا صالحين يكون لهم ذلك من باب التجربة لترويض صبرهم وحثهم على التقدّم فى الصلاح ولكن لاتثقوا كثيرا بظاهر الفضيلة ولاتظنوا أن من يكثر من ذكرها هو صاحبها فان من يملكها حقا و يحملها لايتكلم عنها

(س) هل نستطيع أن نحضر الروح المسبب الجلبة فى شارع (نو يه)

(ج) يمكنكم ذلك . انما هذا روح طائش لاتأتيكم أجوبته بفائدة . واليك الأجوبة التى أعطاها الروح المذكور وقت احضاره . قال ماتقصدون من احضارى . هل تشتهون أن أقذفكم ببعض الحجارة لأشهد هزيمتكم رغما مما تبدونه من مظاهر البسالة

(س) حجارتك لاتفزعنا بل نسألك ان كنت حقا تقوى على قذفها

(ج) ربما لا أجسر على ذلك لأن ههنا حارسا جليلا متيقظا عليكم

(س) هل وجدت فى شارع (نو يه) شخصا تستعين به على الأعمال المكرية التى أقلقت بها سكان المنزل

(ج) نعم وجدت آلة نفيسة وصفا لى الجو بعدم وجود روح قدير يصدنى عن عملى . إنى كثير البسط والانشراح وأحب أحيانا أن أتسلى

(س) من هى الآلة التى استعنت بها فى عملك

(ج) هى خادمة . و بعد أسئلة كثيرة سألوه الأسئلة الآتية

(س) كم لك من الزمان وأنت ميت

(ج) خمسون سنة

(س) ماذا كنت فى حياتك

(ج) خرقيا لا نفع به أجول فى هذه النواحى والناس يهزؤن بى لتعلق بشراب أبينا نوح الأحمر

(س) ماذا تعمل الآن وهل تسعى فى أمر مستقبلك

(ج) كلا . أنا تائه الآن لأنه ليس من يفكر بى على الأرض ولا من يصلى لأجلى

(س) ماذا كان اسمك فى حياتك

(ج) حنين

(س) اننا مستعدون لإسعافك بالصلاة . فقل لنا ياحنين هل سررت باحضارنا لك

(ج) نعم أنتم قوم صلحاء محبو الزهد وقد سررت جدا باستماعكم لى . استودعتكم الله

قال شير محمد . ماذا ترى فى هذه الحادثة من العجائب العلمية . قلت ياشير محمد تذكرت بقول الروح أن الأرواح تألف الأمكنة التى يناجيهم فيها من يحبونهم ما قرأته فى كتاب « المضنون به على غير أهله » للامام الغزالى قال « ومن أقبل فى الدنيا بهمته وكليته على انسان فى دار الدنيا فان ذلك الانسان يحس باقبال ذلك المقبل عليه ويخبره بذلك . فمن لم يكن فى هذا العالم فهو أولى بالتنبيه وهو مهيأ لذلك التنبه فان اطلاع من هو خارج عن أحوال العالم على بعض أحوال العالم ممكن كما يطلع فى المنام على أحوال من هو فى الآخرة أهو مثاب أم معاقب فان النوم صنو الموت وأخوه فبسبب النوم صرنا مستعدين لمعرفة أحوال لم نكن مستعدين لها فى حال اليقظة فكذلك من وصل الى الدار الآخرة ومات موتا حقيقيا كان بالاطلاع على هذا العالم أولى وأحرى . فأما كلية أحوال هذا العالم فى جميع الأوقات فلم تكن مندرجة فى سلك معرفتهم كما لم تكن أحوال الماضين حاضرة فى معرفتنا فى منامنا عند الرؤيا . ولآحاد المعارف معينات ومخصصات منها همة صاحب الحاجة وهى استيلاء صاحب تلك الروح على صاحب الحاجة وكما تؤثر مشاهدة صورة الحى فى حضوره وخطور نفسه بالبال فكذلك تؤثر مشاهدة ذلك الميت ومشاهدة تربته التى هى حجاب قالبه فان أثر ذلك الميت فى النفس عند غيبته ومشهده ليس كأثره فى حال حضوره ومشاهدة قالبه ومشهده . ومن ظن أنه قادر على أن يحضر فى نفس ذلك الميت عند غيبة مشهده كما يحضر عند مشاهدة مشهده فذلك ظن خطأ فان للمشاهدة أثرا بينا ليس للغيبة مثله » انتهى المقصود منه بالحرف الواحد

وانما ذكرت لك ذلك لأريك العجب فى توافق أقوال علمائنا لما نطقت به الأرواح على اختلاف مشاربها ومنازعها واختلاف أقطار احضارها فى مشارق الأرض ومغاربها فى الروسيا وأمريكا وانجلترا وفرنسا واسبانيا حتى أصبح ذلك متواترا . فانظر كيف وافق قول الامام الغزالى المذكور قول الروح . فمشهد القبر يزيد المصلى خشوعا وهيبة كما حفظ أثرا للميت يحرك فيه الذكر والمحبة . وعليه فالفكر هو الذى يفعل بالروح لا الأشياء المادية وتأثير هذا عائد على الحى أكثر مما على الميت وقولها أيضا أخص دواعى ميل الأرواح الى الأماكن محبتهم لبعض الأشخاص المترددين على تلك الأماكن ورغبتهم فى مناجاتهم وان كان الروح شريرا قصد الانتقام من عدو له مقيم بتلك النواحى فتأمل وتعجب

فلما أتممت هذا المقال قال صاحبي قد فهمت أن العقول والديانات متضافرة مع علم الأرواح على أن الناس تجازى بعد الموت فعلا وأصبح الآن عندى أشبه بالمحقق ولكنى أقول أيضا ان هذا العقاب أيضا بعيد وكيف لا يكون بعيدا ونحن نرى أن الناس يعاقبون على ذنوبهم فى محاكمهم بعد الجرم وانا نجد الحكومات تسامح من غاب عن الوطن مدة معينة اذا كانت عقوبته على جريمة متوسطة . فاذا كان الناس فى محاكم الشرق والغرب يراعون اقتراب الذنب من الجريمة فاذن تأخير العقاب الى ما بعد الموت غير كاف فى تهذيب النفوس البشرية فقل ماتشاء . ان عذاب القبر وما بعده لايردع النفوس البشرية كل الردع بل لايرتدع به إلا أوساط الناس وعذاب الآخرة البعيد يرتدع به الجهال والنساء والأطفال . فأما أرقى الطبقات المتعلمة فليس شئ من ذلك يقنع لها . ولذلك ترى أكثر الظلم انما يكون من عظماء الأمم والملوك والذين بيدهم الحل والعقد والمجالس النيابية فى جميع الأمم . قلت ان العذاب كما جاء فى الدين ليس قاصرا على الآخرة والقبر . ان العذاب يحل بالأفراد والأمم من وقت وقوع الجريمة ولكن الناس فى الدنيا مساكين لايشعرون و بعضهم يشعر به . قال فاضرب لى مثلا على شريطة أن تؤيده بالقرآن . فقلت له آتيك بأمثلة و بآيات . مثال ذلك من ظلم الناس بأخذ أموالهم وأصبح مثريا غنيا يشار اليه بالبنان وقد أخذها بسرقة أو بنهب فان هذا ﴿ أولا ﴾ يجد فى قلبه حزنا وهو يكتمه وألما لأن النفوس الانسانية لها شعور بما كسبت ولها ميل للعدل فوخز الضمير ملازم لها ولكن يختفى ذلك كثيرا * قال أفلاطون ﴿ إن الظالم معذب بضميره كعذاب المظلوم الذى سلب ماله ﴾ ﴿ وثانيا ﴾ يرى فى الحرص عليه وحقد القلوب وكراهة الناس آلاما ﴿ وثالثا ﴾ النوائب التى تحل بالمال الحرام و بالمال الحلال كلها عذاب لصاحب المال قال تعالى ــ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا ــ فانظر كيف ذكر العذاب فى الحياة الدنيا . ناهيك ماترى من خبر خراب الأمم وزوالها فى القرآن . فكل هذا عذاب دنيوى . إن الانسان يعذب بالتفريط فى أى قوة من قواه الجسمية والعقلية فى هذه الدنيا . ان الانسان فى الدنيا يرى انه بتقصيره فى كسب المعالى ينزل درجات عن غيره وهو فى الدنيا انه يحس بألم فى القلب اذا وجد غيره عالما بمسألة هو يجهلها . انه متى أكرم امرأ وجد المحبة له جزاء ومتى أهان آخر وجد الكراهة له جزاء . وماترك وقتا بلاعمل وهو قادر إلا أحس بندامة . انه اذا أكل فوق طاقته تجرع غصص الأمراض . واذا ترك الطعام فلم يأكل أحس بألم الجوع . واذا ترك التزوج مثلا أحس بألم الشبق . واذا ترك التداوى ازداد به المرض . واذا لم يحسن المعاشرة انصرفت القلوب عنه . إن الميزان منصوب فى الدنيا ومنصوب فى الآخرة والله هو الممسك بالميزان ونحن الآن توزن أعمالنا صباح مساء ونحن غافلون ونحس ببعض العذاب و ببعض الثواب وسنشعر بالباقى بعد فراق هذه الدار . فلما سمع صاحبي ذلك أشرق وجهه واستبشر وقال حقا لقد أزلت الحجاب ونطقت بالصواب وأفهمتنى قوله تعالى فى هذه السورة ــ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ــ وانى لا أقول آمنت بل أقول أيقنت أن الحساب واقع الآن ولكنه مغطى علينا وأن ذلك الحساب مستمر بعد الموت ملازم لنا ملازمة الظل للشبح وأيقنت أنه لافرق بين قوله تعالى ــ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ــ و بين قوله تعالى ــ وأنبتنا فيها من كل شئ موزون ــ وقوله ــ وان من شئ إلا عندنا خزائنه وماننزله إلا بقدر معلوم ــ والحساب الآن موجود ولكن نحس منه ببعض الآثار فاذا متنا نطلع على ذلك واضحا جليا ــ كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ــ واذا كنا نجد أن الماء مركب من ذرات الاكسوجين وذرات الادروجين بنسب لاخطأ فيها وان أقل ذرة توضع فى الماء من أحدهما خارجة عن الوزن لايقبلها الماء ولاتدخل فيه . فهذا الميزان المشاهد أمامنا أثره ونقرؤه فى علم الكيمياء هو بعينه الذى يطلعنا الله عليه بعد الموت وهو الذى نصبه الآن و بعد الآن لوزن أعمالنا فيما حولنا وفيما بعد الموت والحمد لله على هذا العلم الصحيح . انتهى الكلام

على

على اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية فى قوله تعالى ــ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ــ ﴾

ها أنت ذا قد اطلعت على ما أبرزه القرآن قبل مئات السنين من أن السموات والأرض أى الشمس والكواكب وماهى فيه من العوالم كانت ملتحمة ففصلها الله تعالى وقلنا إن هذه معجزة لأن هذا العالم لم يعرفه الناس إلا فى هذه العصور . ألاترى أن كثيرا من المفسرين قالوا ان الكفار فى ذلك الوقت ليس لديهم هذا العلم فكان جوابهم على ذلك انهم أخبروا به فى نفس هذه الآية فكأن الآية تستدلّ عليهم بنفس ماأثبتت به وذلك أن هذه الامور لم تخلق وقد أخذ العلماء يؤولون تأويلات شتى لفرط ذكائهم وحرصهم رحمهم الله وهانحن أولاء نجد هذه العلوم المكنونة المخزونة قد أبرزها الله على أيدى الفرنجة كما نطق القرآن هنا كأنه يقول سيرى الذين كفروا أن السموات والأرض كانت مرتوقة ففصلنا بينهما فهو وان ذكرها بلفظ الماضى فقد قصد منه المستقبل كقوله تعالى ــ أتى أمر الله ــ وهذه معجزة تامّة للقرآن وعجيبة من أعجب مايسمعه الناس فى هذه الحياة الدنيا . ولذلك تجد نفس هذه المسألة أصبحت عقيدة فى جميع المدارس شرقا وغربا فانهم يقولون للتلاميذ ان الأرض جزء من الشمس انفصلت منها وهى تدور حولها . هذه العلوم أصبحت عقائد للذين كفروا وللذين آمنوا . هاهوذا ربنا يقول لنا . لقد فهم الذين كفروا علوما فهلا آمنوا بى لأن هذه العلوم تدل على عظمتى وحكمتى وابداعى وجمالى واحكامى فى عملى لأنى هكذا خلقت الكائنات وربيتها طبقا عن طبق باعترافهم وجعلت الماء لحياة الحيوان والجبال لحفظ الأرض من التموّج والضياع فى الخلاء الذى لايتناهى

﴿ خطاب لعلماء الاسلام ﴾

أيها العلماء . لاعطر بعد عروس ولامخبأ بعد بوس . قد أعذر من أنذر . هل بعد ماتبين لكم الحق ورأيتم كيف رضى الله العلوم متى كانت موافقة للعقل وحضّ الناس عليها . هل بعد هذا تتجافون عن النظر لعجائب ربكم . كفى يا أمّة الاسلام . أيها الذكى القارئ لهذا التفسير . اسمع منى وتأمّل ما أقول

قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى ــ واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه ــ فقال ﷺ ماعلم الله عالماعلما إلا أخذ عليه من الميثاق ماأخذ على الأنبياء ــ لتبيننه للناس ولاتكتمونه ــ اهـ هذا قوله ﷺ أخذ علينا العهد كما أخذ على الأنبياء . ان الأنبياء اليوم عند ربهم ونحن سكان الأرض الآن مأخوذة علينا العهود والعهد تابع لنفس العلم . فأنت أيها الذكى مسؤل عن هذه الأمّة وعمن حولك على مقدار طاقتك . هل فى شرعة الانصاف أن تكون أمة هذا كتابها أجهل الأمم به وبالعلوم التى أنزلها الله . هل من جادّة الحق وطريق الصواب أن الله يقول ــ ولقد مكنا كم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ماتشكرون ــ ويصبح المخاطبون بهذا القول أجهل الأمم بهذه الأرض وبما فيها . يقول الله ان الأرض التى جعلت لكم فيها معايش محل شكركم وأنتم لاتشكرون إلا قليلا ولا يكون الشكر إلا بالتذكر والتفكر أوّلا والعمل باليد واللسان ثانيا . هاأنت ذا عرفت وأنت مسؤل بين يدى الله فلتكن أنت العامل لأمّتك الاسلامية . أنها فى حاجة الى النصير والمعين فأذع هذا القول وأمثاله مما يفتح به عليك مادمت من الصادقين الموقنين

﴿ اعتراض على المؤلف وسؤال وتبصرة ﴾

حينئذ قال لى ذلك العالم صديق . إذن أنت تريد أن تصوّرنا نحن العلماء بصورة المقصرين . فقلت له إن التقصير على مقدار العلم ومادام الناس لايعلمون فماذا يفعلون ولايعلم إلا اذا تعلم . فأنا أطلب من العلماء أن يقرؤا العلوم ويفهموا الشبان أن الله خالق الأرض والسماء لدراستهم لأنه كما جعلها معايش جعلها دروسا أى محل دراسة فهى كتاب مسطور فانه قال فى هذه السورة ــ وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها

معرضون - جعلها آيات كما جعل فى القرآن آيات . وآيات القرآن تطلب منا آيات العوالم المحيطة بنا . قال هاأنت ذا ذكرت عقاب الله للناس على الأرض . فماذا عوقب به المسلمون اليوم . قلت المسلمون عوقبوا باذلال الفرنجة لهم . فقال وبماذا أفاد العقاب . قلت أفاد كثيرا ونجح نجاحا باهرا . ألم ترالى أمم الترك كيف استقلت وصلح حالها وأمة الأفغان كذلك وترى الأمم التركية تتجاذب وتتحد وهكذا . أما أمة العرب فانها الى الآن تذوق العذاب . قال أوضح المقام . قلت انظر الى أمريكا وهى من أمم مختلفة أصبحت أمة واحدة تربو على مائة مليون وهى مكوّنة من عشرات الممالك . انظر الى ألمانيا بلغت نحو (٧٠) مليونا وهى ممالك مختلفة صارت مملكة واحدة . انظر الى انكلترا كذلك . انظر الى غيرها وغيرها ثم انظر الى أمّة العرب كمصر وتونس والجزائر ومراكش و بلاد الشام والعراق و بلاد الحجاز هؤلاء كلهم عرب . فانظر ماذا أصابهم فتحوا البلاد قديما ثم عاشوا فيها وخضعوا لأمم غيرهم فأصبح الشامى لايفهم المصرى إلا قليلا والعراقى لايفهم المغربى فى تونس إلاقليلا ولايمكنهم أن يجعلوا لهم وحدة . هكذا نرى الأقطار الحجازية واليمنية فى جزيرة العرب التى هى منشأ العلم والدين لم تتحد ممالكها بل هم أعداء مع أنهم لايبلغون عشر الممالك المتحدة . الحقّ والحقّ أقول ان الله لايأذن ببقاء أمم فى الأرض ضالة جاهلة . إن الله أذن بارتقاء الانسان فمن ارتقى أبقاه ومن لم يرتق أقصاه . ان الله أعطى الترك نصيبا من العقل فعملوا بهذه النصيحة . أما العرب فانهم لايزالون جاهلين خامدين وستعلمهم الحوادث فى المستقبل الاتحاد وتنشأ سكة حديد من مراكش الى الجزائر وتونس وطرابلس ومصر والشام والعراق مخترقة الحجاز ويكونون دولة بينها و بين الأفغان والترك معاهدة ومع الفرس . هذا هواليوم الذى يقال فيه ان أمّة محمد ﷺ قامت بماعليها . هذا هواليوم الموعود للمسلمين . أما هذه الحياة فحياة الغباوة والكسل والجهالة - إنّ الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - فليعرف كل قوم وطنهم ثم جنسهم ثم الجامعة العامّة ولكن أبناء مصر الآن وأبناء العرب لايعلمون شيأ من هذا فان الأمير عبد الكريم القائم الآن فى مراكش يدافع عن بلاده ضد أسبانيا لم يساعده اخوانه فى مصر من العرب ولم يجيبوا نداءه بالمساعدة المالية فضلا عن الطبية والحربية . فالجهل مخيم ولكن الله يريد ازالته - ولتعلمنّ نبأه بعد حين - . إن الله لايبقى إلا الأصلح فى هذا الوجود والله هوالولىّ الحميد

وكيف يدخل الناس الجنة ويقال انهم على سرر متقابلين أو ينزع مافى صدورهم من غلّ وهم لم يحوموا حول هذا فى الدنيا . لكل عمل فى الآخرة أس فى الدنيا فأين الأس هنا . ان كل عمل يعمله المرء يرصد له فى حسابه حتى الحركة والخطوة والكلمة وهذا يسجل له فى أعضائه وحركاته المستقبلة ويكون كل عمل مبدأ لما بعده ويصبح سجية راسخة صالحة أوطالحة . فهذا نوع من الجزاء للفرد بحيث لايعمل عملا صغيرا أوكبيرا ولايفكر فكرا كذلك إلا كان له أثر فى أعماله فى الحياة الدنيا شاء أم أبى . هكذا الأمم فكل جهل وكسل فى الأمّة يضعف أعمالها وأملها ويؤخرها وتصبح فريسة لغيرها . فأين الاتحاد فى الاسلام ولم اتحد أهل أوروبا وهم لايتحدون . أفلايقرؤن - ونزعنا مافى صدورهم من غلّ اخوانا - فى الآخرة ولابد من مقدّمة ذلك فى الدنيا أفلايقرؤن - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - فأين التعارف وقد تعارف الألمان والطليان والأمريكان

﴿ جوهرة فى قوله تعالى - وماأرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه أنه لااله إلا أنا فاعبدون - مع قوله تعالى - ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين - الى قوله تعالى - فجعلناهم الأخسرين - وتبيان التماثيل التى عكفوا عليها وكسرها الخليل عليه السلام ﴾

اعلم أن هذه الآية أيضا من المعجزات القرآنية . ذلك لأن الكشف الحديث أظهر أن كل دين كان فى أصله دين توحيد . وأذكرك بما تقدّم فى سورة ﴿ آل عمران ﴾ من أن كتاب ﴿ الفيدا ﴾ الذى هو أصل

دين

دين (البراهمة) قال بالتوحيد وهكذا دين (خريستا) قبل المسيح بنحو ٤٨٠٠ سنة و (بوذا) بعده سنة ٦٠٠ ق م ودين قدماء المصريين و بيان رؤيا (هرمس) التي صرّح فيها بالتوحيد تصريحا واضحا وهكذا دين (يو) الكبير بالصين ودين (ليونسو) بعده بالصين أيضا . هذه هي الديانات المنتشرة اليوم في الأرض وأصلها التوحيد . وقد تقدّم أيضا نحو هذا في سورة (ابراهيم) في المجلد السابع من أن علماء الهند ومصر وحدوا سرا وأشركوا جهرا لاضلال العامة ولتبقى لهم السيادة عليهم والتثليث عند هذه الأمم جاء بعد التوحيد . هذا هو ماتقدّم ولكني الآن أريد أن أضيف الى ذلك جمالا في العلم وحكمة ونورا أشرق على أهل الأرض بالكشف الحديث . ذلك الكشف الذي أيد هذه المسألة تأييدا أتمّ

(١) فأوسع القول الآن في دين قدماء المصريين لفوائد لم تكن ذكرت من قبل

(٢) وأذكر دين الفرس القدماء وأبين أن أصل هذا أيضا التوحيد

(٣) وأن الاسلام جاء لايضاح الحقيقة التي غطاها المضلون من أهل الديانات فهي ﴿ ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأوّل في دين قدماء المصريين ﴾

قد أظهر الكشف الذي ذكره (ولكنصن) البحاثة الانجليزي ثلاثة وسبعين إلها وإلاهة وقال انهم لم يبنوا عداهم . وورد في كتابة مصرية لرعمسيس الثاني العبارة الآتية وهي ﴿ الآلهة الألف أي الآلهة والإلاهات الذين في مصر ﴾ وجعلها هيرودوتس ﴿ ثلاث رتب ﴾ ٨ منها في المرتبة الأولى (و١٢) في الثانية والباقية في الثالثة . ومن عجب أن هذه الأمّة كانت تجمع بين المتناقضين العقل الكبير والسخافة ففيهم انحطاط وارتفاع في الامور العقلية معا . فأما السخافة فهي الظاهرة للعامّة . وأما سموّ الفكر فهي عند الخاصة الذين كانوا يعتقدون إلها واحدا

ثم انه يؤخذ مما يقوله (برتش) دليل المتحف المصري ومن كتاب ﴿ موقع مصر ﴾ لبنصن المجلد الخامس ومن كتاب ﴿ مصر في الأزمنة القديمة ﴾ لبرتش و(وولكنصن) و (رولنصن) قد أخذ من مجموع كلامهم ما يأتي انهم يقولون ﴿ الخالق الحق للسموات والأرض لم يخلقه أحد الواجب الوجود لنفسه الكائن منذ الأزل الروح الطاهر الكامل في جميع أوصافه الكلي الحكمة والقدرة والقداسة ﴾ وهذا الاله لم يصنعوا له رسما ولم يكن له اسم عندهم ولايبيحون التلفظ باسمه . ويقولون إن كل ماسواه من الآلهة ليس إلا صفة له أوقسما من الطبيعة التي خلقها وكانوا يقولون ان العبادة للآلهة الصغيرة هي لله أي - مانعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى - واذا كان الله لايجوز التلفظ باسمه فوجب أن تقدم للآلهة الصغيرة لأن الله أكبر من أن نعبده نحن

أقول إن ذلك أشبه بما يصنعه الناس اليوم إذ يخاطبون الوزير أو الأمير بقولهم حضرتك وسعادتك وجلالة الملك وعظمة السلطان وهذا من التغالي في العظمة . فاذا كان الانسان اعتاد التغالي في عظمة المخلوق فهاهو بالأولى لم يعرف بأي طريق يعظم الله إلا بترك اسمه ونسيانه وعبادة مخلوقاته . ولما كانت الآلهة الصغيرة المعروفة عند العامّة ليست مقصودة لذاتها بل هي رمز لخالقها . أجازوا أن يسمى الواحد من هذه الآلهة باسم الاله الآخر منها لأنها مرجعها كلها الى الاله الأوّل . هذا في العقيدة القلبية . أما اليوم الآخر فقد كان معروفا عند العامّة والخاصة كانوا يعتقدون بخلود النفس ومتى فارقت الجسد دخلت دار الحق وحوكمت في حضرة (أوسيريس) والاثنين والأربعين قاضيا الذين معه فيأتي (انوبيس) بن (أوسيريس) بميزان يضع في ناحية منه تمثال الحق وفي الكفة الأخرى إناء فيه حسنات الميت . فاذا رجحت الحسنات على التمثال أبيح للنفس أن تدخل قارب الشمس وقادتها الأرواح الصالحة الى الفردوس ومساكن الأبرار وان لم ترجح حكم عليها أن تتقمص في أجساد الحيوانات كما تقدّم في أقوال (طيماوس) في محاوراته مع (سقراط) في سورة النحل فهناك يقول بهذا فقوله نفسه كما تقول الهنود . إذن هذه عقيدة أهل الهند ومصر واليونان الدنسة والمدّة التي تقضيها

فى تلك التقمصات تتوقف على مقدار اجتهادها فى التطهير فان لم تتطهر فى تقمصها حكم عليها بالاعدام . فأما النفس الصالحة فتطهر من سيآتها بالنار المطهرة وتقيم مع (أوسيريس) ثلاثة آلاف سنة ثم تعود الى الأرض وتدخل الجسد الذى خرجت منه فيقوم من الأموات ويعيش كما عاش أولا ويتكرر عليه البعث والموت حتى يبلغ السعادة العظمى إذ ترجع نفسه الى النور الالهى الذى صدر منه وهنالك كمال السعادة . انتهى

هذه هى الديانة القديمة عند قدماء المصريين . هذا الدين كان فى أول أمره حقا كالاسلام ولكن هذه الخرافات التى جاءت لهم من دين البراهمة بالهند قبل المسيح بأربعة آلاف وثمانمائة سنة هى التى أوقعتهم فى خرافات أشد من غيرهم فهم ظنوا أن الروح ترجع الى هذا الجسم فحنطوه وأبقوه لهذه العقيدة . فأما القضاة وأسماء الآلهة ونحوها فهى كلها ضرب أمثال للعامة

﴿ الفصل الثانى فى ذكر دين الفرس القدماء ﴾

اعلم أن (الآريين) كانوا يسكنون قديما أواسط آسيا شرقى بحر قزوين والجزء الشمالى من (هندكوش) وقد تفرع من هذا الأصل (السلتيون) فرحلوا الى أوروبا من طريق بلاد العجم وآسيا الصغرى . وارتحل بعدهم أسلاف ايطاليا واليونانيون والتوتونيون فبعض هؤلاء رحلوا الى أوروبا فى الطريق بين بحر قزوين والبحر الاسود ومابقى من ذلك الأصل ذهب منهم قسم الى بلاد الهند جنوبا وقسم ذهب الى بلخ وسمرقند وقسم ذهب الى بلاد الفرس . فهؤلاء هم قدماء الفرس . فهم إذن فرع من ذلك الأصل الآرى وهم اخوة أهل الهند وأوروبا فقد كانت أصولهم جميعا تتكلم بلغة واحدة وتدين بدين واحد وليس منهم (الترك والمجر وأهل فنلنده ولابلانده) فهؤلاء القدماء لما استقر قرارهم بجهات ايران تفرقت عقائدهم وآلهتهم بأسباب عارضة فصار ذلك التفريق فى العقائد بابا يجر الى الحرب والضرب والعداوات والشحناء فظهر بينهم رجل عظيم يسمى (زردشت) . وقال أبو القاسم منصور بن فخر الدين أحمد الفردوسى الطوسى الشاعر المولود بقرب طوس حوالى سنة ٣٢٠ للهجرة (فى كتابه ﴿ الشاه نامه ﴾ الذى يبلغ ستين ألف بيت وقد ألفه فى مدة ٣٠ سنة وقد فضله المتأخرون على كل تاريخ منظوم) انه ظهر ببلخ فى عهد الملك (كاى مستشب) رجل طاهر اسمه (زردشت) بيده إناء فيه نار بلادخان ولاوقود ولابخور وقال للملك انى نبى مرسل اليك لأريك سبيل الله وهذه النار التى بيدى من الفردوس أعطانيها الله نفسه وقال لى خذها فان فيها صورة السماء والأرض . خذ منى الآن الدين الحق واستتر به وازدر بالدنيا وكان مع النبى كتب قال ان الله كتبها وهى (الاوستاوزند) ولقد ولد (زردشت) بالرى على مقربة من طهران (كما تقدمت الاشارة اليه فى سورة طه) عند قوله تعالى ـ قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ـ بمناسبة تكاثر الذرية فى الحيوان الضار هناك) فى المائة السادسة قبل المسيح كما يقوله الفرس الآن أوفى جوار بلخ فى المائة الثانية عشرة قبل المسيح على أقوال المحققين من الفرنجة أى قبل وصول قدماء الفرس الى ايران ولقد قبل الفرس دعوته فانتفعوا بها ولمت شعثهم وبقيت تلك الديانة قائمة الى انقضاء أسرة بنى (ساسان) فى خلافة عمر رضى الله عنه سنة ٦٥١ م ودخل القوم دين الاسلام إلا شرذمة قليلة حافظت على ذلك الدين الى الآن وهم قليل جدا ببلاد الفرس ونحو سبعين ألفا ببلاد الهند . ولقد قلنا فى سورة (طه) أيضا ان الله عز وجل عنده ﴿ قانونان ﴾ لابد منهما الموت والحياة والشر والخير كما فى القرآن سواء بسواء . ولقد حرم القوم عبادة الأصنام وأيقنوا بالخير وبالشر أنهما من الله وأن كلا منهما يلزم الآخر من نور وظلمة وغنى وفقر وحق وباطل وهكذا والأول (أهورامزدا) ثم صار (هرمزد) والثانى (أنغرومايفيوس) ثم صار (اهرمان) فهذه التعاليم أعطيت للقوم قبل رحيلهم الى ايران . ولما حلوا ساحة (ايران) وخالطوا المجوس أصحاب البلاد اقتبسوا كثيرا من دينهم وعوائدهم . فبعد أن كان (أهرمان) و (هرمزد) عملين من أعمال الله جعلوهما إلهين مستقلين بينهما حروب ونضال . فهذا يرسل القحط والجوع

وهذا يعانده فيأتي بالخصب والشبع ولكل منهما أنصار وأنصار (هرمزد) ست (١) العقل التام (٢) الاستقامة (٣) الحكم التام (٤) العبادة والطهارة (٥) الصحة (٦) الخلود

وهم يعتقدون أن الانسان من مخلوقات (هرمزد) إله الخير واذن عليه أن يعصى إله الشر واذن يتصف ﴿ بأربع فضائل ﴾ التقوى . الطهارة . الاجتهاد . الصدق . فالأول الاعتراف بأن (هرمزد) الاله الحق واكرام الملائكة بالصلوات والتسبيحات والطهارة المداومة على الفرائض الدينية والتنزه فى الفكر والقول والفعل لأن (هرمزد) طاهر ورب الطهارة فليكن أتباعه طاهرين . والاجتهاد يرجع الى حرث الأرض واستئصال الشوك منها . والصدق أهم الفضائل عندهم * وروى (هيرودوتس) أن صبيان الفرس يمرنون على ركوب الخيل وأن يوتروا القوس وأن يتكلموا الصدق والكذب عندهم شر الرذائل وأسوؤها . وكانوا يعتقدون الخلود كالمصريين فما سبق واليونانيين وأهل الهند . ويقولون ان نفوس الصالحين والطالحين تمر بعد الموت على الصراط وهو جسر ضيق فى طريق الجنة وهو من فوق جهنم . فأما نفوس الأخيار فانها تعبر عليه سالمة وتعينها الملائكة لاسيما رئيسها (سروش) والدعوات التى يدعوها أصحابها الذين على الأرض . فأما نفوس الأشرار فانها تسقط فى الهاوية . ومتى وصلت نفس الصالح الى الفردوس حياها العقل الصالح والملائكة يقولون طوبى لك أيتها النفس المقبلة فلك الخلود ونفوس الأشرار تقيم فى جهنم وهم يعتقدون الى الآن بيوم القيامة وحشر الأجساد وكل ذلك بقى فى الدين بعد امتزاج (الزردشتية بالديانة المجوسية) والمجوس أصحاب البلاد الذين اختلط بهم الفرس كانوا يكرمون النار والهواء والماء والتراب ويحرسون النار المقدسة على مذابحهم معتقدين أن أصلها من السماء وانهم يجب عليهم أن يحرصوا عليها حتى لا تنطفئ . أقول من العجب أن هذا القول فى حقيقته رمز للعلوم والدين . فالدين من السماء وهو النار والنور الحال فى القلوب فتجب المحافظة عليه فلعل ذلك رمز للمعانى العلمية فتبقى مابقيت الرسوم الظاهرة وهناك مناسبة بين الحقيقة والمجاز إذ العلم نور والنور يصاحب النار أو الحرارة . ولايجرؤن على تدنيس الأنهار ولو بغسل الأيدى . وهذه العقائد دخلت تدريجا فى دين (زردشت) حتى ان الفرس بعد ذلك كانوا يطعمون موتاهم لطير السماء ووحش القفار كالمجوس لئلا يدنسوا النار اذا أحرقوهم بها والأرض اذا واروهم فيها والماء اذا طرحوهم فيه والهواء اذا وضعوهم فى تابوت فصعدت رائحتهم اليه

وهاك ﴿ نبذتين ﴾ نبذة من كتاب (الاستاوزند) المذكور أى المتن والشرح وباللغات الافرنجية (الزندافستا) وهو فيه ألف ألف بيت من الشعر نظمه (زردشت) وشرحه من خلفه وفقد أكثره أيام الاسكندر ثم جمع مابقى منه الأكاسرة بنوساسان . ونبذة فى قانون الايمان بالله

﴿ النبذة الأولى ﴾ أقدم التحيات لسيدى ومولاى العظيم (أهورمزدا) وأسألك أيها السيد العظيم أن تغفر لى خطيئتى يوم الدين وتقدرنى على أن أقوم بشعائر الدين . إن فى الوجود ﴿ روحين ﴾ روحا شريرة وروحا فاضلة وللأولى الشرور وللثانية الفضائل والخيرات . فاخترت أنت ياقدوس الخير ونبذت الشر وأهل الشر قد اتفقوا عليه فكنت أنت غالبهم فاذن أتت الأرض بالشوك والحسك بسبب شرهم تأتى أنت بالنعم فى الأرض وسوف يأتى يوم الحساب ويجازى كل بما عمل

﴿ النبذة الثانية قانون الايمان بالله ﴾ نؤمن باله واحد خالق السموات والأرض والملائكة والشمس والقمر والنجوم والنار والماء وكل شئ . إياه نعبد وله نسجد وبه نستعين . إلهنا لاوجه له ولاشكل ولاله مكان محدود ولانستطيع وصف مجده ولاتدرك عقولنا كنهه . له ألف اسم واسم ولكن اسمه الأول (هرمزد) أى الروح الحكيم . ومتى عبدنا نلتفت الى بعض خلائقه كالشمس والنار والماء والقمر . وقد علمنا نبينا (زردشت) أن الله واحد وهو نبيه وأن نؤمن (بالاوستا) وبجود الله وأن نسلم لمشيئته ونطيع أوامره ونعمل

الأعمال الصالحة ونقول الأقوال الحسنة ونفكر الأفكار الطاهرة ونصلى خمسا كل يوم ونؤمن بالحساب و بأنه يكون فى اليوم الرابع بعد الموت ونرجو السماء ونخاف جهنم ونؤمن بيوم القيامة . انتهى

ها أنت ذا أيها اللبيب الذكى قد قرأت دين قدماء المصريين ودين المجوس ودين الفرس فكانت هذه الديانات الثلاث مثل غيرها مما ذكرناه فى سورة (ابراهيم) و (آل عمران) كما قدمنا جميعها ناطقات بلسان واحد أنه ﴿ لا إله إلا الله ﴾ وانما ذكرت لك ذلك بنصوصه وأطلت فيه بعض الاطالة ﴿ لغرضين شريفين * الغرض الأول ﴾ أن تطلع على ديانات الأمم فيحصل لك اليقين بالاسلام من طريق الديانات لأنها كالاسلام من حيث وحدانية الله والخلود بعد الموت والجنة والنار ولا عبرة ببعض التطرف فى تلك الديانات ﴿ الغرض الثانى ﴾ أن تفهم الآية التى نحن بصددها . فالله يقول فيها إن الرسل الذين أرسلوا قبلك يا محمد لم يدعوا إلا الى إله واحد . أليس ذلك معجزة وأى معجزة ثم ان تطابق الأقوال واتخاذها فى جميع الديانات طريقا واحدا يعد اجماعا من أكثر الأمم وهذا مما يزيد اليقين ويقوّى العقائد ويقلل الزيغ عند الذين لا بصيرة لديهم ولا قوّة بها يدركون الحق . واعلم أن مثل هذا الانسان على الأرض فى دينه كمثله فى أمر طعامه . فكما ان فى الطعام أنواعا وأجناسا هكذا فى الديانات والامور العقلية ألوانا وأجناسا وكما أن الانسان قديما وحديثا قد غش فى الأطعمة كما شرحته لك فى سورة (الحجر) عند ذكر الملائكة وآدم هكذا غش فى الديانات . فترى هناك ما نقلته عن الأطباء فى مصر وفى أوروبا فقد جاهروا بأن الناس غشوا فى الدقيق والخبز والبن الأخضر والبن المصحون واللبن وكل سائل كالزيت وكالزجاجات المقفلات بالمياه الغازية . فكل هذه دخلها الغش . فلا زيت ولا سمن ولا بن ولا خبز إلا فيها غش . فالبن يدخلون فيه الطين واللبن يدخلون فيه ماء قذرا فيأتى بالأمراض العفنة

أقول . فكما غش الناس فى طعامهم غشوا فى دينهم وفى علمهم كما علمت فى دين قدماء المصريين وفى دين (زردشت) الذى دخله التعدد فى الله بعد الوحدانية . وترى الناس على الأرض هذا دأبهم وهذا كله من ضعف استعداد سكان هذا الكوكب الأرضى فان الكمال قليل فيه ولا يكاد دين ينزل الى الأرض حتى يختلط بطينها ووحلها ويصبح أشبه بآراء أهلها الخاطئة — وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وان هم إلا يخرصون — وترى الناس سكارى وماهم بسكارى — ولكن الجهل شديد

إن هذا الانسان يريد تعظيم الاله . فماذا يفعل . يتجاوز الحد فيقول أنا لا أذكر اسمه تعظيما له فيقع فى عبادة المخلوقات كما عرفت فى ديانة الفرس وديانة قدماء المصريين والشئ اذا زاد عن حده انقلب الى ضده والمسلمون لما طال عليهم الأمد أرادوا تعظيم الله تعظيما تاما فتقربوا اليه سبحانه بترك العلوم الطبيعية وعدوها كفرا وهذا من شدة عنايتهم بتعظيم الله فهم لشغفهم بتعظيمه نهوا عن النظر فى صنعته كما تقدم عن الأمم السابقة إذ لا يذكرون اسمه اعظاما له بل يذكرون اسم مخلوقاته كما نسمع أن أهل اليابان كانوا يعظمون الميكادو فلا يرون وجهه . وكما نسمع عن بعض أتباع شيخ عظيم من المسلمين بشمال أفريقيا . فأهل البلاد محرم عليهم النظر الى وجهه — إن الانسان لظلوم كفار — إنه كان ظلوما جهولا —

فلما سمع صاحبى ذلك قال إن فى معرفة آراء الأمم السابقة لحكمة ونورا وهدى وأن ذلك يفيدنا معنى الآية التى نحن بصددها . حقا ان المسلمين عليهم أن يقرؤا علوم الأمم وتاريخهم . يقول الله فى الآية إن كل الأنبياء كانوا يقولون باله واحد وهذا أمر سمعى ولا يكون السمعى بالعقل إلا بالاطلاع وهذا هو اليقين واليقين أفضل من الايمان . ولا جرم أن ازدياد العلم به تزداد المدنية وترقى الأمم . فبينما هم يحققون فى أمر آية أو عقيدة اذا هم ارتقوا فى أمورهم المادية والمعنوية . ثم قال واذا كان الأمر كذلك فانى أقول لقد ذكرت أن فى الهند كتاب (الفيدا) ثم كان (خريستا العظيم) ثم (بوذا) وفى الصين كان أوّلا (يوالكبير) ثم (ليونسو) بعده وأن دين الجميع التوحيد فأرجو أن تذكر آخر دين بالصين لأن ديانات أهل الهند قد شرحت سابقا فى هذا

التفسير وكذلك دين أهل (بابل) . فقلت أما آخر دين فى الصين فهو دين (كنفوشيوس) هو فيلسوف الصين صاحب المؤلفات الكثيرة يقرّ بفضله أهل الصين كلهم . ولد سنة ٥٥٠ قبل الميلاد وزمانه كان يقرب من زمان (بوذا) بالهند وكان والده من أسرة شريفة حاكما على بلده وتوفى وابنه صغير وتعلم علوم بلاده وعين معاونا فى وزارة المالية وسنه ١٧ سنة ثم ترك الحكومة ثم رجع قاضيا فوزيرا ثم ترك المنصب إذ وجد أن الشعب لايرتقى إلا بالتعليم فأخذ يجوب البلاد و يعلم الجاهل و يرشد الضال والناس مابين مهين له ومكرم وهو يقول لا أهتم بايذاء الناس مادمت أسعى فى رقيهم . وكتب فى الفلسفة واللغة الصينية والعلوم القديمة وتاريخ بلاده وتقاطرت اليه الناس من كل حدب ينسلون . وقد كانت البلاد تحت حكام ظلمة مرتشين يلقون بين الناس العداوة والبغضاء ليبقى لهم السلطان عليهم فأخذ يذم فعلهم تارة و ينصحهم أخرى فأصلح حال أكثرهم . ويقال انه لولا مؤلفاته لم يعرف الناس عن تاريخ بلاده شيأ ومات سنة ٤٦٨ ق.م وكان تلاميذه ثلاثة آلاف تلميذ أشهرهم (٧٢) اشتهروا بحبه العظيم له و يعتبر الصينيون اليوم علومه وآراءه واسمه . ولايرتقى الرجل عندهم إن لم يكن أتقن تعاليمه واشتهر بها . وذريته اليوم يعدّون أشراف بلادهم وكان فى تعاليمه يضرب الأمثال بما حوله كما كان يضربها المسيح . فمن أقواله أنه مرّ بساقية فقال لأصحابه « الماء كحكمة الناس فأفيضوا من علمكم على الناس كما يفيض هذا الماء فيعود عليكم بالنفع و ينقى سيرتكم كما ينقى الماء ولايفنى » . ورأى صائدا معه طيور فقال له مالى لاأرى معك طيورا كبيرة فأجابه إن الكبيرة تعرف الشرك فتنجو منه أما الصغيرة ومايتبعها من الكبار فانها تقع فيه فقال لتلاميذه هكذا الناس فمن اتبع نصيحة الشيوخ نجا ومن اتبع الجهال وصغار الأحلام والشبان هلك . انتهى

أما دين (بابل) الذى سألت عنه فاعلم أن الآثار التى عثر الناس عليها اليوم قد أبانت ديانة هؤلاء أكثر مما أبان التوراة فكان رأس آلهة الآشوريين (آشور) ورأس آلهة البابليين (إل) وبه سميت مدينتهم فهى (باب إل) أو (باب الاله) إذن دين الآشوريين التوحيد ودين البابليين التوحيد لأنهم مهما نصبوا من التماثيل والأصنام فقدعبد كل منهما إلها واحدا وهو الرئيس كما عبد (كونفسيرس) فى الصين إلها واحدا كما عبده (النبيان) قبله بها فهم كأهل الهند عندهم إله واحد ولكن عند العامة أظهروا التعدد وهكذا قدماء المصريين . إذن الأمم القديمة كلها متشابهة توحد وتعدد فى آن واحد . و بعد الاله آشور الذى هو رئيس الآلهة عند الآشوريين « ثلاثة آلهة » وهم (انو) و (بيل) و (ايا) وهذا مثلث الآشوريين و بعدهذا المثلث مثلث آخر وهو (الاله سن القمر) و (الاله شمس الشمس) و (الاله أقا) أو (قل) أو (يم) أى إله الهواء وهكذا آلهة وراء آلهة . ولهم اعتقاد بالآخرة مثل بقية الأمم . وهكذا كان المصريون يعتقدون تثليث الاله فكل جماعة كانوا يعبدون مثلثا غير الآخرين . فالتوحيد والتثليث إذن فى الهند و بابل ومصر على حدّ سواء . وأذكرك أيها الذكى بما مرّ فى آخر سورة (المائدة) إذ نقلت لك هناك صفحات كلها منقولة من نفس علوم أهل الهند أى ان عشرات الآيات من الأناجيل الأربعة نقلت بنصها وفصها مما كتب على (بوذا) وماكتب على (خريستا) انظره هناك فان الأمر عجب وأعجب من هذه الانسانية المخرّفة الطفلة فما على الانسان إلا أن يأتى بضلالة فتزرع فى الأرض فلايخرجها علم ولاحكمة ولاصدق ولادين بل تبقى ثابتة مادام لها أنصار يأكلون منها الخبز . بهذا تعلم أن تثليث المسيحيين لافرق بينه و بين تثليث المصريين والبابليين وأهل الهند . وأذكرك بماتقدم فى سورة (مريم) عندقوله تعالى ــ فاختلف الأحزاب من بينهم ــ فقدذكرت هناك الرواية التى تشبه الرواية المنقولة عن المسيح حرفا بحرف نقلتها هناك من كتاب (اللورد هيدلى) رئيس الجمعية البريطانية الاسلامية . فهناك ماكتب فى اللوحين البابليين التابعين لمجموعة السجلات المكتوبة بالخط الاشورى التى كشفت بواسطة الحفارين الألمانيين سنة ١٩٠٣ وسنة ١٩٠٤ فى (كاله سيرجات) قاعدة

الآشوريين القدماء وهما يتبعان مكتبة الآشوريين التى أنشئت فى القرن التاسع قبل الميلاد وقبل ذلك وهما مع ذلك صورتان طبق الأصل . ففى تلك الرواية ترى رواية الأناجيل نفسها كما ترى روايات دين الهنود

وملخص مامضى أن هذا النوع الانسانى فيه ﴿ طبعان ثابتان * الأوّل ﴾ انه كله متدين معتقد بالله وآخرة وموحد ﴿ الثانى ﴾ انه لايصبر على التوحيد بل يثلث ويكثر الآلهة التى قد تصل الى ألف أو ألوف . هذان طبعان فى الانسان لايفترقان مادام على هذه الأرض فهو متدين بالطبع مشرك بالعادة وهذا نفسه برهان على الله واليوم الآخر لأن ما كان ملازما للطبيعة فهو حق كالغذاء وعموم حب التزوّج وهكذا والله يعلم وأنتم لاتعلمون والحمد لله رب العالمين . كتب يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩٢٨ م

بعد أن أتممت هذا المقال حضر ذلك الصديق العالم وقال لى إن هذا المقام جليل جيل ولكن يحتاج الى الايضاح فقلت له توضيح الواضحات من المشكلات . قال لست أريد أن مامضى ليس واضحا بل أريد أن نزجّ فى بحر النور العلمى ونقتبس من هذه الآثار والأخبار التى وردت عن الأمم السابقة ماينفعنا فى عصرنا . فقلت سل ماتشاء . فقال أرجو ايضاح هذا التثليث عند القوم فلئن عرفنا أن هناك مثلثا عند الآشوريين والبابليين وهم الآلهة العظام عندهم ومثلثا أقل منه للقمر والشمس والهواء . لم نعرف أهؤلاء الآلهة عندهم زوجات أم لا . فقلت لهؤلاء الآلهة الست ست إلهات زوجات للمثلثين ولكن (آشور) و (إل) لم يتزوّجا فقال وهل من آلهة بعد ذلك مشهورين . فقلت خمسة (زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد) فهؤلاء خمسة آلهة ولكل درجة عندهم وهذه أوصافهم

(١) زحل الجبار المحارب الظافر قاهر العصاة الرّب القدير قاهر الخارجين وهو معظم عند الآشوريين وأكثر البابليين وله صورة ثور ورأس انسان وجناحا طائر

(٢) المشترى معظم عند البابليين وهو عندهم الرّب العظيم والملك وملك الآلهة والاله المجيد والقاضى والقديم وقاضى الآلهة وبكر السماء ورب الحروب وملك السماء ورب الأبدية العظيم ورب الكائنات ورئيس الآلهة وإله الآلهة

(٣) المريخ إله الحرب والصيد الرجل العظيم البطل القدير ملك الحرب المهلك جبار الآلهة وله صورة أسد ورأس انسان وجناحا طائر

(٤) الزهرة ملكة الحب والجمال وكانوا يعبدونها عبادة خاصة فاحشة كما كانت تعبد عند الفينيقيين واليونان والرومان ويجعلها هؤلاء أيضا الهة الحرب ويقرنونها مع آشور ورئيسة السماء وملكة الآلهة والآلهات

(٥) عطارد . إله الحكمة والفهم والتعليم ورسول الآلهة وتارة يقولون رب الأرباب الذى لامثيل له فى القدرة حارس السموات والأرض الذى يسلم الملوك صولجان الملك

ثم انهم يصنعون أصناما من الحجارة والمعادن فيكون البدن بدن حيوان له رأس انسان وجناحا طائر ويعبدونها فى معابد خاصة وينشدون الأناشيد ويذبحون الذبائح ويقرّبون القرابين . ومما يتبع ذلك انهم يقولون ﴿ أيتها النار الرّبة العظيمة المتعالية فوق كل شئ . أنت سابكة النحاس والرصاص . أنت ممحصة الذهب والفضة وكان كل يوم من أيام السنة عيدا لاله أو أكثر من آلهتهم ويعتقدون اليوم الآخر ويصلون على موتاهم . هذا ملخص ماعند القوم . فقال كيف يقع العقلاء فى هذه الجهالة الظاهرة البطلان وكيف يكون المريخ والمشترى وأمثالها آلهة ثم ماهذه المبالغات واذا كانت الأمم القديمة كلها على هذا المنوال مخرفين ضالين فكيف كانوا منبع الحكمة . إن الحكمة ظهرت عند جميع هذه الأمم فكيف تجتمع الخرافات والحكمة . واذا كان دين الاسلام قد خلا من هذه الشوائب فلماذا لم نر فيه حكماء أشبه بمن مضوا فى الأمم فهل الخرافات تكون سببا فى الحكمة والقول الحق يتبعه قوم يقلّ الحكماء بينهم . إنّ هذا لعجب عجاب

فقلت

فقلت هوّن عليك ياصاح . اعلم أن الله عزّ وجل مشرق نوره على جميع الأمم قديمها وحديثها وهو القائل - وان من أمّة إلا خلا فيها نذير - والقائل - ولقد بعثنا فى كل أمّة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة - فهو سبحانه لم يذر أمّة من الأمم السابقة إلا وأرسل لها هداة وهذا المقام يحتاج الى مقدّمة فأقول

إن الله عزّ وجل هو الذى بث الحيوانات فى البحر والتراب وفوق الأرض وفى الهواء وهو الذى نظم تلك الممالك وأودع فيها غرائز فهى بذلك حافظات لنظامها قائمات بأمر ذرّيتها مادام الفرقدان وطلع النيران ولكن انظر ماذا فعل . أعطى كل نوع من أنواع الحيوان فطرا وغرائز تخالف بقية الحيوان . فهل فطرة النمر كفطرة الغزال . قال لا . قلت فهذه فطر مختلفات . مثلا ترى أصواتها لاتشابه بينها . فكل نوع صوته ونغمته تخالف النوع الآخر والنوع الواحد من الشرق لايخالف فى صوته ماعاش منه فى الغرب فصوت الغربان والكراكى وأبى قردان فى الشرق هو صوت الغربان والكراكى وأبى قردان فى الغرب لا اختلاف بينها . أما هذا الانسان فأمره عجب . أعطى عقلا وأعطى حرّية يتصرّف فى الكلام كما يشاء . فلما استقلّ عقله قدر على التصرف . فماذا فعل . سار على ناموس الوجود . ومعنى هذا أن هذا الوجود فطر على الاختلاف والتنويع . فكما نوّع الله أصوات الحيوان باختلاف الأنواع أخذ هذا الانسان ينوّع أصواته كما فعل الله فى حيوانه فجعل الانسان نفسه كأنه أنواع لانوع واحد . فترى اللغات الأصلية الثلاثة وهى (الآرية والطورانية والسامية) تختلف عن بعضها اختلافا بينا وكل لغة لها فروع كثيرة . فاذا رأيت الآريين يتكلمون بالسنسكريتية وبالفارسية وبكثير من لغات أوروبا ترى الطورانيين يتكلمون باللغة التركية والقازانية وغيرهما وترى الساميين يتكلمون بالعربية والعبرية والحبشية وماشاكلها . فإذن أصبح التركي والفارسى والعربى فى لغاتهم أشبه بالكركى والبازى والسنور مختلفى الأصوات مختلفى اللغات ذلك لأن الله من عادته أن لا يكرر فى الخلق أى انه دائما ينوّع مخلوقاته . هكذا الانسان لما أعطى قوّة وتلك القوّة من عند المبدع الحكيم نوّع كما نوّع المعطى القادر . فكما نوّع الله فى أصوات الحيوان نوّع الانسان الذى هو خليفته فى صوت نفسه فحدثت اللغات ولكل لغة لهجات . وكما نوّع الله فى الغرائز الحيوانية نوّع الانسان فى الديانات

فهذا المثل ضربته لك أيها الفاضل لتقيس عليه . وقد قلنا ان الله لم يذر أمّة إلا أرسل لها رسولا والمجدّدون فى كل دين هم قائمون مقام الرسل . فهذه الديانات تنوّعت على حسب ماطبع عليه الانسان من التنويع فى عاداته وأطواره . ثم ان كل دين ينزل لأهل الأرض كما قدّمنا يكون بالتوحيد وهذا التوحيد سار فى جميع الكائنات والله لم يره أحد فاذا فكر العقلاء لم يجدوا إلا جمال هذا الوجود فيتفننون فى وصف جمال العوالم ويعشقون الصانع بنظرهم الى الصنعة والدين اذا لم يكن مستندا الى هذه العوالم الطبيعية لم يدم . ان الله لم يره الناس ولكنهم رأوا جمالا باهرا وحسنا ظاهرا وبهجة وكمالا فهذا الجمال يسوقهم الى أن تهرع عقولهم الى مبدع العالم

ولاجرم أن زحل والمشترى وأمثالها ذات جمال باهر وحسن ظاهر فهذه السيارات وكذلك الشمس والقمر والنجوم الثوابت هى المزرعة العلمية التى بها يعشق الناس خالقهم ويرتقون فى صناعاتهم الدنيوية . ومتى مضت الأيام والسنون أصبح ما كان بهجة الجمال وبابا للعلم وسلما للمعرفة حجابا على العقول ومانعا يمنع من الوصول وذلك بالاطناب فى مدح هذه الدلائل والتغالى فى وصفها جيلا بعد جيل فيتنزّل هذا الدين الى السفاسف ويجعل الناس هذه الكواكب كأنها آلهة صغرى تقرب الى الإله الأكبر ثم اذا تمادى الزمان انحطوا الى عبادة التماثيل التى تمثل هؤلاء المعبودين من الكواكب . والدليل على ذلك أن الأوصاف المتقدّمة تحوّل لكل كوكب فيها انه رئيس الآلهة فتراهم يقولون فى أكثرها انه رب الآلهة وهذا مبالغة كمبالغة الشعراء فى

كل عصر إذ يصفون وصفا كاذبا من كثرة المبالغة . وقصارى الأمر وجماداه أن هؤلاء الصابئين كانوا أولا يعبدون الله ولله ملائكة والملائكة موكلون بالكواكب فالله هو المعبود والملائكة يعملون بأمره والكواكب كأنها أجسام تلك الأرواح فعبادة الملك يتقربون بها الى الله والكوكب حجابه أوجسمه أونحو ذلك فهو رمزه والتماثيل فى الأرض مذكرات بالكواكب اذا غابت عنهم . إذن العبادة فى نظرهم كلها راجعات الى الله كما قال تعالى ـ مانعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى ـ فاذا عبدوا زحلا أوالمشترى فقد أرادوا بذلك انهما ملكان ثم اعتبروا الكوكبين ثم التماثيل

﴿ ضرب مثل ﴾

ومامثل الديانات إلا كمثل الناس على الأرض . يكون المرء طفلا فصبيا فمراهقا ففتى وشابا فبالغا أشده فكهلا فشيخا فهرما فميتا . هكذا الدين يكون أولا قولا على لسان رسول فيبلغه فينتشر فى الأمم فيرتقون به ثم يأخذ فى الاضمحلال شيأ فشيأ حتى لايصلح للأمم فيزول من الوجود أو ينكمش فى جماعة محقورين وجل الله أن يبقى فى الأرض مالافائدة فيه . فهذه الديانات وهى قائمة فى الأرض كان يتبعها علوم وحكم وأخلاق ومواعظ . كل هذه تغلب على الخرافات فلا يكون لها أثر ولكن بتمادى الزمان تزداد الخرافات فتغلب على جوهر الدين فلايبقى صالحا لحياة الأمم فيزول من الوجود وتلك الديانات لم تزل من الأمم إلا حين ضاعت ثمرتها وذهبت جدتها وفارقت الصواب . واعلم أن أهل كل دين يظنون انهم على الحق وسواهم على ضلال ونحن المسلمين اليوم نظن أن تلك الأمم لم يكن لهم من الهدى نصيب وهذا حق من وجه ولكن من وجه آخر باطل لأنهم لوجردوا من كل حكمة فى الدين مابقى ذلك الدين فكانت لهم شرائع وقوانين وعلوم تربو على تلك الخرافات فيعيش بالدين الناس بسلام

فلما سمع صاحبى ذلك قال الحمد لله ديننا برىء مما وقعت فيه الأمم السابقة . فقلت ان ديننا وقع فيما وقعت فيه الأمم السابقة حذو القذة بالقذة كما روى ﴿ لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لودخلوا جحر ضب لدخلتموه ﴾ . فقال وكيف ذلك . قلت ما الذى ضر الناس من عبادة الكواكب . قال تفرق الوجهة فلايدرى الناس من المعبود وحينئذ يضيع الوقت سدى و يتفرق الناس شيعا و يذوق بعضهم بأس بعض وتنحل الرابطة . فقلت هذا وان لم يحصل بنفسه قد حصل نظيره فى بلاد الاسلام وذلك فى رجال العلم ورجال التصوف والكتب الموروثة عن المتقدمين أما رجال العلم والكتب فانك ترى أتباع الحنفى والشافعى وابن حنبل والامام زيد وهكذا الشيعة وجميع الفرق المبتدعة فى أمم الاسلام لكل وجهة هوموليها فهؤلاء جميعا يقرءون العلم الموروث عن الشافعى وأبى حنيفة الخ ولكن لايجوز لهم أن ينظروا فى كتاب الله ولاسير الصحابة ولاالتابعين إلا نظرا تابعا لأولئك الأئمة ، وايضاح المقام أن الله أنزل القرآن على النبى ﷺ فقام به الصحابة والتابعون ثم قام الأئمة واجتهدوا ثم المجتهد منهم له أتباع وهؤلاء الأتباع ألفوا كتبا و بعدهم مؤلفون وراء مؤلفين . فالطالب فى زماننا يقرأ فى مذهب الشافعى مثلا الكتب المقررة فى الأزهر كالمنهج ولايزيد عليه مع ان المنهج من المنهاج والمنهاج مشتق من كتاب من كتب الامام الغزالى فى مذهب الشافعى فكل متأخر لايجرؤ أن يقرأ كتب أحد إلا الطبقة القريبة منه و يفهمه شيوخه انه ليس أهلا للطبقة العليا فاذا لم يكن أهلا لكتب الغزالى كالوسيط والبسيط والوجيز فن باب أولى ليس أهلا لكتاب الأم للشافعى ومن باب أولى ليس أهلا للترجيح فى أحاديث البخارى ومن باب أولى ليس من رجال فهم كلام الله تعالى لأنه مفروض أن قوته حكم عليها ألاتتطاول الى ذلك ، و بناء عليه تنازل العلم وانحصر فى علوم المتأخرين مع تعظيم المتقدمين فالقرآن معظم والحديث محترم والشافعى وأصحاب الشافعى والامام النووى والرملى وابن حجر ولكن كتب هؤلاء أكبر من أن يدرسها الانسان وهذا كله حاصل عند المتعلمين فى أكثر ديار الاسلام وقد فرض

الناس

الناس أن الدين كله فيهما مع ان هذه المذاهب ليس فيها إلا أحوال عارضة للانسانية وليست كل الدين بل هى حاشية من حواشيه أوسياج لروضته . فعلم الفقه الذى أسمعتك وصفه وأن الطالب فى زماننا ليس أهلا إلا لقراءة كتب المتأخرين من المؤلفين فيه ليس له حظ من الدين إلا انه سياج له والدين روضة ذات أشجار وثمار والأشجار هى المعارف العلوية والسفلية والثمار هى الأخلاق والمودّات والمحبات ورقى الأمم وكل ذلك لايتم إلا بالسياج الذى سميناه فقها . فاذا كانت هذه حال دين الاسلام وأن أصوله تركت وهى الأخلاق والعلوم التى ملأت الدنيا وأن سياج الدين أيضا لم يأخذ الناس منه إلا بشذرات وحرموا من الأصل . أقول اذا كان هذا شأن دين الاسلام أفلسنا نقول ان هذا تنزّل وسقوط فى هاوية كسقوط الآشوريين والبابليين فى أصول الدين إذ عبدوا الكواكب والتماثيل ونسوا الأصل فلكل منا ومن تلك الأمم وجهة هو موليها فهم سقطوا من جهة الاصول ونحن هوينا من جهة الفروع . والفرق بيننا وبينهم أن سقوطنا يمكن تداركه أما سقوطهم فلا وعلى ذلك حل الاسلام محل أديان تلك الأمم وديننا ليس يعوزه شئ إلا أن نوقظ الأمّة الى القرآن ونقول لهم ماقلناه فى هذا التفسير الذى يرجع بالأمة الى ما كان عليه الصدر الأول ولكن بطريق يناسب العصر الحاضر فهذا فرق مابيننا وبينهم . القرآن باق ولولا القرآن لاضمحل الدين ولم تقم له قائمة فهذا القرآن فيه اصلاح الأمة واصلاحها بالعلم والعلم هوملاك الأمر . هذا مانقوله فى رجال العلم . أما رجال التصوّف فحدّث ولاحرج فقد اتخذ كل منهم له طريقة تخالف الآخر ليتميز أصحابه عن غيرهم ثم يرى أتباعه انه خير من غيره مع احترام الباقين ويجعل لهم ذكرا خاصا وأورادا وآيات من القرآن ويصرفهم عن بقية الدين وعن فهم القرآن وعن سائر العلوم وانى أعلم أن بعض رجال الصوفية فى زماننا قد أمروا تلاميذهم أن يذكروا اسمه مائة ألف كما يذكرون الله ولقد تغالى أهل كل طريق فى شيوخهم وبالغوا فى تعظيمهم بل ان بعضهم قد حرم على أتباعه أن يروا وجهه ويذكرون فى مناقبهم مآثر وخوارق كما نسمع من أصحاب الدسوقى والرفاعى والسيد أحمد البدوى . فهؤلاء الشيوخ كانوا قوما صالحين ولكن أتباعهم أسندوا اليهم من الأعمال مالايسند إلا الى الله أو الى الأنبياء فتاهت العقول وضلت . أفلا ترى أن أولئك الشيوخ فعل معهم أتباعهم مافعله الصابئة مع الكواكب التى هى مقام الملائكة ومقرّهم ثم التماثيل . الله أكبر . لقد وصف كل من زحل والمشترى والزهرة الخ بما وصف به الله فكل من تلك الكواكب وصف بأنه رب الأرباب وقاهر وهكذا وقال الجهلة من المسلمين فى شيوخهم من التعظيم مايضاهى وصف الله القدير كأن يقولوا هو يحيى الموتى بدعوته ونحو ذلك وهذا مشهور معلوم فكيف يرجع للقرآن هؤلاء وكيف يعرفون أوصاف النبى ، ذلك النبى الذى لم يحى ميتا أما شيخه فقد كان على هذا المقام العظيم . إن المسلمين تفرّقوا بتفرّق قلوبهم وتفرّق قلوبهم ناجم من جهلهم وجهلهم بسقوط الهمم فى التعليم وجهل الاصول والأخذ بأذناب الدين وترك رأس الامور والغش والتدليس من المتصوّفة . فنحن وان لم يكن عملنا كفرا فى الاسلام فهو مسقط لهمم الأمم مؤدّ للنتيجة التى أدّى اليها تنزّل الآشوريين والبابليين فى عباداتهم والباب الذى وجدناه لارتقاء الأمم الاسلامية اليوم أصبح والحمد لله مفتوحا على مصراعيه وذلك بأمثال هذا التفسير انظر ماتقدّم فى ﴿ آل عمران ﴾ عند قوله تعالى ـ ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ـ الخ فهذا المقام هناك موضح غاية الايضاح . ففيه ذكر المغرورين من أمّة الاسلام ومانتيجة الغرور وأنواعه وما السبيل الى رقى الأمم الاسلامية

فلما سمع صاحبى ذلك قال حيا الله العلم فوالله ما كان ليهجس بخاطرى أن تكون هناك موازنة بين عبادة الكواكب وبين التغالى فى الشيوخ . فقلت ان الأمر فوق ذلك . فقال زدنى إذن . فقلت إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يقرؤن القرآن لغرض ويتعلمون العلم لغرض والغرضان شريفان . قرؤا القرآن لينظموا أرض الله ويرقوا الشعوب . وتعلموا العلم وأخذوا عن الشيوخ ليكونوا قادة وسادة وعمالا

نافعين لنوع الانسان . أما الأمم الاسلامية المتأخرة فان بعض حفاظ القرآن لا يقصدون منه إلا ﴿ أمرين * الأول ﴾ أن يكون حرفة يعيش بها بين الناس ﴿ الثانى ﴾ أن يقرأ القرآن لأجل لفظه لا لأجل معناه . وقد رسخ فى عقول الكافة أن القرآن بدون معنى كاف . قد زاد فى الطين بلة قوم نقلوا علوم الصابئة ومزجوها بالقرآن وصار هذا الكتاب يقصد لجلب الرزق ودفع الأذى ومنع الأعداء وهكذا . وكما يقصدون من القرآن يقصدون من الشيوخ . فاذا كان المتقدمون يتعلمون من الشيوخ العلم لذات العلم صار المتأخرون لاسيما تلاميذ الصوفية يعتقدون فيهم انهم هم الذين يقربونهم الى ربهم بهممهم مع ان القرآن لمعناه والعمل به والشيوخ ليسوا مقصودين لشفاعتهم عند الله بل لترقية العقول وحث التلاميذ على الاجتهاد والعمل ومساعدة الناس وهذا وحده هو الذى يرقى المرء فى الدنيا والآخرة ويجعل المرء مستعدا لشفاعة نبيه ﷺ فكما كان الصابئة فى بلاد بابل وآشور يعبدون أولا إلها واحدا وهو الذى سموه رئيس الآلهة فيما بعد أخذوا بعد ذلك فى عبادة مخلوقاته من الكواكب وغيرها . فبعد أن كان المقصد من الكوكب أن يعرف جمال الله به وحكمته وعظمته صار نفس الكوكب إلها صغيرا متصرفا وبمثل هذا يقال فى الشيوخ وفى الأوراد وفى قراءة القرآن . فبعد أن كان هؤلاء جميعا لارتقاء الانسانية انحطت القوى فصارت قراءة القرآن والأحزاب واتباع شيوخ الصوفية يقصد منه عند صغار العقول طلب الدنيا أو الاتكال على ما ذكرناه فى النجاة يوم القيامة وما نجاة الانسان إلا بعمله هو فى الحياة الدنيا علما وعملا وأخلاقا . فقال إن قولك ان المسلمين مزجوا دين الصابئة بالاسلام لم أفهم مرادك منه . فقلت إن أكثر أهل العلم فى بلاد الاسلام تقع فى أيديهم كتب جعلت لجلب الرزق والمنافع الدنيوية وقد جعل القرآن فيها وسيلة لسعادة الحياة الدنيا ولكن بطريق تخالف طريق الصحابة فالصحابة والتابعون اتبعوا سنن الله فى تحصيل الرزق بالعمل فى الأرض أو بالتجارة أو بالجهاد . أما المتأخرون فبعضهم جعل قراءة القرآن وحدها سببا لجلب الرزق لا العمل بمعناه فى أمور الحياة فترى كتاب البونى المسمى ﴿ شمس المعارف الكبرى ﴾ يطبع منه مالا يطبع من هذا التفسير وغيره آلافا وآلافا ويباع وفيه فوائد تكتب إما بأرقام عددية وأوفاق واما برياضة وبخور وتقرأ الآيات مع ذلك على طهارة واما بتعيين ساعات للكوكب كزحل والمشترى والمريخ الى آخره وكل ذلك منقول حرفيا عن الصابئين أهل بابل الذين جعلوا هم والمصريون وأهل الهند للكواكب أوفاقا وأعدادا خاصة منظمة ترجع فى أصولها الى علم (الارتماطيقى) الذى ذكرته سابقا فى هذا التفسير وألف فيه أستاذنا المرحوم على باشا مبارك بعنوان ﴿ خواص الأعداد ﴾ فهذا العلم الذى هو أصل علم الحساب ظهرت فيه عند تلك الأمم عجائب لا محل لذكرها تأخذ باللب . فهذه العجائب استعملها البابليون والآشوريون الى آخره لجلب الرزق والتقرب من الكوكب إذ لكل كوكب مربع خاص . فاذا كان الله له عدد (١) فالمادة لها عدد (٢) ومربعه (٤) أما مربع (١) فهو الواحد اشارة الى أن وحدة الله عندهم مقدسة ولزحل (٣) مضروبا فى (٣) يساوى (٩) وللمشترى المربع (٤ فى ٤) يساوى ١٦ وللمريخ (٥ فى ٥) يساوى (٢٥) مربعا وللشمس (٦ فى ٦) يساوى (٣٦) وللزهرة (٧ فى ٧) يساوى (٤٩) ولعطارد (٨ فى ٨) يساوى (٦٤) ولكوكب القمر (٩ فى ٩) يساوى (٨١)

ومعنى هذا انهم يرسمون مربعات اما (٩) للأول واما (١٦) للثانى واما (٢٥) للثالث وهكذا ولولا خيفة التطويل والخروج عن المقصد لرسمت هذه المربعات وأريتك حسابها فتعرف كيف تكون الأعداد فى هذه المربعات من (١) الى (٩) فى الأول ومن (١) الى (١٦) فى الثانى ومن (١) الى (٢٥) فى الثالث بهيئة منظمة فتتعجب غاية التعجب ومتى وقع هذا الوفق فى يد الطالب أيقن أن فيه سرا عجيبا واذن يتقرب به الى الكوكب الخاص به لأجل مافيه من سحر النفس ودهشتها به وبدقة حسابه . هذا فعل الأمم القديمة الذين جعلوا فن خواص الأعداد المقصود به استخراج علوم الأعداد المتفرعة عليه كلها كما قدمناه فى آية الميراث فى سورة

النساء

(النساء) بابا لجلب الرزق بالتقرّب للكوكب وقلدهم فى ذلك المسلمون المتأخرون فجعلوا نفس هذه الأوفاق مع جهلهم حسابها ونظامها بابا لجلب الرزق بالآيات القرآنية بدل الكواكب السبعة بل منهم من أدخل الكواكب مع القرآن والرياضات والخلوة وهكذا وساعات الأيام الخاصة بالكواكب . فقال فى أى كتب قرأت هذا وهل تسمعنى نقلا عن عالم اسلامى قال هذا حتى يكون لهذا القول أثره فى أمم الاسلام بعدنا لأن هذا التفسير من الكتب التى تناولتها الأيدى فى بلاد الاسلام فاذا وفيت المقام بمثل ماطلبته منك الآن كان ذلك خيرا وأبقى فقلت ان العلامة ابن خلدون فى مقدمته تحت عنوان ﴿ علوم السحر والطلسمات ﴾ قد أوضح الفرق بين السحر والطلسمات وأن هذه العلوم مهجورة عند الشرائع وانها كانت علوم النبط والكلدانيين والمصريين وأهل بابل والسريانيين وأن الذى ترجم لنا من تلك الأمم قليل مثل (الفلاحة النبطية) من أوضاع أهل بابل ومثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم الهندى فى صور الدرج والكواكب . ثم قال إن جابر ابن حيان من كبير السحرة المسلمين ألف فى هذا وجاء بعده مسلمة بن أحمد المجريطى امام أهل الأندلس فى التعاليم والسحر وأطال فى ذلك بما يخرج بنا عن موضوعنا لوكتبناه الى أن ذكر تحت عنوان ﴿ أسرار الحروف ﴾ ما ملخصه ﴿ إن الذين يذكرون أسماء الله لأجل المنافع الدنيوية يمزجون قوى الكلمات والأسماء بقوى الكواكب فيعين لذكر الأسماء الحسنى أومايرسم من أوفاقها . وهكذا لسائر الأسماء أوقاتا تكون من حظوظ الكوكب الذى يناسب ذلك الاسم كما فعل البونى فى كتابه الذى سماه الأنماط ﴾

وذكر أيضا انهم قسموا الكواكب على هذه العوالم من جواهر واعراض وهكذا الحروف والأسماء أيضا مقسمة عليها الكواكب كما قسمت على عوالم المادّة . قال ويبنون على ذلك مبانى غريبة منكرة من تقسيم سور القرآن وآيه على هذا النحو كما فعله مسلمة المجريطى فى الغاية . والظاهر من حال البونى فى أنماطه انه اعتبر طريقتهم فانّ تلك الانماط اذا تصفحتها وتصفحت الدعوات التى تضمنتها وتقسيمها على ساعات الكواكب السبعة ثم وقفت على الغاية وتصفحت قيامات الكواكب التى فيها وهى الدعوات التى تختص بكل كوكب يسمونها ﴿ قيامات الكواكب ﴾ أى الدعوة التى يقام لها بها . اذا فعلت ذلك عرفت أحد أمرين اما انه من مادّتها واما أن ذلك أمر أوجبه التناسب الذى كان فى أصل الابداع وبرزخ العلم انتهى بتصرف يسير جدّا للفهم

فلما سمع صاحبى ذلك قال ياعجبا كل العجب . إذن تنزّل المسلمين وسقوطهم الى الهاوية كان مسبوقا بالأمم التى هوت مثلنا . إذن تلك الأمم استعملت أمثال الحساب الذى خلق لرقى الأمم بابا وسلما للاستجداء من الكوكب وقد قلدهم المسلمون فى ذلك وصاروا كالصابئة ومزجوا القرآن بعلم الصابئين والذى تبين لى من هذا القول أن سقوط الأمم وانحطاط أخلاقها جار على سنن واحد قديما وحديثا . فهذه الآيات القرآنية لرقى المسلمين وتلك الكواكب عند الصابئين لمعرفة حسابها والانتفاع به فى أمور الحياة ولمعرفة جمال الله والغرام به فانحطت تلك الأمم انحطاطا أنقذهم منه الاسلام وصاروا يبتهلون الى نفس الكوكب . فهكذا نحن جاء القرآن لرقى العقول والأعمال والمدن والأمم فصار يقرأ للتضرّع وتركت المواهب العقلية والجسمية كما فعل الصابئون حذو القذة بالقذة وهذا انحطاط وموت عاجل وهذا داء قد فشا فى الأمم الاسلامية . وأرى من مجموع مذاكراتنا فى هذا المقام وغيره أن الذى يخرج المسلمين من هذه الدرجة المنحطة ﴿ أمران * الأوّل ﴾ دراسة أمثال هذا التفسير وتأليف كتب مثله مختلفة ليتعقل المسلمون ﴿ الثانى ﴾ ان يجدّ كل قطر من أقطار الاسلام فى تقليل الفقر المدقع عن الأمّة وذلك بأن يحصوا جميع أفراد الشعب ويعرفوا صناعة كل منهم فلا يتركون قادرا على العمل إلا ألزموه به وأتوا له بعمل . فهذا العمل للفقراء يغنيهم ويلهيهم عن الاستعانة بهذه الكتب المنتشرة فى أقطار الاسلام ويصبح هؤلاء العاطلون نافعين للمسلمين . فقلت أنا أوافق عليه وأزيد أن الزكاة الواجبة

شرعا يعطى منها للعاطلين الذين لا يقدرون على العمل ما يسدّ حاجتهم والباقى يجعل لشراء آلات للعمل أو تمهيد أرض لأصحاب الأعمال الذين لا يجدون وسيلة لعمل يعيشون به . فقال الحمد لله إن هـذا المقام قد استوفينا القول فيـه ولـكنى أرى أن حساب الاوفاق المتقدّم ذكره يقرؤه القارئ فلا يعقله . واذا كان الامام الغزالى فى بعض كتبه وهو يردّ على علماء الباطنية فى زمانه وقد أنكر بعضهم فائدة الصلاة يحتج عليهم بالوفق المثلث الذى ذكرته أنت انه لزحل و يقول أنتم تعتقدون فى هذا الوفق الذى ترون انه اذا وضع على هيئة خاصة يؤثر فى تسهيل الوضع للحامل فكيف لا تعتقدون أن يكون بين الصلاة و بين الثواب فى الآخرة مناسبة كالمناسبة التى بين الوفق المثلث وتسهيل الوضع . أقول ان الامام الغزالى كما قال هـذا رسم الوفق المثلث لكى يفهمه القارئ فأرى أن ترسم لنا وفقا آخر حتى يعرف القارئ كيف كانت الاوفاق عند البابليين وجميع الأمم الوثنية وكيف انحطوا بها وكيف قلدهم المسلمون وكيف انحطوا كمن سبقهم من الأمم . فقلت ان سؤالك هذا فتح لى بابا ما كان ليخطر لى . ذلك انك ذكرت الباطنية فى زمان الغزالى وذكرت الوفق المثلث وهذا يذكرنى أن هؤلاء الباطنية فى زمانه نقلوا علوم تلك الأمم وأدخلوها فى الاسـلام كما ذكره ابن خلدون فيما تقدّم آنفا وأما الوفق الذى طلبته فأنا أثبت لك أحد الاوفاق ليهدأ خاطرك وتعـلم أن (علم الارتماطيقى) أو (علم خواص الأعداد) قد استعملته الأمم المسلمة وغير المسلمة فى غير ما وضع له وتنزّلوا به عن المعالى فلأذكر لك الشكل المخمس مما ذكرته فى كتابى ﴿ فى الفلسفة ﴾ نقلا عن كتاب أستاذى المرحوم على باشا مبارك وهذا صورته

١١	٢٤	٧	٢٠	٣
٤	١٢	٢٥	٨	١٦
١٧	٥	١٣	٢١	٩
١٠	١٨	١	١٤	٢٢
٢٣	٦	١٩	٢	١٥

فالصف الأفقى والصف الرأسى والقطران كلها متساويات اذا جمعناها . فكل صف منها (٦٥) وهكذا القطران . فهنا حصل التساوى فى (١٢) صف كل واحد منها (٦٥)

هذا هو الوفق المخمس من الاوفاق التى كانت فى علم خواص الأعداد الذى هو أصل العلوم الرياضية والعلوم الرياضية بها تحلّ مشكلات العلوم الطبيعية وترقى المدنية فجعلوه هو وأمثاله للاستجداء من الكواكب أو أو بآيات القرآن فصار الدين بابا للذلة والمسكنة والجهالة وقد اتضح هذا المقام والحمد لله رب العالمين

﴿ جوهرة فى قوله تعالى ــ ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة ــ الخ ﴾

اعلم أن الخير مقرون بالشرّ وليس لأهل الأرض علم بعواقب الامور فربّ شر فى نظرهم كان خيرا كثيرا فههنا حروب كثيرة وزلازل وجدب وما أشبه ذلك فى الأرض . يعيش الناس ويموتون وأكثرهم لا يعلمون ذلك فلأضرب لك مثلا واحدا لشر فى نظر جميع الأمم ولـكنه فى الحقيقة خير . هاك مسألة القطن نحن فى مصر نزرعه ويزرعه كثير من أهـل الأرض وأهمهم أهل الممالك المتحدة . ولعمرى ليس للقطن من فائدة إلا الزيت والملابس والزينـة . إن قطن بلادنا يخرج نوعا يسمى (السيكلاريدس) يستخرج الانجليز فى معاملهم منه ما يشبه الحرير و يبيعونه بأغلى الأثمان . فالقطن فى الحقيقة ليس من ضروريات هـذه الدنيا بل هو أشبه بالحاجيات أو بالزينـة . ففى الأرض جلود الأنعام وصوف الغنم ووبر الجمال ولذلك تجد عرب البادية يكتفون غالبا بالأصواف عن القطن . إذن الناس محتاجون الى القطن لا أنه ضرورى كالغذاء والماء والهواء . إذن يكون ظهور القطن فى أرضـنا بقدر فليس يجب أن يكون عاما كعموم القمح . فتعجب من صـنع الله الذى أرانا حكمته فى ذلك . و بيانه انه قد جاء فى كتاب ﴿ الجغرافيـة الحديثة ﴾ ما ملخصه أن أن مساحة الأرض التى تزرع قطنا فى الولايات المتحدة (٧٠٠) ألف ميل مربع وهى تنتج (٧٨) مليون قنطار فيصنع منها $\frac{٢}{٣}$ فى مغازل (نيوانجلنـد) وتجرى الآن تجارب لانماء القطن الملوّن وتـكاد تنجح . فهم

يطعمون

يطعمون القطن الأمريكى بالمصرى فينتج (تسكانى) وبالبيروى فينتج أحمر قانيا وبالصينى فينتج أصفر وبالهندى فينتج أزرق وبالكارولينى فينتج أخضر وتطعيم الأمريكى الجنوبى بالمكسيكى ينتج أسود ولابد أن تحدث هذه التجارب انقلابا عظيما فى الصناعة

هذا هو الخير المنتظر من القطن فى الولايات المتحدة . أما الشر المنتظر منه فهو أن هناك اقليم القطن الواقع جنوب خط (٣٨) درجة من خطوط العرض وشرق خط (١٠٠) درجة من خطوط الطول الغربية الذى يشمل جزأ كبيرا من ولايات المحيط الاطلانطيكى الجنوبية . فهذا الاقليم فيه أراض واسعة لزراعة القطن وأهل البلاد يبيعونه ويشترون بثمنه مايحتاجون اليه وقد استعملوا السماد لانماء القطن . ولقد ضعفت الأرض كثيرا مع هذا التسميد المتكرر بتكرر زراعة القطن وكثرة الحيل المستنبطة لتقوية الأرض . هنالك عرفت الحكومة أنه لابد من تنوّع الزراعة فى البلاد وقام الخطباء ونصحوا الفلاحين ولكن لم يجد نصح الحكومة ولا خطب الخطباء . ذلك لأن غير القطن من الغلات كالخنازير والفول والشوفان لايسهل بيعه أورهنه بخلاف القطن . أتدرى ماذا حصل بعد ذلك . أرسل الله لهم خطباء من عنده فعلموهم كيف يزرعون . أولئك الخطباء هم دود القطن . ذلك دود اللوز الذى هجم بجموعه على القطن فى اقليم (تكساس) سنة ١٨٩٢ وظل الدود يفتك وينتشر ثلاث سنين ولم يقدر العلماء على صدّه أوتقليل ضرره والى الآن لم يجد الناس سبيلا لإبادة هذه الجنود المجندة . فماذا حصل بعد ذلك . حصل المقصود وهوأن القوم قللوا زراعة القطن فزرعوا الشوفان والبطاطس والبطاطة وربوا المواشى والخنازير وزيدت الخضر وصدرت للأسواق الشمالية وزاد ذلك أثناء الحرب الاوروبية . إذن الدودة أحدثت انقلابا زراعيا فاق ماأحدثته فصاحة الخطباء والحرب الأهلية من قبل ذلك . تلك الحرب التى منعت استعباد السود الذين كانوا وحدهم يقومون بزرعه وبعد الحرب مازالوا يزرعون القطن بطريق الايجار . فتحرير الرقيق لم يقلل زراعة القطن وهكذا الخطباء . وانما الذى أتى بالفرج والعلم هى الدودة التى علمتهم — فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون — نسبحك يا الله لأنك تفعل معنا مافعلته مع الولايات المتحدة . نجهل كل شئ فترسل الشرّ ليكون الخير . هذا معنى قوله تعالى — ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون — انتهى القسم الأوّل

(الْقِسْمُ الثَّانِى)

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ * وَهٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِى أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَنْ فَعَلَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ

إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا
يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى
أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هٰؤُلَاءِ
يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ
وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ
الْأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ
وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ
الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلٰوةِ وَإِيتَاءَ الزَّكٰوةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ * وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ
مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا
إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ
الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ
أَجْمَعِينَ * وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ
شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ
وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ * وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ
شَاكِرُونَ * وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ
شَيْءٍ عَالِمِينَ * وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ
* وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا
مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ * وَإِسْمٰعِيلَ
وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ *
وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ
سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ *

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ * وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ * إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ * وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ * وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ * إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ * لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ * وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ * قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ * إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ * وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

(ذكر سيدنا موسى عليه السلام)

قال تعالى (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين) فهذه ثلاثة أوصاف للتوراة يفرق بين الحق والباطل ويستضاء به في المشكلات وهو تذكرة وموعظة ثم وصف المتقين فقال (الذين يخشون ربهم بالغيب) حال (وهم من الساعة مشفقون) خائفون (وهذا ذكر) القرآن (مبارك) كثير خيره (أنزلناه) على محمد ﷺ (أفأنتم له منكرون) استفهام توبيخ

﴿ ذكر سيدنا ابراهيم عليه السلام ﴾

قال تعالى (ولقد آتينا ابراهيم رشده) الاهتداء والصلاح (من قبل) من قبل موسى وهرون (وكنا به عالمين) بأنه أهل لذلك آتيناه ذلك (إذ قال لأبيه) آزر (وقومه) نمرود بن كنعان وأصحابه (ماهذه التماثيل) على صورة السباع والطيور والانسان وفى هذا تجاهل لها تحقيرا مع علمه بتعظيمهم لها (التى أنتم لها عاكفون) أى لأجل عبادتها مقيمون فعجزوا عن اقامة الدليل على صحة ألوهيتها واستحقاق عبادتها و (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فقلدناهم (قال) ابراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين) فالمقلدون والمقلدون معا منخرطون فى سلك ضلال ظاهر (قالوا أجئتنا بالحق) بالجد (أم أنت من اللاعبين) أى أجادّ أنت فيما تقول أم لاعب فأضرب عن قولهم قائلا انه جاد و (قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهنّ) خلقهنّ . يقول الخليل كيف قلدتم الآباء وتركتم عقولكم والعقول بنظرها الثاقب فيما خلق الله من السموات والأرض تعرف صانعها فالله نقش وصوّر وزوّق صورا فى السموات والأرض لاتعدّ وماأصنامكم إلا تماثيل صنعتموها وهذه الحجة على النظام الذى جاء فى قصة موسى وقد تقدّم فى سورة ﴿ طه ﴾ وأن ماعدا دلائل العقل ملغى فالتقليد هنا والدلائل التى تقام بخوارق العادات لاحجة تقام بها إلا زمنا قليلا ولذلك ابتدأ بذكر قصة موسى تنبيها على الحجة العقلية التى استنتجت من قصته وأتبعها بهذه القصة وفيها نفس حجة العقل وأن النظر فى السموات والأرض هو المسعد للأمم فلاتقليد ولاخوارق عادات ولانحوها (وأنا على ذلكم) المذكور من التوحيد المبنى على التعقل والنظر فى العوالم العلوية والسفلية (من الشاهدين) من المتحققين والمبرهنين فانى نظرت الكوكب والقمر والشمس واحدا بعد الآخر فوجدتها لاتصلح للعبادة ثم عرفت أن العبادة لاتصح للأصنام لأنها أقلّ من الأجرام العلوية ولاهذه الكواكب كلها فرجعت الى الله كما فى سورة ﴿ الأنعام ﴾ ... إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا ـ الخ فهذه أيضا مما يدعو المسلمين أن يترفعوا عن الجهالة وينظروا فى العوالم العلوية والسفلية ويتعلموا علومها فقد غلبتهم الفرنجة . وقد قدّمنا أن الايمان ليس مسألة معينة بل هو كالغنى وكالقوّة وكالماء قليله ماء وكثيره ماء . فالاغتراف من بحر العلوم العلوية والسفلية أوسع نطاقا فتكون القلوب أوسع حكمة وأوفى وأعلى وأبهج اشراقا وأصح مدنية وأكثر غنى وثروة وقوّة . ولما كان الأنبياء قد أخذ عليهم الميثاق أن يعلموا أممهم ويرشدوهم قال (وتالله لأكيدنّ أصنامكم) أى لأجتهدنّ فى كسرها (بعد أن تولوا) عنها (مدبرين) الى عيدكم وكان ذلك القول فى سرّه (فجعلهم جذاذا) بضم الجيم وكسرها جمع جذاذة كزجاجة وزجاج على الأوّل أى قطعا وجمع جذيذ كخفيف وخفاف على الثانى وجذيذ فعيل بمعنى مفعول أى مقطوع (إلا كبيرا لهم) للأصنام فكسرها كلها بالفأس فى يده إلا كبيرها فعلق الفأس فى عنقه (لعلهم اليه) الى الكبير (يرجعون) فيسألونه عن كاسرها فيتبين لهم عجزه (قالوا) أى الكفار حين رجعوا من عيدهم (من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين) أى لشديد الظلم لجراءته على الآلهة المعظمة عندنا (قالوا) قال رجل منهم (سمعنا فتى يذكرهم) بالعيب والسب ويعد بالكسر (يقال له ابراهيم) أى هو ابراهيم (قالوا فأتوا به على أعين الناس) أى جيئوا به ظاهرا بمرأى من الناس وانما قاله نمرود (لعلهم يشهدون) عليه بأنه الذى فعل ذلك لأنهم يكرهون أن يحكموا عليه بغير بينة (قالوا) له (ءأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم * قال) ابراهيم (بل فعله كبيرهم هذا) لأنه غضب إذ تعبدون معه هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرها وذلك ليقيم الحجة عليهم (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) حتى يخبروا بمن فعل ذلك بهم * وفى حديث البخارى ومسلم وغيرهما ملخصا أن ابراهيم كذب ﴿ ثلاث كذبات ﴾ منها اثنتان فى ذات الله قوله ـ إنى سقيم ـ وقوله ـ بل فعله كبيرهم هذا ـ وقوله لسارة هذه أختى * وقد قال العلماء فى قوله ـ بل فعله كبيرهم هذا ـ قيل على سبيل التبكيت والاستهزاء فهو نفى للفعل بطريق ينفى إلاهيته بما هو أبلغ

وقوله ـ إنى سقيم ـ أى ان قلبى مغتمّ بكفركم أوانى سأسقم وقوله فى سارة هذه أختى أى فى الدين فهذه أشبه بالمعاريض والمعاريض صورتها صورة الكذب و باطنها حقائق وسماها رسول الله ﷺ كذبات بحسب ظاهرها * وفى حديث الشفاعة ان ابراهيم أشفق منها بمؤاخذته بها وهذا من المبالغة فى محاذرة الأنبياء من الكذب فاشفقوا مما يشبهه تعليما لنا أن نكون صادقين لأن الكاذب لا يصدقه الناس فكيف يعلمهم وكيف يثقون به فلا شفاعة لعالم كاذب لأنه لا يسمع علمه فى الدنيا (فرجعوا الى أنفسهم) وراجعوا عقولهم (فقالوا) فقال بعضهم لبعض (إنكم أنتم الظالمون) بعبادة من لا ينطق ، ومن عادة المقلدين أنهم يعلمون ثم تغلب عليهم العادة بالتقليد (ثم نكسوا على رؤسهم) انقلبوا الى المجادلة . يقال نكسته قلبته فجعلت أعلاه أسفله فهؤلاء استقاموا حين أقرّوا بأنهم ظالمون ثم انقلبوا عن تلك الحالة رأسا على عقب مكابرين وقالوا (لقد علمت ماهؤلاء ينطقون) فكيف تأمر بسؤالها والجملة سدت مسد مفعولى علمت (قال) محتجا (أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ) أى شيأ من النفع (ولا يضركم * أفّ لكم ولما تعبدون من دون الله) أفّ صوت يدل على التضجر أى قبحا ونتنا واللام للتبيين (أفلا تعقلون) قبح صنعكم (قالوا) لما عجزوا عن الحجة (حرّقوه وانصروا آلهتكم) بالانتقام لها (إن كنتم فاعلين) ناصرين لها نصرا مؤزرا . والذى أشار باحراقه نمروذ أورجل آخر من أكراد فارس فحبسوا ابراهيم ثم بنوا بيتا وجمعوا خشبا وأشعلوه نارا كاد طير الجوّ أن يحترق من لهبها ثم وضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به وهو يقول ﴿ حسبى الله ونعم الوكيل ﴾ وقال له جبريل هل لك حاجة قال أما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى وما أحرقت النار إلا وثاقه وجعل الله الحظيرة روضة فاطلع عليه نمروذ من الصرح فذبح أربعة آلاف بقرة تقرّبا الى إله ابراهيم وكف عن ابراهيم وأذاه . وهناك رأى آخر وهو أن النار كانت باقية على حالها ولكن لم تؤثر فى ابراهيم وهذا قوله تعالى (قلنا يا نار كونى بردا وسلاما) ذات برد وسلام أى ابردى بردا غير ضار (على ابراهيم * وأرادوا به كيدا) مكرا فى اضراره (فجعلناهم الأخسرين) أخسر من كل خاسر (ونجيناه ولوطا الى الأرض التى باركنا فيها للعالمين) أى من العراق الى الشام المباركة بالشجر والأثمار الكثيرة والأنهار والأنبياء وهكذا (ووهبنا له اسحق و يعقوب نافلة) أى زيادة لأنه سأل الله اسحق فأعطاه اسحق وزاده يعقوب (وكلا جعلنا صالحين) أى كلا من الأربعة وفقناه للصلاح (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم (يهدون) الناس الى الحق (بأمرنا) لهم بذلك (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) العمل بالشرائع (وإقام الصلاة) المحافظة عليها (وايتاء الزكاة) الواجبة والصلاة لتعظيم الله والزكاة للشفقة على الخلق وهما اشارة للصلة بين العبد وربه و بينه و بين خلقه فيكون الانسان إذ ذاك خليفة له (وكانوا لنا عابدين) موحدين مخلصين ، هذه هى قصة ابراهيم ومعه اسحق و يعقوب من ذرّيته أما لوط فسيأتى الكلام عليه وفى هذه لطائف

﴿ اللطيفة الأولى فى قوله تعالى ـ بل ربكم ربّ السموات والأرض الذى فطرهنّ وأنا على ذلكم من الشاهدين ـ ﴾

اعلم أن هذا الدرس هو عين الذى ألقاه موسى على فرعون إذ قال له ردّا على طلب معرفة الله تعالى ـ ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ـ الخ ان الله ما أنزل هذا فى القرآن لمجرّد المحادثة معنا وكرر ذلك واتحد الأنبياء فى التعليم بحيث ترى موسى وترى ابراهيم اتفقا على تعليم واحد . فموسى يقول انظروا الأرض والماء والنبات . وابراهيم يقول كذلك وهذا لم ينزل فى القرآن لأحد إلا لنا الآن ولا ينطق به إلا لأجلنا فاذا متناخوطب به من بعدنا . فياحسرة على العلماء اذا لم يوقظوا الشعوب الاسلامية . و ياحسرة على أمة سيدنا محمد ﷺ اذ نامت عيونها وظهرت عيوبها . أجيبوا داعى الله أيها المسلمون . انظروا دعاكم الله على لسان موسى وعلى لسان ابراهيم لتفكروا فى العالم . إن دين الاسلام هو هذا . دين الاسلام هو الذى يدعو الى العلوم

العقلية والفكرية والا فلماذا يكرّر هذا . ولماذا نرى ابراهيم ينظر فى النجم والقمر والشمس ثم يوجه وجهه للذى فطر السموات والأرض ثم يقول — وأنا على ذلكم من الشاهدين —

إن دروس ابراهيم الخليل ترجع الى دروس العلوم الطبيعية والرياضية ثم الانتهاء الى ماوراء الطبيعة لأنه درس الكواكب من أدناها الى أعلاها . وهـذا هوعلم الفلك ولا يكون إلا بالرياضيات ومن درس النجوم فلابد أن يعرف الطبيعة لأنها مركبة من عناصر تعرف بالطبيعة و بالكيمياء و بتقصير المسلمين فى ذلك أذلتهم أوروبا . ومتى قرؤا فكروا . ومتى فكروا ارتقوا وطردوا أوروبا من الشرق . يارب ألهم أمّتنا الحكمة والعلم ورقهم — إنك أنت السميع العليم —

أليس من عجب أن المسلم فى كل صلاة من صلواته يبتدئ قائلا — وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض — وذلك اتباع للخليل عليه السلام . ثم نراه لايفكر فى علوم السموات والأرض حتى فى علم التوحيد يمرّ عليها كأنها ليست من دينه و بذلك وحده سبقتنا أوروبا فان العلم يورث حب الطبيعة وحب الأمّة وحب النظام وحب العشيرة وحب الوطن . ومتى انفتح باب الحب فحدّث ولاحرج . ولكن المسلم الغافل أقفل أمامه باب الحب فلايعشق العلوم ولايحب الله . انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

جاء فى حديث البخارى عن ابن عباس أن قوله تعالى — حسبنا الله ونعم الوكيل — قالها ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار وقالها سيدنا محمد ﷺ فى آية — الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم — الى قوله — ونعم الوكيل — وهذا يفيدنا أن الذين ينقذون الأمم من الهلاك يكونون متوكلين على الله تعالى وهذا التوكل أحد ﴿ قسمين * القسم الأوّل ﴾ التوكل بالقلب مع القيام بالأسباب ﴿ الثانى ﴾ انه اذا وقع فيما لايقدر على دفعه فليسلم أمره لله تسليما تاما . انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

إن ابراهيم كسر الأصنام وهكذا سيدنا محمد ﷺ وهذان قدوتنا . فعلى علماء الاسلام وعليك أيها الذكى أن تكسر بقلمك و بلسانك كل ماتراه معطلا لرقى الأمّة الاسلامية . أليس من العار علينا أن نذر الأمّة جاهلة فلا نرشدها . ليسمع الناس قولك أيها الذكى . قل لهم فى مشارق الأرض ومغاربها الى متى تنامون . ان عبادة الأصنام تحصر الفكر فيها فتصدّه عن جمال السموات والأرض . إن عباد الأصنام لم يقولوا شيأ سوى انهم يعبدونها لتقرّبهم الى الله زلفى ولكن هذه الأصنام حجاب بينهم و بين جمال الله فى الأرض وفى السماء . فليفهم المسلمون أن انحصار عقولهم فى علوم خاصة وحجابها عن السموات والأرض سيئة من سيآت التعطيل ان هذه ظلمة من الظلمات التى حجبت شمس الاسلام . حرام أن ينام المسلمون عن جمال الله ومعرفة كماله حرام أن يقف المسلمون مكتوفى الأيدى وأوروبا برعت فيما قاله الخليل — بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهنّ — ثم أخذ يكسر الأصنام التى عاقت القوم عن هـذه العوالم . فأفّ لأمة تقعد عن دراسة العلوم الشرقية والعلوم الغربية من جميع الأنواع . ياقوم إن الوقت جدّ وقد — أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة — انتهت اللطيفة الثالثة

﴿ اللطيفة الرابعة فى قوله تعالى — قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم — ﴾

هذه من خوارق العادات وقد جاءت بعد قصة موسى سابقا وقصة موسى قد شرح فيها خوارق العادات شرحا وافيا . إن خوارق العادات استبدلت فى القرآن بالعلوم العقلية كما رأيت فى سورة (طه)

ولتعلم أن المسلم اذا عمل عملا صالحا ولأجل تلك الطاعة ألقى فى النارفان النارلن تكون بردا وسلاما عليه بل يحرق بها . ففرق بين المسلم الذى جاء القرآن لتذكيره و بين ابراهيم . فابراهيم صارت النار عليه بردا

ونحن

ونحن لاتكون علينا بردا ولكن أنزلها الله لترينا عجبا . ترينا أن الآلام فى طريق المحامد وضياع العمر وازهاق الروح اذا كان ذلك لاقامة مجد الأمة واسعادها سعادة هى كل السعادات . ابراهيم عليه السلام جاهد لنشر الدين فلنجاهد نحن . فاذا متنا أوقتلنا أونصرنا فالمعنى واحد بل نحن ننال إحدى الحسنيين . اما الحياة أعزاء واما الموت أعزاء فنحن فى الدارين بالفضيلة والجهاد أعزاء فيكون كل مايصيبنا فى سبيل المجد عزا وشرفا . فنحن إذن تكون النار التى يسببها الألم بردا وسلاما علينا . وقد وعد الله المجاهدين فوزا والفوز بموتهم كالفوز بنصرهم والله لامعنى لحياتنا إلا رفع شأن أممنا والقيام بما خلقنا له . ثم ان القائم بالخير يجد فى نفسه سلوى عند المصائب تخففها ويأمل فى نفسه آمالا ترفع نفسه والمصائب فى سبيل الواجب ترفع النفس . انتهت اللطيفة الرابعة

﴿ الكلام على قصة لوط عليه السلام ﴾

قال تعالى (و) آتينا (لوطا آتيناه حكما) حكمة ونبوّة وفصلا بين الخصوم (وعلما) بما ينبغى أن يعلمه الأنبياء (ونجيناه من القرية) سدوم (التى كانت تعمل الخبائث) أى اللواط (إنهم كانوا قوم سوء فاسقين) هذا تعليل (وأدخلناه فى رحمتنا) فى أهل رحمتنا (إنه من الصالحين) الذين سبقت لهم منا الحسنى

﴿ لطيفة ﴾

هذه القصة ترينا أن الصبر دائما يتبعه النصر والفوز . صبر ابراهيم فصارت النار عليه بردا وسلاما وصبر لوط فنجاه الله من القرية الفاسقة لأنه من الصالحين فجعل النجاة والادخال فى الرحمة لصلاحه . وهذا معقول لأن الله يميز الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض والطيب بعضه على بعض

﴿ قصة نوح عليه السلام ﴾

قال تعالى (و) اذكر (نوحا إذ نادى من قبل) إذ دعا الله على قومه بالهلاك من قبل المذكورين (فاستجبنا له) دعاءه (فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) من الطوفان أوأذى قومه والكرب هو الغم الشديد (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين) وانما كانوا قوم سوء ﴿لأمرين﴾ التكذيب بالحق والانهماك فى الشر

﴿ لطيفة ﴾

هذه القصة قدوة لنا . إن الانسان اذا عمل ماقدر عليه وأخذ بالأسباب ولم يظلم غيره وانما قصد النفع العام بعقل ثم رأى انه يهان ودعا الله فان الله يستجيب له . وهذه المسائل لاتصبح يقينا عندك إلا اذا جرّبتها أما أنا فانى جرّبت منها كثيرا لاسيما فى أثناء تأليف هذا التفسير فقد رأيت عجائب وغرائب لامحل لذكرها

﴿ قصة داود وسليمان عليهما السلام ﴾

(١) جاء فى بعض الأحاديث عن أبى هريرة انه سمع رسول الله ﷺ يقول كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن احداهما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الأخرى انما ذهب بابنك فتحاكما الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه فقال ائتونى بسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لاتفعل يرحمك الله هوابنها فقضى به للصغرى . أخرجاه فى الصحيحين

(٢) وورد أيضا أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعى ليلا فوقعت فيه فأفسدته فلم تبق منه شيأ فأعطاه رقاب الغنم بالزرع فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فأخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا أوقال غير هذا أرفق بالفريقين فأخبر بذلك داود فدعاه وقال كيف تقضى قال أدفع الغنم الى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع الى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ماقضيت وحكم بذلك وكان سليمان ابن إحدى عشرة سنة

وحكم داود وسليمان كان باجتهاد * حكم الاسلام فى هذه المسألة . أما مذهب الشافعى فانه يوجب ضمان المتلف بالليل فى هذه المسألة إذ المعتاد ضبط الدواب ليلا وهكذا قضى النبى ﷺ لما دخلت ناقة البراء حائطا وأفسدته فقال على أهل الأموال حفظها بالنهار وعلى أهل الماشية حفظها بالليل . وأما مذهب أبى حنيفة فانه يقول لاضمان إلا أن يكون مع الدابة صاحبها ليلا كان أونهارا مستدلا بقوله ﷺ ﴿ جرح العجماء جبار ﴾

﴿ فصل فى حكم الاجتهاد ﴾

فى حديث البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ ﴿ اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر ﴾ فالمجتهد مصيبا كان أومخطئا له أجر

﴿ وجه نظر داود وسليمان عليهما السلام ﴾

إن داود قدّر الضرر فى الحرث فكان مساويا لقيمة الغنم وكان الواجب قيمة مثل الحرث فسلم الغنم الى المجنى عليه . وسليمان عليه السلام أوجب مقابلة الاصول بالاصول والزوائد بالزوائد وربما كانت منافع الغنم تلك السنة موازية لمنافع الحرث فحكم بها وهذا قوله تعالى (وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث) فى الزرع * ويقال انه كرم تدلت عناقيده (إذ نفشت فيه غنم القوم) رعته ليلا (وكنا لحكمهم) لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما (شاهدين) عالمين (ففهمناها) أى الحكومة (سليمان وكلا) أى داود وسليمان (آتينا حكما وعلما) واستدلّ بعض العلماء بهذه الآية على أن كل مجتهد مصيب وهذا قول أصحاب الرأى . وقال آخرون ليس كل مجتهد مصيبا فالحق مع واحد لا بعينه وأجر المخطئ ليس على خطئه ولكن على اجتهاده

ولما وصف داود وسليمان فى طريق حكمهما أخذ يصفهما فيما أنعم عليهما بغير ذلك فذكر سبحانه أن داود أنعم عليه ﴿ بنعمتين ﴾ تسبيح الجبال والطيور معه أنى سار وتعليمه صنعة الدروع لتكون صيانة للناس فى الحرب . فأما سليمان فسخر له ألطف الأجسام الطبيعية فى مقابلة التسبيح هناك وأخبثها وهى شياطين الجنّ والانس فى مقابلة الدروع التى تقى من الأعداء

﴿ نعم الله على داود عليه السلام ﴾

قال تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) يقدسن الله بلسان الحال بحيث تمثل له مسبحة فتكون أملك لوجدانه وجميع مشاعره فيستغرق فى التسبيح (والطير) عطف على الجبال أومفعول معه (وكنا فاعلين) لأمثاله ذلك فليس ببدع منا ذلك وان كنتم أنتم منه تعجبون فان المستغرقين فى التسبيح والتقديس يحصل لهم من الأنس بالله مايجعل العالم فى نظرهم مسبحا وكأن العوالم تنطق لهم به بلسان أفصح من لسان المقال وليس يدرك هذا أحد إلا بوجدانه (وعلمناه صنعة لبوس) عمل الدروع وقد كانت صفائح فجعلها حلقا وسردها وقوله (لكم) صفة للبوس ثم أبدل منه قوله (لتحصنكم من بأسكم) أى ليحصنكم داود من حرب عدوّكم أولتحصنكم اللبوس على تأويل الدرع (فهل أنتم شاكرون) أمر فى صورة استفهام للمبالغة فى التقريع

﴿ نعم الله على سليمان عليه السلام ﴾

قال تعالى (و) سخرنا (لسليمان الريح) حال كونها (عاصفة) شديدة الهبوب وفى آية أخرى -رخاء- أى لينة فكانت كما يريد عاصفة أورخاء (تجرى بأمره الى الأرض التى باركنا فيها) يعنى الى الشأم وكانت تجرى بسليمان وأصحابه رواحا بعدما سارت منه بكرة (وكنا بكل شئ عالمين) أى بصحة التدبير فيه فنجريه على ماتقتضيه الحكمة وانا نعلم أن سليمان سيعرف نعمتنا ويشكرنا عليها (ومن الشياطين) أى وسخرنا منهم (من يغوصون له) فى البحار ويستخرجون الدرّ والمرجان وما يكون فيها (ويعملون عملا دون ذلك) أى دون الغوص كبناء المحاريب والتماثيل والقصور والقدور والجفان (وكنا لهم حافظين) أن يزيغوا عن أمره

﴿ لطيفة . سؤال ﴾

قال لى فاضل مافائدة هذه القصص فى كتاب الله تعالى وقد خوّل الله سليمان ملكا لا يبلغه أحد من العالمين . واذا كان قصص الأنبياء للاقتداء فأين الاقتداء هنا ونحن نسمع أن الشياطين تغوص فى البحر وتصنع المحاريب والتماثيل ونسمع تسخير الحديد كتسخير الهواء ونحن لاقدرة لنا على هذا

﴿ الجواب ﴾

اعلم أن الله قد أعطى داود ﴿ خصلتين * الأولى ﴾ حب وشوق واخلاص لله وذكر يجعل ما حوله كأنه يسبح ويرى الطير والجبال تسبح بلسان حالها . ويرى فى حفيف الأشجار وهبوب الرياح وطنين الذباب وحركات الماء أصواتا تكاد تسحره وتشجيه وتهز أعصابه وكأنما الأطيار على الأشجار مغرّدات فرحات فى النسمات وكأن هاتيك المغرّدات خطباء على منابر القلوب أو أوتار تحرّك النفوس وتثير الوجدان وتبعث فى القلب أثرا وفى العقل حكما وفى الفؤاد بهرا . فاذ ذاك يرى الذاكر أو المفكر المعتبر الدارس للعلوم كأن الجوّ كله خطرات أفكار وحركات أسرار ومجالس أنس وحبور وذكر وسرور ﴿ الخصلة الثانية ﴾ انه أعطى صنعة الدروع لتقى المجاهدين مصارع المقاتلين ومقاتل المحاربين . فعلى هذا صار داود روحانيا جسمانيا وسماويا أرضيا فلم يصدّه ذكر الله عن نظام الحروب ودفع الأعداء ولا الانهماك فى الحرب عن ذكر الله وتسبيح الطير والجبال . هاتان الخصلتان يجب أن يزدان بهما المسلمون . فعلى طلاب العلم أن يقوموا بالصلاة خاشعين وبالتسبيح مخبتين وأن يكونوا على علم بنظام الحروب والضرب والكر والفر . ان علماء الدين يجب عليهم أن يكونوا قد تعلموا الصناعة الحربية وليكن منهم قوّاد ماهرون وأىّ فرق بين قائد الجيش وقاضى النفقات النسائيـة بل قائد الجيش أعلى وأوفق لحفظ الأمّة . والأمة قد تركت الجهاد ظهريا . حرام أن ينام المسلمون وأن يقتصروا على عبادة المساجد فهناك عبادة السيوف والرماح والمدافع والعقاقير السامّة والمعمية والقاتلة فليعرفوها وليدرسوها . ومن عجب أن يقول الله ــ وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ــ . طلب منا الله شكر النعمة وكيف نشكر نعمة يا الله فقدناها وما عرفناها بل عرفتها ألمانيا واليابان وانكلترا وفرنسا أما نحن فانا بها جاهلون . ألا فليشكر الله المسلمون بتعلم علوم الحرب كلها من طيارات وأساطيل وليقوموا بحفظ ديارهم . هذا هو الشكر الحقيقى للنعمة . أما التفرّج على أساطيل الأمم والتلهى بحفظ آيات القرآن فذلك لا يبدى ولا يعيد ولا ينفع شروى نقير

﴿ مواهب سليمان عليه السلام ﴾

أما سليمان عليه السلام فان الله تعالى وهبه أن يسخر الشياطين لبناء المحاريب وأمثالها . ووهبه الريح فكانت تسير به مسيرة شهر فى الروحة وشهر فى الغدوة . وهل كان سليمان وجيشه على خشب منظم يجلس عليه هو وجنده فتدخل الريح تحت الخشب فتحتمله . أم ذلك كان بساطا وهو فرسخ فى فرسخ منسوجا من ذهب وحرير وله فى وسطه منبر وحوله منابر من ذهب وفضة وغيرها والناس عليها بحسب مراتبهم ويكون هو وجيشه عليه ويغدو الى بابل أو الى أرض الترك وأرض الصين وانه سار الى أرض السند ومكران وفارس . كل ذلك لا علم للناس به وانما رواه الرواة عن بنى اسرائيل والقرآن ليس فيه إلا ماسمعت فلا نثق بشئ ليس متواترا . فكل مافى الأمر انه سخرت له الريح على مارسمه الله فى القرآن وسخرت له الشياطين تصنع له العجائب

﴿ انظر الذى يهمنا من هذا ﴾

يهمنا من هذا أن الله يقول للمسلمين . انظروا نبيى سليمان سخرت له الريح ولا أسخرها لأحد من بعده بطريق المعجزة لأن هذا خاص بسليمان وحرّمته على من بعده وانما حرّمته لأنى قدمت لكم فى سورة (طه) أن خوارق العادات لا ترقى الأمم ولا تثبت ايمانهم فأنا انما أرقى الأمم بأعمالها لا بظهور الخوارق فيها

فآياتى فى الكون هى هذا النظام العجيب . فاذا كان ذلك عملى فى أرضى وقد قلت لكم ان الريح سخرت لسليمان فكل مايسخر ممكن الوقوع لأن المستحيل لاوجود له واذا أمكن الحصول أمكن التحصيل فالعقول الانسانية يجب عليها البحث . فليبحث أبناء آدم فى الهواء هل يمكن تسخيره بعقولهم وصناعاتهم بحيث لا يكون معجزة بل علما وصناعة . أما ألمانيا وأوروبا فقد عرفوا بعضه واستخرجوا من الهواء (النترات) فأصبحت ذات عمل كبير فى الحرب العامّة ولما انتهت حوّلوا المصانع الحربية التى قوامها على المواد المستخرجة من الهواء الى موادّ أزوتية نافعة فى تسميد الزرع وهناك نحو سبع مصانع فى ألمانيا كل مصنع فيه (٣٦٠٠) تلفونا لمخابرة الناس و بيع هذا السماد العجيب . وهكذا سخر الهواء لحمل الطيارات للتجارات وللحرب وللسفر وللبريد . فالناس بهذا فتح الله لهم فى القرآن باب الرزق من الهواء بطريق الصناعة لا بطريق المعجزة الخاصة بالأنبياء فنام المسلمون وقام بهذا العمل أهل أوروبا وهم لم يستنتجوها إلا من عقولهم وآرائهم واجتهادهم

﴿ تنظيم الدولة ﴾

وأما تسخير الشياطين فى عمل المحاريب فان هذا فرع مما قدّمناه فى سورة (البقرة) إذ وضح هناك أن الأمّة عليها أن تقسم العمل على أفراد الشعب والأعمال جميعها فرض كفاية و يعطى لذوى العقول الضعيفة والأجسام الغليظة الأعمال المذكورة من غوص البحار و بناء القصور

﴿ عجائب هذا المقام ﴾

فبهذا يأمر الله المسلمين أن ينظروا فى ألطف أجزاء الطبيعة كالهواء والى أصلبها كالحديد والى أشق الأعمال الجسمية كعمل المحاريب والى ألطفها وأشرفها كأعمال الملوك

﴿ المبانى العظيمة فى الدول ﴾

وللمبانى العظيمة فى الدولة فوائد تنوير الأذهان وتعليم الأطفال وايجاد أشكال عجيبة تكون ماثلة أمام المتعلمين ترفع من أقدارهم وتريهم الجمال والبهجة وهذه احدى طرق ارتقاء العقول

﴿ الجوهر والدّر والعسل والحرير ﴾

وقد ذكر الغوّاصين المستخرجين الدّر والمرجان . يذكر المسلمين بما يجب عليهم فهذه من إحدى الصناعات الواجبة وجوبا كفائيا . اذا ترك الناس ماخلق الله لهم وأعرضوا عما فى البرّ من العجائب ومافى البحر من الدّر والمرجان أعرض الله عنهم وسلط عليهم من يأخذ الأرض منهم و يستولى عليها لأن الله خلق الدّر والمرجان لينتفع بهما عباده وخلق مافى الأرض وسخره لهم فاذا أعرضوا عنه عاقبهم بأن يستحوذ على أرضهم غيرهم هكذا فعل سبحانه ببعض المسلمين وسينجلى الافرنج عنهم حينما يستيقظون . وان أمثال الدّر والمرجان بهجة وجمال تولى العقول بهجة وتصقلها اذا تأمّلتها وتفكرت فيها . إن الله خلق ألذ المطعومات من حشرة وأنعم وأشرف الملبوسات من دودة وأجلّ الحلى وأجلها من الصدفة . فالأولى النحلة والثانية دودة الحرير والثالثة الصدفة التى تكوّنت فيها الدرارى فى البحار وهذا تقدّم فى سورة الكهف موضحا عند ذكر الحرير

﴿ ذكر قصة أيوب عليه السلام ﴾

قال تعالى (و) اذكر (أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضرّ) أى دعا بأنى مسنى الضرّ بالضم الضرر فى النفس و بالفتح الضرّ فى كل شئ (وأنت أرحم الراحمين) وصف نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرّح بالمطلوب فكأنه يقول أنا أهل أن أرحم وأنت أهل الرحمة والاحسان * يقال انه انما شكا تلذذا بالنجوى ولم يشك تضررا بالشكوى منه فالشكاية اليه غاية القرب والشكاية منه غاية البعد وهذا الأسلوب من الطلب ألطف مايكون فى السؤال . يقال ان أباه كان من أولاد عيص بن اسحق وأمّه من ولد لوط ابن هاران وقد اصطفاه الله للنبوّة وكان له فى أرض خوارزم مع أرض الشام ومابينهما مال كثير وولد فابتلاه

الله بهلاك أولاده بهدم بيته عليهم وذهاب أمواله والمرض فى بدنه مدّة والاختلاف فيها عظيم من (٧) ساعات الى (١٨) سنة فلاطائل فى ذكره * روى أن امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف قالت له يوما لودعوت الله فقال كم كانت مدّة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أستحي من الله أن أدعوه مابلغت مدّة بلائى مدة رخائى (فاستجبنا له) أجبنا دعاءه (فكشفنا ما به من ضرّ) فكشفنا ضرّه (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) بأن ولد له ضعف ما كان . و يقال انه أحيي له أبناؤه وهؤلاء رزقوا مثلهم . فأما كشف الضرّ فذلك انه قال له تعالى ـ اركض برجلك ـ فركض برجله فنبعت عين ماء فأمره أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم أمره أن يضرب برجله الأرض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فأمره أن يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه فصار كأصح مما كان وقوله (رحمة من عندنا) مفعول لأجله أى رحمة لأيوب (وذكرى للعابدين) أى تذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كصبره فيثابوا كثوابه . اهـ

﴿ لطيفة ﴾

انظر فى ترتيب القرآن ولطفه كيف ذكر قصة أيوب التى فيها الصبر على البلاء عقب قصة سليمان التى هى شكر على النعماء . فداود وسليمان شاكران للنعم المترادفة وأيوب صابر للنقم النازلة فأزيلت عنه . قصتان ذكرهما الله إحداهما للشكر والثانية للصبر . إن الانسان لايخلو من صبر ومن شكر فصبر على مكروه وشكر على محبوب فالمحبوب ذكرنا به داود وسليمان والمكروه ذكرنا به أيوب وترى الله يقول ـ إنّ فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ـ فهذا هو الصبار وهذا هو الشكور . ماأعجب هذا الترتيب . إن الله ينزل البلاء وينزل النعماء للتربية . ألا أذكرك بما ذكرته لك فى سورة (البقرة) من ﴿ لغز قابس ﴾ والآيات التى جاءت فى هذا المعنى ـ و بشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة ـ الخ

ألاتعجب معى كيف يذكر القول هناك تصريحا وهنا تلويحا . إن الأمم لاترقى بالنعماء وحدها . كتب (سقراط) الفيلسوف لتلميذه (اسكندر المقدونى) لما ملك بلادفارس واستحكم أمره واستشاره ماذا يفعل بالملك وكيف يسوس الرعية فقال ﴿ لاتدع الرعية فى لهو ولعب ولاتسلط عليهم النعمة وحدها فيهلكوا . إن الأمم تقدر على تحمل المشاق والمتاعب كالحروب والأعمال العظيمة والشغل الشاغل ولكنها قط لاتتحمل النعم وترادف العطايا فما أهلك الأمم إلا رخاؤهم ولا أبقى ملكهم إلا حذرهم و بلاؤهم ﴾ اهـ

و يقال ﴿ اذا رأيت أمّة خامدة فسلط عليها ضروب الرزايا والمحن فانها تستيقظ من غفلتها وتقوم من رقدتها ﴾

إن الأمم أيام حربها تعتريها حال تستخرج علم العليم وكرم الكريم وموهبة الذكى وتحدث فى النفوس حالا عجيبة كأنها استخرجت بالكهرباء أودلكت بالمغناطيس اذا حمى الوطيس وهذا من بدائع القرآن وعجائب الفرقان . ثم اذا قرأت الشعر العربى رأيت هذه المعانى كثيرة فيه * قال أبو تمام

ملك يرى شرف المتاعب راحة * و يعد راحات الفراغ متاعبا

فياأيها الذكي اعلم انك اذا كنت ساعيا فى الأعمال النافعة مخلصا لأمّتك ولربك فان الله يخلصك من كل شدّة ولاتعرف هذا إلا بالتجربة فجرّب أمثال هذه القصص و بها تعرف كيف يكون الايمان

﴿ و يلحق بأيوب اسماعيل وادريس وذوالكفل ﴾

قال تعالى (و) اذكر (اسماعيل وادريس وذا الكفل) سمى به لأنه ذوالحظ من الله والكفل الحظ (كلٌّ من الصابرين) أما اسماعيل فقد صبر على الذبح . وأما ادريس وهواخنوخ فانه كان خياطا وهوأوّل من خط بالقلم وأوّل من خاط الثياب ولبس المخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو أوّل من اتخذ السلاح وقاتل الكفار . وقد تقدم انه هوالذى كان يعظمه المصريون ﴿ انظره فى سورة مريم ﴾ وهونفس ﴿ ازوريس ﴾ وأما ذوالكفل الذى اختلف العلماء من هوفقد تكفل انه يصلى الليل ولايفتر ويصوم النهار ولايفطر و يقضى

بين الناس ولا يغضب فشكر الله له ونبأه فسمى ذا الكفل وهذا صبر عظيم • فهؤلاء الثلاثة صبروا على مشاق التكاليف وشدائد العبادة كما صبر أيوب على البلاء • فهاهو ذا ذكر النعمة بداود وسليمان والصبر على البلاء بأيوب وعلى التكاليف والعبادة بالثلاثة بعده (وأدخلناهم فى رحمتنا) نعمة الآخرة (إنهم من الصالحين) الكاملين فى الصلاح

﴿ قصة ذى النون ﴾

بعد أن ذكر الله الشاكرين ثم الصابرين بجميع أنواع الصبر أتبعهم بذكر ذى النون الذى لم يصبر كصبر هؤلاء على ما ابتلى به فقال (وذا النون) وصاحب الحوت يونس بن متى أى اذكره (إذ ذهب مغاضبا) لقومه ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم بفراقه وفعل غاضب للمغالبة مبالغة فى انه أغضبهم بالمهاجرة من ديارهم ذلك انهم لما تمادوا فى تكذيبه وعدهم بالعذاب فلم يأتهم العذاب لأنهم تابوا فكره أن يكون بين ظهرانى قوم جربوا عليه الخلف فيما أوعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذى رفع العذاب عنهم به فكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده وانه يسمى كذابا لا كراهية لحكم الله وبحث عنه قومه فلم يجدوه لأنه نزل الى سفينة فى البحر هاربا فأخرجه الله من أولى العزم وقال لنبيه محمد ﷺ ـ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ـ وقال ـ ولا تكن كصاحب الحوت ـ ذلك أن ذا النون انطلق الى السفينة فثقلت بمن فيها وأشرفت على الغرق فعمل أهلها قرعة فخرجت على يونس ليرمى فى البحر لتخفيف الحمل فقذف بنفسه فى البحر فالتقمه الحوت مدة اختلف فيها من أربع ساعات الى (٧) أيام • يقول الله انه ذهب مغضبا قومه لأنهم خافوا لحوق العذاب بهم حين تركهم (فظنّ أن لن نقدر عليه) أى لن نقضى عليه بالعقوبة مأخوذ من القدر * وقرئ ـ نقدّرـ مثقلا بمعناه أى لن نضيق عليه (فنادى فى الظلمات) الثلاث بطن الحوت والبحر والليل (أن لا إله إلا أنت) أى بأنه لا إله إلا أنت (سبحانك) من أن يعجزك شئ (إنى كنت من الظالمين) لنفسى بالمبادرة الى المهاجرة * وفى الحديث ﴿ مامن مكروب يدعو بهذا إلا استجيب له ﴾ (فاستجبنا له ونجيناه من الغمّ) بأن قذفه الحوت الى الساحل بعد أربع ساعات كان فى بطنه فيها وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة • والغم غم الالتقام وغم الخطيئة (وكذلك ننجى المؤمنين) اذا دعونا لتفريج غمومهم وذلك لا تعرفه إلا اذا جرّبته بنفسك

﴿ لطيفة ﴾

انظر كيف كان هذا الترتيب العجيب • ذكر أهل الشكر • فأهل الصبر • فالذى ليس بصابر

﴿ قصة زكريا ويحيى عليهما السلام ﴾

قال تعالى (و) اذكر يا محمد (زكريا إذ نادى ربه) دعاه فقال (ربّ لا تذرنى فردا) لا تتركنى وحيدا بلا معين (وأنت خير الوارثين) فان لم ترزقنى من يرثنى فلا أبالى به (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه) أى أصلحناها للولادة بعد عقرها وهكذا كانت حردة على زكريا فأصلحنا أخلاقها له لتحسن عشرته ثم علل ماتقدم كله من اكرام هؤلاء الأنبياء المذكورين بهذه السورة فقال (إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات) يبادرون الى الطاعات ومنهم زكريا ويحيى (ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) فهم مع طاعتهم يفزعون الى الله رغبة فى ثوابه ورهبة من عقوبته ويخشعون له أى يخافون خوفا ملازما للقلوب فلا ينبسطون فى الامور حذرا من الوقوع فى الإثم • فهؤلاء الأنبياء عليهم السلام بطاعتهم وفزعهم فى حالى الرغبة والرهبة الى الله وخشوعهم له • كل ذلك جعلهم أهلا للعطايا التى تقدمت

﴿ قصة السيدة مريم وابنها عيسى عليهما السلام ﴾

قال تعالى (و) اذكر يا محمد (التى أحصنت فرجها) من الحلال والحرام يعنى مريم (فنفخنا فيها من روحنا) أى أمرنا جبريل فنفخ فى جيب درعها فخلقنا المسيح فى بطنها بذلك النفخ • ويصح أن يقال

اجرينا

أجرينا فيها روح المسيح وأضافه اليه تشريفا فان الروح من أمر الله (وجعلناها وابنها) أى قصتهما أوحالهما (آية للعالمين) فان المتأمل لقصتهما يتحقق بها كمال قدرة الله تعالى . ثم ان نتيجة السير المتقدمة فى هذه السورة هى ما يأتى

(١) التذكير بالعلوم العقلية فى قصة ابراهيم وموسى وأن المعوّل عليها

(٢) ازالة الضلالات العائقة عنها وذلك كتكسير الأصنام المذكور و يناسبه تكسير قيود الجهل فى أمّة الاسلام

(٣) قيام الأمم بالأعمال العظيمة كالأبنية المشيدة واستخدام قوى الطبيعة من أصلب الأشياء كالحديد الى ألطفها كالهواء وقيام الأمة كلها بالأعمال من أعلاها كالأنبياء الى أدناها كالجهال وشياطين الانس والجن وأن لايمنع الصلاح القلبى العمل الجسمى

(٤) وأن تتحلى الأمّة بالصبر اقتداء بأيوب عليه السلام حتى يتموا أمورهم ولا يكونوا غير صابرين كذى النون عليه السلام

(٥) وأن تكون الأمّة واثقة بالفرج خاشعة لله راجية منه بما قدّمت من الأعمال الصالحة كزكريا ومريم

(٦) وأن يكون فى عامّتها وخاصتها العفة والوقوف فى الشهوات عند حدّ لأن العفة ممدوحة كما مدحت مريم

هذا هو المقصود من ذكر هذه القصص . علم وصبر وشكر على النعمة أى قولا وعملا وعفة واخلاص واستخدام جميع ماخلقه الله فى الأرض للمنافع العامّة . وهنا ﴿ سؤال ﴾ قال لى قائل . لقد اقتنعنا أن نشغل أمّتنا كلها فى الأعمال النافعة . فى العلم وفى الصناعات ونجتهد فى بلوغ المآرب وجميع أعمال الحياة لاصلاح الأحوال . فمن أين لنا استخدام الجنّ كسليمان . فقلت له نظير الجنّ أى النفوس الشريرة عندنا صغار العقول وأهل الشرّ من النوع الانسانى هم الذين نتخذهم عونا على الأعمال العظيمة وذلك فى كل الأمم . أما الجن وهم النفوس الشريرة فاعلم انه قد جاء فى علم الأرواح أن الأرواح الكبيرة فى هذه الأيام تستخدم الأرواح التى ماتت وهى لاتزال متعلقة بعالمنا الأرضى فى أعمال صغيرة لاتقدر تلك الأرواح العالية على مزاولتها كما نستعمل نحن العتالين والشيالين للأعمال التى يعجز عنها المفكرون منا . فاذا طلب من تلك الأرواح العالية شئ من الأعمال التى هى أقرب الى المادّية قهرت تلك الأرواح العالية تلك الأرواح المادّية على عملها . فهذا من علم الأرواح الذى ملأ أوروبا كما قدّمنا فى هذا التفسير . عجيب جدا . وكيف يجئ فى القرآن أن سليمان سخر الجنّ و يجئ العلم الحديث فيقول بهذا المعنى لكن على هيئة أخرى و بطريق غير ماذكر لسليمان مما يدلنا أن العالم سلسلة واحدة متحدة منتظمة وأن ماهناك من هنا وأن الآخرة والأولى أمران متتابعان متشابهان فقال من أين لنا صدق الأرواح وعلمها . قلت المقام ليس فى صدقها وكذبها انما أنت أتيت بشبهة على الدين وان ماجاء فيه لاتجد له مساغا أقول لك كما ان العلم الحديث أرانا كيف استخدم الناس الهواء لحل أثقالهم ولصنع الأسمدة واجادة الآلات الحربية أرانا من جهة أخرى أن الأرواح الشريرة تستخدمها من هى أعلى منها ويكون ذكر هذا لسليمان فتحا لباب البحث . فعلى المسلمين أن يدرسوا هذا العلم لأن الدين يطلبه . بإقادة الأمّة لامفرّ من دراسة العلوم كلها شرقيها وغربيها لامفرّ منها هاهوذا ديننا هاهوذا . انظروا كيف ذكر فى سورة (طه) الوجه والسبب فى كون خوارق العادات لاترقى أمّة ولاتكون سببا فى بقاء الايمان (وملخص ذلك) أن تهرع الناس الى العلوم العقلية ثم جاء فى سورة (الأنبياء) فأتم العلوم الطبيعية بذكر منابعها وأصولها وهى السموات والأرض وأنهما صارا متميزين بعد الاتحاد ثم تعالى فوق ذلك بذكر قصص الأنبياء ليرينا العلم بقصة ابراهيم والملك بقصة داود وسليمان والصبر بالأنبياء بعده والعفة بذكر مريم وابنها . والقصص مرتبة ترتيبا عجيبا . فموسى لتبيان ماجاء فى خوارق العادات وعدم الاتكال عليه وابراهيم للعلوم وتقوية

القوّة العقلية فالملك فالصبر وختم ذلك كله بالعفة . فالقوّة العقلية مقدّمة ثم انتهى ذلك بالعفة التى هى اصلاح للقوّة الشهوية . فالقوّة العقلية تحتها القوّة الغضبية والشجاعة التى أشار لها بتكسير الأصنام ثم العفة الخ . فتعجب من ترتيب فى ديننا لترقية عقولنا . قوموا أيها العقلاء و يا أيها الأمراء لترقية الشعب وأفهموه كل علم وكل صناعة . إن المسلمين مطالبون بالعلم الذى أنزل على الأنبياء وانتهاج خطة الكمال

﴿ نتائج القصص المذكورة لأمّة الاسلام ﴾

قال تعالى (إنّ هذه أمّتكم أمّة واحدة) يقول الله إن هذه الملة الاسلامية ملتكم حال كونها متوحدة غيرمتفرّقة . واذا كانت هذه ملتكم فعليكم أن لا تنحرفوا عنها وهى فى حال يشار اليها فيها بأنها ملة واحدة غير مختلفة ولامتفرّقة . وملخص ذلك طلب الاتحاد من أمّة الاسلام (وأنا ربكم) لا إله غيرى (فاعبدون) لاغير أى فليكن اتحاد فى النظام العام للأمة واتحاد فى عبادتى . يقول الله هاأنتم أولاء أيها المسلمون قرأتم قصص الأنبياء وعلومهم ورأيتم مشار بهم ودروسهم وقد شرحتها لكم لكيما تنهجوا جميع المناهج التى نهجوها فتعلمون علوم الطبيعة والفلك كما أشار لذلك ابراهيم ولا تركنوا الى خوارق العادات كما يدل عليه قصص موسى ولا تدعوا نظام الدولة كما كان داود وسليمان ولا تذروا الصبر فى جميع الأعمال وفى ترك المعاصى كأيوب ومن بعده وأن تكونوا أعفاء وهذه مزايا الأنبياء متفرّقة جمعتها لكم فى هذه السورة وجعلتكم أمّة واحدة فاياكم أن تتفرّقوا (وتقطعوا أمرهم بينهم) أى وتقطعتم التفت عن الخطاب الى الغيبة كأنه ينقل عن الأمّة الاسلامية ما أفسدوه الى آخرين ويقبح فعلهم و يقول لهم ألا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء المسلمون من الإثم . انظروا كيف غفلوا عن اتحاد هذه الملة وتفرّقوا شيعا وذاق بعضهم بأس بعض وجعلوا الدين قطعا فيما بينهم كما تتوزّع الجماعة الشئ و يقتسمونه فيصير لهذا نصيب ولذاك نصيب (كلٌّ الينا راجعون) فنجازيهم على تفرّقهم وهذا اخبار بالغيب لما سيحصل فى هذه الأمّة الاسلامية وقد حصل فعلا وافترقت سياسة واجتماعا وفرّق بينها بعض رؤساء الدين وقد أعرض الله عن هؤلاء المختلفين وقطعهم بين الأمم كما قطعوا أمرهم بينهم واقتسموه . فقوم نظروا الى العبادات وقوم الى الصبر وقوم الى العفة وقوم أنكروا ذلك بقلوبهم . يقول الله هنا . كلا . خذوا علوم هذه السورة كلها واعملوا بها . فلتكونوا على دين ابراهيم علوما ومعارف وازالة للمنكر وعلى دين داود وسليمان صناعات وملكا وعلى دين أيوب ومن معه صبرا . فأما أخذكم أيها المسلمون ببعض الدين علما أو عملا فهذا تقطيع لما جمعناه فى هذه السورة ولذلك أعرض عنهم فلم يخاطبهم وقال ـ وتقطعوا أمرهم بينهم ـ

هذا هو الحاصل الآن فى أمّة الاسلام . أعرضت عن العلوم الطبيعية والفلكية وقد أحبها ابراهيم وأعرضت عن نظام الممالك وقد أحبها سليمان وأعرضت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقد أحبها ابراهيم وغيره لذلك أعرض الله عنهم ولم يخاطبهم و بخنا ولذلك قطعنا بين الأمم كما قطعنا ديننا قطعا لكل جماعة منا قطعة

يقول الله . أموا الدين كله على حسب ما فى هذه السورة والأهلكتكم بتوزيعكم بين الأمم كما قطعتم دينى وقد ذكر قطع بلفظ الماضى لبيان أنه محقق وقد تمّ هذا وهذه من إحدى معجزات الاسلام

﴿ نظرة ﴾

يا أمّة الاسلام . هل من مدّكر . هل من متفكر . انظروا كيف يعبر بلفظ قطعنا وهى فعل ماض تدل على التحقق فى المستقبل من باب المجاز بالاستعارة كقوله ـ أتى أمر الله ـ . انظروا كيف تمّ هذا . انظروا كيف عبر بتقطعوا أمرهم بينهم أى اقتسموه بحيث أخذ كل جماعة منه بشئ . انظروا كيف تمّ ذلك فعلا . انظروا كيف تقطعتنا الأمم واقتسمتنا كما اقتسمنا العلوم والمعارف بيننا فكل أخذ ببعض وترك بعضا . انظروا كيف كان هذا اشارة منه تعالى الى أن هذا التقطيع يلزمه تقطيعنا وتقسيمنا بين الدول . نعم القرآن لم يذكره ولكنه يفهم ضمنا لأنه فيما سيأتى يقول ـ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها

عبادى الصالحون ـ وسترى تفسيرها . فالله يقول لنا تقطعتم وتوزعتم واقتسمتم الدين فكل أخذ بقطعة ومن أخذ ببعض القطع فهوناقص والناقص ليس صالحا لعمارة الأرض . فإذن لابد أن أرسل أمما أخرى تشارككم لتكمل النقص فان كنتم جهالا بالعلم جؤا هم وعمروا أرضكم وشاركوكم وان كنتم ناقصين فى ازالة المنكر أرسلتهم ليدربوكم . فاذن هذه الآية قد ذكرت استعمار أوروبا لبلاد الاسلام بانضمام الآية الآتية اليها وذكر التقطيع اشارة الى تقطيع دولنا بين دول أوروبا وتقسيمها لنا وكأن الله سبحانه وتعالى أبقى ممالكنا تحت أيديهم حتى تظهر معجزة هذه الآيات وينشر هذا التفسير وأمثاله وتظهر المعجزة الدينية ثم يخرج المسلمين من ضيقهم وتبقى هذه الذكرى ماثلة عند الأجيال المقبلة وتصبح الأمم الاسلامية المستقبلة رشيدة بالاختبارات التى حصلت عليها ويكون تمامها إن شاء الله معرفة الناس هذه العلوم وتحصل حركة كبرى لامرد لها وسيراها المسلمون جميعا بعد انتشار هذا التفسير وأمثاله وستكون أمة لانظير لها فى الأمم كما سيأتى فى آخر السورة شرحه

﴿ افتراق الأمة الاسلامية فرقا تبلغ نيفا وسبعين فرقة ﴾

قد ذكر المفسرون فى هذا المقام قوله ﷺ ﴿ تفرقت بنو اسرائيل على إحدى وسبعين فرقة فهلك سبعون وخلصت فرقة وان أمتى ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة فيهلك إحدى وسبعون فرقة وتخلص فرقة واحدة قالوا يارسول الله من تلك الفرقة الناجية قال الجماعة الجماعة ﴾ والمراد بالجماعة هم المتمسكون بعلوم هذه السورة فيحفظون كيان دولتهم ويكونون علماء بجميع الفنون والصناعات ويقتسمون جميع أعمال الحياة بينهم ملكا وعلما وصناعة كما تقدم . وقد طعن قوم فى صحة هذا الخبر لأن الأمة لم تفرق فى أصول الدين بهذا المقدار . وقد روى ضد هذا أيضا ﴿ وهوانها كلها ناجية إلافرقة واحدة ﴾ وعلى كل حال الآية باقية وعلمها قد اتضح الآن وأن أمة الاسلام التى اختلفت فى أعمالها لاسعادة لها إلا اذا بذلت الجهد فى الارتقاء كرة أخرى والا فبالله كيف يقول الله لنا انه علم داود صنعة الدروع لعلنا نشكره فأين شكر الله الآن ونحن أجهل الأمم بعلوم الحرب واتقانها وقد سبقتنا أوروبا بها . رحماك يا الله . رحماك يا الله . أمة دينها يحرم عليها الحرب تنبغ فيه وهم أمم النصارى وأمة ينص دينها على أن الله مشكور على تعليمهم الحرب فتجهل أسبابه . رحماك اللهم . أمة الاسلام نامت ونامت فعلمها اللهم ـ إنك أنت السميع العليم ـ

﴿ فتح باب الرجاء لأمة الاسلام ﴾

لما ذكر الله افتراق الأمة وأنه واقع لامحالة وأن تعاليم الأنبياء السابقة سيقصرون فيها وأنه يلزم ذلك أن تقتسمهم الأمم أردفه بفتح باب الرجاء فقال (فمن يعمل من الصالحات وهومؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون) أى فلاتضييع لسعيه وإنا لسعيه مثبتون فى صحيفة عمله لانضيعه بوجه ما فيقبل الله توبة الأفراد وتوبة الأمم . فأمة الاسلام متسع أمامها باب الفرج فلاييأس من رحمة الله

﴿ جوهرة فى قوله تعالى ـ والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين ـ الى قوله تعالى ـ إن هذه أمتكم أمة واحدة ـ الى قوله ـ كل الينا راجعون ـ ﴾

اعلم أن أرضنا التى نسكنها تبين اليوم فى علم الفلك انها كالعدم وبيانه أنهم أثبتوا حديثا أن الفضاء فيه أجرام عظيمة هى الكواكب والمجرات فكل مجرة مركبة من مئات الملايين من الكواكب ومجرتنا التى منها شمسنا فيها نجوم نسبة شمسنا اليها ضئيلة جدا حتى ان الجوزاء حجمها أكبر من حجم الشمس ٢٥ مليون مرة . قالوا ولوأن أرضنا صغرناها حتى صار حجمها كحجم الجوهر الفرد (ومعلوم انه لايرى) لصار حجم الكون الذى يرى بالتلسكوب مثل حجم الأرض الحالى ولصار حجم الكون كله على ما يقضى به مذهب (أينيشتين) ألف مليون أرض منتشرة حولها فى الفضاء . إذن أرضنا على مقتضى تقريب هؤلاء العلماء عالم لاقيمة له صغير جدا وعلى قدر صغره يكون قدر سكانه وأخلاقهم ، وأشار الله لذلك بقوله ـ لقد كفر الذين قالوا إن الله

هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيأ إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض ومابينهما يخلق مايشاء والله على كل شئ قدير ــ

فانظر لجهل هذا الانسان الذى أظهره العلم الحديث وأشار له القرآن واعجب لنظام الآية فى سورة (المائدة) حكم الله بكفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ، لماذا كفروا ، لأن الأرض ومن عليها لاقيمة لهم بالنسبة لمخلوقاتنا فانا قادر أن أهلك هذا الاله الذى ادّعيتموه وأهلك أمه وأهلك من فى الأرض جميعا ، فيقال ولماذا هذا ، فيقول وكيف أبالى بهؤلاء وأرضكم بالنسبة لمخلوقاتى أشبه بالمعدوم . فكيف أتخذ ولدا لى فى عالم لاقيمة له ، ألم تروا انى أملك السموات والأرض وأنا على كل شئ قدير ، فاذا كانت أرضكم أصبحت بالنسبة للعوالم أشبه بالجوهر الفرد بالنسبة لألف مليون أرض فقد انقلب الوضع فبعد أن كان أهل الأرض مغترّين بأرضهم ظانين هذه الكواكب كأنما هى إلا سرج وضعت فى السموات لتضىء لأهل الأرض أصبحت الأرض اليوم ملحقة بالعدم وسكانها أضعف منها وأقلّ حيلة ، إذن سكان هذه الأرض قد اغترّوا بأنفسهم حين جعلوا لله ولدا فى أرضهم الفانيــة الضعيفة المعدومة فى جانب مخلوقاتى ، هــذا كله يفهم من قوله ــ ولله ملك السموات والأرض ــ الخ ، يقول الله هنا ان المسيح ابن مريم وأمه جعلناهما آية للعالمين لا انه إله ومن هى أمه ومن هم أهل الأرض حتى يكون لى ابن فيهم ، ولما كانت قصة مريم وعيسى آخر أنباء الأنبياء فى هذه السورة خاطب الله جميع الأمم شرقا وغربا فقال أيها الناس إن هــذه الملة واحدة فان جميع الأنبياء انما جاؤا بالتوحيــد فلم تتفرّقون ثم أتبعه بما يدل على حقارة الأرض ومن عليها كما جاء فى حكاية عيسى سواء بسواء ، فهنالك يقول انه لا أحد يقدر أن يدفع الاهلاك عن الأرض ومن عليها ، وهنا يقول أيها الناس أمّتكم واحدة فلم اختلفتم

ان محمدا وموسى وعيسى ومن قبلهم من أنبياء جميع الأمم كلهم واحــدة نزلوا لاجتماع الكلمة فتفرّقتم أنتم وانما تفرّق الناس لأن عالم الأرض عالم متأخر ، فاستعداد أهــل الأرض ضعيف لايقوى على الاتحاد من أوّل وهــلة فقد استبان ضعف أهــل الأرض التى نسكنها بقراءة علم الفلك الحــديث وبه استبان علما لماذا لايبالى الله باهلاكهم جميعا واستبان أيضا ، لماذا تفرّقوا مع أن الدين واحد فالأنبياء كلهم جاؤا لمقصد واحد وهو اتحاد الأمم ولكن الناس لجهلهم قلبوا الوضع فجعلوا ماهو سبب الاتحاد سببا فى الخلاف ثم هدّدهم بقوله ــ كل الينا راجعون ــ

الله عزّ وجل نادى جميع الأمم على لسان نبينا محمد ﷺ قائلا لهم إن أمتكم واحدة ، وفى هذا النداء رائحة اتحاد الأمم وربما يتمّ هــذا أومايقرب منه فان لم يتحدوا على دين واحــد فليتحدوا على المسالمة والمسالمة العامة من مطالب الاسلام بل أهم مطالبه . ولقد ألفت لذلك كتاب ﴿أين الانسان﴾ الذى ذكرته كثيرا فى هذا التفسير ولخصه أهل أوروبا وستقرأ ذلك التلخيص فى الأجزاء الأخيرة من هذا التفسير ، ومقتضاه أن كل أمة تعــلم الرجال والنساء على حدّ سواء وتستخرج ماكمن فى الأرض ومن عنــدهم أرض لاعامل فيها يجب عليهم أن يقبلوا فى أرضهم من يعمل فيها ويكون هذا فرضا لازما على الأمم وهكذا مما ستقرؤه ، وهذه الأمنية تدور على الألسنة فى كل زمان ومكان ومنها ماجاء فى الأخبار العامة يوم الأربعاء ٨ أغسطس سنة ١٩٢٨ وهذا نصه

﴿ افتتح المؤتمر الاشتراكى الأممى أمس الأوّل فى بروكسل بحضور ستمائة مندوب يمثلون (٣٢) أمة من الأمم الغربية والشرقية ، واذا عرفنا أن الأحزاب الاشتراكية بلغت من القوّة درجة استطاعت معها أن تتولى زمام الحــكم فى بعض الدول كألمانيا وسكنديناڤيا وأن تؤلف معارضة قوية فى البعض الآخر كفرنسا وانجلترا أدركنا ماسيكون لمقرّرات المؤتمر الذى تعقده الآن فى عاصمة البلجيك من التأثير العظيم فى سياسة العالم ، ويؤخذ من خطبة الافتتاح التى ألقاها السر (أرنور هنــدرسون) أن الاشتراكية الدولية عيل صبرها من تردّد جمعية

الأمم وتذبذبها وانها تنوى احراج مركزها فى اجتماعها المقبل وحملها على تحديد خطتها تحديدا صريحا يعزز الآمال المعقودة عليها أو يفقدها الثقة التى وضعها البشر فيها . ولا ريب فى أن مندوبى معظم شعوب العالم ولاسيما الشعوب الصغيرة فى هذه الجمعية غير مرتاحين الى أعمالها يتذمرون فى سرهم من ضعفها واستكانتها ومن سيطرة المجلس عليها سيطرة جعلها آلة فى يد الدول العظمى . وقد بدأ هذا التذمر يظهر منذ الاجتماع السابق ولا يبعد أن يتحول الى انفجار شديد فى الاجتماع المقبل خصوصا اذا اتخذ المؤتمر الاشتراكى الحالى قرارات حاسمة فى الموضوع ﴾

ومما قاله المسيو (فندرفلد) الوزير البلجيكى السابق فى أول جلسة عقدها هذا المؤتمر ان الاشتراكية الدولية يجب أن توجه أنظارها الآن الى (آسيا) و (افريقية) حيث يعمل الرأسماليون على استنزاف دم الوطنيين وهى كلمة خطيرة لا يسع حكومات الاستعمار اهمالها أو سد الآذان عن سماعها لأنها صدى ذلك الصوت الهائل الصادر من أعماق الشرق منذرا العالم بسوء المصير . وقد كان أحرار الغرب وفى مقدمتهم الاشتراكيون أول من أدرك خطورة الحالة وسعى الى معالجتها ودرء أخطارها . ولكن الجشع الاستعمارى الذى أصبح طبيعة ثانية للشعوب القوية حال دون نجاحهم فى الماضى . أما الآن وقد لمس الغرب الحقيقة بيديه ورآها بعينى رأسه سواء فى تركيا وايران أو فى الصين و بلاد الأفغان فلم يبق له مناص من الاذعان لصوت الحق تأمينا لمصالحه ودرأ للأخطار التى تهدده وقد تناول برنامج المؤتمر المنعقد الآن فى بروكسل هذا الموضوع فقسم الشعوب الشرقية الى ثلاثة أقسام وهى

(١) الشعوب التى هى جديرة بالاستقلال التام ويجب أن تتمتع به فى الحال و بينها الصين ومصر وسورية والعراق

(٢) الشعوب التى تصير كفؤا لادارة شؤنها بنفسها بعد تمرن قصير وهذه الشعوب يجب أن تساعدها الدول على ذلك وفاقا للقواعد التى سيقررها المؤتمر الاشتراكى بحيث تصبح بعد مدة قليلة أهلا للتمتع باستقلالها التام

(٣) الشعوب التى لا ينتظر أن تبلغ قريبا الى درجة تؤهلها لادارة شؤنها بنفسها كبعض الشعوب الافريقية وسينظر المؤتمر فى شأنها ويقرر التدابير التى يراها ضرورية لصيانتها من عبث الدول الاستعمارية ومن سوء استعمال سلطتها وقوتها . وقد وافقت اللجنة التحضيرية للمؤتمر الاشتراكى الأممى التى عقدت فى بروكسل فى شهر يونيو الماضى على قبول مندوبى هذه الشعوب فى المؤتمر ضيوفا وخبراء للوقوف على آرائهم فى شؤن بلادهم وسماع مطالبهم ونيل موافقتهم على القرارات التى تتخذ ويكون لها صلة بشعوبهم . وسيعهد فى تنفيذ هذه القرارات الى الأحزاب الاشتراكية فى مختلف البلدان . فالبلاد التى يسيطر الاشتراكيون على حكومتها تدعى الى تنفيذ مقررات المؤتمر فى الحال . أما البلاد التى يكون فيها الاشتراكيون فى جانب المعارضة فيجب استعمال جميع الطرق للتأثير فى حكومتها وحملها على تنفيذ هذه القرارات فى أقرب وقت ممكن بالتعاون مع جمعية الأمم ومع جميع الأحزاب الاشتراكية فى العالم . وهكذا تقف الاشتراكية الدولية موقفا صريحا بازاء الاستعمار أساسه المنطق والعدل فتكافحه فى البلاد التى تعدها جديرة بالاستقلال التام وتحاول تقييده فى البلاد التى لم تبلغ درجة من الرشد السياسى تؤهلها الى هذا الاستقلال وتحاول اصلاح وتخفيف أضراره فى البلدان التى لاتزال متأخرة فى مضمار الحضارة والعرفان . وهذه خطوة واسعة تخطوها الاشتراكية الدولية الآن فى سبيل سلم البشر وراحتهم وطمأنينتهم وقد راعت فيها المنطق كما راعت مصالح الشعوب الحاكمة والمحكومة فلم تلجأ الى التطرف فى مطالبها شأن بعض الأحزاب المتطرفة ولم تقل بقول الرجعيين والرأسماليين الذين يجدون باستعباد الشعوب لذة تنسيهم الأخطار التى تهددهم من جراء هذا الاستعباد بل تقدمت بمطالب معقولة يقرها

جميع الأحرار وأنصار الحق والعدل من كل حزب وفى كل بلاد . فعسى أن تكون هذه الخطوة مقدمة لتسوية العلاقات بين الشرق والغرب على أساس ثابت وطيد الأركان وأن تتلوها خطوات أخرى من جانب الحكومات المختلفة تؤدّى الى تعزيز السلم وتكون فاتحة عصر جديد يسوده الامن والرخاء فى ظل العدل المنظم ﴾ اهـ

هذا ماوصل اليه الاشتراكيون أثناء طبع هذا التفسير . ولايدرى إلا الله ماذا يفعل هذا الانسان الذى سماه الله ــ ظلوما جهولا ــ وقال فى حقه ــ قتل الانسان ما أكفره ــ

ومن عجب أن كلام الاشتراكيين المذكور هنا فى الأمم المتوحشة قد اقترب بعض الاقتراب مما ذكرته فى ذلك التفسير فانى رأيت أن المتوحشين كما أشرت اليه فى أوّل سورة (طه) يستحيل عليهم فى رقيهم بأقرب الأمم اليهم ، فأهل مصر وأهل السودان المصرى هم الذين يكونون سببا فى رقى أقرب البلاد اليهم من أهل افريقيا وهكذا . وقصارى الأمر وحاداه أن هذا العالم جيل تام ولكن أهل الأرض من العوالم المتأخرة فهم أقرب الى النقص لا الى الكمال ولكنى أرجو أن تكون الحركة الجديدة فى العالم مبشرة بالاتحاد كما يشتم من قوله تعالى ــ إن هذه أمتكم أمة واحدة ــ

﴿ زيادة ايضاح لهذا المقام ﴾

يقول الله هنا ــ وأنا ربكم فاعبدون ــ ويقول فى ﴿آل عمران﴾ على لسان عيسى ابن مريم ــ ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه ــ ويقول المفسرون هناك ان هذه الجملة قد جمعت كل دين فى الأرض لأن الدين انما هو علم وعمل والعلم يرجع الى ربى وربكم والعمل يرجع الى العبادة فى قوله ــ فاعبدوه ــ وهذا تقدّم هناك ولكن هنا جاء بالجملة موجزة لاعلى لسان عيسى ولاعلى لسان غيره بل أرسلها الله من تلقاء نفسه لأن المقام هناك فى عيسى فجاء القول على لسانه . أما المقام هنا فهو فى الأنبياء المذكورين هنا فلذلك خاطب الله الأمم كلها هنا بنفسه . يخاطب الله الأمم كلها جيلا بعد جيل . يخاطب الله أهل آسيا وافريقيا وأوروبا وأمريكا والاوقيانوسية وسكان الجزائر فى البحار بقول موجز . يخاطبهم جميعا بهذه الجملة الموجزة والموجز دائما كلام الملوك فما بالك بملك الملوك بخلاف هذه الجملة نفسها على لسان عيسى فهى ليست فى ايجاز هذه الجملة لأنها على لسان عبد من عباده وهو عيسى . يقول الله هنا ــ وأنا ربكم ــ أى أنا المربى لكم والتربية ظاهرة فى قوله تعالى ــ الحمد لله رب العالمين ــ وليست تعرف هذه الجملة إلا بما عرف به القسم الأوّل من الفاتحة فاقرأه هناك . لعمرى كيف يعقل الناس تربية الله للعالمين ورحمته لهم من غير دراسة العوالم العلوية والسفلية وملاحظة التربية على وجه أخص فى عوالم النبات والحيوان كما تقدم فى سورة (الفاتحة) وفى سور أخرى لاسيما ماتقدّم قريبا فى سورة (طه) عند قوله تعالى ــ الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ــ فانه تقدّم هنا ماظهر من الفرق بين جنين السمك وجنين المرأة وجنين الدجاجة وجنين دود القز وجنين حشرة أبى دقيق وكيف رأينا من هذه الأجنة غزالا نساجا ومغتذيا بالدم أو بمادّة زلالية أوغير زلالية حفظت له كما فى الحيوانات اللبونية والدجاج والسمك ــ إنّ ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ــ هكذا لابد من معرفة عوالم السموات وكيف ربيت فى عصور قديمة وماتراه فى سور كثيرة كيونس والأنعام . وهكذا ترى بعض الحيوانات والحشرات فى سورة (النحل) وفى (هود) وفى (مريم) وغيرها . كل هذا لابد منه لمعرفة قوله تعالى ــ وأنا ربكم ــ وقوله ــ فاعبدون ــ راجع للقسم الثانى من (الفاتحة) من اننا نعبده ونستعين به ونطلب منه الهداية للصراط المستقيم صراط المنعم عليهم . فاذا كان الله بهذه الصفات من التربية والرحمة فعلى هذا النوع الانسانى أن يعاون بعضه بعضا فى تربية المجموع وهذا النوع الانسانى لم يظهر منه الاخلاص العام والصدق فى المنفعة العمومية لسائر الناس نعى الله على الناس تقاطعهم . يقول أنا ربيتكم ورحمتكم . أضأت شمسى وقمرى لأنير سبلكم وخلقت بحارا وأنهارا وجبالا ومزارع ودواب . كل ذلك لتربيتكم ولكنكم أنتم أيها الناس تجهلون قدرى ــ وما

قدروا الله حق قدره ــ ولوكنتم تعاونون قدرى لكان بعضكم لبعض فى الشرق والغرب ظهيرا . لذلك كان علىّ أن أقول ــ وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين ــ

إن هذا النوع الانسانى لن يكون قائما بأمرى إلا اذا تعاون جميع الناس فى الأرض شرقا وغربا وعلى المسلمين حاملى هذا الكتاب أن يكون أوّل الأمم قوّة و بأسا ثم هم الذين يقومون ببث فكرة التعاون العام بين الأمم . فان لم تقم الناس بحق الربوبية حقت عليهم كلمتنا وهى ــ وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون ــ وهؤلاء يرجعون الينا غير كامل أكثرهم بل هم جاهلون غافلون . انتهى يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٢٨ م

﴿ خاتمة الأمم . قيام الساعة ﴾

ولما كانت أمّة الاسلام وغيرها خاتمتها قيام الساعة وخراب الأرض أردفه بقوله (وحرام) وواجب (على قرية أهلكناها) صفة لقرية (أنهم لايرجعون) أى واجب على كل أمة أهلكناها عدم رجوعهم الى الحياة أو وممنوع على قرية أهلكناها أنهم يرجعون بزيادة لا . وكلا المعنيين مقبول لأن حراما جاء بمعنى الواجب واستعمال الشئ فى ضده مجازا مقبول فى كلام العرب * قالت الخنساء

وان حراما لا أرى الدهر باكيا * على شجوة الا بكيت على عمرو

فحرام بمعنى واجب فى البيت وزيادة لا كثيرة فى القرآن وغيره وكلاهما يفيد أن من هلكوا لايرجعون الى الدنيا قطعا . ثم بين نهاية الوقت الذى فيه يمتنع الرجوع للحياة فقال (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) أى يستمر الامتناع من الرجوع أووجوب عدم الرجوع الى ظهور أمارات الساعة وقيامها وحتى هذه هى التى تحكى بعدها الجمل وقوله (وهم من كل حدب) نشز من الأرض أو ــ جدث ــ فى قراءة أخرى أى قبر (ينسلون) يسرعون النزول من الآكام والتلال . يقول الله لاتزال حياة الناس الذين ماتوا وهلكوا ممتنعة فلايرجعون حتى تقوم الساعة وتظهر أماراتها والناس من كل حدب ينسلون (واقترب الوعد الحق) وهو القيامة (فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا) والفاء هى واذا التى للمفاجأة تظاهرتا على ربط الجواب بالشرط والجواب قوله ــ هى شاخصة ــ الخ وهى ضمير القصة . المعنى أن الناس لايرجعون للحياة حتى تزلزل الأرض زلزالها وتختلط الأمم ويختل نظام الأرض فتموج الأمم بعضها فى بعض بتفرّق أجزائها لافرق بين يأجوج ومأجوج وغيرهما . فإذن ذكر يأجوج ومأجوج رمز لاختلال الأرض وخرابها كأنه قيل اذا اختلطت الناس وماجت لخراب الأرض ــ واقترب الوعد الحق ــ هناك تشخص أبصار الذين كفروا إذ يقومون من قبورهم أى ترتفع أجفانها فلاتكاد تطرف من هول ماهم فيه يقولون (ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا) لم نعلم انه حق (بل كنا ظالمين) لأنفسنا بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر . فالقصد من فتح يأجوج الرمز لخراب الأرض وقد قدّمنا فى سورة الكهف من هم يأجوج ومأجوج وأين مساكنهم . وعليه يكون القصد هنا اختلال حال الأرض وخرابها كما كان يختل بهم نظام الأمم حين يخرجون عليها كما تقدّم فى سورة الكهف وهناك مقال واسع مستوفى فلانعيده هنا

﴿ خطاب الله للكفار وتذكيرهم بما يكون يوم القيامة ﴾

قال تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله) من الأصنام وابليس وأعوانه الذين أطعتموهم (حصب جهنم) حطبها وقرئ ــ حطب ــ (أنتم لها واردون) داخلون فيها * فقال ابن الزبعرى أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح و بنومليح عبدوا الملائكة فقال عليه الصلاة والسلام بل هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك فنزل ــ إنّ الذين سبقت لهم منا الحسنى ــ الآية (لوكان هؤلاء آلهة ماوردوها) لأن الذى يعذّب لا يكون إلها (وكل فيها خالدون) لاخلاص لهم (لهم فيها زفير) أنين وتنفس شديد (وهم فيها لايسمعون) من الهول وشدّة العذاب أولايسمعون مايسرهم (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) الخصلة الحسنى

وهى السعادة والتوفيق والبشرى بالجنة (أولئك عنها مبعدون) لأنهم يرفعون الى أعلى عليين والذين سبقت لهم الحسنى أعم من المسيح وعزير وغيرهما من المؤمنين (لا يسمعون حسيسها) صوتها وحركة لهبها اذا نزلوا منازلهم فى الجنة (وهم فى ما اشتهت أنفسهم) من النعيم والكرامة (خالدون) مقيمون (لا يحزنهم الفزع الأكبر) النفخة الأخيرة (وتتلقاهم الملائكة) تستقبلهم على أبواب الجنة يهنؤنهم ويقولون (هذا يومكم الذى كنتم توعدون) فى الدنيا . يقول الله وتتلقاهم الملائكة (يوم نطوى السماء) طيا (كطىّ السجل) أى الطومار وهى ما يكتب فيه الكاتب (للكتب) أى للمعانى الكثيرة المكتوبة فيه . يقول الله يوم نطوى السماء فنجعلها محوّة الرسوم ذاهبة الأثر مكوّرة النجوم بحيث نرتق فتقها فكما فتقنا الأرض منها نرتقهما ونجعل العالم المشاهد محوّلا مغيرا ثم ندخل تلك الآثار فى حال جديدة فنخلق أرضا جديدة وكواكب أخرى بعد حين وهكذا نخلقكم كذلك للحشر كى تحاسبوا فنحن نرجع الناس للحياة ونغير طراز هذه الدنيا فنجعلها عالما جديدا غير هذا كما نحشركم فى حال أخرى غير هذه الحال وهذا قوله (كما بدأنا أوّل خلق نعيده) فكما خلقناه أوّلا نعيده فنعيد الناس ونعيد هذه العوالم فى حال أخرى – يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات – راجع للثانى – وبرزوا لله الواحد القهار – راجع للأوّل . فتعجب كيف تطابق القرآن فى الموضعين وكانت تلك الآية تفسيرا لهذه (وعدا علينا) مصدر مؤكد لما قبله (إنا كنا فاعلين) ذلك لا محالة هذه هى قصة الانسان فى حشره وقصة عالمنا يوم حشرنا

﴿ لطيفة ﴾

من العجائب أن الله فى أواخر هذه السورة يذكر لنا أن السموات والأرض يعيدها كما بدأها وفى أوّل السورة أرانا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقهما . ومن أبدع مايراه العلم الحديث أن علماء العصر الحاضر يقولون ﴿ الدليل على أن الأرض كانت كرة واحدة مع الشمس وأن الأرض وجميع السيارات قد فصلت من الشمس . انهم يرون بالآلات الفلكية والمناظير المقرّبة أن هناك ستين ألف كوكب تتكوّن وهى فى حالها الفطرى الأولى بصورة نارية فبعضها لايزال فى أوّل التكوين وبعضها قارب أن يتم نظامه . انظره فى كتاب ﴿ قراءة الدنيا الواسعة ﴾ فى علم الجغرافيا باللغة الانجليزية فى أوائل الكتاب . وأيضا لزحل حلقات حوله مضيآت متأهبات للانفصال منه كما انفصل القمر عن الأرض . وقد تقدّم رسمه فى سورة الأنعام ﴾

هذه هى العجائب التى كشفها العلم الحديث فلنفسر بها القرآن ولنقل هذه معجزة أخرى . قد ذكر الله فى أوائل السورة أن الشمس كانت مع الأرض فميزهما وهاهوذا هنا يقول سأعيد العالم لحاله الأولى فيعيد الشمس والكواكب بعد رجوعها للحال الأولى فيجعلها كما هى الآن أيضا ويجعلنا فى حياة جديدة فى عالم الآخرة فى جنة أونار وهذه معجزات عجيبة للقرآن . فانظر كيف ذكر العالم الحيوانى والنباتى وغيرهما فى سورة (الحجر) كما قدمنا مرارا وفى سورة (النحل) مرّتين الى أن وصل الى سورة (الأنبياء) فذكر منشأ العالم ثم هاهوذا يفهمنا كيف يرجعه . إن هذا هو منطوق العلوم التى عرفها الناس . فلتتعجب معى ولتقرأ كل علم وكل صناعة . ومعناه أن الأمّة تجدّ فى جميع العلوم والصناعات وكل طائفة تقوم بأحدها والله هو الولى الحميد

﴿ زيادة ايضاح لقوله تعالى – كطى السجل للكتب – أيضا ﴾

ليت شعرى لم اختير التعبير بهذا التشبيه . نعم اختير ذلك لما فيه من الايجاز العجيب المشتمل على معنى كبير . ألم تر الى ماذكرته لك من أن السموات والأرض ترجع الى حال أخرى لطيفة جدّا تدق عن الابصار وتدخل فى معمل الطبيعة حتى تكون مغمورة فيها تائهة بين أجزائها فى وسط العالم اللطيف الذى يسمى الأثير وهو مادّة ألطف من النور وجميع العوالم مغمورة فى بحرها اللجى . فاذا رجعت هذه العوالم لذلك العالم طويت صورها وخفيت رسومها ولم يظهر مانرى من جمال وكمال وعمل وصور وعجائب بل يكون كامنا فيها كمون

النار فى الأحجار والكهرباء فى المواد المحسوسة . فانظر كيف تحمل عناصر الأرض والشمس والكواكب صورا كامنة فيها . وكيف يكون استعدادها منطويا على صور متتالية أدوارا وأدوارا وأجيالا وأجيالا ودهورا ودهورا . كل ذلك قد اختفى وانطوى فى تلك المادّة المنحلة من عالمنا المغمورة فى الأثير المعدة للظهور كرة أخرى . أتدرى أين تلك المعانى كلها . كلها قد جمعت وطويت تحت قوله ــ كطى السجل للكتاب ــ أو ــ للكتب ــ على القراءتين أى كما ينطوى الطومار أو القرطاس على المعانى فتحجب . أليست الطبيعة كتابا . أليست الصور فيها مكتوبا يكتب للناس فيقرؤنه . أليس طيها بعد نشرها اخفاء لتلك المعانى التى كانت مجسمة فصارت خفية . أليست تلك الصور البديعة المخبوءة فى عوالمنا بعد فنائها أشبه بما يكتب فى الكتب فيكون حروفا صغيرة يستخرج منه أعمال وآراء كثيرة . فجلّ العلم وجلّ الدين وجلّ مبدع الكون

بمثل هذا تعرف بلاغة القرآن . بمثل هذا فليفهم المسلمون الكتاب الحكيم . ليقرأ المسلمون صحائف السموات وصحائف الله فى الأرض . فالله يقول انها ككتاب يطوى فى يمينه يوم القيامة . ومقتضى هذا أنه كتاب منشور الآن لأن مايطويه غدا هو ماينشره الآن . إن العوالم التى نسكنها اليوم جميلة . إنها كتاب يدرس . إن الله بهذه الآية يقول لنا ادرسوها واعقلوها . إن القرآن يقول هنا كتابكم الآن منشور وغدا يطوى . يقول الله ان الأرض والسموات صحائف منشورة هى كتابى فاقرؤه وافهموه واعرفوا نظامى تعرفوا مقامى . هكذا يقول الله هنا ــ لمثل هذا فليعمل العاملون ــ وفى مثل هذا فليتنافس المتنافسون ولهذا فليقرأ المسلمون . ليقرإ المسلمون كتاب ربهم الذى كتبه بيده ثم يطويه بيمينه . فليقرؤه وليفهموا ما سيأتى بعد وهو ﴿ أى الأمم أحق بالملك فى الأرض اليوم وبالجنة فى الآخرة ﴾ (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) لقد كتب الله عنده وأثبت فى علمه القديم الذى لاسهو معه ولاغفلة ولانسيان أن جنس الأرض سواء أكانت أرض الدنيا أم أرض الجنة يرثها عباده الصالحون لها . واذا كتب الكاتب شيأ وأثبته وهو ذاكر غير ناس ولاغافل كان ما كتبه لابد أن يتمه و ينفذه فعبر الله عن هذا بأنه كتبه بعد الذكر الذى بسببه لاينسى المكتوب أو كتب فى الزبور أى جنس الكتب السماوية المنزلة من بعد اللوح المحفوظ ماتقدم . ثم انظر أيضا كيف قال الله ان السموات والأرض بعد فنائهما يكونان كتابا مطويا أى كما كانا مطويين يوم كانتا رتقا وفيهما انطوى هذا العالم وهاهوذا يظهر الآن على مقتضى ماطوى فى صحائف السموات والأرض واستعدادهما ولايبرز شئ إلا على مقتضى الاستعداد ومن ذلك انه كتب فى الزبور أن الأرض الخ

﴿ تقسيم الصلاح وكيف يكون ﴾

اعلم أن الله عزّوجل لايضع شيأ فى غير موضعه لأنه وزن كل شئ وقدّره تقديرا . انظر . ألست تراه أسكن الطيور أشجارها والحيات أوكارها والهوام ترابها والحشرات أوطانها والحيوانات البرية أقطارها والسمك بحارها والطيارات التى صنعها الانسان حلقت فى جوّها . وضع الله كل مخلوق فى المكان الذى استعدّ له هكذا هنا يقول جلّ جلاله . كتبت فى كتابى الأوّل وأتبعته بكتابى الثانى . كتبت فى لوحى المحفوظ وأتبعته بكتابى المنزل وقلت لكم لاأعطى القوس إلا باريها ولاأسكن الدار إلا بانيها ولاأعطى شنا [1] إلا الى طبقة ولا أعشق كثيرا إلا فى عزّه ولا أعطى إلا بمقدار ولا أهب إلا على استعداد . فأنا حكيم والحكمة هى التى بها قامت السموات والأرض . فهل ترون فى خلقى من تفاوت . وهل رأيتم فى عملى عوجا . انظروا ياعبادى . انظروا . فصلاح كل شئ بحسبه ولاأعطى الشئ إلا لما يصلح له . فالصلاح للملك فى الأرض بأربعة شروط وهى

(١) أن يكون القادة فى الأمّة علماء حكماء مفكرين فهم يكونون أشبه بالعقل فى الدماغ بالجسم الانسانى

(٢) وأن يكون للأمة جيش منظم يقوده ضباطه على شريطة أن يخضع لأولئك العقلاء وهذا أشبه بالقوة

(١) هذا مأخوذ من المثل ﴿ وافق شنّ طبقة ﴾ لفتى وفتاة توافقا طبعا فتزوّجا

الدموية فى جسم الانسان التى يقوم بتصريفها القلب فى تجويفى الأذنين وتجويفى البطينين والحركات المنظمة بطريق الآلة الماصة الكابسة أى الجاذبة والدافعة

(٣) أن يكون الفلاحون والعمال والصناع قائمين بأعمالهم مطيعين للفريقين

(٤) أن تنظم هذه الطوائف الثلاثة بحيث تقسم جميع أعمال الدولة عليهم والصناعات التى يحتاج اليها العمران الانسانى فلايذرون علما ولاصناعة إلا قسمها أولئك الرؤساء على الشعب . هذا هو الصلاح الذى ذكره الله هنا للملك فى الأرض

﴿ اعتراض على المؤلف وجوابه ﴾

قال لى قائل لما سمع هذا المعنى . أيها الاستاذ . هل الله قال ذلك فوالله انك لتقول المعانى من تلقاء نفسك والله مافى الكتاب شئ من هذا . فقلت له لاتخاف وانظر معى . لم ذكر الله هذه الآية فى هذه السورة ثم لم أخرها الى آخرها . ألم تراه ذكر الأنبياء وقد قسم أعمال الدولة عليهم فمنهم صاحب الدولة ومنهم صاحب العلم والحكمة ومنهم من يهدم الاصول الضالة ومنهم من استبانت عفته واضحة وقد شرحنا هذا شرحا وافيا ثم قال ــ إن هذه أمتكم أمة واحدة ــ فلتجمع جميع هذه الخصال . ثم ذكر أن المسلمين سيقصرون و يأخذ كل فريق بطرف من الدين وذمهم على ذلك ثم حذر وذكر أمور الآخرة وفناء العالم ثم أتبعه بهذه الآية فهى ملخص ماتقدم كله فان ماتقدم نظام فى الدنيا وحشر و بعث فى الآخرة فكأنه قيل أى الناس أحق بهذا الملك و بذاك المجد فقال مامعناه ــ وان من شئ إلا عندنا خزائنه وماننزله إلا بقدر معلوم ــ فأنا كما أسكنت السمك فى البحر والطير فى الجو والأنعام والوحوش فى القفر أسكنت الأمم المنظمة القوية فى أرضى وملكتها ناصية الأمم فلتكن حافظة للأوضاع النظامية الثلاثة المتقدمة التى ذكرها (أفلاطون) فى جمهوريته فانى أملكها ناصية الأرض وتكون خليفة لى . وهكذا ليكن كل رب بيت فيها قائما بنظام أسرته على الوجه الذى ينبغى وكل فرد من أفراد الأمة حافظا لأخلاقه وآدابه . والقوة العقلية فى الفرد والقوة الغضبية والقوة الشهوية فيه كلها على نظام المجموع فليذلل المرء القوة الغضبية والشهوية للقوة العاقلة فان ذلك هو الذى يجعله كاملا وليحفظ نظام الأسرة بضبطها وتنظيم معاشها . الأمة التى على هذه الشريطة هى التى تملك قياد خلق واستخلفها فى الأرض فاذا اختل هذا الصلاح فأنا است بغافل فلأسلطن عليهم من يتولى أمر أرضى فانه لايرثها إلا الصالحون لعمارتها . هذا هو الكلام على ملك الدنيا

﴿ الصلاح للجنة ﴾

أما صلاح الناس لأرض الجنة فذلك راجع الى لطافة النفس وميلها الى الامور العلوية . فكلما كان المرء قانعا ذاكرا ربه أوصارفا قواه العقلية والجسدية فى خدمة المجموع نظيفا باطنه وظاهره محافظا على الأخلاق الجميلة مساعدا لأهله ولمن يقدر على مساعدته فى الأمة كان الى الجنة أقرب . وكلما كان أقرب الى التقصير فى مواهبه فحبسها ولم ينفع بها على مقدار طاقته أومؤذيا أوكارها للناس غير نافع للمجموع انحطت درجته بعد الموت فقلت قيمته فبات بعيدا عن السعادة ، هذا نموذج من صلاح الناس للجنة ومن صلاحهم للدنيا .

ولما كان هذا الكلام قد جمع نظام الدارين وأصبحت هذه السورة عروس القرآن وقلبه ومناره وفيها الأنبياء الذين تجلت العلوم ونظام الدولة فى قصصهم وازدانت بنظام الدولة و بنظام الأخلاق حتى يصل الناس الى ربهم فى جنته وبها عرف المسلم كيف احتلت أوروبا أكثر بلاد الاسلام . ولماذا أزال ملك كثير منا وان اجتياح أهل أوروبا لأهل أمريكا الأصليين وكذلك أهل استراليا وغير ذلك . كل هذا لتقصير أهل البلاد فانحطت مداركهم فأرسل لهم أمما لأنهم لايصلحون لادارة بلادهم . وأمة الاسلام لاتصل الى هذا الدرك فان هذا كتابها وقد بينا بعض مقاصده وسيقوم فى كل قطر منادون بهذه الآراء وينشطون بعد الخمول و يعظمون

بعد

بعد الضعة و يصلحون بعد الفساد و يعرفون بعد الجهل و يجتمعون بعد الافتراق . هكذا سيكون ان شاء الله فلايتطرق الى هذه الأمم الفناء والدمار واستباحة الدار ولابد من رجوع مجدهم كما قررناه مرارا فى هذا التفسير . أقول لما كان الأمر كذلك أعقب الله ماتقدم بقوله (إنّ فى هذا لبلاغا لقوم عابدين) أى ان مافى هذه السورة من نظام الدول وقيام الدولة وحفظ الناس والتسلط على ألطف الأشياء كالهواء وعلى أصلبها كالحديد وعلى الجمع بين حرب الأعداء والاستغراق فى ذكر الله والشجاعة والاقدام وتسخير العمال فى المبانى العظيمة واستخراج مافى البحار من الحلى وغير ذلك . يقول الله إن فى ذلك المذكور لبلاغا أى كفاية لقوم جامعين بين العلم والعمل فان العلم شجر والعمل ثمر . هذا معنى الآية وهو ترتيب عجيب لم يذكر الله هذه الآية إلا بعد ما أتمّ الأمر و بين نظام الدول والأعمال ، ثم بين من هم الذين يصلحون لعمارة الأرض . ثم أتبعه بما يفيد أن علوم هذه السورة السياسية والنظامية كفاية لمن جمعوا بين العلم والعمل

فتعجب أيها الذكى والله سائلك عن كتابه وعن أمتك وعن أهل بلدتك فاصدع بما تؤمر فى هذا القرآن مع الحكمة وأعرض عن الجاهلين ولتعلم أن الله سينصرك كما نصر الأنبياء المذكورين فلاتنم عن ابلاغ معانى هذا القرآن . لاتغفل والله يحاسبك على علمك كما يحاسبك على قدرتك الجسمية فانى موقن أن الأمة الاسلامية متى ذاعت هذه الآراء فيها وهى مقصود كتابها قامت كلها قومة رجل واحد الى نظام أممها ثم قامت بتربية الأمم والأمم اليوم فى ضلال . فليكن المسلمون بعد تدبر أمثال هذا والعمل به قادة العالم الانسانى ولذلك أعقبه سبحانه وتعالى بقوله (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وهذا المقام يحتاج الى بيان ﴿ أمرين * الأوّل ﴾ هل كان رسول الله ﷺ رحمة للعالمين فيما مضى مع انه استلّ السيف وقتل به كثيرا من الناس ﴿ الثانى ﴾ هل هذا الدين سيكون رحمة فى مستقبل الزمان وكيف ذلك . لقد كنت كتبت مقالة فى هذا الموضوع عنوانها ﴿ كيف كانت حال العالم لولم يفتحه المسلمون ﴾ فى مجلة (الموسوعات) صفحة ٢٤٥ وجعلت هذا المقام ﴿ أربعة مباحث وخاتمة * المبحث الأوّل ﴾ فى أشهر الدول التى كانت حين ظهر الاسلام ﴿ المبحث الثانى ﴾ فى ثمرات انتشار الاسلام وفى الدين المسيحى ونحو ذلك ﴿ المبحث الثالث ﴾ فى نتائج الحروب الصليبية ﴿ المبحث الرابع ﴾ فى تقدير عدم وجود الأمة الاسلامية ﴿ الخاتمة ﴾ فى حكمة الله فى ذلك وفوائده وفى تلخيص ماتقدم

فأما المبحث الأوّل فلخصه أن الدولتين اللتين لم يشتهر غيرهما إذ ذاك هما دولة الفرس بآسيا ودولة الرومان بأوروبا . فدولة الفرس كانت آخذة فى السقوط . ودولة الرومان كانت منقسمة الى شرقية وغربية فالغربية قد أحاط بها الأمم المتوحشة بأوروبا فدمروها تدميرا وكوّنوا أمما صغيرة باقية الى الآن . وأما الشرقية التى كانت عاصمتها القسطنطينية فكانت مبتدئة فى الضعف وزالت بعد الهجرة بتسع قرون لأن زوال الأمم على مقدار ضخامتها واتساعها يكون بطؤه . فأما المبحث الثانى فقد لخصته فى أن الاسلام امتدّ الى الجهات الأربع وأن الخلفاء الراشدين وملوك بنى أمية وطدوا الامن فى البلاد التى حكموها وترجم العلماء فى زمن العباسيين كتب الأمم السابقة . وأما الأمم النصرانية فكانت كلها متوحشة إلا دولة الرومان . ثم إن الأمم المجاورة للمسلمين فى الأندلس وهم الأسبانيون والفرنسيون كان لهم نوع شعور بالحاجة الى التعليم . وذكرت فى المبحث الثالث أن قراءة العلوم أغذية للأمم وقراءة الدين أدوية والأمم التى تأخذ بظواهر الدين وقد جهلت أنه يسوقها للعلوم تموت لأنها لا أغذية لها والأمم التى تغتذى بالعلم ولاترعى الدين تمرض مرضا اجتماعيا والمسلمون أخذوا بالأمرين والاوروبيون اقتصروا على الدين وأوّل من تنبه للعلوم فرنسا حين دخل قوّاد المسلمين أسبانيا ووصلوا فرنسا حتى (نهر الوار) مسيرة ثلاثة أيام من باريس ومن هذا التاريخ تنبهت فرنسا بين المتوحشين آباء الاوروبيين الحاليين ولذلك لم يكن المسلمون يعرفون أوروبا إلا باسم الافرنج أى فرنسا حتى كان شرلكان ملكها يودّ هرون الرشيد . ولما كانت أوروبا متوحشة إذ ذاك كان القسيسون يعبثون بالأعراض والأموال

و يسيطرون على الملوك وما كانت العروس تجلى لزوجها إلا بعد أن تزف الى القسيس أولا وكان الرؤساء يبيعون الأرض بمن فيها من الرجال والبهائم . ولما رأى القسيسون أن دين الاسلام قد هدد سيطرتهم ونفوذهم قاموا بحركة عظيمة لحرب المسلمين ليتخلصوا من هذا الدين فكانت الحروب الصليبية هى التى انتهت بفشل رجال الدين وقيام سلطة الأمم والشعوب والحرية الحاضرة فأصلت الحرب الناس نارا حامية وقد احترق رؤساء المسيحية بنارها إذ فقدوا سلطتهم ورجع القوم بنورها فحملوا الكتب من بلاد الشرق واستناروا وأخذوا يحاربون الترك جهة الشرق وأهل الأندلس جهة الغرب فاقتطفوا بعض ثمار العلوم فبعثت أوروبا من مرقدها من ذلك الحين حين هاجر اليها علماء الاستانة من الدولة الشرقية ونضجت هذه المدنية فى أربعة قرون تقريبا

﴿ الشرقيون ﴾

فأما الشرقيون فان توالى الحروب الصليبية من الغرب وحروب التتر من الشرق أضعف القرائح وأمات العلماء وأضاع الكتب وخرجت أجيال تجهل مامضى . ولكن انحطاط المسلمين الآن أقل من انحطاط أوروبا فى قديم الزمان فرجوع مجدنا أقرب من رجوع مجدهم . وقلت فى المبحث الرابع ﴿ ان الأمة العربية كانت واسطة هى ومن معها من الأمم الاسلامية فى نقل العلوم بجميع أنواعها ثم تهذيبها ﴾ وهناك فى المقالة نقلت ما كتبه العالم الكبير (سديو) الفرنسى إذ شهد لهم بتوسيع العلوم واختراع كثير من أنواعها وانهم لم يكتفوا بما نقلوه عن اليونان وأن أوروبا نقلت عنهم وذكرت ماقرأته فى الكتاب المذكور المترجم من الفرنسية الى العربية ترجمة المرحوم أستاذنا على باشا مبارك صفحة (٢٤٠) ولا أطيل بنقل تلك العبارة وانما أوجز لك ملخصا منها وهاهوذا

(١) كذّب المؤلف علماء الفرنجة وهو نفسه فرنسى كما عرفت فى قولهم ان العرب لافلسفة لهم وأثبت أن جميع مدارس أوروبا فى القرون المتوسطة مستمدّة من تآليف العرب الفلسفية كترجمة (حنين الطبيب) ويحيى وغيرهما

(٢) أثبت المؤلف أن العرب زادوا كثيرا على مانقلوه عن اليونان وكانوا يعرفون كتب (أفلاطون) و (فيثاغورس) و (أوميروس) و (ايراقليط) و (ديموقريط)

(٣) فضل المؤلف طب العرب واستعمالهم للعقاقير عن طب القدماء بما اخترعوه هم

(٤) ذكر المؤلف أن المؤلف (يسيل) أنصف العرب وانهم اشتغلوا بعلم الزلوجيا . وقال أيضا المؤلف ان العلامة (دساسى) نقل فصولا من كتاب (القزوينى) المشهور

(٥) وقال أيضا ان بحث اليونان كان فى الأجسام العضوية وهى الحيوان والنبات . ولكن العرب رقوه الى البحث فى القوى الطبيعية والجواهر الأوّلية

(٦) وأثبت أيضا أن ما ادّعاه الفرنج من الكشف فى القرن الخامس عشر والسادس عشر من الميلاد كان أكثره قد اخترعه العرب من قبلهم وأثبت ذلك بأدلة كثيرة فى صفحة ٢٣٣ ومابعدها

(٧) ذكر المؤلف كيف دخلت العلوم أوروبا بالتدريج من طريق العرب وانها لم تدخل العلوم الرياضية بلاد الانجليز إلا بعد ماساح سائح انجليزى من سنة ١١٠٠ الى سنة ١١٢٠ فى أسبانيا ومصر وترجم كتبا كثيرة

وقلت فى الخاتمة ﴿ إن المدنية لولم يكن الاسلام لبقيت منحطة فالرؤساء فى أوروبا يستعبدون الشعب وأمم أوروبا المتمدينة كانت شديدة الوطأة حتى ان ملك (رومه) أمر باحراقها ليتمتع بمشاهدة احتراقها ثم فتك بالنصارى فتكا ذريعا وكانوا ما بين مترفين منعمين وعبيد أذلاء

ومن هذا نفهم كون نبى الأمة سيدنا محمد ﷺ خاتم النبيين إذ الخاتم مايطبع به على الشئ القابل للطبع و يظهر أثره فيه . و بالنظر فى التاريخ والتأمل بالعقل يرى أن هذه الأمة الاسلامية أثرت فى الأمم الغربية كما

يؤثر

يؤثر الخاتم فى الورق ولذلك ظهرت النتائج فى أوروبا كما تقدم وجاء فى القرآن انه رحمة للعالمين ولم يقل للمؤمنين فقط واعلم انه بهذه العلوم المنتشرة فى الشرق والغرب الذى كان سببها الوحيد الأمة الاسلامية بتعليمها وحروبها المنبهة للأفكار صارت الكرة الأرضية كبيت واحد يظهر لكل واحد فى أقطار الأرض ما عليها من العلوم والمعارف حتى أصبح كل يأخذ ما تستعد له نفسه من ضعة ورفعة ودين فتمت حجة الله على خلقه فلم يبق احتياج لرسل يأتون بعده ولم نسمع فى التاريخ انه حصل مثل ذلك بعد نبى من الأنبياء فلذلك كان خاتم الأنبياء

ثم اعلم أن شريعة عيسى عليه السلام جاءت بالعلم وموسى بالعمل وهذه الشريعة جاءت بالأمرين معا فكان خاتما طبع به عليهما و بقيا فى جدال مع أهل الدين الاسلامى ولقد علمت ما مضى فى هذه السورة من علوم الأنبياء وصناعاتهم الخ

﴿ الحاصل ﴾

﴿ أولا ﴾ ان تقدم أوروبا فى الأعصر الأخيرة لحصول اختلاط أهلها بالمسلمين بعد الحروب الصليبية واقتباس الأوروباويين منهم المعارف والفنون

﴿ ثانيا ﴾ انحطاط المسلمين نشأ من طول العهد فقست القلوب وكثرت الحروب الصليبية والتتارية والحروب الداخلية فانحلت قواهم العقلية وتمسكوا ببقية من الدين ليست هى الدين كله

﴿ ثالثا ﴾ لانسبة بين الشرقيين فى حال انحطاطهم والغربيين فى إبان جهالتهم إذ لايخفى رفعة المسلمين لأن عندهم بقايا من الاصول المرعية

﴿ رابعا ﴾ ينتج من ذلك انه لولم يكن الاسلام لكانت الأمم الآن فى خمود تام لعدم مايحرك أفكار الاوروباويين والحروب التى لأجل الملك وحده لاتكون عمومية فلاتكفى لترقية الأفكار العمومية

﴿ خامسا ﴾ ان آثار المدنية الآن فى أمريكا واليابان والاوقيانوسية و بعض افريقية وكثير من جهات (آسيا) أكثرها عن الاوروبيين الذين استمدوا من المسلمين إما مباشرة واما بالنقل من الناقلين فلولم تكن أمة الاسلام لكانت هذه الأمم كلها الآن فى خمود تام وجهالة عامة — وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين —

هذا ملخص تلك المقالة المذكورة . وياعجبا كيف كنت أكتبها منذ عشرين سنة وأنا لم أعلم انى يوما سأكتب فى تفسير القرآن . فالحمد لله الذى وفقنى لهذا وما كنت لأعلم منه شيأ ولم يكن ليدور بخلدى أن هذه الآية سأكتب فى تفسيرها من قبل . واعلم أن الأنبياء السابقين لم تحصل بعد من أحد منهم حركات عمرانية مثل سيدنا محمد ﷺ . انظر كيف امتد البريد والبرق وأخذ الناس يتكلمون معا من بلاد بعيدة وأخذ العقل يفكر ولله الأمر من قبل ومن بعد وهو العزيز الحكيم

واعلم أن مثل المصلحين فى الأرض كمثل الماء وكمثل الهواء وكمثل الحرارة . فالماء مثلا به حياة كل شئ ولكن نراه يغرق فيه جماعة فى سفينة فيهم الأطفال الرضع والشيوخ الركع والنساء الضعيفات وهذا محتمل فى جانب منفعته . هكذا نبينا ﷺ قتل فى الحروب قوما توجب الحكمة قتلهم ومع ذلك بقى أعقابهم جميعا فى الاسلام وعم الخير أمم المسكونة إما مباشرة واما بواسطة فهذا لاينافى انه رحمة للعالمين . انتهى الأمر الأول

﴿ الأمر الثانى هل هذا الدين سيكون رحمة فى مستقبل الزمان وكيف ذلك ﴾

أقول . من عجب انى كنت كتبت مقالة فى مجلة تسمى ﴿ نور الاسلام ﴾ كانت تصدر بالزقازيق منذ نحو (٢٥) سنة ذكرت فيها حديث مسلم وهو . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا فطوبى للغرباء ﴾

﴿ تفسير الحديث فيما كتبته فى الجريدة المذكورة ورؤيا منامية ﴾

اعلم انى كنت نائما فى ليلة ببندر الجيزة وأنا إذ ذاك مدرس اللغة العربية فى المدرسة هناك . و بينما أنا نائم

ليلا إذا قائل يقول لى فى المنام مكررا مايقوله كرة بعد كرة من العشاء الى طلوع الفجر وكان قوله هكذا ﴿بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا﴾ أتفهم معناه

اعلم أن غريبا صفة لمصدر محذوف أى بدأ بدأ غريبا أى لانظير له وسيعود كما بدأ غريبا لانظير له فى نشأته وانتشاره ونفعه الناس . ثم يقول هل فهمت فأقول نعم . ثم أعاد الكرة وصار يعرب ويقول إن غريبا وصف لمصدر محذوف فهو مفعول مطلق الخ . ثم يقول هل فهمت فأقول نعم ولازال طول الليل يقول لى هل فهمت أن الاسلام سيعود غريبا كما بدأ . أن يكون غريب الأطوار عجيب النشأة والانتشار والاسراع فى اعلاء نظام الانسان والعدل وما أشبه ذلك . ومازال كذلك حتى طلع الفجر . فلما استيقظت صرت أعجب من نفسى وأقول لعل هذا أضغاث أحلام لأنه كان يقوم بتفهيم فى الاعراب كما أفهم التلاميذ المفعول المطلق فى النحو وهذا أشبه بمثال من تلك الأمثلة . ثم انى مع كثرة ترددى فى الأحلام لاسيما انك تعلم ما تقدم فى سورة (يوسف) من أن الأحلام يكاد لايصدق فيها إلا النادر الذى هو كالكبريت الأحمر ومع هذا كله رأيت فى وجدانى معانى تختلج وفكرا يختمر ولم أجد سبيلا أحفظ به هذه الفكرة خيفة ضياعها إلا أن أنشرها فى مجلة ﴿نور الاسلام﴾ بصفة أن هذا المعنى من عندى فلارؤيا ولا أحلام . ولما نشرت رد عليها بعض الناس وانتهى الأمر . ثم ان أحد الفضلاء كتب فى جريدة الاهرام هذا المعنى وذلك أثناء طبع هذه السورة وقال لعلى قرأته من قول فلان أوفلان وعد نحو خمسة فى عصرنا فحمدت الله عز وجل إذ أصبحت هذه الفكرة معلومة ثم نشرت بين الناس ليعرفوها . فلما جاء تفسير الآية وأنا سائر فى التفسير تبدى لى أن أكتبها معللا ذلك لأن الله ألهم بعض الناس فنشرها فى الجرائد فلم أجد بدا من ذكرها هنا وتبيان مصدرها ومن أين أقبلت الى نفسى حتى نشرتها فى مجلة ﴿نور الاسلام﴾ منذ أمد بعيد

واعلم أن أمة الاسلام أيام تلك الرؤيا والنشر أعنى منذ نحو (٢٦) سنة لم تكن فيها أمة مستقلة إلا الترك وكانت قد أشرفت على الموت . أما الآن فان الأفغان استقلت والترك خلقت من جديد والفرس كذلك وهكذا مصر تجاهد للاستقلال ومثلها مراكش وهكذا أهل الهند يجدون للخلاص من ذل الاستعمار

هذا هو الذى تم فى العالم الاسلامى منذ الرؤيا الى الآن . ولتعلم أيها الذكى أن هذا المقام ليس مقام الرؤى بل هو مقام الحكمة والعلم والعقل . واعلم أن الله قد حكم أن يجعل الرفع بعد الخفض والحياة بعد الموت وكل ضد بعده ضده والمسلمون كانوا فى ارتفاع ثم ناموا ثم هم الآن قد وصلوا الى أدنى دركات الانحطاط فماذا بعد المرض إلا الصحة . وهل بعد الموت إلا الحياة . وهل بعد الضعف إلا القوة . إن الله يجعل الضد بعد ضده . واذا صحت هذه القاعدة طبعا فلنطبقها على المسلمين ولنقل ان هذا الزمان هو زمان ارتقائهم . انى والله بشرت بأكثر من هذا فى المنام ولكن لاسبيل لذكره الآن فلست أعول إلا على العمل والفكر وهذه الرؤى لما كان يداخل الانسان الشك فى صحتها وانها ربما كانت حديث نفس . كنت لا أعول إلا على الوجدان ولعل الوجدان انبعث منها أوهى من الوجدان أوهما متلازمان . أقول فأنا الآن أعمل على هذا الأمل وهذا الأمل ألفيته ملازما لى منذ الصبا ولافرق فى اعتقادى ووجدانى بنجاح الأمة الاسلامية بين زمن الشباب وزمن الشيخوخة بل إنى أجد الوجدان الآن فى قلبى أشد منه فى كل وقت فأنا أكتب وأنا واثق أن الأمم الاسلامية سيظهر فيها مفكرون وعلماء محققون وقضاة أرقى ممن سبقهم بعد العصر الأول ودول وممالك أهم وأعم وانهم يكونون شهودا على الأمم يقضون بينهم بالحق و يعدلون بالصدق ويكونون خلفاء الله فى الأرض وإذن يكونون رحمة للعالمين . إن المسلمين لن يكونوا رحمة للعالمين رحمة تامة إلا اذا قرؤا كل علم وكل صناعة وأتقنوا فروع النظم العامة فى الكون فإذن يصبحون قادة الشعوب قيادة رحمة ممزوجة بالحزم ويكونون هم أنفسهم جمعية الأمم القاضية بالعدل فالناس كلهم عيال الله وأفضلهم من قام بشأن هذه العيال

امتياز

﴿ امتياز أمة الاسلام ﴾

ثم ان أمة الاسلام تمتاز بأن العلوم والصناعات اذا قرأتها وعملت بها يكون كل ذلك باعتبار انه أوامر دينية . فتى دخل المسلمون فى هذا الطور وأن كل علم وكل صناعة وكل زراعة وكل تجارة وكل معدن وكل حكومة وهكذا كل ذلك من أعمال الدين وأن سكة الحديد والتلغراف والكهرباء وعمل الآلات الحربية . كل ذلك وغيره عبادات دينية والقائم بها قائم بعبادة شرعية وأن ذلك وان لم يكن كالصلاة فى فضلها فان له فضلا آخر أشبه بفضل الجهاد . فاذا عرف المسلم ذلك وتقنه فى صغره وأن القائم فى كهر بائيته والمجرى لقطاره والصانع فى صنعته والزارع فى مزرعته والتاجر فى تجارته . هؤلاء متى كانوا مجتهدين صالحين يكونون فى عبادة ورضاء الله ولكن أفضلهم أعمهم نفعا . اذا عرف ذلك المسلم فان الأمة تكون فى طور لم تحلم به من قبل ولم تحلم به أمة فى الأرض ذلك لأن أرباب الأديان الأخرى غالبا لايسماون هذه الأعمال باعتبار أن الدين يأمر بها كلا بل يقولون انها أعمال دنيوية . أما فى الاسلام على مقتضى هذا النمط القرآنى فان العلوم كلها عبادات وهكذا الصناعات وأن العلوم الطبيعية هى العلوم التى يوصل الفكر فيها الله و يقرب العبد من ربه . ذلك هو المثل الأعلى فى الاسلام . وانى أرى أن نشر هذا التفسير وأمثاله من كتب الفضلاء من الأمم الاسلامية سيجعل فى الاسلام أمة لم يحلم الدهر بها . ألاترى كيف جمعت هذه السورة من قصص الأنبياء ماجمع كل فضائل الدين والعبادة . ألم تر كيف رأيت داود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث أن القضاء أتبع فيه ما هو أصلح للمتقاضيين وان كان الحكمان اعتبر فيهما المماثلة ولكن الرفق بهما كان فى الثانى أكثر وهو حكم سليمان عليه السلام . فالقضاء أشبه بالطب فقوم يداوون بالماء الحار والاستحمام به . وقوم يداوون بالحرارة الشمسية . وقوم بالهواء . وقوم بتعاطى الدواء . وقوم بالحمية ويكون ذلك كله لمرض واحد . ولكن الطبيب الحاذق من يراعى حالة المريض وأى هذه أوفق له بحيث لايعود الدواء على المريض بالضرر . هكذا القضاء فيجب أن يكون القاضى مجتهدا أى عالما بالمذاهب الاسلامية والخلاف فيها ثم يحكم بأقربها لحال المتخاصمين ولزمانهم ولايجمد على قول واحد أومذهب واحد كما لم يجمد داود على الرأى الأول وهو نبى فكيف بمن ليس بنبى

لعمرى ان الله ما أنزل هذا إلا لتعليمنا كيف نسير فى القضاء ولا أنزل مابعده إلا ليعلمنا كيف نقوم بعمارة المدن ونفهم العلوم ونصبر ونشكر ونعف عن الحرام الى آخر ماذكرناه فيما تقدم والله هو الولىّ الحميد

وأما قوله ﷺ ﴿فطوبى للغرباء﴾ معناه أن هؤلاء الغرباء الذين بدأ بهم الاسلام غريبا غرابة لم يعهد لها نظير سواء أكان فى بدئه الأول أوفى نشأته الأخرى فى هذه الأيام طوبى لهم فلهم فى الدنيا الرفعة والسؤدد ولهم فى الآخرة النعيم لأنهم رحمة للعالمين . قاموا مقام نبيهم ﷺ ورحموا العالم الانسانى لأن الراحمين يرحمهم الرحمن وسيزفون الى نفوسهم ثم الى العالم كله أبكار العلوم والمعارف و يصيحون صيحة أخرى أوسع من الصيحة الأولى يدوى صداها فى الخافقين . هذا آخر المقال فى تفسير قوله ـ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ـ

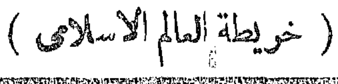
ثم قال تعالى (قل انما يوحى الىّ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون * فان تولوا) أعرضوا عن التوحيد (فقل آذنتكم) أعلمتكم ما أمرت به (على سواء) مستوين أنا وأنتم فى العلم بما أعلمتكم به (وان أدرى) أى وما أدرى (أقريب أم بعيد ماتوعدون) من غلبة المسلمين عليكم والحشر ومع ذلك فهما كائنان لامحالة (إنه يعلم الجهر من القول) ومنه ماتجهرون به من الطعن فى الاسلام (ويعلم ماتكتمون) ومنه احنكم وضغائنكم على المسلمين فيجازيكم عليها (وان أدرى لعله فتنة لكم) أى وما أدرى لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة فى افتتانكم وامتحانكم لينظر كيف تعملون (ومتاع الى حين) أى تمتعون الى انقضاء آجالكم (قال ربّ احكم بالحق) وفى قراءة ـ قل ربّ ـ والأولى على حكاية قول الرسول ﷺ أى رب اقض بيننا و بين أهل مكة بالعدل أى بما يظهر العدل للجميع وذلك لا يكون إلا بنصرى عليهم وهذا استعجال للعذاب

فعذبوا يوم بدر (ور بنا الرحمن المستعان على ماتصفون) من الشرك والكفر والكذب والأباطيل، والسخرية إن الله أمره أن يدعو الله بأن يحكم بما يظهر الحق للجميع وأمره أن يتوعد الكفار بقوله — ور بنا الرحمن المستعان — الخ أى نستعين به الخ . تم تفسير سورة الأنبياء اللفظى ليلة السبت ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٢٤ و٢٣ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣ وقد سنحت هذه السانحة عند الطبع وهى

﴿ جوهرة فى قوله تعالى — ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون * إنّ فى هذا لبلاغا لقوم عابدين * وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين * قل إنما يوحى الىّ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون — ﴾

أكتب هذا هذه الليلة السبت (١٢) من شهر مايو سنة ١٩٢٧ قبيل الفجر وأمامى هذه الخريطة التى رسمها صديقى لبيب بك البتنونى فى كتابه ﴿ الرحلة الحجازية ﴾ مبينا فيها بلاد الاسلام فى وقتنا الحاضر تلك البلاد المترامية الأطراف فقلت فى نفسى هذه بلاد الاسلام . فياليت شعرى أين مكان هذه الأمّة من هذه الآيات . يقول الله ان الأرض يرثها الصالحون من عباده وهذه الأرض هى التى كان فيها الأنبياء المذكورون فى القرآن فى هذه السورة وفى غيرها فهم ابراهيم الذى كان فى بابل وهاجر الى الشأم وسافر يوما ما الى مكة وداود بالشام أيضا ومثله سليمان وأما يوسف فقد كان بمصر وموسى وهرون كذلك بمصر و بالشام وهكذا زكريا بالشام ومثله يحيى وعيسى والياس واسماعيل بالحجاز وأما يونس فكان فى نينوى ولوط بالشام ونوح بناحية الجزيرة وادريس نبى المصريين القدماء فهؤلاء هم الأنبياء وهذه هى بلادهم وما هى إلا بعض هذه الخريطة التى يملكها المسلمون . إذن المسلمون ورثوا الأرض التى كان فيها الأنبياء المذكورون فى هذه السورة وفى غيرها أى ان الله ذكر كثيرا من الأنبياء فى هذه السورة ثم أعقبها بقوله — إنّ هذه أمتكم أمة واحدة — ثم قال أخيرا انه لايرث أرضى إلا عبادى الصالحون ثم نظرنا فلم نجد أحدا ورث أرض هؤلاء الأنبياء إلا المسلمين الذين تراهم فى هذه الخريطة . هذا هو الذى أراه الآن أمامى وتراه أنت أيها الذكى ولكن ننظر نظرة أخرى هل المسلمون الحاليون قاموا باصلاح هذه الأرض وهل هم يستحقون هذا الميراث حتى يدوموا فى هذه الديار التى ورثوها . يقول الله — ولله ميراث السموات والأرض — ويقول فى آية أخرى — ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين — فالميراث لله وهو يعطيه لمن يشاء من عباده . ومعلوم انه حكيم والحكيم لايعطى إلا لمن يستحق ويمنع من لايستحق (انظر الخريطة فى الصفحة التالية شكل ١٤)

شكل



(شكل ١٤)

فلننظر فى هـذه الخريطة ونعرضها على هذه الآيات نرى الله يقول — وما أرسلناك إلا رحمـة للعالمين — وأعقبه بذكر انه إله واحد . فالنبى ﷺ أرسـل رحمة وأرسل للتوحيد فأمته أمة موحدة والتوحيد يكون

تمامه وكماله الاتحاد فى الأعمال وفى النظام العام وقد تم هذا فعلا فقد كانت هذه البلاد التى أمامك فى الخريطة فى بعض العصور الأولى تحت نظام واحد فقد كانت تمتد من مراكش بل من الأندلس وتنتهى الى بلاد الهند وذلك نحو ثمانين درجة فى الطول فتأمله . حقيقة هذه هى الرحمة . أمم مختلفة اللغات والأحوال تجتمع تحت قيادة واحدة وتصلى لقبلة واحدة . هذا هو التوحيد وهذا هو النظام . ولكن انظر ماذا جرى . قام أهل الدين بعضهم على بعض فغلب العباسيون الأمويين على الملك فتمزق الشمل وأخذت الأطراف تنفصل من الأصل وهكذا واستمر ذلك الى اليوم ثم نسى المسلمون أنهم أمة واحدة وتمزقوا شيعا وذاق بعضهم بأس بعض . فماذا جرى . جاءت الحرب الصليبية أيام صلاح الدين الأيوبى فما كان للمسلمين إذ ذاك جامعة قوية بل كان ملوك المغرب الأقصى غير مبالين بما جرى لاخوانهم فى الشام ومصر مع ان اللغة واحدة والدين واحد والقبائل أكثرها عربية ثم ننظر فى أمر هذه الأمم فى أيامنا هذه . هاأناذا فى مصر وجدت فيها ونظرت فى أمر أمم الاسلام . فماذا وجدت . ألفيت أبناء مراكش وأبناء الجزائر وأبناء تونس وأبناء طرابلس وأبناء مصر وأبناء الشام وأبناء اليمن وأبناء نجد وأبناء الحجاز وأبناء البحرين وأبناء العراق وأهل السودان المصرى . وجدت كل هؤلاء لهم دين واحد ولغة واحدة و بلاد متصلة ولكن وجدتهم لايعرف بعضهم بعضا . تقوم الحرب فى مراكش أوفى مصر أوفى الجزائر فلايهتم مسلم عربى بما حل بأخيه المسلم العربى من شؤم وذل مع اتحادهم (لغة ودينا وأصلا وتجاورهم ديارا) فهم متحدون فى «أربع خصال» ولكنهم يجهلون مابه تواصلهم وهم متخاذلون . واذا كان هذا فى أبناء العرب وحدهم فكيف يكون الأمر فيهم مع غيرهم من أمم الفرس والترك وأهل جاوه وسومطره تلك الأمم الاسلامية البعيدة الأقطار . ثم انى نظرت فى الأمم كلها فرأيت أمم الصين واليابان والاسبان والفرنسيين وهكذا متحدين أى ان الناطقين بلسان واحد وهم من أصل واحد قد جعلوا لهم مملكة واحدة فعجبت كل العجب لأمم الاسلام عموما ولأمم العرب خصوصا

وقد جاءت الأخبار يوم الجمعة ١١ مايو سنة ١٩٢٨ بما حصل فى بلاد الصين . تلك البلاد المترامية الاطراف البعيدة الأكناف التى انقسم أهلها الى «فريقين» فريق أهل الشمال وفريق أهل الجنوب وقد تخاصم الحزبان واقتتل الطرفان لاصلاح البلاد . ولما أراد أهل اليابان التدخل فى أمرهم وحاربوا أهل الجنوب وقالوا اننا نحتل أرضا بين الفريقين ليبطلوا الحرب بينهم . لما قالوا ذلك ماوسع قائد الشمال إلا أن أعلن انه أبطل الحرب لأنه انما يحارب لحفظ البلاد وأن تدخل اليابان أوجب علىّ أن أصطلح مع أبناء بلادى . ومعنى هذا أن ذلك القائد يريد فعلا أن ينضم الى خصمه لأنه لايريد أن يدخل العدو أرضهم وهذه مكرمة عظيمة وشرف نفس وهمة عالية ومم استفاد هذا سواء أتم مايقوله أم لم يتم فنحن لانعلم الغيب . أقول ان القوم استفادوا هذا من العلم . إن العلم هو الذى يجعل الأمم متحدة . أعد نظرك فى الخريطة مرة أخرى وانظر بلاد الصين التى أرادت أن تتحد اليوم . ألست ترى أن بلادها تمتد نحو ثلاثين درجة أمامك فى الخريطة من درجات العرض أى من نحو درجة (٢٠) فى العرض الشمالى الى درجة (٥٠) ثم انظر الى بلاد الاسلام كرة أخرى كيف اتحدت فى العصر الأول وفى بعض الثانى وهى تمتد فى درجات الطول نحو سبعين درجة

ياعجبا كل العجب إن الاتحاد وعموم الرحمة المحمدية ظهر بكماله فى القرون الأولى كيف تكون أمة واحدة تشغل سبعين درجة من الأرض . إذن الاسلام جمع أمما فى أرض أوسع من أرض الصين أكثر من مرتين أما الآن فماذا جرى تخاذل المسلمون ذلك والله للجهل ذلك الجهل الذى خيم على أقطار الاسلام وأذكرك بما تقدم فى هذا التفسير أن أبناء العرب لما طردهم الاسبانيون من الأندلس ورجعوا الى شمال افريقيا نبذهم أبناء البربر هناك نبذ النواة وحقروهم أجمعين ولم يقبلوهم إلا بعد أن أخذوا أموالهم وتقدم أن (سديو) الفرنسى قال «مع انهم أيام موسى بن نصير وطارق بن زياد وكانوا أمة واحدة» أقول وهذا قوله تعالى

ان

ــ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال ــ

ظهر الحق أيها المسلمون . أنتم قوم لم تتعلموا والذى أضرّ بنا اننا قوم جاهلون نائمون . ظنّ كثير من أسلافنا أن المقصود من الخلافة أو الامارة انما هو أن يعيش الأمير أو الخليفة عيشة الترف والنعيم والثمرات تجبى اليه ولم يعلموا أن نفس الترف هو الداعى الى سقوط الأمم والأسرات فى الذّل والهوان

اللهم إنى أبرأ اليك من الكتمان . اللهم إنى بينت فى هذا التفسير داء المسلمين ودواءهم فى أكثر سور كتابك . اللهم انك أنت الملهم المعلم ولقد بعثت فى نفسى شوقا قلبيا وغراما وولوعا بالنظر العام فى أمم الاسلام فها أنا ذا أدعوهم الى العلم والحكمة . اللهم إنى أخاطب بهذا كل ذكى مطلع فاهم ما أقول . اللهم إنى أنذرت وحذّرت وأنا تارك هذه الأرض وذاهب اليك وقد تركت هذه الآراء لأذكياء المسلمين فأصبح كل من اطلع على هذا القول وفهم ما أقول وأيقن به مسؤلا عن نشره بين المسلمين عموما بلسانه و بقلمه و بماله و بأصحابه و بأهل وطنه

أيها المسلمون . ما فرّقكم إلا الجهل وهذه البلاد التى ملكتموها شرقا وغربا اذا بقيتم على ما أنتم عليه من الجهل أو قال كل امرئ منكم ﴿ يارب نفسى نفسى ﴾ وترك حبل الأمة على غاربها فاعلموا علما ليس بالظن أن الله يسترد منكم ميراثه الذى ورثكم إياه . ألم تعلموا انه هو الذى أدخل فرنسا واسبانيا فى مراكش وفرنسا فى الجزائر وتونس وايطاليا فى طرابلس والانجليز فى مصر والفرنسيين فى الشام وانما أدخلهم فى هذه البلاد الاسلامية ليوقظكم أيها المسلمون الى قراءة التاريخ والعلوم . هنالك تعرفون أن لغتكم ودينكم وأوطانكم وأصلكم واحد ولكنكم لم تتعلموا ومن تعلم منكم لم يفكر فكرا عاما فى هذه الأمم ولم يخجل أبناء العرب أن يروا الصين المترامية الأطراف قد مالت للاتحاد وذلك بالعلم . اللهم إن كل من قرأ هذا التفسير وهو موقن به مسؤل عن نشر الفكرة . فليعلن المسلمين فى أقطار المعمورة أن يعم التعليم الرجال والنساء وأن يكون شاملا لخلاصة التاريخ والجغرافيا وسائر العلوم الرياضية والطبيعية والسياسة العامة وليعلم أهل السنة والشيعية والزيدية والوهابية وغيرهم أن هذا التنابذ والتباعد بين الأمم الاسلامية سببه الحقيقى هو الجهل. الجهل هو الذى أحاط بالمسلمين والا فكيف نسمع ما يخجل فى أمم الاسلام إذ يشاع من وقت لآخر أن يقال إن أصحاب مذهب من المذاهب الاسلامية يكفرون أصحاب المذهب الآخر و يستحلون قتلهم وأخذ مالهم وهذا حصل فعلا فى أوقات مختلفة جهالة وغرورا بل ان بعض أبناء العرب أنفسهم يكفر بعضا آخر لأجل المخالفة فى بعض أمور دينية . واعلم أن اختلاف الأمم العربية فى القرون المتأخرة لا يختلف عن اختلافهم أيام جاهليتهم وقد أوضحت هذا فى سورة ﴿ آل عمران ﴾ ايضاحا تاما فالجاهلية من العرب كانوا مختلفين وهكذا جاهلية المسلمين اليوم فهم مختلفون إما لمذهب اتبعوه أو لرأى أحبوه أو هوى لزموه

أيها المسلمون . أليس فيكم رجل رشيد . أليس فيكم ــ أولو بقية ينهون عن الفساد ــ فى هذه الأرض التى ملكتموها . اسمعوا يا أبناء العرب خصوصا ويا أيها المسلمون عموما . هاهم أولاء الفرنجة يحيطون بكم من كل جانب وقد ملكوا كثيرا من بلاد أبناء العرب ومن بلاد غيرهم أنذركم صاعقة العذاب الهون عذاب الخزى فى الحياة الدنيا وأنذر كل ذكى عالم موقن بما أقول انهم ان لم يجمعوا شملهم و يلموا شعثهم و يعلنوا على رؤس الأشهاد التعليم العام الذى ذكرته فى هذا التفسير كما تعلمت جميع الأمم فان الله يغضب غضبة لا تقوم للمسلمين الحاليين قائمة بعدها و يملك أرضكم ودينكم لمن يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وليس هذا الدين خاصا بكم فقد أخذ ينشره الله الآن فى بلاد أمريكا واليابان والصين . فاذا أنتم لم تسمعوا ما ذكرته لكم وهو الارشاد للتعليم العام فالعذاب واقع ماله من دافع أى عذاب الخزى فى الحياة الدنيا بالاحتلال ثم الاحتلال وأشدّ العذاب يكون واقعا على أولى العلم والجاه الذين يعقلون هذا ولا ينشرونه بين المسلمين

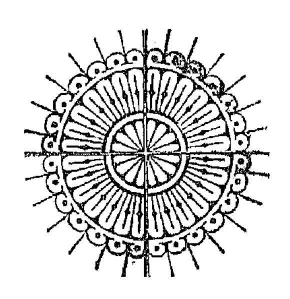
هذا وأختم هذا المقال بأنه لولا انى قد بشرت من الله بما يفيد قبول دعوتى للمسلمين ولولا أنه هو بعد هذه البشارة وفقنى لكتابة هذا ولولا أنه هوالذى وفق أناسا لطبعه ونشره ولولا أنه هوالذى حبب كثيرا من المسلمين فى قراءته . أقول لولا ان الله هوالذى فعل ذلك كله ماقدرت على شئ من ذلك . أفلست على حق اذا بشرت دعاة الاصلاح من قراء هذا التفسير بالنجاح والفلاح . بلى . اننى أبشرهم بالسعادة و بالنجاح والاصلاح والقبول والحمد لله رب العالمين

﴿ تذكرتان * الأولى فى قوله تعالى — حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج — الخ ﴾

أذكرك أيها الذكى بما تقدم فى سورة (الكهف) فهوهناك مستوفى

﴿ الثانية ﴾ فى قوله تعالى — إنّ فى هـذا لبلاغا لقوم عابدين — و بيان أن هذه العبادة هى الواردة فى قول المصلى — إياك نعبد — وهذه الجملة جاءت بعد بيان أن الحمد يختص بالله رب العالمين وهـذا الحمد لايتم إلا بقراءة علوم هذه الدنيا ولايكلف الله نفسا فى هذه العلوم إلا وسعها . انتهى

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء العاشر من كتاب ﴿ الجواهر ﴾ فى تفسير القرآن الكريم
ويليه الجزء الحادى عشر وأوّله تفسير سورة الحج)



(الخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح ففاتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبيه ٠ وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك

صحيفة	سطر	خطأ	صواب	صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٥	١٤	معلومات	فى معلومات	١٢٧	٢٨	يا أم	بأم
٢٠	١	حصول الى	الى حصول	١٤١	٢٣	ونجارة	وتجارة
٢٣	٣	توحيد	توحيدا	١٤٣	٢٤	كتمره	كثمره
٣١	١	حصه	صصه	١٥٢	١١	نخويت	نخربت
٣١	٣٢	٤٢	٤٨	١٧٠	١	وفى الأثر	وفى المثل
٣٣	١٧	للغات	باللغات	١٧٠	٣٤	والكاكا	والكاكاو
٣٧	١٢	هم		١٩٥	٣١	ونجارى	ونجازى
٤١	١٣	جوريس	حوريس	١٩٦	٣	الجمية	الجمعية
٤٣	٧	الحنة	الجنة	١٩٦	١٤	الصلات	الصلاة
٤٤	٢٩	شراقا	اشراقا	١٩٦	١٥	الصلات	الصلاة
٥١	١٣	وترقية	وترقيه	١٩٦	١٥	الصلات	الصلاة
٦٥	٨	العلم	بعلم	١٩٧	٢٥	مشاهدة	مشاهدة أثر
٦٥	١٠	وحصر	وحضر	١٩٧	٢٦	غيبته ومشهده	غيبة مشهده
٦٩	١٤	التى	الذى	١٩٩	٤	هذا العالم	هذا العلم
٧٣	٧	وانتعش فيه	وانتقش فيها	٢٠١	١٢	لم يبنوا	لم يبينوا
٧٥	١٤	تفلبتما	تقلبتما	٢٠٣	٨	الفوس	القوس
٨٢	٧	تتحرّك	تتحرّك	٢٠٥	٢٠	كونفسيرس	كونفسيوس
٨٢	١٢	المائى	المالى	٢٠٥	٢١	الخير	الخبز
٨٢	١٨	السندان	السندال	٢٠٦	١	وقيل	وقبل
١٠٥	٣١	زش	زس	٢٢٢	١٥	أصلها	أصلبها
١٠٨	٢٢	الأمة	أمّة	٢٢٣	١٩	سقراط	أرسطاطاليس
١١٦	٢٣	الساس	الأسناس	٢٢٣	٢٧	شرف المتاعب	تعب المكارم
١٢٤	٢٧	أراضين	أرضين	٢٣٠	٧	التفسير	الكتاب
				٢٣٠	٧	فى رقيهم أقرب	رقيهم إلا بأقرب

﴿ تمت ﴾

فهرست الجزء العاشر من كتاب الجواهر فى تفسير القرآن الكريم

صحيفة

صحيفة

العقل للعلم فى الكبر . و بيان ملخص ماجاء فى السور السابقة على (مريم) من ذكر العلوم الطبيعية و بيان أن عجائب السموات والأرض أرقى من هذه القصص لأن علم الله لاينتهى وأن التلاميذ اذا تعجب من أمر عيسى يقال له فلتعجب إذن من الأشجار فنها مايلقحه الهواء كالسنط والغار . ومنها ما يلقحه الحشرات كأشجار الفاكهة وذكر الذبابة التى تدخل الزهرة لتستدفئ فتكون سببا فى الالقاح ثم تخرج وهكذا ذكر نوم الزهر واستيقاظه مختلفا باختلاف أنواعه مقدرا باستيقاظ الحشرات ونومها . فهذا كله أعجب من أمر عيسى مثلا الذى ذكره الله فى القرآن ليفتح للعقول هذا المجال . إذن عجائب الطبيعة تفوق الوصف وماخرق العادات إلا ايقاظا لأمثال هذا

١٧ كيف تقرأ سورة (مريم) و (الكهف) فى الزهر . وكيف ذكر الله النخلة رمزا لذلك . و بيان أن امتياز النخل انفصال ذكوره عن إناثه يماثل امتياز مريم عن النساء بأنها حملت بلا ذكر و بقية النبات تجد ذكرانه واناثه فى زهره فى نبات أوزهرتين فيه وهكذا . وهنا ﴿ثلاث جواهر * الجوهرة الأولى﴾ فى قوله تعالى ـ ذلك عيسى ابن مريم ـ الخ و بيان أن احتياج الأنثى للذكر عام لأجل النسل ولو بطريق عالم المثال كمريم وأن فى عالم الحيوان مملكة عظيمة تقوم الأنثى فيها بالحمل والتربية بلا ذكر فلاندرى هل تمثلت ذكرا كمريم أم فيها قوة الاناث وقوة الذكور ، إذن الله يقول للناس ان المألوف عندكم يجب أن لايحكم عليكم . ألاترون مريم ونظيرها فى المملكة الحيوانية المحار والودع وأم الخلول . و بيان وصف حيوان المحار وانه ذو ﴿ ثلاث رتب ﴾ ذوالصدفة وذوالصدفتين وكثير الصدف وجميع أنواعه تقوم الأم فيها مقام الأب والأم معا كمسألة مريم و بيان نظام هيكل هذا الحيوان و بيان أن دمه عديم اللون وأن له عرقا يوصل الدم الى أعلى وعرقا يوصله الى الكبد وعرقا يوصله الى سائر الجسد وله أمعاء وكبد وقلب له أذينان و بطينان مثل كل حيوان

١٩ وأن الحيوان الواحد منه قد يبيض ألفى ألف بيضة وهذا البيض لاتراه العين و يربى كما يربى بيض الدجاج و يمكث أولا فى طيات غشاء المحار الذى لاتراه العيون ثم تلفظ الأم عند الفقس جميع صغارها فى الماء وهذه الصغار التى لاتميز إلا بالمنظار المعظم تسبح فى الماء بشعور دقيقة وتحتمى بأمها من نوائب الدهر ومتى كبرت أزالت تلك الشعرات ولصقت ببعض الصخور والأحجار . ومن المحار (الودع) ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ فى عجائب العلم الحديث و بيان توليد الحياة بطريق كيمائية . ذلك أن المستر (مازور) يقول انه أخذ مجموعة من بيض (القوقعة) ومزجها بالكالسيوم فأصبح الجميع بعد أيام قوقعات طبيعية حية . و يقول إن هذه تثبت نظرية التولد الذاتى وتدحض مايسمونه مذهب (داروين) . و يقول أيضا انه مزج الغراء المعروف (بالماء المقطر) مع حمض الفنيك وغلى الجميع على النار فلما برد صار خلايا صناعية الخ

٢١ و بيان أن هذا القول ان صح فلم يفعل شيأ أكثر مما قاله علماؤنا أن كل حيوان خلق أولا فى خط الاستواء إذ كانت الأحوال ملائمة وقد فات ذلك الآن وهذا الشاب يقول انه ركب تركيبا يناسب تلك الأحوال بعض المناسبة وتبيان أن الله كأنه يوبخ المسلمين بقصة عيسى التى ظهر سرها على يد المسيحيين فالمسلمون كانوا أولى بذلك من الاستاذ (لوب) الذى بحث حيوانا بحريا نسميه فى مصر (ترسا) إذ أخذ بيضه وصب عليه لقاحا ممزوجا بماء البحر ففقس . وهكذا فعل فى حيوان يسمى (التوتيا) إذ يمو بغير تلقيح . وهكذا فعل فى الضفادع . إذن أثبت أن الحيوان له أم وليس له أب كما تقدم فى (المحار) هنا وكما تقدم فى أول سورة (الأنفال) من وجود حشرة لا أب لها غالبا

صحيفة

٢١ سرّ الوجود الكهرباء والأرواح . و بيان أن الكهرباء فى كل مكان ولاتظهر إلا بالتفاعل . هكذا النفس الكلية المحيطة بالأكوان لاتظهر إلااذا حصل التفاعل فى أجسام فاستعدّت لظهورها والكهرباء أنتجت سالبا وموجبا والحيوان جاء ذكرا وأنثى وهكذا النبات . وكما تختلف الكهرباء قوّة وضعفا عند ظهورها هكذا تختلف الأرواح . فالمدار إذن على الاستعداد بذلك التفاعل

﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ فى قوله تعالى ــ قال إنى عبد الله آتانى الكتاب ــ الخ . بيان أن كل دين نزل من السماء فى أرضنا يختلط بأوهام الناس وخرافاتهم على مدى الزمان كدين (زردشت) وديانة المجوس والآشوريين والبابليين وخريستا بالهند وقبله البراهمة وقبلهم (كتاب الفيدا) الخ لذلك أنزل الله هذا الدين . وتبيان ماقاله اللورد (هيدلى) الانجليزى فى تأليفه المسمى ﴿ ايقاظ الغرب للاسلام ﴾ فى شأن المسيح وصلبه وأن هذا الصلب وروايته منقولة من لوحين بابليين مكتوبين بالخط الآشورى عثر عليهما الألمانيون سنة ١٩٠٣ وسنة ١٩٠٤ فى بلاد الآشوريين وفيها أن (بيل) سيق أسيرا وحوكم وضرب وتألم ومعه شريران ولما صعد على الرابية زلزلت المدينة وأخذوا ملابسه وبكت عليه امرأة ثم رجع الى الحياة فى يوم صار عيدا أكبر عند البابليين . وهذه القصة هى قصة المسيح سواء بسواء . وهنا قال اللورد هيدلى ﴿ من أين أتت عظمة المسيحية وقد رأينا روايته موجودة قبل ظهوره بألف سنة ﴾ وهنا خاطب أوروبا كلها قائلا ﴿ هذه حكاية من حكايات ملاجئ الأطفال ولاخلاص لكم بآلام المسيح بل بعملكم الروحى بأنفسكم كما جاء به الاسلام ﴾

٢٥ بيان انى أنا (مؤلف التفسير) قد اجتمعت به وذكر لنا تاريخ حياته . و بيان أن هذا هوالزمان الذى ظهرفيه سرّ قوله تعالى ــ ثم إن علينا بيانه ــ وقوله ــ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ــ وأن الاستاذ (سنتلانه) الطليانى أبان أن فلاسفة أوروبا لم يصلوا لعشرمعشارماعرفه (سقراط) و (أفلاطون) فى مقصود الفلسفة الحقيقية وهومعرفة الله والنفس ونحو ذلك وأن نبوغهم انما هو فى الامور المادّية الحيوانية وأن نسبتهم الى أولئك كنسبة البقة الى الفيل . ولذلك قلت ﴿ يا أمة الاسلام . ديانات الأمم اليوم خرافاتها باقرارهم هم وعلمائهم . فعلينا إذن أن نقرأ كل علم ونعلم الأمم ديننا ممزوجا بالعلم فان بعض أسلافنا الشرقيين جاءوا دينا مخلوطا مشوّها وأتوا لهم بنبى لم يصلب ولم يضرب وقالوا لهم قد صلب ﴾ جوهرة فى قوله تعالى ــ ما كان لله أن يتخذ من ولد ــ الى قوله ــ مستقيم ــ

٢٦ و بيان أن هذه الآية متصلة بآخر سورة (الاسراء) وأول (الكهف) وآخرها وأول سورة (مريم) إذن اتصلت السور الثلاث بهذه المعانى المتحدة . و بيان أن القول هنا هوعين الكلمة فى سورة (النساء) والكلمة إحدى كلمات الله التى فى آخر سورة (الكهف) ولانهاية لها . فما عيسى إلا كلمة واحدة من كلماته . إذن هوكغيره فى كونه كلمة وقد تجلت عظمة الله فى هذا العصر . كيف لا والجوزاء أكبر من شمسنا (٣٥) ألف ألف مرة . و بيان ماترتب على جهل الانسان قديما وحديثا

٢٧ كلمات الله مطربات منعشات ولكنها تدرك بالبصر وكلمات الانسان تدرك بالسمع أعنى أن هذه العوالم منظمات مطربات بنظامها للمفكرين وحدهم كما أطرب الصوت الناس أجمعين . وضوح جهل الانسان فى العصور السابقة . بحث عن ربه بنظرلايزيد عن نظرالخفاش فظنه المسيح ابن مريم مع ان الأرض ومن عليها من المسيح وغيره كلمة من كلماته التى لانهاية لها وهذا قوله ــ قل فمن يملك من الله شيأ ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم ــ الخ . فالأمم قبلنا لم يتعدّوا المخلوق الى الخالق لأنهم رأوا كلمة من كلمات الله أطربتهم بمعجزات وحكم لابنغمات صوتية شجية فقصروا فيها أفكارهم كما فتن أهل الهند

صحيفة

بوذا وأهل بابل وآشور فتنوا بمن يسموه ابن الله وكذلك أهل (المكسيك) . وهنا عجب . تشابهت قلوب الأمم تثليثا ونبوّة وصلبا . هذه جهالة الانسان فى (٥٠) ألف سنة أو (٣٠٠) ألف سنة الاسلام أخرج الانسانية من الظلمات الى النور . كسر الاسلام الأصنام كما فعل الخليل . إذن ننظر لكل حجر وشجر وحشرة ونقول ان جمالها دال على جمال خالقها ولا نقف عند شئ منها ولو أن الشمس ظلت معبودة لم يعرف الناس هذه الكواكب العظيمة التى هى أكبر من الشمس بمقدار آلاف الآلاف وأيضا ظهر للناس أن الاعتقاد بابن لله خدعة من خدع العقل كانخداع العين فترى النور الصغير فى ظلام الليل كبيرا وهذا القول ينطبق على المفكرين . فأما عامّة المسيحيين فلا زالوا على ما كان عليه آباؤهم ولو كان عيسى أو غيره ابنا لله لوجب علينا أن لا نتعدّى قوله إذن نقرأ كل علم لرقينا . وترى الجهال من المسلمين وقفت عقولهم على بعض شيوخ الصوفية الجاهلين أو على بعض الآراء . وترى الفقيه يرى الفقه كل شئ وهكذا . اقرأ هذا المقام فى سورة (آل عمران) عند قوله تعالى — وغرّهم فى دينهم ما كانوا يفترون — وبيان أن من وقف على مذهب واحد ولم يرفع رأسه الى أصل الدين ونظام هذا العالم فهو مغرور والمسلم له اخوان فى دينه واخوان فى وطنه واخوان فى نوع الانسان كله وهكذا يجد المسلم أنه مرتبط بالحيوان والنبات والعوالم الساكنة فى السموات ويدرس الكواكب ليشتاق اليها ويعلم أن هناك رابطة بيننا وبينها . تفصيل لبعض الاجمال

٣٠ الموسيقى فى الأصوات وبيان أن الفرنجة جعلوها من العلوم الطبيعية والمتقدّمين جعلوها من العلوم الرياضية . وبيان تاريخ الموسيقى كأخذه عن العندليب والهزار والهواء الداخل فى النافذ وطرق الصين والروم . والآلات ﴿قسمان﴾ ذوات الأوتار كالعود وذوات النفخ كالأرغن ويجمعها الطبل والمزمار

٣١ آلات الصوت فى الانسان سبع أوّلها تجويف الصدر وآخرها الأنف . مجال السمع الانسانى ١١ ديوانا ولكن المجال الاعتيادى عشرة دواوين من (١٦) موجة فى الثانية الى ١٦٫٣٨٤ فيها وليس للموسيقى إلا السبعة الأولى منها من ٣٢ فى الثانية الى ٤٠٩٦ خلق الجنين فى رحم أمه جار على هذا المنوال فينقسم تقسم ٢ — ٤ — ٨ — ١٦ وعلى هذه الطريقة مسألة الشطرنج فى حبات القمح التى اخترعها الحكيم الهندى التى ستأتى فى سورة (طه) . بيان أن الكلمة جاءت فى الكتب القديمة كما جاء فى (ويليام) و (فشنو بورانا) وهكذا نيفوار بعون كتابا وهى ناطقات كلها بالتثليث وبالروح القدس وهكذا قبل المسيح

٣٤ كشف صنم له ثلاثة رؤس بالهند . بوذا مصوّر بجمال الذكورة والانوثة . الأوّل والثانى والثالث كل واحد مشتق ممن قبله عند قدماء المصريين . الكلمة لاهوت عندهم وهى ابن الله فى زعمهم ومردوخ هو الكلمة وابن الله البكر عند الآشوريين

٣٥ قصة ابراهيم الخليل وتفسيرها

٣٦ ﴿لطيفتان * الأولى﴾ فى قوله تعالى — يا أبت إنى أخاف أن يمسك — الخ وبيان أن الجوع والشبق والمرض كل هذه خلقت لمنفعتنا فى الدنيا فنغتذى ونلد ونتداوى . وهكذا ذوو العقول يألمون للجهل ويفرحون بالعلم كألم الجائع وسروره . كل هذا عذاب من الرحمن لا من الجبار . فالعجب كيف تكون هذه المعانى فى هذه الجملة

٣٨ ما الطرق التعليمية لرقى الاسلام حتى يستحقوا أن يكونوا — خير أمة — ذلك بدراسة تشوق الى مكارم الأخلاق والى علوم الفلك والطبيعة

٣٩ يقول المؤلف إن هذه الطريقة سيقرؤها الناس وسيعملون بها وسيرتقون

صحيفة

كيف

صحيفة

صحيفة

٧٨ نداء للأذكياء و بيان أن المسلمين ناموا نوما عميقا وأن من وقفوا على عصا موسى وتركوا هذا الوجود فهم غافلون كأكثر المسلمين اليوم

٧٩ ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ فى قوله تعالى ـ والسلام على من اتبع الهدى ـ وهذا السلام ظاهر فى سلام المصلى فى صلاته على نبيه وعلى عباد الله الصالحين الخ ومعرفة العوالم تزيد الانسان أمانا لازدياد علمه بالله تعالى وفى قصة موسى الأمان والسلام له فى ﴿ عشرة مواطن ﴾ مثل إلقاء الحب عليه ورجوعه الى أمه وهكذا

٨٠ ﴿ الجوهرة الأولى ﴾ ـ لعلى آتيكم منها بقبس أوأجد على النار هدى ـ و بيان أن فى أضواء العناصر الأرضية خطوطا سودا حين ايقادها بالنار هدتنا الى أن نعرف بها عناصر الكواكب فهذا من هدى النار وهكذا اهتدينا الى مسألة التربيع فى المسافة والجذر فى أمر النار والكهرباء والجاذبية والنور وهكذا وأن الحياة فى الأرض لاتتم إلا بالحرارة وهى نارية وأن النار فى الشجر جعل دليلا على البعث لأن أجسامنا كالشجر والأرواح كالنار وهكذا رواية حى بن يقظان التى ألفها ابن الطفيل فقد أظهر أن الروح لاتكون فى الجسم إلا حيث تكون الحرارة مناسبة فى القلب ثم ترتفع الى السماء فى الأماكن المناسبة لها . فهذا كله من سر ـ أوأجد على النار هدى ـ و بيان أن النور والحرارة والكهرباء والحركات يرجع بعضها الى بعض

٨٣ آية موسى فى العصا وفى اليد وآية نبينا ﷺ إذ رفع الى سدرة المنتهى كلاهما كبرى وهاتان تفتحان لنا باب العلوم ولاينتفع الناس بالآيات إلا اذا أثرت فى عقولهم . أما الغافلون عن ذلك فلانفع لهم من الآيات . فهذه السموات وهذه الأرضون جميعها حاضرة ولكننا لاننتفع بها إلا بالبحث . فالله أرانا الآيات العلمية فى العلوم المنقولة عن الأمم ثم سلط علينا المدافع ليقول لنا ان لم تقرؤا العلوم أهلكتكم على يد عبادى . و بيان أن الفحم تستخرج منه مئات الألوان والانسان لايتأثر إلا بأمر غريب واما بالتبحر فى العلم والثانى هو المطلوب . و بيان أن الألمان يستخرجون من غاباتهم رب الورق ومادة صنع الحرير فنه الورق ومنه الحرير فهذا عجب ومن الصخر ينبت الحرير الصخرى المعروف والكلام على شجرة القشدة

٨٦ التفسير اللفظى لقوله ـ إنا قد أوحى الينا ـ الى قوله ـ وذلك جزاء من تزكى ـ

٨٨ ﴿ اللطيفة الأولى ﴾ فى قوله تعالى ـ قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ـ الخ و بيان أن هذه الآية أشبه ببيت القصيد من قصة موسى واتصال هذه السورة بالسور المتقدمة من الحجر اليها وأن المواليد الثلاثة رتبت فى كل منها بترتيب خاص لحكمة وسورة الاسراء والصلوات الخمس والمحاورات مع موسى لما بين الأمتين من علاقات العلم وقصص القرآن كالجمال الطبيعى وقصص (كليلة ودمنة) كالحلى المصنوعة بأيدى الناس والجمال بقسميه أنتج البنين والبنات فى الزواج . هكذا فى الجمال الحقيقى فى قصص القرآن من العصا والحية والجمال الصناعى بالروايات التى ألفها الناس أنتجا العلم الجم والحكمة . وكما ان الشاب والشابة فى أول الحياة يقترنان للشهوة ثم ينتهى الأمر بالذرية هكذا هنا نسمع قصص القرآن ثم يتدرج فيه الى العليق الذى اتقدت فيه نار ثم ينتهى الأمر بالحقائق العلمية التى هى المقصود بالذات وهى النور وسر النار

٩٠ ﴿ اللطيفة الثانية ﴾ فى قوله تعالى ـ قال فما بال القرون الأولى ـ الخ و بيان أن فرعون أراد المغالطة بمعرفة تاريخ الأمم السابقة فقال موسى لاتسألنى هذا السؤال فعندى ﴿ حجتان * إحداهما ﴾ العصا واليد ﴿ والثانية ﴾ مصنوعات الله تعالى وهى أرقى من معجزتى فهل تريد يافرعون أن تخرجنى من علم

الطبيعة

صحيفة

الطبيعة الحقيقى الى علم التاريخ . كلا . موازنة ايمان سحرة فرعون بكفر بنى اسرائيل إذ عبدوا العجل ذلك أن بنى اسرائيل جهال فلم يدركوا قوّة موسى القدسية ولما شاهدوا عجلا جسدا له خوار فضلوه على العصا والسحرة علماء فآمنوا . إذن المدار على العلم فى الايمان لا على ظواهر المعجزات . مصداق هذا المقام من كلام (سبنسر) انه فضل نظام الطبيعة على نظام اللغات وهو العلم الأدنى واللغات تقوّى الذاكرة ولكن العلوم الطبيعية أشدّ تقوية والطبيعة فيها تقدّمنا فى الحياة وتمرّيننا معا وذم المناقشات التافهة فى القصائد اليونانية والدسائس التاريخية وحضّ على دراسة الطبيعة ومثل ذلك ضياع وقت المسلمين فى الخلاف بين سيبويه والكسائى ونحو ذلك . ونرى كثيرا من الممتازين يفخرون بعلم أدب اللغة وهم عن العلوم الطبيعية ونحوها معرضون . كل ذلك داخل فى محاورة فرعون مع موسى فى مسألة القرون الأولى والكلام على عجائب الأرض . يحثّ مؤلف التفسير القراء أن يخطبوا بهذه المعانى فى بلاد الاسلام و يبينوا أن شعر الطبيعة أجمل من شعر الشعراء بالوحى و بالعلم معا . ويقول (سبنسر) ان عدد نجوم السماء وأنواع النبات والحيوان وصور الطبيعة أفضل للذاكرة من حيث الكثرة ومن حيث اتصال بعضها ببعض ومن حيث قوّة الحكم وتهذيب الأخلاق والاستقلال فى الرأى والاخلاص فى الطلب لحسن الجمال . كل ذلك يؤخذ من الآية المذكورة

٩٣ بهجة العلوم الطبيعية . نظم فى جمال العلوم الطبيعية (فوق مائة بيت) أوّلها

* قرأت كتاب الله فى كل سورة * الخ فيه الكلام على الكواكب وأعدادها بالعين المجرّدة و بالآلات واسم المجرّة عند العامّة والعلماء وأشكال النجوم وعجائب الأرض . وذكر المعادن السبعة والأحجار الثمينة وأنواع النبات مع اتصاله بسلسلة الحيوان وعجائب الماء فى الجبال وانه يبرد فى باطنها فيكسر الحجر بعظم حجمه فتكون العيون . ونظام السحاب وانه مع الماء والشمس كالقدر والنار الخ وعجائب المعادن . و بيان أن أجمل الملابس من دودة وألذ الطعوم من حشرة وهو العسل وأحسن الحلى ما كان من صدفة وهو الجوهر . و بيان أن نحو الشب والزاج والملح والكبريت يتولد فى أقل من سنة والدرّ والمرجان فى سنة أو أكثر على رأى القدماء والتحقيق عند المحدثين أن ذلك فى سنين لا فى سنة كما فى مقام آخر . وهنا ذكر النبات المعدنى والمعدن النبات وأن النبات مع المعادن سلسلة واحدة

٩٧ بيان أن القصص فى الديانات كالأشجار وأزهارها العلوم وقصة موسى زهرتها — قال ربنا — الخ وفى هذا المقام قصة (صصة بن داهر) الحكيم الهندى وأن الحبات الموزعة على بيوت الشطرنج فى تكاثرها بالمضاعفة كهيئة انقسام بيضة الجنين فى الرحم فهى (١-٢-٤-٨-١٦) وهكذا وترى هذا حاصلا فى انقسام كل جنين . والعجب أن بيضة المرأة دقيقة جدّا و بيضة الدجاجة كبيرة وكان القياس العكس . ذلك لأن بيضة المرأة يتغذى جنينها من دمها فلم تحتج لغذاء من الخارج وجنين الدجاجة يحتاج لغذاء يتغذى منه فلذلك جعل الغذاء معه و بيض السمكات ينزل قرب الشاطئ فيلقحه الذكر و يفقس ولا علم للأبوين بالولد والبيضة فيها الجنين وغذاؤه الى عدّة أيام . وهكذا ترى دود القز ودود الفراش يتقاربان فدود القز ينسج على نفسه نسيجا ينام فيه أياما ودود الفراش نسجه قليل ولكنه ينام فيه . فهنا بيضة يغتذى جنينها بدم أمه وجنين الأخرى يتغذى من نفس البيضة وجنين آخر هو الذى يغزل و ينسج على نفسه وهذا الاختلاف عجيب مدهش أشدّ الدهش . وهنا ثمان صور تبين انقسام جنين المرأة وجنين السمكة والضفدعة

١٠٢ لمن خلقت هذه العجائب . ونقل كلام طيماوس الحكيم أن البصر خلق ليعرف الناس الشمس والقمر

صحيفة

والكواكب الخ . إذن المقصود من هذه العجائب هم المفكرون لاغير

١٠٣ الموازنة بين جنين المرأة والدجاجة من وجه و بين جنين السمك والضفدع من جهة أخرى ثم بين جنين الدجاجة والمرأة الخ والكلام فى مسارعة الحيوانات المنوية المفرزة من الرجل الى اقتحام بيضة الأنثى وسبق واحد منها اليها وأن أشرف نوع الانسان هم الأقلون وفى عملية انقسام الجنين فى الرحم وحساب مسألة الشطرنج بحذافيره وأن الحب الذى حسب ابيوت الشطرنج يحتاج الى زرع الأرض كلها ٢٨ سنة فضلا عما فيها البحار وغيرها . فأما اذا راعينا الساحة للقمح وحدها فنحتاج الى مئات السنين وهذا يدخل فى قوله تعالى ــ والشفع والوتر ــ . ﴿ حكاية ومسامرة ﴾ ذلك أن الشعبى سأله ملك الروم عن طعام أهل الجنة وعن الجنين فى بطن أمه وهل يبول أو يتغوّط وعن أن الله ليس له أوّل ، فهل لهذا نظير الخ والأجوبة الجميلة عليه ومحاورة سياسية عجيبة

١٠٧ الوحدة العامّة فى التناسل . و بيان رأى طيماوس الحكيم فى هذه الدنيا وقوله ﴿ إن الله لايحويه زمان وأن العالم من العقل والمادّة وشئ مشترك بينهما ﴾

١٠٨ الفصل الثامن فى أن مرتبة علماء الطب والتشريح والنبات فى هذا المقام كرتبة علماء النحو والصرف بالنسبة لعلماء البلاغة

١٠٩ الفصل التاسع فى أن الأقوى الأكمل وان كان قليلا أشرف من الأكثر اذا كان ضعيفا الفصل العاشر فى أن الحشرات الذرّية المهلكة للناس ملأت السهل والجبل . بيان أن جسم الانسان مثل جهنم وله أبواب كأبوابها وأن طيماوس يعتقد أن الله خلق أرواحنا كأرواح الكواكب وانها متماثلة ولكن عند افتراقها فى الأجسام ستحصل لها أحوال أخرى تغير أعمالها من حسن وقبيح والكلام على مبدأ الخير والشر عند الفرس وهل لهما إلاهان أم هما عمل إله واحد كما فى الاسلام الخ

١١٣ نموّ الحشرات . وهنا رسم حشرة أبى دقيق التى تقدّم الكلام عليها وحشرة دود القز

١١٤ و بيان طول خيط دود القز بالأمتار والنظم الذى أوّله * و بيضة تحضن الخ *

١١٥ ﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ فى صناعات الحيوان وحكوماته كالجرذان تعيش فى الكهوف والمها فى الأدواح والنمل لها بيوت (والجندبادستر) يبنى بيوته مهندسة والسنجاب يتخذ المركب والقلوع وهكذا الدبّ يركب قطع الثلج (والديمورا) تركب السمك فى البحر والثعلب ونحوه يصطاد والعنكبوت ينسج و بعض السمك له منشار وللسرطان درع والخنزير يشق الأرض والهرّة تتوقى الروائح الكريهة الخ كالحذر فى فى الغراب والحيلاء فى النمر وصنع الزنابير للورق ودود القز يغزل . وهكذا النمل مهندس له بيت منظم فيه ثمان حجرات مرسومة فى صفحة (١١٩) فللملكة حجرة وللذرية حجرة وللجيوش حجرة وهكذا الى ١١ حجرة وهكذا الى تمام (٤٠) حرفة للحيوان تعلمها الانسان كلها وزاد عليها

١٢٠ (الطيور النافعة للزراعة) منها ماكتب فى سورة (يوسف) وزاد عليها كثير هنا فى سورة (طه) مسامرة فى حديث السحرة مع فرعون إذ قالوا ــ إنه من يأت ربه مجرما ــ الخ و بيان حالى أيام الشباب وانى أغشى علىّ وأنا فى الحقل فأنكرت الروح والحياة بعد الموت قياسا على غيبوبتى ثم رأيت قائلا يقول لى هذه هى الروح فى الجوّ ثم رأيت كلام ابن مسكويه فى كتابه ثم درست علم الأرواح وأن سكان جميع الكواكب يجتمعون و يصنعون موسيقى ثم هم يرتقون الى الله

الانتقال من عملى فى الحقل الذى يعقبه نشاط فكرى عجيب الى ماعرف حديثا عن شبان الممالك المتحدة فى الجامعات يعملون أيام العطلة فى الحقول فيرجعون أذكى وأعلم وأصح من الباقين . فقوله فى الآية

ــ الدرجات

صحيفة

صحيفة

صحيفة

العلم الأوروبى . محادثتى مع ناظر مدرسة مصرى . النظام القديم والجديد . و بيان مايقوله الفرنجة عن المفاسد فى مصر التى يتصف بها الشبان والشابات

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت)